حقوق الانسان

عند الامام علي بن ابي طالب(عليه السلام)

رؤية علمية

تأليف
د.غسان السعد

فهرس المطالب

المقدمة

الفصل الأول : في مكانة الإمام علي بن ابي طالب (ع) وتطور فكرة ومفهوم حقوق الإنسان

المبحث الأول: في مكانة الإمام علي بن ابي طالب(ع).

المبحث الثاني : تطور فكرة ومفهوم حقوق الانسان.

الفصل الثاني : الحقوق الأساسية عند الامام علي (عليه السلام)

المبحث الأول : حق الحياة

المبحث الثاني : حق المساواة العادلة.

المبحث الثالث : حق الحرية

الفصل الثالث : الحقوق السياسية

المبحث الأول : حق حرية الرأي والتعبير

المبحث الثاني : حق المشاركة السياسية .

المبحث الثالث : حق ضبط الحكام

المبحث الرابع : حق المعارضة السياسية .

الفصل الرابع : الحقوق الاجتماعية والاقتصادية

المبحث الأول : حقوق المرأة .

المبحث الثاني : حقوق الأسرة وحقوق الطفولة

المبحث الثالث : حق التعليم .

المبحث الرابع : حق العمل والتملك .

المبحث الخامس : حق الضمان الاجتماعي .

الفصل الخامس : حقوق انسانية مهمة أخرى

المبحث الأول : حق الكرامة الإنسانية .

المبحث الثاني : حق التقاضي .

المبحث الثالث : حقوق الإنسان فيزمن الحرب .

الخاتمة

المصادر

الاهداء

الى

المجهولين في الارض.... المعروفين في السماء

الى

من توارو في التراب

لانهم احبوا علي بن ابي طالب ....

ودافعوا عن حقوق الانسان

الى شهداء المقابر الجماعية في بلاد الرافدين

المؤلف

المقدمة

في خضم ما تمر به الأمة الإسلامية في عالمنا المعاصر من تحديات جمة ألقت بظلالها القاتمة على وجود امتنا ومستقبلها تبرز قضية (حقوق الإنسان) ببعديها النظري والعملي كتحد مهم وصعب ينبغي الاستجابة له ، لاسيما مع محاولة تعميم النموذج الغربي المحصن بمنظومة فكرية تمتلك بعض عناصر القوة،وان احتوت على سلبيات وتناقضات كثرة ، وممارسة عملية ممزة، على الرغم من محدوديتها ، فانها تنفرد بكونها الماثلة للعيان والشاخصة في الاذهان دون غيرها .

ومن الناحية الاخرى فان هناك حالة من الانهزامية واليأس داخل نفوس اكثر ابناء الامة الإسلامية ،وهم يعيشون يومياً ابشع انتهاك لادميتهم في ظل حكومات استبدادية ومؤسسات اجتماعية واقتصادية تحطم انسانيتهم كلما تحركوا لتغيير واقعهم المرير ، غير متناسين مجموعات من وعاظ السلاطين التي ارتدت ، من غير وجه حق ، طيلسان الدين وأضحت تصوغه على وفق رؤى اصحاب السلطة وبما يضفي شرعيةزائفة على سياستها الخاطئة .

وهكذا فقد الانسان المسلم حقوقه بين النص والواقع والقيم العالمية والسمة الخصوصية ،والايمان بحقوق الانسان وادعاء الدفاع عن تلك الحقوق وافراغها من محتواها الحقيقي. وفي هذا اليم المتلاطم تلوح سفينة النجاة الاسلامية التي اغنت الانسانية بتجربة ممزة كان الامام علي بن ابي طالب(ع) من روادها ومن المساهمين الفاعلين في تثبيت دعائم الاسلام وتجربته في شتى نواحي الحياة ومنها حقوق الانسان .

فرضية البحث

ينطلق البحث من فرضية مفادها " ان للامام علي بن ابي طالب (ع) رؤية مميزة لحقوق الانسان تتسم بالشمولية والعمق والتطبيق العملي لتلك الحقوق من جهة ، ويمكن الاستفادة من هذه الرؤية لمعالجة اشكالية حقوق الانسان في واقعنا المعاصر ، من جهة اخرى " .

منهجية البحث

ان طبيعة موضوع الدراسة واحتوائه على عدة عناصر رئيسة كالتاريخ، والفقه ، والسياسة ، قد حددت منهجية البحث بالمنهجين التاريخي والتحليلي بشكل رئيس والاستفادة كذلك من المنهج المقارن كلما اقتضت الضرورة ذلك.

صعوبات البحث

– عدم توفر المصادر المباشرة في موضوع الرسالة ، فبالرغم من كثرة المصادر التي امكن الحصول عليها لم يتمكن الباحث من العثور على مصدر علمي يختص بـ (حقوق الانسان عند الامام علي ابن ابي طالب (ع) ، انما وردت في المصادر اشارات وشذرات ونصوص ومن ثم تطلب البحث جهداً مضاعفاً مع الاخذ بنظر الاعتبار شمولية الموضوع ومكانة شخصية الامام علي بن ابي طالب وكثرة ما ورد عنه وكتب حوله .

– كتبت هذه الاطروحة في مدة ما بعد سقوط صنم الدكتاتورية في العراق وما تبعه من اعمال إرهابية استهدفت العراقيين ولاسيما رجالات الفكر السياسي الاسلامي من اتباع مدرسة اهل البيت (عليهم السلام) ، ناهيك عن التهديد اليومي لكل من يحمل فكر الاسلام الحقيقي وحقوق الانسان على يد بقايا النظام وحلفائهم من التكفيريين .

– ان هذا البحث كونه في ضمن حقل العلوم الانسانية ، التي يجد الباحث في مضمارها ، غالباً ، صعوبة كبيرة في التحرر من عواطفه ورؤاه المسبقة . ومع ذلك فقد حاول الباحث قدر المستطاع ان ينأى عن أي تحيز او انفعال وتطلع الى أنْ تكون الموضوعية سبيله والحيادية شعاره.

هيكلية الكتاب

تقوم هيكلية البحث على تقسيم مضامينه إلى خمسة فصول ، فضلاً عن المقدمة وخاتمة تضم ابرز ما توصل اليه البحث من خلاصات .

فالفصل الأول يحتوي على مبحثين ، يتطرق الأول منهما إلى شذرات عن شخصية الإمام علي بن ابي طالب ومكانته في الإسلام والظروف التي احاطت بتجربته (ع)ولاسيما في مجال حقوق الإنسان . أما المبحث الثاني فيعرض تطور فكرة ومفهوم حقوق الإنسان في محطاتها الرئيسة وذلك من أجل تقييم الإسهام النظري والعملي للإمام (ع) في مجال حقوق الإنسان

ومعرفة موقع ذلك الإسهام في المسيرة الإنسانية .

أما الفصل الثاني فقد تعرض لما يمكن ان نطلق عليه حقوق الإنسان الاساسية عند الإمام علي (ع) . إذ ضم ثلاثة مباحث يعرض الأول منهما لـ (حق الحياة) . أما المبحث الثاني فيتناول (حق المساواة العادلة) . ويختص المبحث الثالث بـ (حق الحرية) .

وشغلت الحقوق السياسية للإنسان عند الإمام علي الفصل الثالث ، الذي احتوى على أربعة مباحث يتطرق المبحث الاول إلى (حق حرية الرأي والتعبير) . أما المبحث الثاني فيختص بـ (حق الشورى والمشاركة) . في حين يعرض المبحث الثالث لحق (ضبط الحكام) . أما المبحث الرابع فيتناول (حق المعارضة) .

واختص الفصل الرابع بحقوق الإنسان ذات البعد الاجتماعي والاقتصادي والثقافي ، فسيتطرق المبحث الاول إلى (حقوق المرأة) . ثم يتم في المبحث الثاني تناول (حقوق الأسرة والطفولة) ، ويعرض المبحث الثالث لـ (حق التعليم) ، اما المبحث الرابع فيختص وعبر مطلبين لكل من (حق العمل) و (حق الملكية) . والمبحث الخامس فيتناول (حق الضمان الاجتماعي) .

وعالج الفصل الخامس جملة من حقوق الإنسان المهمة الأخرى فانتظم في ثلاثة مباحث الاول منها يعرض لـ (حق الكرامة الانسانية) ، وجاء المبحث الثاني ليتناول (حق التقاضي) . أما المبحث الثالث فيعنى بـ (حقوق الإنسان في زمن الحرب) . ومن ثم خاتمة تضم كما أشرنا سابقاً ، إلى خلاصات وجملة من الاستنتاجات .

وختاماً نود ان نشير إلى ان هذه الرسالة لا تدعي الريادة إلا كونها اول أطروحة تكتب عن بعد ما في تجربة الإمام علي بن أبي طالب (ع) في كلية العلوم السياسية في جامعة بغداد ، ونسأل الله عز وجل ان لا تكون الأخيرة ،ولاسيما اننا بأمس الحاجة إلى طرق باب مدينة علم رسول الله ، كون الإسلام الذي جسده الإمام (ع) يمكن ان يكون بلسماً لآلام وآمال المسلمين بل البشرية بأسرها .

الفصل الأول

في مكانة الإمام علي بن أبى طالب (ع)
وتطور فكرة ومفهوم حقوق الإنسان

يكرس هذا الفصل لمدخل غاية في الأهمية إذ يبحث في المكانة التي شغلها الإمام علي (ع) من جهة وتطور فكرة ومفهوم حقوق الإنسان من

جهة أخرى ، لذلك انتظم هذا الفصل في مبحثين :

المبحث الأول : مكانة الإمام علي بن أبى طالب (ع).

المبحث الثاني : تطور فكرة ومفهوم حقوق الإنسان .

المبحث الأول

مكانة الإمام علي بن أبي طالب (ع)

ان البحث في مكانة الإمام علي بن أبي طالب ، عملية شاقة ومتشعبة على كل من ولج هذا الميدان ،ولاسيما اذ كانت الحقيقة غايته والعلم سبيله ،وما يزيد من صعوبتها تداخلها مع المؤثرات السياسية والعقائدية والتاريخية والنفسية ،سواء في إرثها الماضي أم في واقعها الحالي ، ناهيك عن مدى توافر القدرات العلمية والنقدية عند الباحث نفسه .

ان الأمة الإسلامية كونها ذات رسالة حضارية بحاجة لتوظيف ادوات المعرفة والبحث العلمي معززة بالشجاعة وروح النقد في عملية البحث داخل موروثنا الحضاري العام وفي تفصيلاته كافة ، وما يتطلبه ذلك من الوقوف إزاء مضامين الارث التاريخي وقفة تفحص دقيق، وتحليل معمق قبل التوصل الى الأحكام الصحيحة والاستنتاجات المبنية على الدليل المعرفي وينبغي للباحث الموضوعي ان يتجنب عددا من الاحكام او الرؤى المسبقة والجاهزة التي تنتشر في كثير من الكتابات التاريخية والتي عدها كثير من الكتاب خطوطا حمراء لا يمكن في اية حال تجاوزها او مناقشتها .

تنبع أهمية هذا المبحث من تناوله مسألتين مهمتين:

المسالة الأولى : اعطاء ومضة عن حياة الإمام علي بن أبي طالب (ع) .

أما المسالة الثانية ، فتتجسد في الإجابة عن سؤال : ما القيمة القانونية والتشريعية لأراء الإمام ومواقفه وما قدمه من مفاهيم وممارسات ،ولاسيما في مجال حقوق الإنسان ؟ " ليتضح للمسلم المعاصر أكانت تجربة الإمام (ع) تشكل اجتهادا شخصيا مارسه الإمام (ع) فتحمل مسؤولية ذلك الاجتهاد سلبا او ايجابا ، تماما كما يجتهد أي حاكم او نظام حكم في عصر من عصور المسلمين ... ام ان تجربة الإمام هي ترجمة لروح الإسلام الحنيف ،التي

تحملها النصوص المقدسة الواردة في الكتاب العزيز والسنة النبوية الشريفة وكان دور امير المؤمنين (ع) دور المنفذ للأطروحة السماوية" [1] .

من البديهيات التي يعرفها كل باحث منصف وذي بصيرة ، ان هناك عملية تشويه لتجربة الإمام علي بن أبي طالب الانسانية من خلال عدة طرق ولعدة اغراض ، فمن جهة سعى خصومه السياسيون الى طمس حقيقة شخصية الإمام ، وخصوصا ما ارتكبه معاوية بن أبي سفيان وانصاره وولاته [2] ، بل استمرار هذه العملية وبتخطيط محكم الى الوقت الحاضر من حيث وقف المستبدون في العالم الاسلامي ، عموما موقف الضد من الإمام شخصا ومنهجا بصورة علنية او سرية [3] .

اتخذت هذه العملية عدة سبل لعل من اهمها :

– منع ذكر مناقب ومزايا الإمام الشخصية اين ما وردت .

– تضخيم دور معاصريه ومناوئيه في محاولة لخلق البديل ، أو في الاقل حتى تتداخل الامور فيصعب تمييز معرفة حجم ادوارهم في البناء الحضاري والعلمي في الاسلام [4] .

---

1 – عبد الزهراء عثمان محمد ، المعارضة السياسية في تجربة امير المؤمنين (ع) ، ط1 ، (بيروت ، دار الهادي، 2003) ، ص14 .

2 – حول شخصية معاوية بن أبي سفيان وسياسته وولاته ومعاداته للامام علي ، ينظر: صاحب يونس ، معاوية بن أبي سفيان (في الكتاب والسنة والتاريخ) ، ط2 ، (بيروت ، دار العلوم ، 2002) ص ص220 – 383 .

3 – للمزيد من التفصيل ينظر : سامي البدري ، شيعة العراق (التأسيس ، التاريخ ، المشروع السياسي) ، ط1، (د.م، دار الفقه ،1424 هـ) ، ص44 وما بعدها ؛ د. علي شريعتي ، التشيع العلوي والتشيع الصفوي ، ترجمة حيدر مجيد ، ط1، (بيروت ، دار الامير ، 2002) ، ص25 وما بعدها ؛ د. مهدي محبوبة ، ملامح من عبقرية الإمام علي(ع)،ط2،(بغداد، مطبعة الارشاد ،1967) ،ص9 .

4 – " كتب معاوية نسخة واحدة الى عماله بعد عام الجماعة (40 هـ) برئت الذمة ممن روى شيئا في فضل أبي تراب واهل بيته فقامت الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر يلعنون علياً ويبرؤن منه ، ويوقعون فيه وفي اهل بيته وكان اشد الناس بلاء حينئذ اهل الكوفة لكثرة من بها من شيعة علي ...وان اكثر الاحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة افتعلت ايام بني امية " حول تفاصيل هذه الشهادة التاريخية المهمة ينظر : عز الدين بن هبة الله بن محمد بن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ،ج11 ، ط2 ، (بيروت ،دار احياء الكتب العربية ، 1967) ، ص ص44–47 ؛ وحول منع احاديثه وتزويج غيرها ينظر كذلك : علي بن الحسين المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ،ج3 ، (مصر ، المكتبة التجارية ، 1964) ، ص35 ؛ احمد بن علي بن حجر العسقلاني ، تهذيب التهذيب ،ج2، ط1، (بيروت ، دار الفكر، 1984)، ص232 .

–تشويه التجربة السياسية العلوية وذلك باضافة إحداث وحوارات وشخوص اقحمت في التاريخ لشتى الإغراض دون ان [1]

يكون لها وجود حقيقي .

– تسطيح وتهميش دور الإمام في البناء والرؤى الإسلامية للواقع السياسي ، وخاصة في

– مجال حقوق الإنسان [2] .

---

1 – ينظر : مرتضى العسكري ، عبد الله بن سبأ (واساطير اخرى) ، م1، ط6 ، (د، م ، د . ن ، 1992) ، ص48 وما بعدها .

2 – بشان تشويه وتسطيح دور الإمام ينظر : عبد الملك بن هشام الحميري ، السيرة النبوية ، تحقيق وتعليق محمد محيي الدين عبد الحميد ، ج3 ، (مصر ، مكتبة محمد علي صبيح وولاده، د. ت) ، ص767 ، ج4 ، ص870 ؛ عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، الامامة والسياسة (تاريخ الخلفاء) ، تحقيق علي الشيري ، ج1، ط1 ،(ايران ، مطبعة امير ، 1413هـ) ، ص68 ؛ علي بن الحسن الشافعي (ابن عساكر) ، تاريخ مدينة دمشق، دراسة وتحقيق علي الشيري ، ج7 ، (بيروت ، دار الفكر ، 1995) ، ص271 ،ج24،ص423 ؛ علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي ، كنز العمال في سنن الاقوال والافعال ، ضبط وتصحيح الشيخ بكري حياني، ج3 ، (بيروت ، مؤسسة الرسالة، 1989) ، ص663،ج31،ص198،ج81، ص137 ؛ ابو اسحاق الاسفايني ، نور العين في مشهد الحسين (رضي الله عنه) ، (تونس ، مطبعة المنار ، د. ت) ،ص4، ص85 ؛ حسين بن علي السقاف ، البشارة والاتحاف ،(د.م ،د. ن د. ت) ، ص28 ؛جماعة من العلماء ، التوفيق الرباني في الرد على ابن تيمية الحراني ، (د. م، د. ن،د. ت) ،ص85 ؛ احمد بن عبد العزيز الجوهري ، السقيفة وفدك ، تحقيق د. الشيخ محمد هادي الاميني ، ط1 ، (بيروت ، شركة الكتبي،1980) ، ص55 ؛ محمد بن علي الشوكاني ، نيل الاوطار من احاديث سيد الاخيار ، ج1 ،(بيروت ، دار الجليل ، 1973) ،ص274 ، ج2،ص76 ،ج9، ص53 ؛ محمد الخضري، محاضرات في تاريخ الدولة الاموية ، (بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية ، 1955) ، ص47 واماكن اخرى ؛ تقي الدين احمد بن تيمية الحراني ، دقائق التفسير ، تحقيق محمد السيد ، ج2 ، ط2 ، (دمشق ، مؤسسة علوم القرآن ، 1404هـ) ، ص206 ؛ تقي الدين احمد بن تيمية الحراني ، الزهد والورع والعبادة ، تحقيق حماد سلامة ، ج1 ، ط3 ، (الاردن ، مكتبة المنار ، د. ت) ، ص159 ، تقي الدين احمد بن تيمية الحراني ، الفتاوى الكبرى (فتاوى بن تيمية) ، ج3 ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1408) ، ص32 ، ج4 ، ص468 ، ج14 ، ص456 ، ص51 ، ص124 ؛ تقي الدين احمد بن تيمية الحراني ، منهاج السنة النبوية ، تحقيق محمود رشاد سالم ، ج1 ، (د. م ، مؤسسة قرطبة ، 1406هـ) ، ص23 ، ص25 ، ص537 ، ص545 ، ص546 ، ج2 ، ص ص60–63 ، ص66 ، ص67 ، ص70 ، ص463 ، ج3 ، ، ص379 ، ص404 ، ؛ تقي الدين احمد بن تيمية الحراني ، بيان تلبيس الجهمية في تاسيس بدعهم الكلامية ، تحقيق محمد بن عبد الرحمن القاسم ، ج2 ، ط1 ، (مكة المكرمة ، مطبعةالحكومة ، 1392هـ) ، ص82 ، محمد بن ابي بكر بن قيم الجوزية ،زاد المعاد في هدى خير العباد ، تحقيق شعيب الارناؤط ، ج3 ، ط14 ، (بيروت ، مؤسسة الرسالة ، 1986) ، ص347 ؛ محمد بن ابي بكر بن قيم الجوزية، اعلام

الموقعين عن رب العالمين ، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ، ج1 ، (بيروت ، دار الجيل ، 1973) ، ص22 ، محمد بن ابي بكر بن قيم الجوزية ، نقد المنقول والمحك المميز بين المردود والمقبول ، تحقيق حسن السماعي سويدان ، ج1 ، (بيروت ، دار القلم ، 1990) ، ص105 .

ومن جهة ثانية فان الاتجاه المؤمن بعلي بن أبي طالب كقضية ومبدأ غلب عليه البعد العاطفي، واصبحت مؤلفاته وموروثه الفكري عنه ،في اغلبه ، عملية رد فعل لسياسة الاتجاه الاول اكثر من كونها فعل فألفت مئات الكتب حول مناقبه (ع)[1] دون ان يسبر معظمها اغوار رؤاه وتجربته وتفعليها بصيغ عملية لتكون بلسما لالام محبيه من المسلمين وغيرهم ، ويبدو ان هناك عملية تأكيد واظهار لمناقب الإمام تتسم بشيء من المبالغة[2] .

---

1 – يقال " ان محمد بن شهرآشوب المازندراني (رحمه الله) كان في مكتبته حين تأليف كتاب (المناقب)زهاء الف تصنيف في مناقب الإمام علي (ع) كلها بعنوان المناقب " ، احمد الرحماني الهمداني ، الإمام علي بن أبي طالب (من حبه عنوان الصحيفة) ، ط1 ، (ايران ، المنير للطباعة والنشر ، 1375هـ) ،ص27 .

2 – حول بعض ما يبدو انه نوع من المبالغة ينظر : محمد بن علي بن بابويه القمي (الشيخ الصدوق) ، عيون اخبار الرضا ، تصحيح الشيخ حسين الاعلمي ، ج1 ، (بيروت، مؤسسة الاعلمي ، 1984) ، ص77 ؛ علي بن حسين علي الاحمدي الميناجي ، مكاتيب الرسول صلى الله عليه وآله ، ج1 ، (د. م ، دار الحديث ، 1998) ، ص415 ؛ احد علماء الشيعة ، الروضة في المعجزات والفضائل ، (قم ، مؤسسة الإمام المهدي (ع) ، د. ت) ، ص ص172–173 ؛ ابو الفتح جمال الدين عبد الرحمن بن الجوزي ، الموضوعات ، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ، ج1 ، ط1 ، (د. م ، د. ن ، 1966) ، ص14 .

ومما اسهم في تعسر فهم تجربة الإمام علي (ع) وجود ظاهرتين متناقضتين تمثلتا في طرفين:

الطرف الأول هم الخوارج[1] وما شرعوه من قضية التكفير واستمرارية هذا المبدأ الى الوقت الحالي وبأشكال ومسوغات جديدة[2] .

اما الطرف الثاني فهو الغلو او تأليه علي بن أبي طالب[3] .

ويمكن القول ان كل واحد من الطرفين لم يأخذ حجمه المناسب في البحث السياسي الاسلامي فالإمام نظر الى الخوارج كجماعة سياسة معارضة لكن داخل اطار الدولة ،ولاسيما قبل سفكهم دماء الابرياء وهذه المسألة غاية

---

1 – حول تاريخ وفكر الخوارج ينظر : احمد بن محمد بن عبدربه الاندلسي ، العقد الفريد ، تقديم الاستاذ خليل شرف

الدين ، ج2 ، (د.م ، دار ومكتبة الهلال ، 1986) ، ص389 وما بعدها ؛ محمد بن يزيد المبرد ، الكامل في اللغة والادب ، ج3 ،(مصر ، البابي الحلبي ، 1973)، ص819 وما بعدها ؛د. محمود اسماعيل ، الحركات السرية في الاسلام ، (بيروت ، دار القلم ، 1973) ،ص22 وما بعدها ؛ محمد ابو زهرة ، تاريخ المذاهب الإسلامية (في السياسة والعقائد) ،(القاهرة ، دار الفكر العربي ، د. ت) ، ص66 وما بعدها ؛د. محمد عمارة، الخلافة ونشأة الاحزاب الإسلامية ، (بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، 1984)، ص107 وما بعدها.

2 – حول فكر التكفير وبعض مسوغاته ينظر : احمد بن محمد بن حنبل ، كتاب العلل ومعرفة الرجال ، تحقيق وتخريج د. وصي الله بن محمد عباس،ج1،ط1 ، (بيروت، المكتب الاسلامي ، 1988) ،ص12 ؛وحول الاستمرار في فكر التكفير في الزمن المعاصر ، ينظر : سالم البهنساوي ، الحكم وقضية تكفير المسلم ،ط3 ، (الكويت ،دار البحوث ، 1985) .

3 – حول ظاهرة الغلو والتأليه ينظر : باسم العبادي وسحر المنصوري ، الغلو والموقف الاسلامي ، بحث ورد في محمد باقر الحكيم واخرون ، مكانة اهل البيت (عليهم السلام) في الاسلام والامة الإسلامية ، مجموعة من= =المقالات المختارة للمؤتمر الدولي الرابع عشر للوحدة الإسلامية 1422 هـ، اعداد محمد مهدي نجف، ط1 ، (ايران ، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية ، 1422هـ) ، ص ص337–382 .

في الاهمية وتدل على ان الخلاف لم يكن في بدايته مبدئيا بين الامام والخوارج [1] . في حين ان الغلاة والغلو ، احتلوا حيزا اكبر من حجمهم الحقيقي في البحث التاريخي ، إذ لا يكاد كتاب يتناول الفرق وعقائد المسلمين يخلو من ذكرهم وتعدادهم [2] ، وذلك على الارجح لتحقيق اغراض سياسية وطعنا على من يرفع شعار منهج علي في الحكم والحياة .

ومما اضاف الى عوائق فهم الإمام علي ،هو ظاهرة مست التجربة الإسلامية بوجهٍ عام وتجربة الإمام بشكلٍ خاص ، ونقصد ظاهرة (الوضاعين) للاحاديث النبوية والاقوال التي ينسبونها للامام والشخصيات الإسلامية والتاريخية المهمة . وهذه الظاهرة ذات بعدين :

1 – بعد سلبي ، وذلك في طمس الخطب والمقولات والمواقف الحقيقية .

2 – وبعد عدّ ايجابيا في فهم بعض الوضاعين تمثل في النسبة الى الرسول او الإمام او غيرهما مالم يقولا به توهماً من هؤلاء الوضاعين بأنهم يحسنون صنعا وهم في الحقيقة اصطفوا في خانة الكذابين . ناهيك عمّن يكذب بسوء نية ولتحقيق اغراض شتى .

---

1 – سوف نتطرق الى حق المعارضة وحقوقها ، مما له علاقة بموضوع علاقة الامام بالخوارج في الفصل الثالث ، المبحث الرابع .

2 – تردد ذكر هذه الفرق وما قيل عن معتقداتها في اغلب كتب الفرق والعقائد ينظر : الحسن بن موسى النوبختي، فرق

الشيعة ، تعليق محمد صادق بحر العلوم ،ط4 ، (النجف،المطبعة الحيدرية ، 1969) ،ص52 وما بعدها ؛ علي بن اسماعيل الاشعري ، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ج1 ، (القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، 1950) ص65 وما بعدها ؛ عبد القاهر بن طاهر البغدادي ، الفرق بين الفرق ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، (بيروت ،دار المعرفة ، د. ت) ، ص95 وما بعدها ؛ ابو الفتح بن عبد الكريم الشهرستاني ، الملل والنحل ، مطبوع بهامش كتاب ابن حزم ، الفصل في الملل والاهواء والنحل، ج1، ط2 ، (بيروت ، دار المعرفة ،1975)، ص195 وما بعدها .

وظاهرة الوضاعين هي في الحقيقة من اشد الامور وطأة على نهضة الامة الإسلامية، وقد تم تشخيصها سابقا فمثلا لم يعتمد احمد بن حنبل " من اكثر من سبعمائة وخمسين الف حديث كانت لديه الا ثلاثين الف "[1] ،والبخاري لم يذكر في الصحيح اكثر من سبعة الاف حديث بينها مكرر انتقاها من ستمائة الف حديث[2] ،وهكذا كان حال غيرهما من اصحاب الصحاح والاسانيد ، وقس على ذلك ويبدو ان الاقدمين كانت لديهم هواة علمية اكثر مما يملكها بعض الباحثين الإسلاميين المعاصرين حين التعرض للموقف من الاحاديث والروايات التاريخية المروية .

ولم يكن الإمام علي بعيدا عن عملية الوضع هذه ، حتى قيل " ما كذب على احد من هذه الامة، ماكذب على علي بن أبي طالب"[3] ،واسباب الوضع ببعديه على الإمام كثيرة لعل من اهمها :

-سبب سياسي ،وذكرنا طرفا منه سابقا .

- سبب عقيدي .

- سبب ذاتي نفعي[4] .

- سبب نفسي ، ناجم عن بغض بعضهم لشخص الإمام[5] .

---

1 - عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، ج1، ط1، (مصر، المطبعة الحسينية ، د. ت)، ص202 .

2 - حول هذا الموضوع ينظر: محمود ابو رية ، اضواء على السنة المحمدية ،ط5 ، (د. م ، د. ن ، د. ت) ، ص272 ؛ هاشم معروف الحسيني ،دراسات في الحديث والمحدثين ،(دراسات في الكافي للكليني والصحيح للبخاري) ،ط2 ، (بيروت ، دار التعارف ،1978) ، ص95 ؛ محمود ابو رية ، شيخ المضيرة ابو هريرة ، ط3 ، (مصر ، دار المعارف ، د. ت) ، ص100 وما بعدها .

3 - علي بن الجعد بن عبيد الجوهري ، مسند ابن الجعد ، رواية وجمع الحافظ أبي القاسم عبد الله بن محمد البغوي، مراجعة وتعليق الشيخ عامر احمد حيدر ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ،د.ت)،ص356 .

4- ينظر : محمد تقي الحكيم ، عبد الله بن عباس ، ط1، (قم ، مكتبة الصدر ،1423هـ) ، ص ص14-22 .

5 - يلاحظ ان هناك ظاهرة حب وبغض لشخص الامام علي، حول هذه الظاهرة وتفسيرها ينظر:ابن أبي الحديد، مصدر سابق،ج4، ص74-ص113 ؛ عبد الحسين شرف الدين الموسوي ، ابو هريرة،(قم ، مؤسسة انصاريان ، د. ت) ، ص7؛ وحول اسباب ذلك البغض واسماء المبغضين ينظر: محمد الريشهري، موسوعة الإمام علي بن أبي طالب في الكتاب والسنة والتاريخ ، م11، ق15 ، (د . م، د. ن ، د. ت) ، ص ص241 -367.

ومن بين ما اثرناه من عوائق وحواجز تحول دون تيسير فهم واستيعاب تجربة الإمام ،تبرز لنا جملة من الحقائق ممكن ان نتلمس من خلالها الملامح الرئيسية لتلك التجربة ولاسيما في مجال حقوق الإنسان ، على وفق الآلية التي وضعها الإمام علي ، وبعض تلامذته لاسيما من احفاده من بعده ،والتي تظهر الاسس العلمية لتنقية التراث الفكري الاسلامي سواء تعلق الامر بما روي من حديثهم او حديث الرسول (صلى الله عليه وآله) وذلك بأخذ المعايير الآتية لقبول ما ينسب اليهم[1] :

1 - ان يكون متفقا والضرورة العقلية .

2 - ان يتفق والمحتوى القطعي لكتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وآله) ولا يختلف معه في الاقل .

3 - ان يكون الراوي موثقا به مأمونا من الخيانة والكذب.

4 - ان لا يكون له معارض يكافئه في شروط الصحة ويصادمه في محتواه ومضمونه .

ولنبدأ بتعريف شخص الإمام كمدخل للسعي نحو فهم حياته وحركته السياسية . فهو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم[2] ، امتلات

---

1 - محمد حسين فضل الله ، علي ميزان الحق ، تحرير صادق اليعقوبي ، ط1 ، (بيروت ، دار الملاك ، 2003) ، ص ص27-28 .

2 - حول نسب الإمام واثاره ينظر : محمد بن أبي بكر الانصاري ، الجوهرة في نسب الإمام علي واله ،(سوريا، مكتبة النوري ، د.ت) ؛ جمال الدين بن احمد بن علي (ابن عنبه) ، عمدة الطالب في انساب ال أبي طالب ، تصحيح محمد حسن ال الطالقاني ،ط2 ، (النجف ، المطبعة الحيدرية ، 1962) ؛ سهل بن عبد الله بن داود البخاري ، سر السلسلة العلوية ، تحقيق العلامة ، محمد صادق بحر العلوم ، (النجف المكتبة الحيدرية ، 1962).

بطون الكتب بسرد اخباره وذكر مأثره فقد قيل " اجتمع للامام علي من صفات الكمال ومحمود الشمائل والخلال وسناء الحسب وباذخ الشرف ، مع الفطرة النقية والنفس المرضية ، ما لم يتهيأ لغيره من افذاذ الرجال ، تحدر من اكرم المناسب ، وانتمى الى اطيب الاعراق ،فأبوه ابو طالب[1] عظيم المشيخة من قريش ،وجده عبد المطلب امير مكة وسيد البطحاء ، ثم هو

قبل ذلك من هامات بني هاشم واعيانهم ..وبنو هاشم زينة الدنيا وحلي العالم ،والسنام الاضخم ولباب كل جوهر كريم ، وسر كل عنصر شريف، والطينة

البيضاء ،والمغرس المبارك ، ومعدن الفهم وينوع العلم اختص بقرابته القريبة من الرسول (صلى الله عليه وآله) فكان ابن عمه وزوج ابنته واحب عترته اليه ، كما كان كاتب وحيه ،واقرب الناس الى فصاحته وبلاغته ، احفظهم لقوله وجوامع كلمه ، اسلم على يديه صبيا قبل ان يمس قلبه عقيدة سابقة او يخالط عقله شوب من شرك موروث،ولازمه فتياً يافعاً في غزوه ورواحه ، وسلمه وحربه، حتى تخلق باخلاقه واتسم بصفاته وفقه عنه الدين وتقف ما نزل به الروح الامين فكان من افقه الصحابة واقضاهم ،واحفظهم ولوعاهم"[2] .

ان ما اوردناه يعطينا دلالات واضحة حول اسرة الإمام ونشاته ،غير متناسين ذكر والدته السيدة فاطمة بنت اسد ،وهي من اخلص المسلمين عقيدة

---

1 – حول حياة ابو طالب وفضله في الاسلام ينظر: محمد بن النعمان العكوي (الشيخ المفيد) ، ايمان أبي طالب،(قم ، مؤسسة البعثة ، 1413 هـ) أماكن متفرقة ؛ نجم الدين العسكري ، ابو طالب حامي الرسول وناصره ، (النجف مطبعة الآداب ، 1380 هـ) أماكن متفرقة .

2– ابن ابي الحديد ، مصدر سابق ، ج1 ، ص3–4 .

ومن ابر الناس برسول الله (صلى الله عليه وآله)[1] ،والتي ستشكل مع السيدة خديجة الكبرى ،زوجة الرسول الأولى والمرأة ذات الاثر الاهم في تاريخ الرسالة[2] والسيدة فاطمة الزهراء ، بنت الرسول (صلى الله عليه وآله) وزوجة الإمام علي وام الامامين الحسن والحسين[3] معيناً اخر ، مضافاً للإسلام ،لبلورة مفهوم الإمام علي (ع) لحقوق الانسان في مضمار حقوق المرأة[4] .

وكانت لمآثر الاسوة والعشوة على الصعيد الانساني الاثر الجلي في نفس الإمام ، فقد اتسمت بالآتي :

– عبادة الله[5] .

– المشاركة في حلف الفضول، وهو اجراء اتخذ لنصرة المظلومين[6] .

– اخراج ماء زمزم وسقاية الحاج .[7]

– اطعام الطعام[8] .

وتوافق مع دلالة الاسم والكنى دلالة اللقب في البيئة العربية ،ولاسيما اذا ما دل على صفة شخصية او حادث ما ، فكانت هناك عدة القاب لعلي بن ابي طالب ،وفي مناسبات مختلفة ، الا ان اهمها هي : الامام ،

---

1 – في شذرات من حياتها وتكويم الرسول (صلى الله عليه وآله) لها ينظر : عز الدين علي بن أبي الكرم الشيباني (ابن الاثير) ، اسد الغابة في معرفة الصحابة ،ج7 ، (طهران ، دار اسماعيليان ،د. ت) ، ص213 .

2 – حول حياة السيدة خديجة الكبرى ينظر: محمد بن علوي المالكي،البشرى في مناقب السيدة خديجة الكبرى (رضي الله عنها)،(السعودية، د .ن ، د.ت) .

3 – د. محمد بيومي ، السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) ، ط2 ، (ايران ، د. ن، 1418 هـ).

4 – سنتطرق لاحقا لمسالة حقوق المرآة في الفصل الرابع ، المبحث الاول .

5 – محمد بن علي بن بابويه القمي (الشيخ الصدوق) ، كمال الدين وتمام النعمة ، (قم ، مؤسسة النشر الاسلامي ، 1405 هـ) ،ص104 .

6 – حول هذا الحلف واسبابه واهدافه ينظر : ابن هشام ، مصدر سابق ، ج1 ، ص ص 127–134.

7– المصدر السابق ،ج1، ص134.

8– المصدر السابق ، ج1 ، ص134 .

الصديق ،الوصي ، الفاروق ، يعسوب الدين، الولي ، امير المؤمنين ، الامين ، الهادي ، المرتضى ،سيد العرب ، حجة الله ، اما كناه فهو ابو الريحانتين ، ابو السبطين ، ابو الحسن ، ابو الحسين ، ابو تراب [1] .

كانت ولادته (ع) بعد عام الفيل بثلاثين سنة ، وقيل اقل من ذلك [2] ، في جوف الكعبة ولم يولد في هذا المكان قبله ولا بعده انسان ، وهذه منزة جليلة من إهاصات سموه ،ولاريب انها اسهمت في اثراء شخصيته [3] .

اما صباه فهو ربيب مدرسة الرسول ورفيق كفاحه ، من اول الناس اسلاما [4] واخر من رأى الرسول فتشرف بتغسيل الرسول ومواراته في مثواه الاخير [5] ، وخلال هذه المرحلة ، أي من اسلامه الى وفاة الرسول (ع) ،

---

1 – ينظر : من قدماء المحدثين ، القاب الرسول وعترته ، (د. م، د.ن، د. ت) ، ص ص 20–24 ؛ محمد بن الفتال النيسابوري ، روضة الواعظين ، (قم ، منشورات الرضي ، د. ت) ،ص76 .

2 – أبو منصور احمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي ، تاج المواليد (في مواليد الائمة ووفياتهم) ، (د. م ، د. ن ، د. ت) ، ص11.

3 – ينظر : محمد بن علي الاردوبادي ، علي وليد الكعبة ، تحقيق مؤسسة البعثة قسم الدراسات الإسلامية، ط1 (طهران ، مؤسسة البعثة ، 1412هـ)، ص7 وما بعدها.

4 – حيث يقول الإمام علي : "وقد علمتهم موضعي من رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة ، وضعني في حجره وانا وليد ، يضمني الى صدره ويكنفني في فراشه ويمسني جسده ... وما وجد لي كذبة في

قول ولا خطلة في فعل ... ولقد كنت اتبعه اتباع الفصيل اثامه يرفع لي في كل يوم من اخلاقه علما ويأمرني بالاقتداء به . "

هذا النص ، وحول هذه المرحلة من حياته (ع) ينظر : محمد محمديان ، حياة امير المؤمنين (ع) على لسانه ،ج1،ط1 ، (قم ، مؤسسة النشر الاسلامي،1417 هـ) ص42 وما يليها ، وحول كونه اول الناس اسلاما . ينظر : محمد بن سعد ، الطبقات الكوى ،ج3 ، (بيروت ، دار صادر ، د.ت)، ص21 ؛ ابن أبي عاصم الشيباني ، كتاب الاوائل ، (د. م،د. ن ،د. ت) ، ص 79 .

5 – احمد بن محمد بن حنبل ، مسند الإمام احمد ، ج1 ، (بيروت ، دار صادر ، د. ت) ،ص260 ؛ احمد بن عبد الله الطوي ، ذخائر العقبى ، (القاهرة ، مكتبة القدسي ، 1356هـ)،ص86.

حمل الإمام راية الجهاد فكان نوع الإسلام وسيفه [1] ، ورجل المواقف الصعبة والتضحيات المبدئية [2] .

ويمكن اجمال اهم اعمال الإمام في زمن الرسول(صلى الله عليه وآله) على النحو التالي :

1 –حماية الرسول ، والفداء له .

2 –التعلم والاقبال على استيعاب ابعاد الرسالة .

3 – الحفاظ على الاسلام والدفاع عنه .

4 –اعطاء القوة في السلوك الشخصي .

واضحى الإمام من خلال السنة النبوية المتفق عليها بين عموم المسلمين في منزلة هارون من موسى ، وباب مدينة علم الرسول ، واحب الناس الى النبي ، وحبه ايمان وبغضه نفاق ، وهو الايمان كله [3] .

---

1 – لقد دافع الامام منذ طفولته عن الرسول والرسالة إذ يروي " ان رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان لا يجد عليه احد بمكة لموضع ابي طالب فاغروا به الصبيان ،فكانوا اذا خرج رسول الله يرمونه بالحجارة والتراب ... فيحمل عليهم الإمام علي فكان يقضمهم في وجوههم واذانهم "ينظر : محمد بن هادي اليوسفي الغروي ، موسوعة التاريخ الاسلامي ،ج2، ط1، (ايران ، مجمع الفكر الاسلامي ، 1420هـ) ، ص267 .

2 – حول دور الإمام في نشر الدعوة واسهامه التاريخي في ذلك ينظر : احمد بن يحيى بن جابر البلاذري ، انساب الاشراف ، تحقيق وتعليق الشيخ محمد باقر المحمودي ،ط1 ، (بيروت ، مؤسسة الاعلمي ، 1974)،ص94 وما بعدها ؛ ابو الفداء اسماعيل بن كثير ، السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى عبد الواحد ، (بيروت ، دار المعرفة ، 1971) ؛ احمد بن علي بن حجر العسقلاني ، الاصابة في تمييز الصحابة ، دراسة وتحقيق الشيخ عادل احمد عبد الموجود ، ج1 ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ،1995)،ص464 ؛ ابو الفداء اسماعيل بن كثير ، البداية والنهاية ، تحقيق وتعليق علي الشيري ، ج4 ، (بيروت ، دار احياء التراث العربي ، 1988)، ص211،ج7 ، ص ص271–376 ؛

جعفر بن مرتضى العاملي ، الصحيح من سيرة النبي الاعظم (صلى الله عليه وآله) ، ط4 ، (بيروت ، دار الهادي ، 1995) ؛ ابو جعفر محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الامم والملوك (تاريخ الطبري) ، مراجعة وتحقيق نخبة من العلماء ، ج2 ، (قوبلت هذه النسخة على نسخة ليدن ، بريل ، 1879) ، ص206 ، ص374 ، ج4 ، ص117 ، ومواضع اخرى .

3 – حول نصوص هذه الاحاديث وعشرات غيرها واسانيدها ينظر: محمد بن الحسين الموسوي البغدادي،(الشريف الرضي) ، خصائص الائمة (عليهم السلام) (خصائص امير المؤمنين) ، تحقيق د.محمد هادي الاميني ، (مشهد،مجمع البحوث الإسلامية 1406 هـ) ؛محمد بن علي بن شهراشوب ،مناقب ال أبي طالب ، تصحيح وشرح لجنة من اساتذة النجف ،(النجف ، المكتبة الحيدرية ،1956)؛الفضل بن الحسن الطبرسي ،اعلام الورى باعلام الهدى ، تحقيق مؤسسة ال البيت لاحياء التراث ، ط1 ، (قم ،مؤسسة ال البيت،1417 هـ) ؛ جعفر النقدي،الانوار العلوية في احوال امير المؤمنين وفضائله ومناقبه وغزواته(ع)، ط2 ،(النجف، المطبعة الحيدرية ،1962)؛محمد بن علي الطوسي (ابن حمزة) ، الثاقب في المناقب ، تحقيق الاستاذ نبيل رضا علوان ، ط2 ، (قم،مؤسسة انصاريان،1412 هـ)؛أبو عبد الله بن اسماعيل البخاري ،صحيح البخاري ،ج5 ،(بيروت:دار الفكر ، 1981)، ص76 وغيرها ؛مسلم بن الحجاج النيسابوري ،صحيح مسلم،ج7 (بيروت،دار الفكر ، د.ت)ص ص120–121 وغيرها ؛سليمان بن ابراهيم القندوزي الحنفي، ينابيع المودة لذوي القربى، تحقيق علي الحسيني، ط1 ، (د.م،دار الاسوة، 1416هـ) ، ص ص 65–74 ؛ شمس الدين ابي البركات بن احمد الدمشقي الشافعي ، جواهر المطالب في مناقب الإمام علي (ع)، تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي ،ط1 ، (قم ، مجمع احياء الثقافة الإسلامية ، 1416 هـ) ؛ ابو عبد الرحمن بن شعيب النسائي الشافعي ، خصائص امير المؤمنين علي بن أبي طالب –كرم الله وجه–،تحقيق محمد هادي الاميني ، (د.م،مطبعة نيوى الحديثة ، د. ت) .

وتتنزل ايات القرآن الكريم ،لتوجد علاقة من نوع خاص بين الإمام والقرآن ، وتنبثق هذه الخصوصية من مدح للامام ببعد الهي من جهة ، وكثرة الايات التي اختص بها الإمام دون غيره من جهة اخرى فهو، بوصف القرآن :

- نفس النبي ؛ سورة آل عمران / الآية 61 .
- وعنده علم الكتاب ؛ سورة الرعد / الآية 43 .
- والمؤمن والمجاهد ؛ سورة التوبة / الآية 19 .
- وهو صالح المؤمنين ؛ سورة التحريم ، / الآية 4 .
- واذن واعية ؛ سورة الحاقة / الآية 12 .
- وخير البرية ؛ سورة البينة / الآية 7
- وخصم الكفار ؛ سورة الحج / الآية 19
- والولي المتصدق في الركوع ؛ سورة المائدة / الآية 55 .

– والذي يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله ؛ سورة البقرة / الاية 207 .

– والذي ينفق ما له بالليل والنهار ؛ سورة البقرة / الآية 272[1] .

فضلاً عن اشتراكه مع بقية المؤمنين بالايات التي اثنت عليهم ، إذ قال مفسر القرآن عبد الله بن عباس[2] : " ليس من اية في القرآن الكريم فيها (يا ايها الذين امنوا) الا وعلي رأسها وامرها وشريفها وعاتب الله اصحاب محمد في القرآن وما ذكر علي الا بخير"[3] .

اما في زمن الخلفاء ،أي من السقيفة[4] الى يوم الدار إذ قتل الخليفة عثمان بن عفان[5] فهناك كثير مما يمكن ان يقال ؛ فهذا جزء من تاريخ امة مازال كثير من ابنائها حبيساً له ، ولكن من الممكن القول ان هناك تراجعاً في دور الإمام عما كان عليه في زمن الرسول(صلى الله عليه وآله) واقتصر على رفع الظلم الذي وقع على بعض أبناء الأمة آنذاك وتقديم المشورة للدفاع عن الإسلام أمام التحديات الفكرية والعسكرية والاقتصادية التي تعرض لها آنذاك[6] .

---

1 – حول مصادر تفسير هذه الايات واختصاصها بالإمام واسنادها مع طائفة اخرى من الايات . ينظر : الريشهري، موسوعة الامام علي ، مصدر سابق ، م8 ، ق9، ص ص5–54.

2 – حول تاريخ حياة عبد الله بن عباس ومنزلته في الاسلام . ينظر: محمد تقي الحكيم، مصدر سابق ، ص ص40–118.

3– احمد بن محمد بن حنبل ، فضائل الصحابة ،ج2 ، (بيروت ،دار الكتب العلمية ،د. ت) ، ص654 .

4 –وهي سقيفة بني ساعدة حيث عقد اجتماع نصب على اثره الخليفة الاول ، وقد تمت الاشارة اليها وما جرى بها من أحداث في معظم كتب التاريخ الذي ذكرناها ولاهميتها كمنعطف تاريخي وسياسي فان بعض المفكرين انتقوا هذا الموضوع عنوان لكتبهم . ينظر مثلا :الجوهري ، مصدر سابق ؛ محمد رضا المظفر، السقيفة ،ط4 ، (قم ،مؤسسة انصاريان ، 2004) ؛د. جواد جعفر الخليلي ، السقيفة ، (بيروت ، الارشاد للطباعة ، د.ت) .

5 – حول هذه المرحلة وموقع الإمام ينظر مثلا : نجاح الطائي ، سيرة الإمام علي بن أبي طالب (ع)، م2 ، ج4، ط1 ، (بيروت ، دار الهدى لاحياء التراث ، 2003) ، ص ص5 –191 .

6 – وقد اعترف الخلفاء للامام بهذا الدور واليد البيضاء له في مسيرة الامة . ينظر : مهدي فقيه ايماني ، الإمام علي(ع) في اراء الخلفاء ، ترجمة الشيخ يحيى البحراني ، ط1 ، (قم ، مؤسسة المعارف الإسلامية ، 1420 هـ) مواقع متفرقة ؛ الطائي، مصدر سابق ، م2 ، ج4 ، ص50 وما بعدها .

ومن ثم وصل الإمام الى مسؤولية قيادة الأمة سياسيا ليبدأ جزء آخر من تجربة ثرية بأبعادها النظرية والعملية كافة ، وليستمر ذلك الجزء خمس سنين الا ثلاثة اشهر[1] إذ اغتيل (ع) وهو ابن ثلاث وستين سنة ، عام40 هـ في مسجد الكوفة[2]

وليدفن في الغري من ارض النجف .

وبالنسبة لمصادر المعرفة العلوية ، فيمكن ايجازها بالآتي :

– القرآن الكريم ، فقد استوعب الإمام دقائقه فانطلق ينادي "سلوني قبل ان تفقدوني"[3] ويقول الإمام علي : "ما من اية في كتاب الله انزلت في سهل او جبل الا وانا عالم متى نزلت وفيمن انزلت "[4] . لذلك غير مستبعد ، ان نرى الإمام يتعايش مع القرآن الكريم ويعده مرجعا له في توجيه نظامه السياسي[5] ، ومحور وحدة المسلمين[6] مؤكداً الابعاد الفكرية في كتاب الله من محاربة الخرافة وبناء الجانب الروحي للانسان والاحساس بالجمال ومعاني الحياة[7] ، واقفا بالضد

---

1 – محمد الطوسي ، تاريخ الطوسي ، مصدر سابق ، ج4، ص 117 .

2 – حول حادث اغتياله وتحديد ضريحه . ينظر : ابو الفرج الاصفهاني ، مقاتل الطالبين ، تقديم واشراف كاظم المظفر ، (النجف ، المكتبة الحيدرية ، 1965) ،ص ص7–19 ؛ عبد الكريم بن طاووس الحسني ، فرحة الغري في تعيين قبر امير المؤمنين (ع) ، تحقيق السيد حسين الموسوي ، (د.م ،مركز الغدير للدراسات الإسلامية ، 1998).

3– ابن أبي الحديد ، مصدر سابق ، ج2، ص286.

4– المصدر السابق ،ج6، ص136 .

5 – محمد بن الحسين الموسوي البغدادي (الشريف الرضي) (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي الصالح ، تحقيق فارس تبريزيان ، (ايران، مؤسسة دار الهجرة ، 1380 هـ) ، خطبة 74، ص ص110–111، خطبة 90 ، ص ص 143–146 ،خطبة 125 ، ص ص 223–225 ، خطبة 127، ص ص226– 227 ، خطبة 168 ، ص ص298–299 ، خطبة 176 ، ص ص309–314 .

6– المصدر السابق ، خطبة 18 ، ص ص53–54.

7– المصدر السابق ، خطبة 18 ، ص ص53–54، خطبة 78، ص113 .

من استغلال القرآن في تبرير الظلم[1] ، مشرعا افاقا لكتابته وتفسيره وتعليمه[2] ، فيقول (ع) عنه : " ظاهره انيق وباطنه عميق ، لاتفنى عجائبه ولا تنقضي غرائبه،ولا تنكشف الظلمات الا به "[3] .

– السنة النبوية حيث كانت السنة النبوية ، هي معينه الثاني والمصدر الاساس الممزوج مع الاول في كيان فكري واحد تجسد واقعيا في سلوك الإمام ورؤيته وهو ربيب الرسول والرسالة .

ولقد كانت لعلي (ع) نظرة في السنة وما ينسب الى الرسول (صلى الله عليه وآله) حيث سأله سائل عن احاديث البدع وعما في ايدي الناس من اختلاف الخبر فقال (ع) : " ان في ايدي الناس حقاً وباطلاً وصدقاً وكذباً وناسخاً ومنسوخاً وعاماً وخاصاً ومحكماً ومتشابهاً وحفظاً ووهماً"[4] ويستمر الامام في سعيه لتنقية هذا المعين الفكري واضعا اسس علم الرجال فيقول : "

انما اتاك بالحديث اربعة رجال ليس لهم خامس منافق مظهر للايمان لا يتحوج يكذب على رسول الله (صلى الله عليه وآله) متعمداً ... ورجل سمع من رسول الله شيئا لم يحفظه على وجهه فوهم فيه ولم يتعمد كذبا .. ورجل ثالث سمع من رسول الله (صلى الله عليه وآله) يأمر به ثم انه نهى عنه وهو لا يعلم او سمعه ينهي عن شيء ثم امر به وهو لا يعلم .. واخر رابع لم يكذب على الله ولا على رسوله مبغض للكذب خوفا من الله وتعظيما لرسول الله (صلى الله عليه وآله) ولم يهم بل حفظ ما سمع على وجهه فجاء به على سمعه لم يزد به ولم ينقص منه .. ووضع كل

1- المصدر السابق ، خطبة 121، ص ص219-220 ؛ كتاب ، 10 ، ص ص 467-469 .

2 - سنعوض لهذا الموضوع لاحقا في الفصل الرابع ، المبحث الثالث .

3 - الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، خطبة 18 ، ص54 .

4- ابن ابي الحديد ، مصدر سابق ، ج11 ، ص38 .

شيء موضعه .. وليس كل اصحاب رسول الله((صلى الله عليه وآله) من كان يساله ويستفهمه حتى ان كانوا ليحبون ان يجيء الاعرابي او الطارئ فيسأله(صلى الله عليه وآله) حتى يسمعوا وكان لا يمر بي من ذلك شيء الا سألته عنه وحفظته"[1] .

واوضح (ع) دعامتي حكمه وحياة الامة في حواره مع معارضيه ، طلحة ،والزبير، حيث قال : "والله ما كانت لي في الولاية رغبة ، ولكنكم دعوتموني اليها ، وحكمتموني، فلما افضت الي نظرت الى كتاب الله وما وضع لنا ،وامرنا بالحكم به فاتبعته وما استسن النبي(صلى الله عليه وآله) فاقتديته"[2] .

والجزء الاخر من تكوينه الثقافي(ع) كان ذا شقين :

الشق الاول منهما : الاسرة والعشيرة والبيئة العربية بوجه عام والهاشمية منها بوجه خاص ، مما ذكرنا شذرات منه سابقا .

اما الشق الثاني : فهو اهتمامه(ع) بالتاريخ الإنساني بصورة تثير الإعجاب ، حيث يعده مدرسة للتعلم فيقول : " ان لكم في القرون السالفة لعبرة "[3] وكذلك مشورته على الخليفة عمر بن الخطاب بتسجيل التاريخ الاسلامي من تاريخ الهجرة ، بعد رفض كتابة التاريخ بالتقويم الروماني او الفارسي[4] ،وهذا يدل على وعيه بالخصوصية التاريخية للشعوب بصورة عامة وللامة الإسلامية بوجه خاص.

ويكتب الامام لولده الإمام الحسن[5] قائلاً : " أي بني ، اني وان لم اكن عمرت عمر من كان قبلي، فقد نظرت في اعمالهم ، وفكرت في اخبارهم

1- المصدر السابق ، ج11 ، ص38 .

2- المصدر السابق ، ج7 ، ص41 .

3- المصدر السابق ،ج1، ص92 .

4- المصدر السابق ، ج21، ص74 .

5 - حول حياة الامام الحسن (ع) ينظر : علي بن عيسى الاردبيلي ، كشف الغمة في معرفة الائمة ، ج2 ، (بيروت ، دار الاضواء ،د. ت) ، ص137وما بعدها .

وسوت في اثارهم ، حتى عدت كاحدهم ، بل كاني بما انتهى الي من امورهم قد عمرت مع اولهم الى اخرهم ، فعرفت صفو ذلك من كدره ، ونفعه من ضرره "[1] .

وفي عهده (ع) الى مالك الاشتر[2] حيث يوجه الإمام رفيق كفاحه الاشتر قائلا: " ثم اعلم يا مالك اني قد وجهتك الى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدل وجور"[3] .وهذا ما يدل على اطلاع واسع بالتاريخ ومراحل تطور وانحطاط الامم ناهيك عن مراعاة الخصوصية الحضارية لمصر[4] .

اما ما يصهر هذه المعارف والخبرات في بوتقة واحدة ، لتوجد لنا اسمى قيمة فكرا وسلوكا، فكانت شخصية علي بن أبي طالب الإنسان الذي وصفه ، احد ابناء شعبه ، امام الّد اعدائه ،معاوية ابن أبي سفيان ، إذ قال له معاوية ، بعد اغتيال الإمام وهيمنة معاوية على سدة الحكم ،صف لي عليا ؟ فقال ضرار –وهو ذلك المواطن – أو تعفيني ؟ قال : صفه : قال : أو تعفيني ؟ قال لا اعفيك، قال ضرار : "والله كان بعيد المدى شديد القوى ، يقول فصلا ، ويحكم عدلا ، يتفجر العلم من جوانبه ، وتنطق الحكمة من نواحيه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويستأنس بالليل وظلمته ، كان والله غزير الدمعة ، طويل الفكرة ، يقلب كفيه ويخاطب نفسه ، يعجبه من اللباس

---

1 - الشريف الرضي (الجامع)،نهج البلاغة،تعليق وفهرسة د. صبحي،مصدر سابق ،كتاب 31،ص ص 499-500.

2 - حول حياة مالك الاشتر وعهد الإمام له ينظر : عباس علي الموسوي ، مالك الاشتر وعهد الإمام له ، (بيروت، دار الاضواء ، 1987) ؛ محمد بحر العلوم ، من مدرسة الامام علي ، ط3 ، (بيروت ، دار الزهراء ، 1980)، ص23 - 33 .

3 - الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، كتاب 53 ، ص546 .

4 - حول بعض الخصوصيات التاريخية التي ذكرها الإمام لبعض الامم.ينظر:ابن أبي الحديد، مصدر سابق، ج41، ص27 ؛ ابو بكر محمد الباقلاني،اعجاز القران،تحقيق احمد صقر،ط3 ،(القاهرة،دار المعارف،د . ت) ، ص68 .

ما خشن ومن الطعام ما جشب ، كان والله كأحدنا يجيبنا اذا سألناه ويبتدؤنا اذا اتيناه وياتينا اذا دعوناه ، ونحن والله مع

تقويبه لنا وقربه منا لا نكلمه هيبة ،ولا نبتدئه عظمة ، ان تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم ، يعظم اهل الدين ، ويحب المساكين، لا يطمع القوي في باطله ولاييأس الضعيف من عدله ،...فقال معاوية فكيف حزنك عليه يا ضرار ؟ قال : حزن من ذبح ولدها في حجرها فلا ترقأ عبرتها ولايسكن حزنها "[1] ، هذه لوحة انسانية رسمت بصدق ، فهي ليست رؤية المحكوم للحاكم المثالي فحسب ، انما رأي صادق بإنسان ارتقى ليجسد الإسلام كواقع ملموس. ويصف باحث معاصر الامام علي(ع) قائلا : " كان الإمام ملكا في نفسه، متواضعا في مجتمعه ، سعيدا في معرفته ، فقيرا في عيشه ، بسيطا في حياته ، عظيما في مدركاته، عزيزا في عدله ، قديسا في إيمانه . نبيا في تجرده"[2] .

وباجتماع هذه العناصر العلمية والنفسية ،تولد لدى الإمام فهم مميز عن الاخرين للإسلام، يبدو إن الأمة الإسلامية بأمس الحاجة اليه اليوم مع تردي واقع المسلمين ذلك الفهم المبني على أسس كثيرة منها : الانفتاح ، التساهل ، الحفاظ على قدسية النص ، دراسة تامة بأسباب النزول والتشريع وأصول الرواية وتقبلها ، مراعاة المصلحة ، بعد النظر مع استيعاب الماضي والحاضر ونورد بعض الامثلة حول تعامله وموازنته بين (النص) و(الواقع) .

فبعد الفتوحات الإسلامية، استنكف جماعة من اهل الشام من اسم الجزية وارتضوا ان يدفعوها بشرط تغيير اسمها ولكن الخليفة عمر ، وبعض

---

1 – يحيى بن الحسن الاسدي الحلي ، (ابن البطريق) ، عمدة عيون صحاح الاخبار في مناقب امام الابرار ، (قم ، مؤسسة النشر الاسلامي ، 1407هـ)،ص32 .

2– محبوبة ، مصدر سابق ، ص36.

مشاوريه ، اصروا على دفع الجزية وهم صاغرون باسم الجزية فاحتكموا الى علي فاقنع عمر ان يقبل منهم الجزية باسم (صدقه تطهرهم) فلما اقتنع الخليفة انتهى الموقف المتأزم ، بل ودخل عدد منهم الإسلام[1] .

وهنا نرى مسالة الانفتاح الانساني على الاديان والشعوب الأخرى . وجعل الإسلام عامل تقارب وتفاعل وليس عامل عداء وتنافر .

وكان متغير الزمن وتأثره على الواقع حاضراً في تعامل الامام مع النصوص ، فقد سئل(ع) عن قول الرسول(صلى الله عليه وآله) :" غيروا الشيب ولا تشبهوا باليهود " فقال(ع):"انما قال(صلى الله عليه وآله) ذلك والدين قل فاما الان وقد اتسع نطاقه ،وضرب بجرانه فامرؤ وما اختار"[2] .

ويبحر الإمام ، مع كل النصوص ، في اعماق النفس البشرية حيث سأل الإمامرجلا من اشراف العرب : " هل في بلادك قوم قد شهروا انفسهم بالخير لا يعرفون الا به ؟ قال : نعم .قال فهل في بلادك قوم قد شهروا ،بالشر لا يعرفون الا به ؟ قال : نعم .قال : فهل في بلادك قوم يجترئون

---

1 – هذه الرواية وردت في عدة مصادر ينظر : محمد الطوي ، تاريخ الطوي ، مصدر سابق ، ج3 ، ص157؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، مصدر سابق ، ج7 ، ص88 . وفي مناسبة اخرى ، نرى ان بعض النصارى دعوا الخليفة عمر بن الخطاب قائلين:" انا قد صنعنا لك وللمسلمين طعاما فانرأيت ان تحضره ، فقال : واين؟ قالوا:في الكنسية،فقال عمر ان في كنائسكم الصور والملائكة لا تدخل بيتا فيه صورةوانا لا ندخل بيت لا تدخله الملائكة،... فقالوا يا امير المؤمنين قد انفقنا عليه نفقة وكلفنا فيه مؤنة فقال عمر : يا علي انطلق فتغذ وغذ= =الناس فقعد علي فجعل يتغذى ويغذي الناس وعلي ينظر الى تلك الصور التي في كنيستهم ويقول : " ماكان على أمير المؤمنين ان لو دخل وتغذى " ؛ ابن عساكر ، مصدر سابق ، ج24 ، ص6 .

2– ابن أبي الحديد ، مصدر سابق ، ج18 ، ص122 .

السيئات ويكتسبون الحسنات ؟ قال : نعم . قال : تلك خيار امة محمد (صلى الله عليه وآله) النمرقة الوسطى يرجع اليهم الغالي وينتهي اليهم المقصر"[1] .

فهذا هو الإمام علي في تعامله مع النص لا يعده سيفا مسلطا على الإنسانولا النص وسيلة يسوسها الإنسان حيثما شاء وعلى وفق اهوائه ومصالحة ،لكنه اداة للسمو بالإنسان معنويا وماديا وهذا ما اسهم في نظرة الامام علي(ع) لحقوق الإنسان، وهناك كثير من الدلالات والإراء بهذا الصدد[2] وصلت الينا على الرغم مما عاناه الفهم العلوي للاسلام من خطة لمحاربة ما سمي بـ(فقه المعارضة)[3] من السلطات الحاكمة التي تعرضنا الى جانبٍ منه .

وتعد تجربة الامام علي (ع) من اثرى التجارب الاسلامية سواء من الناحية الموضوعية أم الذاتية، وقد استمد هذا الاثراء اهميته من امور عدة اهمها :

-1

---

1 – محمد باقر المجلسي ، بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار لائمة الاطهار ، ج66، ط2 ، (بيروت مؤسسة الوفاء، 1983) ، ص175 .

2 – حول موضوع النص والتباين في التعامل معه بين الإمام وغيره . ينظر: شهاب الدين ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري في شرح صحيح البخاري ، ج3، ط2 ، (بيروت ، دار المعرفة، د. ت) ، ص369 ؛ عبد الحسين شرف الدين الموسوي ، النص والاجتهاد ، تحقيق ابو مجتبى،(قم ، مطبعة الشهداء ، د. ت) مواقع متفرقة ؛ جار الله الزمخشري ، الفايق في غريب الحديث ، ج3، ط1 ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1996) ، ص7 ؛زين الدين بن علي العاملي ، (الشهيد الثاني) ، مسالك الافهام الى تنقيح شرائع الإسلام ، ج11، ط1 ، (إيران ، مؤسسة المعارف الإسلامية ، 1413هـ) ، ص391 ؛ جلال الدين عبد الرحمن بي ابي بكر السيوطي ، شرح سنن النسائي ، ج5 ، (بيروت ، دار احياء التراث العربي ، د. ت)، ص228 .

3 – حول ما عاناه فقه المعارضة ينظر : علي الشهرستاني ، وضوء النبي (صلى الله عليه وآله) (التشريع وملابسات الاحكام عند المسلمين) ، (بيروت، د. ن، 1994) ، ص12 وما بعدها .

زخم جوهري لشخص الإمام وارائه وسلوكه كمثال وقدوة حسنة سواء في القرآن الكريم أم في السنة النبوية ، وقد مدحه معاصروه سواء كانوا من مناصريه ومناوئيه [1] .

2 – الاحداث المهمة التي مرت بحياة الإمام ، كتجربة عملية ونظرية ، منذ وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله) الى اغتياله عام 40هـ .

3 – الموروث العلمي والحضاري من أفعال وأقوال نسبت للإمام ، في شتى الميادين ،وهنا لابد من ذكر موقفنا من كتاب (نهج البلاغة) [2] ،حيث نعتقد بضرورة التعامل بايجابية مع ما ورد في النهج وليس بقدسية [3] اخذين بنظر الاعتبار المعايير التي ذكرناها سابقا في كيفية التعامل مع النص وهو منهج مستمد من فكر الإمام علي وليس دخيلا عليه .

4 – بروز حالة القتال بين المسلمين بصورة تميزت عما سبقها زمنيا ، وكذلك تطور حالة المعارضة السياسية وتبلور الانقسامات داخل المجتمع الإسلامي.

5 – ازدياد الوعي والعمق الفكري خصوصا اثر الانفتاح على الحضارات الاخرى بعد الفتوحات الإسلامية في فارس والشام

1- ايماني ، مصدر سابق ، ص57 ، ص112 وما بعدها .

2 - هنالك العديد من المشككين في نهج البلاغة ،وايضاً المدافعين عنه والتي رجحت كفتهم ، مع ذلك فيبدو ان الترجيح لم يصل إلى حد التقديس . بشأن المتشككين ودعواهم والمدافعين وادلتهم ينظر : محسن باقر الموسوي ، المدخل إلى علوم نهج البلاغة ، (بيروت ، دار العلوم ، 2002) ، ص ص131-268.

3 - . يقول محمد جواد مغنية : " ليس عند الشيعة كتاب يؤمنون بأن كل ما فيه حق وصواب من اوله إلى اخره غير القرآن الكريم " ، نقلاً عن شريعتي ، التشيع العلوي ، مصدر سابق ، ص106 .

ومصر .وهذه المناطق المفتوحة ذات موروث حضاري مهم ألقى بظلاله على الحياة الفكرية والسياسية للدولة الإسلامية انذاك .

وبناء على ما ذكرناه ، يمكن القول إنه على الرغم من تباين نظرة الفرق الإسلامية للأمام علي الا ان الإمام كان تجسيدا حيا للاطروحة السماوية المتمثلة بالشريعة الإسلامية بروافدها: القرآن الكريم ، السنة النبوية ،وابداع الإنسان المتمكن في تعامله مع النص.

وكانت أحد مظاهر هذا التجسيد مسالة (حقوق الإنسان) التي اضحت الشغل الشاغل للكثيرين في عالم اليوم ، على الرغم من تباين الدوافع والغايات ،لذلك سوف نتطرق وبشكل موجز الى فكرة حقوق الإنسان وتاريخها واهم محطات تطورها ،في المبحث الثاني قبل البحث بالتفصيل في حقوق الإنسان عند الإمام علي بن أبي طالب (ع) .

المبحث الثاني

تطور فكرة ومفهوم حقوق الإنسان

منذ عدة الاف من السنين ،وعبر العصور البشرية المتوالية حتى يومنا هذا ، ظلت قضية حقوق الإنسان لها الأولوية ضمن آمال وهواجس البشرية وبرامجها وأهدافها العزيزة والصعبة المنال.

وقبل ان نستعرض بعجالة مراحل تطور حقوق الإنسان وتطبيقاتها ، حتى يتبين لنا إسهام الإمام علي في هذا الميدان سواء في زمنه أم في العصور اللاحقة ، لابد لنا من الانطلاق ابتداءً من المعنى اللغوي للفظة الحقوق ؛ فالحق في اللغة العربية يشير الى ان حق الشيء اذا ثبت ووجب فأصل معناه لغوياً : الثبوت والوجوب لذا اطلق بهذا المعنى على أشياء كثيرة، وكذلك فإن الحق يطلق على المال والملك الموجود الثابت ، ومعنى حق الشيء وجب ووقع بلا شك [1] ، اما ابن منظور فرى ان الحق نقيض الباطل ،ويستعرض استعمالات جديدة تدور حول معاني الثبوت والوجوب والأحكام والتحقيق والصدق واليقين [2] ، وكذلك ورد لفظ الحق في عدة مواقع ومعاني في القرآن الكريم [3] .

1 – مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادي ، القاموس المحيط ، ج3 ، (بيروت ، المؤسسة العربية للطباعة والنشر ، د. ت) ، ص222 . وكذلك يشير الى ان : " المحق : ضد المبطل، وحقق تحقيقا صدقه ، والمحقق من الكلام الرصين ومن الثياب المحكم النسيج ... " .

2 – ابو الفضل جمال الدين بن مكرم (ابن منظور) ، لسان العرب ، ج1 ، (قم ، منشورات الحوزة ، 1405هـ)، ص46 – ص56 .

3 – على سبيل المثال لا الحصر سورة لقمان / الاية 30 ، البقرة / الاية 71 والاية 213 ، سورة المعارج / الايتان 24– 25 ، سورة الاعراف/ الاية 8 ، سورة ص / الاية 22.

اما الحق من وجهة نظر قانونية ووفقاً لباحث معاصر فيدل على " ما يجوز فعله ولا يعاقب على تركه ، فصاحب الحق له ان يستعمل حقه او لا يستعمله ،فاذا استعمله لا حرج عليه وان تركه فلا اثم عليه "[1] ويمكن القول ان "الحق مصلحة تثبت لإنسان او لشخص طبيعي او اعتباري ، او لجهة على اخرى ، والمصلحة هي المنفعة ،ولا يعد الحق الا اذا قرره الشرع والدين او القانون والنظام والتشريع والعرف ومن ثم يكون معنى الحق في موضوع (حقوق الإنسان) مصلحة او منفعة قررها المشرع ، لينتفع بها صاحبها ويتمتع بمزاياها ، فتكون واجبا والتزاما على جهة او اخر يؤديها ، وقد يكون الحق مقررا وثابتاً بنظام او بقانون معين، أو بتشريع خاص أو باعلان دولي او باتفاقية ثنائية دولية "[2] .

ويرى استاذ معاصر اخر ان للحق في الفقه القانوني معنيين[3] :

الاول : ما كان فعله مطابقاً لقاعدة محكمة أي ثبت ووجب وحق المرء ان يفعل كذا.

والثاني : ما تسمح بفعله القوانين الوضعية او ما تسمح به العادات والتقاليد والاخلاق" .

أما الإنسان فلا يحتاج الى تعريف ،وان اختلف العلماء والناس فيه عند النظر اليه من جهة معينة اوزاوية او هدف محدد ، فهو " في الحقيقة احد

1 – عبد القادر عودة ، التشريع الجنائي الاسلامي ، ج1 ، (بيروت ، دار الكتاب العربي ، د. ت)، ص471 .

2 – د. القطب محمد القطب طبلية ، الاسلام وحقوق الانسان ، ط2 (القاهرة ، دار الفكر العربي ، 1984) ،ص33 . وحول تعريف اخر للحق ينظر : د. توفيق حسن فرج ، المدخل للعلوم القانونية (النظرية العامة للقانون والنظرية العامة للحق) ، ط2 ، (مصر ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، 1981 ، ص428–470 .

3 – د. عامر حسن فياض،مقدمة منهجية في الرأي العام وحقوق الانسان ، (عمان ، دار زهران ، 2002) ، ص131..

افراد الجنس البشري، او كل ادمي ، والمكون من جسم وعقل وروح فالإنسان هو آدم وحواء ومن جاء من ذريتهما فهو الرجل والمرأة مهما كانت صفته ويضم في اطاره حتى المجنون والعبد والجنين وبغض النظر عمّا قد يحتوي عليه من صفات وعناصر الحسن والقبح "[1] . ويعرف الإنسان ايضا بانه " الموجود الذي يمتلك بطبيعته عناصر فطرية تولد معه وتبقى معه ، وهي تتطلب – في الواقع – مسيرة معينة اذا خرج عنها خرج عن (الصفة الانسانية) ...واذا عومل معاملة تخالف فطرته كانت تلك الممارسة ممارسة لا انسانية "[2] .

فبناءً على ذلك ،يمكن القول ان (حقوق الإنسان) هي " مجموعة الحقوق الطبيعية التي يمتلكها الإنسان واللصيقة بطبيعته والتي تظل موجودة وان لم يتم الاعتراف بها ،بل اكثر من ذلك حتى ان انتهكت من سلطة ما"[3] .

ويعرف باحث اخر حقوق الإنسان بأنها " الحقوق اللصيقة بالإنسان والمستمدة من تكريم الله له وتفضيله على سائر مخلوقاته والتي تبلورت عبر تراكم تاريخي من خلال الشرائع والأعراف والقوانين الداخلية والدولية ومنها تستمد وعليها تبنى حقوق الجماعات الإنسانية في مستوياتها المختلفة شعوبا واماماً وولاً"[4] .

---

1 – د. محمد الزحيلي ، حقوق الإنسان في الإسلام ، ط2 ، (دمشق ، دار الكلم الطيب ، 1997) ، ص ص10–11 .

2 – محمد علي التسخيري ، حقوق الإنسان بين الاعلانين الإسلامي والعالمي ، (طهران رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية ،1997) ، ص17 .

3 – د. محمد سعيد مجذوب ، حقوق الإنسان والحريات الأساسية ،(لبنان ، جروس برس ، 1980) ، ص9 .

4 – صلاح حسن مطرود ، السيادة وقضايا حقوق الإنسان وحرياته الاساسية ، اطروحة دكتوراه ، غير منشورة ، كلية العلوم السياسية ، جامعة بغداد ، 1995 ، ص39 . ولقد وردت فيها العديد من التعاريف لـ (حقوق الانسان) ، ص ص 37–39 .

أما من الناحية التاريخية فمن الصعوبة تلمس فكرة حقوق الإنسان بشكل واضح في العصور الموغلة في القدم ،وان كان هناك في بعض الحضارات بصيص شاحب من معالم هذه الفكرة في ظلمات تلك العصور .

ففي حضارة وادي الرافدين ، درج بعض الباحثين على إعطاء صورة تقريبية للواقع السياسي انذاك حيث " وصفت السيادة بأنها مطلقة وتفتقر الى الاقرار بالحقوق والحريات للإفراد ، فقد وصف الملك بأنه صاحب السلطان المطلق ويحيط به جو من الخوف والعنف وكان الحكام ممثلين للالهة انْ لم يكونوا هم آلهة والحقوق والحريات العامة بأشكالها كافة ،كانت في حكم العدم"[1] . ولكن كان هناك نوع من القوانين ، مثل قانون حمورأبي[2] ، قد اقرت باحترام الملكية وحق التقاضي وبعض الامور التنظيمية الاخرى[3] .

اما في حضارة مصر الفرعونية ، فان الفرعون كان " يتمتع بصفة الألوهية وهو يتلقى هذه الصفة من ابيه الإله المختلق (رع) ومنه يستمد حقه الإلهي في الحكم المطلق "[4] . وهذا مما ادى الى " اذلال كبير للشعب فكان افراد رعيته يضعون انوفهم في موضع قدميه يستنشقون رائحتها ومن كان مقربا كان يسمح له بشم قدميه مباشرة ، ولم تكن لحياة الإنسان العادي في نظر الفراعنة اية قيمة تذكر وذلك مما جعلهم لا يترددون عن التضحية بها

---

1 – المصدر السابق ، ص59 . وحول هذه ، المواضيع ونظرة الشعب للحاكم ونظرة الحاكم للشعب في حضارة وادي الرافدين ينظر: اندريه ايمار وجانين ابوايه ، تاريخ الحضارات العام ، الشرق واليونان القديم ، ج1 ، ترجمة فريد داغر ، (بيروت ، دار عويدات ، 2003) ، ص ص 136–148 .

2 – حول هذا القانون وقيمته الحضارية والقانونية ينظر : د. علي محمد جعفر ، تاريخ القوانين ومراحل التشريع الاسلامي ، (بيروت ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، 1986) ، ص23 وما بعدها .

3 – لتفاصيل هذه المرحلة من ناحية تعاملها مع حقوق الإنسان ينظر: مطرود ، مصدر سابق ، ص ص63–65 .

4– المصدر السابق ، ص65 .

لمجرد نزوة تنتابهم "[1] ، مع ذلك فقد كانت هناك بعض النصوص القانونية في هذه الحضارة تشير احيانا الى حقوق التقاضي وابطال بعض انواع الرق[2] .

ويعتقد الباحث ان القوانين التي شرعت لم تكن بسبب نزعة انسانية ، إنما كانت لتنظيم المجتمع فالحفاظ على الملكية هو شعار الاثرياء الاثير ، والدعوة للتعامل والاقل وحشية مع العبيد هو لبقائهم اطول مدة في الحياة وزيادة النفع منهم ولم أر أي نوع من التفكير بالثورة على الاضطهاد الذي كانوا يعانون منه وهكذا بقية القوانين مما يدفعنا لتأييد الرأي القائل : " ان الحقوق الانسانية لم يكن لها وجود على الصعيد النظري او الصعيد العملي في تلك الفترة "[3] .

وفي الحضارة اليونانية حوالي 776 ق . م[4] كان قد حصل نوع من التطور في مضمار حقوق الإنسان ، فقد " كانت مدينة اثينا نموذجا للمدنية الحديثة التي يعيش فيها المواطنون متساويين لا يفوق في حقوقهم الغنى او الفقر ، فالجميع سوية في الحصول على الخدمات المدنية، ولكن اخذ على هذه المدينة انها قصرت المساواة على طبقة المواطنين فقط دون الطبقات الاخرى"[5] ، " بل انها لم تشمل اناسا يقيمون في اراضيها منذ اجيال احيانا"[6] .

---

1 – د. جهاد الحسني ، "واقع السلطة السياسية ومفهومها في مصر القديمة " مجلة العلوم القانونية والسياسية ، العدد 1–2 ، بغداد ، 1984 ، ص142.

2– ايمار ، مصدر سابق ، ج1، ص ص44–72 .

3 – د. احمد جمال ظاهر ، حقوق الإنسان ، (عمان ، مركز النهضة للخدمات الفنية ، 1988)،ص77.

4 – محمد كامل عباد، تاريخ اليونان ، ج1(دمشق ، مطبعة الف باء الاديب ، 1969)،ص39 .

5 – د. نبيل احمد حلمي ، " حقوق الانسان في التنمية" ، مجلة السياسة الدولية ، العدد 68 ، 1982 ،ص88.

6– ايمار ، مصدر سابق ،ج1، ص327.

ويبدو ان الحياة السياسية كانت قد تطورت هي الاخرى عما كانت عليه في العراق القديم ومصر الفرعونية ، فقد عرفت اثينا نظام الجمعية التي تكونت من جميع المواطنين الذكور دون الاناث إذ كانت تسجل المواطنين في سجل خاص للاحتفاظ بمواطنيتهم [1] فضلاً عن مجلس الخمسمائة الذي كان بمثابة اللجنة المركزية للجمعية ،والمحاكم التي كان لها سلطة التشريع بصورة غير مباشرة [2] . لقد عبر عن ديمقراطية اثينا انها من " اضيق الديمقراطيات واكملها في التاريخ" [3] .

فضلا عن ذلك يسجل للحضارة اليونانية مسالة احترام القوانين ،ولكن هذه الحضارة لم ترق لدرجة تترك بها وجود قانون اخلاقي يشمل الجنس البشري بأكمله ، إلا آراء بعض المدارس الفكرية [4] ، وكان هناك احترام للملكية والارث فضلاً عن مظاهر ايجابية اخرى [5] .

ثم لم تلبث المدن الحرة في العالم الاغريقي ان فقدت حريتها بسيطرة الامبراطورية الرومانية فقام القياصرة بالغاء الحريات الديمقراطية والقوانين التي تقارب بين الاشراف وغيرهم ، وبين الفقراء والاغنياء ، وقد انقسم المجتمع الروماني على طبقتين : الاولى هي الطبقة الحاكمة وكانت تعيش في اقصى حالات البذخ والترف والثانية هي الطبقة العامة من المواطنين حيث

---

1 – جورج سباين ، تطور الفكر السياسي ،ترجمة حسن جلال ،ج1، (الكتاب الاول) ، ط 2 (القاهرة ،دار المعارف،1954) ، ص ص7–8 .

2 – مطرود ، مصدر سابق ،ص70 .

3 – ول ديورانت ، قصة الحضارة ، ترجمة محمد بدران ، ج3 ، (القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف ، 1968) ، ص21. وحول الافكار السياسية للمجتمع اليوناني ينظر كذلك . د. غانم محمد صالح ، الفكر السياسي القديم والوسيط ، (بغداد ، مطبعة التعليم العالي ، 1988) ، ص136 وما يليها .

4 – ديورانت ، مصدر سابق ، ج3 ، ص12 وما بعدها .

5– ايمار ، مصدر سابق ، ج2، ص ص 696–699 .

كان وضعها في غاية السوء وتعيش في فقر شديد واحيانا تعتمد على الاحسان العام [1] .

وعلى الرغم من الافكار الانسانية التي ادعت بها الامبراطورية الرومانية كالسلم العالمي وبناء الدولة العالمية والاخذ بقانون الشعوب ،فان افعال الرومان كانت على النقيض من ذلك تماما ،فكانت القسوة والعنف في معاملتهم مع العبيد واستخفافهم بحياتهم [2] ، وكذلك النظرة المتطرفة للاجانب من حيث " لم يكن يعترف لهم بالشخصية القانونية بل كانوا يعدونهم اعداء يحل قتلهم واسترقاقهم " [3] . ولكن هذا لا يمنع من القول بوجود انجازات مهمة في مجال حقوق الإنسان حيث اعطيت العامة في فترات معينة ، "بعض المكاسب السياسية " [4] وكان هناك تطور قضائي واحترام للملكية [5] .

وقد " تفشت الامراض في عروق الإمبراطورية حتى عادت لا تستطيع الاستمرار في الحياة مما ادى الى انشقاق شطرها الشرقي مشكّلة الحضارة البيزنطية ، وولدت الحضارة المسيحية من خلال اشلاء روما" [6] .

ومما تجدر الإشارة اليه ان الفترات السابقة شهدت ظهور الاديان السماوية ، إذ دعت بقوة ووضوح لمبادئ حقوق الإنسان من " لدن ادم (ع) وطوال التاريخ مع الأنبياء والرسل والمصلحين " [7] .

أما في حيز التطبيق ، فعلى الرغم من التعاليم الدينية المسيحية التي دعت الى الحب والمساواة الا ان التقدم التجاري منذ القرن الحادي عشر ادى بأمراء الإقطاع الى تحويل أراضيهم الى مراكز حضرية تجارية عندما

1- ظاهر ، مصدر سابق ، ص75 .

2- المصدر السابق ، ص ص75-76 .

3- علي محمد جعفر ، مصدر سابق ، ص81 .

4- المصدر السابق ، ص63 .

5- المصدر السابق ، ص ص65-66 .

6- ظاهر ، مصدر سابق ، ص87 .

7 - الزحيلي ، مصدر سابق ، ص101 .

أدركوا ما يمكن ان يدر عليهم الإيجار من أرباح ..وأظهرت طبقة التجار/ الأمراء الباحثة عن الربح مما أطاح بفكرة المساواة والأمن الذي دعا إليه الدين المسيحي . وبرزت الهوة بين من يملكون ومن لا يملكون ، وتميزت مرحلة العصور الوسطى بسيادة الآراء الكنسية وفرضها على الناس ، ولم يكن هناك وجود للحرية الفردية [1] . وأخذت ظاهرة العنف تأخذ مسوغات جديدة " فالحملات الصليبية قامت على اساس الواجب الديني الذي حتم على المسيحي الطيب ان يقوم بالانتقام للرب وتخليص القدس من الكفرة أي المسلمين " [2] .

وقبل التطرق الى التطور القانوني في هذه الحقبة من الزمن ، لابد لنا من القول ان ظهور الإسلام أوائل القرن السابع الميلادي ،يعد ثورة حقيقية في سبيل تدعيم وترسيخ حقوق الإنسان ، فعلى الرغم من الانحرافات التي تعرضت لها المسيرة

الإسلامية بعد وفاة الرسول محمد (صلى الله عليه وآله) الا ان مبادئ حقوق الإنسان وجدت في الإمام علي بن أبي طالب وثلة من المؤمنين الأوائل الدعاة والمدرسين لحقوق الإنسان حتى يمكن عدهم حماة وحصونا حفظوا للامة جزءا مهما من عقيدة الاسلام ونظرته لحقوق الإنسان .

ومع سقوط الامبراطورية الرومانية على يد القبائل الجرمانية عام 467 م(واسقط الأتراك الامبراطورية الشرقية عام 1453 م) دخلت اوربا مرحلة القرون الوسطى حيث لا مكان للفرد فيها ولايعترف بالحقوق والحريات وليست هناك أي حدود على إرادة السلطان ولا يخضع لأي قاعدة او قانون .[3]

1- المصدر السابق ، ص98 .

2- ظاهر ، مصدر سابق ، ص101 .

3- المصدر السابق ، ص79 .

وفي اوربا ظهرت بعض التطورات المهمة نسبيا في مجال حقوق الإنسان مردها عوامل فكرية واقتصادية واجتماعية[1] . ففي انجلترا صدر في عام 1215 الشرط الكبير (الماكناكارتا) الذي فرض فيه امراء الاقطاع (البارونات) على (الملك جان) توقيع هذا الشرط للاعتراف بحقوقهم وامتيازاتهم . وفي الاعوام 1627 و1628 و1679 صدرت عدة اعلانات لتأكيد جزء من الحريات والحقوق وفي سنة 1688 صدرت وثيقة الحقوق في اعقاب ثورة سنة 1688 البيضاء .

كما ان فكرة حقوق الإنسان ظهرت في اعلان الاستقلال الامريكي عام 1776 وفيه بعض الحقوق كحق الحياة ،والحرية ، ومبدأ المساواة بين الناس وان صلاحية الدولة مستمدة من الشعب ثم جاء بعد ذلك اعلان (الدستور الامريكي) عام 1787 حيث تعدل عدة مرات مع ما يحتوي عليه من حقوق مهمة مثل حرية العقيدة وحرمة النفس والمال والمنزل وحرية التقاضي وتحريم الرق لغاية سنة 1789.

وفي العام نفسه 1789 صدرت في فرنسا وثيقة حقوق الإنسان والمواطن الفرنسي التي بدأت بعبارة (يولد الناس احراراً ومتساوين في الحقوق) وقد حرص الفرنسيون على هذا الاعلان وما تضمنه من حقوق ووضعوه في مقدمة دستورهم عام 1791.

ثم جاءت المؤسسات الدولية في القرن العشرين فاعلنت حقوق الإنسان في مواثيقها سنة 1919 م في عصبة الامم ، ثم في ميثاق الامم المتحدة سنة 1945 (المادة 55) وتم تأسيس لجنة حقوق الإنسان وعملت على صياغة

---

1 - حول هذه التطورات ينظر : انور بروي ، تاريخ الحضارات العام ، ج3 (القرون الوسطى) ، مصدر سابق ص20 وما بعدها ، ج4 ، (لغاية القرن 18) ، ص38 وما بعدها

حقوق الانسان ،واصدرت (الاعلان العالمي لحقوق الإنسان في 1948)[1] ،والذي احتل في العالم المعاصر مكانة مهمة حيث تبنته الامم المتحدةوعدته المثل الاعلى المشترك الذي ينبغي ان تصل اليه الشعوب والامم كافة[2] .

ولكن ما الحقوق المنصوص عليها في الإعلان العالمي[3] ؟

تؤكد المادتان الاولى والثانية ان جميع الناس دون ما تمييز من أي نوع يولدون أحراراً متساوين في الكرامة والحقوق ، وتعد تلك الحقوق من المبادئ الأساسية للمساواةوعدم التمييز في التمتع بحقوق الإنسان.

اما الحقوق المدنية والسياسية من الإعلان فهي .

- لكل فرد الحق في الحياةوالحريةوالسلامة الشخصية (المادة 3) .
- منع الاسترقاق والاستعباد (المادة 4) .
- منع التعذيب والعقوبات التي تمس الكرامة (المادة 5) .
- الاعتراف لكل إنسان بالشخصية القانونية (المادة 6) .
- كل الناس سواسية إمام القانون (المادة 7) .
- حق كل إنسان باللجوء الى المحاكم الوطنية لانصافه (المادة 8) .
- منع القبض والحجز تعسفا (المادة 9) .
- حق كل انسان في نظر قضيته أمام محكمة مستقلة وتزيهة (المادة 10) .
- المتهم برئ حتى تثبت أدانته (المادة 11 –الفقرة 1) .
- لا يدان الشخص الا لجرم نص عليه القانون (المادة11 –الفقرة 2) .

---

1 – الزحيلي ، مصدر سابق ،ص ص102–108 .

2 – د. عبد الكريم علوان ، الوسيط في القانون الدولي العام ،(الكتاب الثالث – حقوق الإنسان) ، (عمان ، دار الثقافة، 2004) ،ص25 .

3 – ينظر نص الاعلان العالمي لحقوق الانسان في : صباح صادق جعفر ، حقوق الانسان (وثائق) ، ط1 ، المكتبة القانونية ، 2003) ، ص ص3 – 10 .

- عدم التدخل التعسفي في الحياة الخاصةوالأسرةوالمسكن والمراسلات والشرف والسمعة (المادة 12) .
- حق كل فرد بالتنقل والإقامة داخل حدود دولته ،وحقه في المغادرة من بلدهوالعودة إليه (المادة 13) .
- الحق باللجوءوالالتجاء هربا من الاضطهاد بسبب الجرائم السياسية (المادة 14) .

– الحق بالتمتع بالجنسية ،وعدم حرمانه منها تعسفا والحق في تغيرها (المادة 15).

– حق الرجل والمرأة بالتزوج وتأسيس الأسرة ومنع ابرام العقد الا برضى الطرفين وان الأسرة هي الوحدة الطبيعية الأساسية للمجتمع (المادة 16).

– حق التملك ومنع تجريد الملكية تعسفا (المادة 17) .

– حرية التفكير والضمير والدين وحرية الاعراب عن الدين والعقيدة سرا وجهرا وجماعة (المادة 18) .

– حرية الرأي والتعبير واعتناق الآراء (المادة 19) .

– حرية الاشتراك في الجمعيات والجماعات السلمية وعدم الإرغام على الانضمام الى جمعية ما (المادة 20) .

– الحق في ادارة الشؤون العامة للبلاد وتقلد الوظائف وان إرادة الشعب هي مصدر سلطة الحكومة بالانتخاب (المادة 21) .

– الحق بالضمانات الاجتماعية في ضمن المجهود القومي والتعاون الدولي (المادة 22).

– الحق في العمل وحرية اختياره بشروط عادلة والحق في الاجر المساوي للعمل والكافي لمعيشته وأسرته والحق في الانضمام الى النقابة المختصة (المادة 23).

– الحق في الراحة مع تحديد ساعات العمل والعطلات (المادة 24).

– الحق في تأمين مستوى المعيشة الكافي للمحافظة على الصحة والرفاهية له ولأسرته وحق الامومة والطفولة في المساعدة والرعاية وحماية الاطفال منذ ولادتهم (المادة 25).

– حق كل شخص في التعلم وان يكون التعليم الأساسي بالمجان والتعليم الأولي إلزامياً (المادة 26).

– حق كل شخص بالاشتراك الحر في المجتمع الثقافي والفنون وحماية المصالح الادبية والمادية له (المادة 27) .

– حق كل فرد بالتمتع بنظام اجتماعي دولي تتحقق فيه الحقوق والحريات (المادة 28).

– على الفرد واجبات نحو المجتمع وان الفرد يخضع في حقوقه وحرياته لقيود القانون مع عدم ممارستها بما يناقض اغراض الامم المتحدة (المادة 29) .

– عدم قيام الدول والجماعات بالنشاط الذي يهدم هذه الحقوق والحريات (م30).

ويبدو ان الحاجة دعت الى استمرار المجتمع الدولي لتعزيز مجالات حقوق الإنسان وتجاوز الانتقادات حول الاعلان العالمي فقد صدر كل من (العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية) و(العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية) وقد بدأ نفاذهما عام 1976 [1] .

ويضمن الأول منهما الحقوق المدنية والسياسية والحرية الدينية والاجتماعات السلمية وحرية التنقل ويمنع المعاملة غير الإنسانية والتوقيف

1 – علوان ، مصدر سابق ، ص29 . للمزيد حول تفاصيلهما ينظر : فياض ، مصدر سابق ، ص164–170.

والاعتقال التعسفي ويؤكد الحق في الحياة وفي محاكمة عادلة وينص على حماية مختلف الأقليات اما الثاني فيشمل الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وحق العمل والتعليم والعناية الطبية وما يرافق ذلك من فوائد اقتصادية [1] .

كما ان هناك ايضا البروتوكول الاختياري الملحق بالعهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية وبدأ نفاذه عالم 1976 وتتعهد الدول المنظمة الى البروتوكول بتمكين اللجنة المعنية بحقوق الإنسان من القيام على وفق احكام هذا العهد بتسلم ونظر الوسائل المقدمة من الافراد الذين يدعون انهم ضحايا أي انتهاك لاي حق من الحقوق المقررة في العهد والبروتكول الاختياري الذي يهدف الى الغاء عقوبة الاعدام الذي اعتمدته الجمعية العامة وبدأ نفاذه عام 1991 [2] . فضلاً عن كثير من الصكوك الدولية في شتى المجالات [3] . ويقسم د. عامر حسن فياض هذه الوثائق الدولية للحقوق وغيرها قائلا : " الجيل الاول يتمثل بالاعلان العالمي لحقوق الإنسان عام 1948 الفردية البعد، ثم الجيل الثاني المتمثل بالعهود الدولية السياسية والمدنية والاقتصادية والاجتماعية التي شملت حقوق فردية مطعمة بحقوق جماعية واجتماعية مثل اعلانات حقوق المرأة وحقوق الطفل وحقوق السكان الأصليين ، ثم مع التسعينات تدخل حقوق الإنسان الجيل الثالث من حيث التركيز على حقوق مثل التنمية والحق في البيئة النظيفة والامر يحتاج اكثر الى أجيال رابعة وخامسة تعزز الحقوق الجماعية وبشكل متوازن مع الحقوق الفردية " [4] .

1– ينظر : نصوص العهدين في صباح صادق جعفر ، مصدر سابق ، ص ص11 – 50.

2 – علوان ، مصدر سابق ، ص30.

3 – للاطلاع على بعض المعاهدات الدولية والاقليمية بشأن حقوق الإنسان ينظر : المصدر السابق ، ص ص 261 – 296 .

4– فياض ، مصدر سابق ، ص138.

لقد وجهت كثير من سهام النقد لمجموعة المواثيق الدولية المعنية بحقوق الإنسان بشكل عام والإعلان العالمي لحقوق الإنسان بشكل خاص ، ومن دون التعمق في تلك الانتقادات ، من الممكن ايجازها كما يأتي :

1 –الطابع الغربي في تلك الاعلانات والمواثيق " فقد اعتمدت هذه العهود والمواثيق على الافكار الغربية التي اكدت حرية الافراد السياسية والمدنية" [1] ، يقول باحث معاصر : " ان مفهوم حقوق الإنسان نموذج للمفاهيم التي يحاول الغرب فرض عالميتها في اطار محاولته فرض سيطرته ومصالحة القومية وترسيخ عالميتها ...فالتطور التاريخي لفكرة حقوق الإنسان في

الغرب يؤكد ان المعنى المقصود في تشريع الحقوق الإنسانية هو تحقيق الأهداف والقيم الغربية التي ترتبط بالخبرة التاريخية لسياق حضاري محدد" [2] . وليس ببعيد عن ذلك نرى ان بعضهم انتقد الإعلان العالمي لحقوق الإنسان كونه " يغفل الثقافات الخاصة للشعوب " [3] .

ولكن هذا التشخيص ينبغي ان لايثير فينا الاستغراب " كون ان الإعلان الأصلي لحقوق الإنسان وضع عام 1948يوم كان عدد الدول الأعضاء في منظمة الأمم المتحدة لا يتجاوز 56 عضوا معظمهم من الدول الغربية ، يضاف الى هذا ان اللجنة الخماسية التي وضعت الإعلان كان كل أعضائها من أصحاب النزعة الغربية الليبرالية " [4] . ومن جهة أخرى نرى ان سيادة

1- ظاهر ، مصدر سابق ، ص118 .

2 – هشام احمد ، " التصور الغربي لحقوق الإنسان" ، مجلة قضايا دولية ، العدد 324 ، 1996، ص34.

3 – عبد الله عبد الدائم " ، الاحتفاء بالاعلان العالمي لحقوق الإنسان وسط الظلام العالمي " مجلة المستقبل العربي ، العدد 214، 1999 ، ص34 ؛ وحول مناقشة اوسع لبعض سلبيات الاعلان العالمي لحقوق الإنسان ومقارنته بالرؤية الإسلامية ينظر : محمد صادق الصدر ، نظرات إسلامية في اعلان حقوق الإنسان ، تقديم الشيخ محمد اليعقوبي ، (العراق ، جامعة الصدر الدينية ، 2004) ، ص ص34 – 157 .

4- عبد الدائم ، مصدر سابق ، ص33 .

القيم الغربية هو انعكاس للتطور الحضاري للشمال او الغرب على حساب الجنوب او الشرق .

ويمكن القول ان النموذج الحضاري الغربي في مجال حقوق الإنسان ،على الرغم من بعض سلبياته ، هو النموذج الواقعي الاقوى والذي يلقي على عاتق بقية الامم بشكل عام والامة الإسلامية منها بشكل خاص كونها صاحبة مشروع حضاري مسؤولية تقديم نموذجها النظري والممارسة العملية كذلك ،وذلك سعيا للتكامل في خدمة الإنسان وحقوقه .

2 – ويؤخذ على الاعلان العالمي غموض الاساس الذي يعتمد عليه . " ففي حين يرجعه البعض الى الرشاد والعقلانية ويلتمس له جذورا في الفكر الاغريقي ثم المسيحي مباشرة . ويرى البعض الاخر ان مصدر الحق اولاً القيم والقانون الوضعي ثم العرف والعادة ، كما يؤسس الفكر الغربي حقوق الإنسان على فكرة القانون الطبيعي الذي يمكن في اطاره الحديث عن حق طبيعي ،وهي فكرة غامضة تعرضت لانتقادات عديدة أبرزها افتقار القانون الطبيعي للوضوح والتحديد والتعاقدية والالزام الذي اتسم به القانون الوضعي ، فأي حقوق مرتبطة به ؟ تبقى غير محددة وغير معترف بها " [1] . ويبدو ان الفكر الإسلامي قد تجاوز هذه السلبية وذلك بعودة مصدرية معظم الحقوق الى الشريعة الإسلامية سواء القرآن الكريم أم السنة النبوية ، وكذلك التجارب الاسلامية العملية ،وهذا مما يدعم النموذج الإسلامي الحضاري لحقوق الإنسان .

3 – من الملاحظ ان وثيقة الإعلان العالمي تبدو غامضة ومبهمة في بعض اجزائها ،وكذلك من ناحية القيمة القانونية لها [2] .

ذلك ان مضمون حقوق

1- احمد ، مصدر سابق ، ص34.

2- ينظر : علوان ، مصدر سابق ، ص28 ، مطرود ، مصدر سابق ، ص118 .

الإنسان كما هو وارد في المواثيق الغربية والدولية انها ليست حقوق إنسان ،وانما هي حقوق مواطن ، "فمعنى حقوق الإنسان ان ممارسة هذه الحقوق ترتبط بكينونة الإنسان ووجوده وهو امر يتناقض مع ما يرد في سياق الإعلان العالمي لحقوق الإنسان من نصوص تربط ما بين حقوق معينة (كالمشاركة والانتخابات والولاية) وبين مواطنة الشخص وانتمائه للمجتمع وهو ما يمنع الإنسان الأجنبي من ممارسة مثل هذه الحريات والحقوق وهو ما يفيد عدم شمول وعموم هذه الحقوق باعتبارها سياسية "[1] . وكان على واضعي الإعلان العالمي الإشارة إلى مسالة المواطنة وربطها بالحقوق السياسية تجنبا لهذا النقد .

اما "البند الثاني من المادة (13) من الاعلان العالمي لحقوق الإنسان ..والذي ينص على حق الفرد مغادرة أي بلد بما في ذلك بلده والعودة اليه فهذا بند نظري صرف وليس واقعي على الاطلاق فمنذ سنة 1948 وحتى الوقت الحاضر فان ملايين الناس لا يقدرون على مغادرة بلدانهم او الرجوع اليها لسبب او لاخر يرتبط معظمها بالسياسة والسياسيين الحاكمين . ان مثل هذا البند لا يزيد عن كونه مبدأ خياليا صرفا مصدره الحق الطبيعي او القانون الطبيعي او الحق الانساني "[2] . فضلاً عن كثير من الفقرات الاخرى وهذا يجعلنا نميل الى ما قيل من ان " الاعلان العالمي لحقوق الإنسان – وما تلاه من اعلانات ومواثيق دولية – اعلان معطل ،يمثل في افضل الاحوال امنيات طيبة ومثلا عالياً ونوراً هادياً لمن شاء ان يهتدى .ويكفي كي ندرك نقائض (الاعلان العالمي)وعطالته في الوقت نفسه ان ننظر الى واقع عالم اليوم ، متسائلين : ماذا تعني حقوق الإنسان لمليار وثلث المليار من الكائنات

1- احمد ، مصدر سابق ، ص34.

2- ظاهر ، مصدر سابق ، ص11.

الانسانية التي تقتات بأقل من دولار واحد في اليوم ؟ وماذا تعني لخمسة وثلاثين الف طفل يموتون كل يوم بسبب سوء التغذية "[1] .

ويبدو ان التوظيف السياسي لـ(مبادئ حقوق الإنسان)ولاسيما من الدول الاقوى[2] ، ضد من يخالفها في الرأي ويتقاطع معها بالمصالح قد اضعف من شرعية شعار حقوق الإنسان ، عند بعضهم،واضاع كثيراً من الجهود الرسمية والشعبية والدولية للارتقاء بواقع الإنسان واسترداد حقوقه المهدورة[3] . وقد دفع مثل هذا الحال د. برهان غليون الى الاعتقاد بان من

اخطاء " المعادين لحركة حقوق الإنسان هو تصورهم ان الممارسة الخاطئة لموضوع حقوق الإنسان من القوى الدولية المهيمنة هي دليل على فساد الفكرة ،وهذا استدلال خاطئ فلو حاسبنا كل الافكار والمعتقدات على اساس الممارسة الخاطئة من بعضهم ممن تقمصها لالغينا كل المبادئ والافكار والمعتقدات والديانات التي سادت المجتمع الانساني .وان مواجهة من يستغل شعار حركة حقوق الإنسان لمآرب سياسية لا تكون بالتنكر للحركة ورفضها وانما بتعرية من يستغلها ويسيء استخدامها "[4] .

وعلى الرغم مما يسجل لصالح الاعلان العالمي وما تبعه من اعلانات ومواثيق من ايجابيات حول نقل قضايا حقوق الإنسان من جانب السيادة الى افق دولي وانساني اوسع[5] واسهام (الاعلان العالمي) في ازدياد الوعي العام بهذه الحقوق ومنحه الشرعية للمطالبين بها ، الا ان تطور فكرة حقوق

1- عبد الدائم ، مصدر سابق ، ص ص33-34 .

2 - حول هذه الفكرة ومراحلها انظر : ناجي علوش " الغرب وحقوق الإنسان " مجلة قضايا دولية ، العدد 294 ، 1995 ، ص26 وما بعدها .

3- ظاهر ، مصدر سابق ، ص113 .

4 - د. برهان غليون ،واخرون ، حقوق الإنسان العربي ، (بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، 1999) ، ص ص94-95 .

5 - حول هذا الموضوع واثره على سيادة الدولة ينظر: مطرود ، مصدر سابق ، مواقع مختلفة .

الإنسان ودخولها " في حيز التطبيق العملي مازال في بداية الطريق "[1] الذي كان قد سلكه بشقيه النظري والعملي الإمام علي بن أبي طالب قبل ما يربو على اربعة عشر قرنا من الزمان مستندا إلى الشريعة الإسلامية وتميز فكري مكنَّه من الابداع في التطرق الى شتى انواع الحقوق ، على الرغم من معطيات الزمن والمجتمع السلبية ازاء حقوق الإنسان آنذاك إذ ان الجاهلية والنفاق كانتا سمة واضحة لدى العديد من ابناء عصره في وقت جسد فيه الإمام النص النظري في حيز التطبيق العملي ، على وفق ما سمح به التطور الحضاري آنذاك ، فقد عد الإمام الحقوق الاساسية الثلاثة وهي حق الحياة ، حق المساواة العادلة وحق الحرية -والتي سوف نتناولها في الفصل التالي - المرتكز للانطلاق نحو حقوق الإنسان الاخرى .

1- ظاهر ، مصدر سابق ، ص121 .

الفصل الثاني

الحقوق الأساسية

ان حقوق الانسان منظومة متكاملة وكل لا يتجزأ كونها تصب لصالح الإنسان ، ولكن هذه الحقوق تتفاوت من حيث الاولوية والاهمية ، فالمهم منها يعد اساساً لغيره ، فإذا فقد الاساس والاصل فقد البناء والفرع . وعليه فسنتطرق من خلال هذا الفصل إلى ما يمكن عدهُ حقوق اساسية للإنسان عند الامام علي (ع) لذلك تضمن هذا الفصل

ثلاثة
مباحث
الاول
منها
يتناول
(حق
الحياة)
،
اما
الثاني
فيتطرق
إلى
(حق
المساواة
العادلة)
والمبحث
الثالث
يختص
بـ
(حق
الحرية)
.

المبحث الأول

حق الحياة

ونحن بصدد البحث في (حق الحياة) عند الإمام علي ، قد يتبادر الى الذهن ،وللوهلة الاولى، صورة الإمام الفارس وسيفه ذو الفقار ومجده العسكري الذي اسهم في تدعيم ركائز الاسلام وانتشاره[1] كمنهج وكوسيلة لتكريم الحياة الانسانية وصيرورتها اغلى ثمنا واعلى مقاما من أي شي اخر.

ومن المنهج الإسلامي في نبعه الصافي الاصيل اكتسب الإمام نظرته الى الحياة وقيمتها في ضمن المسيرة البشرية،اذ تشكلت رؤيته للانسان كقيمة عليا ومحور لهذا الكون،فيخاطب(ع) الانسان قائلا :

وتحسب انك جرم صغير وفيك انطوى العالم الاكبرُ[2]

ويجعل الإمام هذا المخلوق افضل الموجودات ، اذا ما حقق إنسانيته ، إذ يقول(ع) بنظرة تحليلية:" ان الله عز وجل ركب في الملائكة عقل بلا شهوة ،وركب في البهائم شهوة بلا عقل وركب في بني ادم كليهما ، فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة ومن غلب شهوته عقله فهو شر

---

1 – سنستعرض لاحقا لرؤية الإمام (للقانون الانساني للحرب) في الفصل الخامس ، المبحث الثالث .

2 – الإمام علي بن ابي طالب ، ديوان الإمام علي ، (قم ، دار نداء الإسلام ، 1411) ، ص179 ، ومما يستحق ذكره ان نسبة هذه الابيات الى الإمام علي قد اكدها كثير من الفقهاء والمفكرين ينظر: المولى محمد محسن ، (الفيض الكاشاني) ، الصافي في تفسير القرآن ، تحقيق مركز الابحاث والدراسات الاسلامية ، ج1 ، (قم ، مكتب الأعلام الاسلامي ، 1376 هـ) ، ص112 ؛ فخر الدين الطريحي ، مجمع البحرين ، ترتيب محمد عادل ، ج1، (د. م، د. ن،د. ت) ،ص122.

من البهائم "[1] .وهنا نتلمس معيار قيمة الانسان حين يربطها الإمام بمسألتين :

الاولى : إنه انسان منتم الى الاسرة البشرية من ابناء ادم وحواء ، فيترتب على هذا الموقع حقوقاً اساسية ومن اهمها (حق الحياة) .

الثانية : درجة الايمان والعمل الصالح ،وهي درجة اسمى ، لا ينالها الجميع ولكن لا تجعل من يملكها افضل الاوفق المعيار الايماني وهو معيار معنوي ، " ليس على وجه الارض اكرم على الله من النفس المطيعة لامره "[2] على وفق قول الامام علي (ع)وان الانسان هو خليفة الله في ارضه [3] والكائن الذي امتاز بمعرفة الخالق وتكليفه بالعبادة فلقد كان من دعاء الامام علي (ع) : " الهي كفى بي عزا ان اكون لك عبدا وكفى بي فخرا ان تكون لي ربا "[4] . ويجمل المفكر جورج جرداق الرؤية العلوية الجليلة الى معنى الحياة بانها هي " الاصل وعليه تنمو الفروع "[5] .

لقد تعامل الإمام مع الحياة بواقعية ، فلم يشغل فكره بمسائل الخلود وما شابه إذ آمن ان الموت مسالة حتيمة و " ان الموت طالب حثيث لايفوته مقيم

---

1 – محمد بن علي بن بابويه القمي (الشيخ الصدوق)،علل الشرائع،ج2 ،(النجف،المكتبة الحيدرية ، 1966)،ص4 .

2 – كافي الدين ابو الحسن علي بن محمد الليثي الواسطي ، عيون الحكم والمواعظ ، تحقيق حسين الحسيني ، (قم، دار الحديث ، 1376هـ) ، ص412 .

3 – في اشارة إلى قوله تعالى " اني جاعل في الارض خليفة " سورة البقرة/ الاية 30 . حول الاستخلاف ونظرياته وراائه ينظر : خليل مخيف لفته ، قضية الإمامة في الفكر السياسي للغزالي،رسالة ماجستير ،غير منشورة ، كلية العلوم السياسية ، جامعة بغداد ، 1995 ، ص ص51–57 .

4 – محمد باقر المحمودي ، نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة ، ج6 ، (بيروت ، مؤسسة المحمودي ،د. ت) ، ص41 .

5 – جورج جرداق ، الإمام علي صوت العدالة الانسانية ، ج1، ط2 ،(قم ، دار ذوي القربى ، 1424هـ) ،ص410.

،ولا يعجزه هرب "[1] وان " الدنيا دار فناء "[2] ،وهنا لابد من التطرق الى نظرة الإمام الى الدنيا ، فقد ورد ذمه للدنيا حينما عدها "دار اولها عناء واخرها فناء في حلالها حساب وفي حرامها عقاب "[3] . ويحذر الإمام من الدنيا قائلاً "واحذركم

الدنيا " فهي "دار بلية " وافعى " لين مسها قاتل سمها " ان هذه النصوص اذا اخذت كحالة جزئية ، قد تعطي انطباعا غير دقيق عن نظرة سلبية للامام اتجاه الدنيا . ويبدو ان رؤية الإمام للدنيا او المحيط الخارجي للوجود الانساني هي رؤية حيادية ، إذ ينظر اليها وفق تدخل عامل السلوك البشري فيها ، فيقول الإمام علي (ع) ان الإنسان الحكيم والمؤمن ينظر الى الدنيا : "بعين الاعتبار "[7] وينطلق ليمارس دوره الإنساني بها ومن خلالها فهي "دار صدق لمن صدقها ودار عافية لمن فهم عنها [بل ان الإمام يمتدح الدنيا مع الاسهام الايجابي للانسان] فهي مسجد احباء الله ومصلى ملائكة الله ومهبط وحي الله ومتجر اولياء الله اكتسبوا فيها الرحمة وربحوا فيها الجنة "[8] وهكذا لم يكن الذم والمدح من قبل الإمام للدنيا بحد ذاتها ولكن بحسب نوعيه الدور الإنساني فيها سواء كان سلبا ام ايجاباً ؛ هدماً أو بناءً.

ومع اقرار الإمام بحتمية الموت فانه يوجهه كعامل للنهوض بالحياة وتفعيلها ، فوجود الموت يدعو الى تكريس الحياة للعمل والمثابرة والسعي

---

1 – محمد بن الحسين الموسوي البغدادي ، الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، شرح محمد عبده ، ج2 ، (بيروت ، دار المعرفة ، د. ت) ، ص2.

2 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة ، د. صبحي ، خطبة 113، ص207 .

3– المصدر السابق ، خطبة 81 ، ص115 .

4– المصدر السابق ، خطبة 112، ص24 .

5– المصدر السابق ، كتاب 59 ، ص578 .

6– المصدر السابق ، كتاب 68 ، ص590 .

7– المصدر السابق ، حكمة 357 ، 680 .

8– لبيب بيضون ، تصنيف نهج البلاغة ، ط3، (قم ، مكتب الاعلام الاسلامي ، 1417 هـ) ، ص888 .

لتطور المجتمع وترك اللهو العبثي الذي لا طائل منه[1] ويكون الموت قاعدة اولى لترسيخ احترام حقوق الاخرين[2] ونبذ الكراهية ومدعاة للعطاء والتباذل[3] بل ان في حتميته يقر لرقى انواع السلوك الانساني في نبذ التفاخر والكبر[4] ومنع الظلم[5] ويكون الية لدفع الذل والظلم عن الانسان[6] .

ووفقا للفكر العلوي ، فان الحياة قيمة عليا تتغلب على الموت وان أي اعتداء لازهاق حياة انسان ، وبغض النظر عن ماهية ذلك الانسان ، هو اعتداء على الارادة الإلهية الموجدة والمانحة الوحيدة للحياة من جهة وجريمة بحق الإنسانية جمعاء، وسلب لحق اساسي من حقوق الإنسان الاوهو (حق الحياة) من جهة اخرى ، لذا فان الإمام نظر الى القتل بانه جريمة كبرى فيقول(ع) ان من " الكبائر الكفر بالله وقتل النفس .."[7]

بل ان الإمام وقف بالضد من التهديد باستخدام القتل وما دونه من تعذيب واهانة وما شابه من وسائل انتقاص الانسان وتحت أي ذريعة ليقر بذلك (حق الامن) للمجتمع ،فقد اشار (ع) ، إلى أنَّ من سلبيات مجتمع الجاهلية ،قبل عهد الرسالة الإسلامية ، هو تفشي ظاهرة انعدام الامن وشيوع سفك الدماء فيتوجه بخطابه الى العقول اين ما كانت او وجدت فيقول:"ان الله بعث محمداً(صلى الله عليه وآله) نذيرا للعالمين وامينا على التنزيل وشهيدا على هذه الامة،وانتم يا معشر العرب على غير دين وفي شر دار تسفكون دماءكم

---

1 – ينظر:الشريف الرضي (الجامع) ،نهج البلاغة،تعليق وفهرسة،د. صبحي ، مصدر سابق ، خطبة 83 ، ص131.

2– ينظر : المصدر السابق ، خطبة 108 ، ص194 .

3– ينظر : المصدر السابق ، خطبة 112، ص ص 204–205 .

4– ينظر : المصدر السابق ، خطبة 214، ص ص416–417 .

5– ينظر : المصدر السابق ، كتاب 53 ، ص570 .

6– ينظر : المصدر السابق ، خطبة 180 ، ص319 ، خطبة 182 ، ص327 .

7 – جمال الدين ابي المنصور الحسن بن زين الدين الشهيد ، منتقى الجمان في الاحاديث الصحاح والحسان، تصحيح وتعليق علي اكبر الغفاري ،ج2 ، (قم ، جامعة المدرسين ، د. ت) ، ص352.

وتقتلون اولادكم ،وتقطعون ارحامكم"[1] وان سمات الدنيا في ظل انعدام الامن تكون " متجهمة لاهلها،عابسة في وجه طالبها،ثمرها الفتنة وطعامها الجيفة وشعارها الخوف ودثارها السيف"[2] .

وبدلا من مجتمع الخوف الذي رسم الإمام ملامحه في كلماته السابقة يطرح(ع) المشروع البديل في تحقيق الامن وهو(الإسلام) فيقول : "الحمد لله الذي شرع الاسلام فسهل شرائعه،لمن ورده،واعز ارکانه على من غالبه فجعله امنا لمن علقه[3] وسلما لمن دخله"[4] . ان المشروع الإسلامي لبناء المجتمع الامن ، في رؤية الامام علي (ع) يتمثل بعدة ابعاد لعل من اهمها:

–الامن المعنوي او الروحي والسعي لإشاعة مفاهيم وسلوكيات التقوى والهداية :" فان جار الله امن وعدوه خائف "[5] .

– الامن القضائي[6] .

–الامن الاقتصادي[7] .

– الامن الداخلي والحدودي : إذ يقول (ع)عن احد ثقاته "واسد به لهاه الثغر المخاوف "[8] ويمتدح (ع) القوة العسكرية قائلاً : " فالجنود باذن الله حصون الرعية وزين الولاة،وعز الدين وسبل الامن وليس تقوم الرعية إلا بهم "[9] ،ومن واجبات الحكومة والحاكم ان " تأمن فيه السبل"[10] .

1 – ابن قتيبة الدينوري ، الإمامة والسياسة ، مصدر سابق ، ج1 ، ص174 .

2 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق، خطبة 88 ، ص140 .

3 – أي تعلق به . ان كل شرح لمعنى من الناحية اللغوية في متن نهج البلاغة هو شرح للدكتور صبحي صالح ، في هذا النص والنصوص الاخرى .

4– المصدر السابق ، خطبة ، 105 ، ص185 .

5– المصدر السابق ، خطبة ، 14 ، ص251 .

6 – سنعرض هذا الموضوع بالبحث لاحقا في الفصل الخامس ، المبحث الثاني .

7 – سنعرض هذا الموضوع بالبحث لاحقاً في الفصل الرابع ، المبحث الخامس .

8– المصدر السابق ، كتاب 46 ، ص538 .

9– المصدر السابق ، كتاب 53 ، ص553 .

10– المصدر السابق ، خطبة 40 ، ص83 .

– الامن الخارجي واستتباب السلام الذي جعله الإمام هدف لسياسة الحاكم وحق للامة ، اذ يقول (ع) " لا تدفعن صلحا دعاك اليه عدوك لله فيه رضى فان في الصلح دعة لجنودك وراحة لهمومك وامناً لبلادك "[1] .

– الامن السياسي والاجتماعي : في هذا المضمار يرفض الإمام ان يروع الإنسان وان تكون السلطة ، مهما كان موقعها في المجتمع (سلطة الاب ، الزوج ،رئيس العشيرة ،رجل دين ،والي او موظف كبير ،رئيس دولة)، عامل لاثارة الخوف في نفوس الاخرين اذ يقول : " لا يحل لمسلم ان يروع مسلما"[2] وكذلك فأن "من نظر الى مؤمن ليخيفه أخافه الله يوم القيامة "[3] .

ويعطف الإمام فكره نحو السلطة الحاكمة باعتبارها القوة الاهم داخل الدولة والمجتمع ، متخذا الحكم الاموي والتحذير منه نموذجا فيقول عن اسلوب تعامله مع الشعب " يسومهم خسفا ، ويسوقهم عنفا ، ويسقيهم بكأس مصبرة لا يعطيهم الا السيف والا يحلسهم[4] الا الخوف "[5] . اما واقع بعض الشخصيات المبدئية التي تتصدى لمشروع التسلط واشاعة الخوف وسفك الدماء " فقد شملتهم الذلة ، فهم في بحر اجاج ، افواههم ضامزة[6] وقلوبهم قرحة ، قد وعظوا حتى ملوا ، وقهروا حتى ذلوا وقتلوا حتى قلوا "[7] على وفق وصف الإمام ، الذي تصدى لهذا الواقع ، في ضمن مشروعه الانساني والسياسي ، فيبرز (ع) حق الامن بان صيره محورا لحركته

1– المصدر السابق ، كتاب 53 ، ص568 .

2 – محمد بن الحسن الحر العاملي ، وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة ، تحقيق عبد الرحيم رباني ، ج8 ، (بيروت ، دار احياء التراث ، د.ت) ، ص592 .

3– ينظر : المجلسي ، مصدر سابق ،ج27 ، ص363 ؛زين الدين بن علي العاملي (الشهيد الثاني)،رسائل الشهيد الثاني،(قم ، مكتبة البصوة،د.ت)، ص330 .

4 – يكسوهم .

5 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة ،د. صبحي ، مصدر سابق، خطبة 92 ، ص167.

6– ساكنة .

7– المصدر السابق ، خطبة 32 ،ص74 .

السياسية إذ يقول :"اللهم انك تعلم انه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان ولا التماس شيء من فضول الحطام ولكن لنرد المعالم من دينك ونظهر الاصلاح في بلادك ، فيأمن المظلومون من عبادك وتقام المعطلة من حدودك "[1] .

ويعد الإمام ان تحقيق الامان من افضل الاعمال " فمن امن خائفا امنه الله من عقابه "[2] وان الامن بمختلف ميادينه ، وفقاً لرؤيته (ع) ، هو معيار مهم لتقييم وضع الدولة واداء الحكومة وتطور المجتمع فـ"شر البلاد بلد لا امن فيه ولا خصب "[3] ، بل ان بقية النعم والحقوق تتلاشى مع وجود حالة الخوف والاضطراب في المجتمع إذ يقول (ع) "لا نعمة اهنأ من الامن"[4] .

ولعل من اهم سمات الشعور بالامن ، هو امن الانسان على حياته ، فحق الحياة من " المبادئ التي ظل امير المؤمنين مصوا على اشاعتها بين الناس ... ولكل انسان ان يعيش امنا مطمئنا على حياته ، دون خوف او وجل او تهديد او إرهاب من احد او سلطة او جهة "[5] .

لكن ما هي السبل التي تعزز حالة الامن والامان إزاء اثمن ما يملكه الانسان الا وهي حياته؟ ان الإمام يعي ان عملية الاعتداء على حياة الاخرين هي اول جريمة ارتكبت على وجه الارض[6] ، ومع تعقد الواقع البشري وتصارع القوى سوف ترخص وتتدنى قيمة الحياة ، اذن حالة

1– المصدر السابق ، خطبة 131 ،ص232 .

2– الواسطي ، مصدر سابق ، ص458 .

3 – كاظم مدير ، الحكم من كلام الإمام امير المؤمنين علي (ع) ،ج1 ، (مشهد ، مؤسسة الطبع والنشر التابعة للاستانة الرضوية المقدسة ، 1417هـ) ، ص535 .

4– المصدر السابق ، ج2، ص218 .

5– محمد ، مصدر سابق ، ص96.

6 – عن علي بن ابي طالب (رضي الله عنه) في تفسير قوله تعالى (ارنا اللذين اضلانا ، من الجن والانس) سورة فصلت/ الاية 24 ، قال هما : " ابليس وابن ادم الذي قتل اخاه " ؛ ابو جعفر محمد بن جرير الطوي ، جامع البيان عن تاويل أي القرآن ،ضبط صدقي جميل العطار ، ج24، (بيروت ، دار الفكر، 1995) ، ص142 .

الاعتداء موجودة وسوف تستمر وتتفاقم لذا تصدى الفكر العلوي لهذه الجريمة في محاولة للحد منها اعتمادا على عنصرين :

1 –عنصر معنوي انساني ، داخلي .

2 –عنصر قانوني مادي ، خارجي .

فبالنسبة للعنصر الانساني ، استهلت الإمام بتوجيه خطابه دائما للانسان من اجل الانسان، أي يقوم بدور التربية والارشاد والتصحيح للمسوة الانسانية ، ويحذر كل من يفكر ان يزهق روحاً بغير وجه حق ، قائلاً " ثلاثة لا يدخلون الجنة [اولهم] سفاك الدم الحرام "[1] وينبه(ع) من اقتراف هذه الجريمة كونها ذنباً لا يغفر ،" فمن الذنب الذي لايغفر ظلم العباد بعضهم لبعض وان الله تبارك وتعالى اذا برز لخلقه اقسم قسم على نفسه فقال :وعزتي وجلالي لا يجوزني ظلم ظالم، ولو كف بكف ولو مسحة بكف "[2] .

الا ان الزواجر الاخلاقية وهذا البعد الديني الغيبي قد يشكل رادعاً مهما ، ولكن بالتأكيد ليس للجميع فهو غير مجدي مع من امتهن الاجرام او أعماه الطمع ،فهناك من يكون " الصورة صورة انسان والقلب قلب حيوان"[3] كما يصفهم الإمام فيسعون لتحطيم الكيان البشري وقطع رسالته الحضارية فيتصدى لهم الإمام مادياً وقانونياً وذلك هو العنصر القانوني المادي الخارجي فيؤكد(ع) وفقاً لذلك مسألة القصاص ،وهو اجراء عملي يفسر الإمام بعض ابعاده بقوله : " فرض الله سبحانه القصاص حقنا للدماء "[4] ويعقب مفكر اسلامي على ذلك قائلا " قد شرع الله سبحانه القصاص واعدام القاتل :

---

1 – الواسطي ، مصدر سابق ، ص215 .

2 – المحمودي ، مصدر سابق ، ج3، ص249 .

3 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، فهرسة وتعليق ، د. صبحي ، مصدر سابق ، خطبة 86 ، ص137.

4– مدير ، مصدر سابق ، ج2، ص95 .

– انتقاما منه .

–زجرا لغيره .

– تطهيرا للمجتمع من الجريمة التي يضطرب فيها النظام العام ويختل بها الامن "[1]

وقد كان الإمام على الصعيدين الفكري والعملي حاسما في موضوع القصاص من الدماء على وفق تفاصيل فقهية قانونية متعددة من جهة ،والمساواة في حق الحياة للجميع من جهة اخرى ، إذ اشار على الخليفة الثاني بقتل اكثر من شخص بشخصٍ واحد ثبتت جنايتهم بقتله ،وذلك بعد تردد بعضهم في ذلك[2] .وروي عن علي انه قتل ثلاثة قتلوا واحدا[3] وانه قتل حرا بعبد[4] [5] [6]

قتله عمداً وقتل الرجل بالمرأة بل ان في معتقد علي " من قتل يهوديا او نصرانيا قتل به" .

واعلن الإمام ان رئيس الدولة وولاته وكبار موظفيه وصغارهم يخضعون على حدٍ سواء لقانون صيانة الدماء ، أي القصاص فيقول في عهده للاشتر "اياك والدماء وسفكها بغير حلها ،فانه ليس شيء ادعى لنقمة

1- السيد سابق ، فقه السنة ، ج2 ، (بيروت ، دار الكتاب العربي ،د. ت) ،ص511 .

2 - سنتطرق لموضوع اثبات الجرم وتحديد العقوبة في الفصل الخامس ، المبحث الثاني وحول الآراء الفقهية بشأن جريمة القتل وعقوبتها ينظر : د. حامد جامع ، علي بن ابي طالب (رضي الله عنه) (حاكماً وفقيهاً) ، ج2 ، (القاهرة ، د. ن ، 2003) ، ص ص282 - 291 .

3- ينظر : ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي ، الخلاف ، ج5، (قم ، مؤسسة النشر الاسلامي ، 1407هـ)،ص157.

4 - ينظر : شمس الدين السوخسي ، المبسوط ، ج26 ، (بيروت ، دار المعرفة ، د. ت) ، ص130 ؛ احمد الاردبيلي ، مجمع الفائدة والبرهان في شرح ارشاد الاذهان ، تحقيق الحاج اقا مجتبى العراقي ،ج14 ،(قم ،منشورات جماعة المدرسين ، د. ت) ، ص43 .

5 - ينظر : محمد بن علي بن ادريس الشافعي، الام ، ج6، ط2 ، (بيروت ، دار الفكر،1983) ، ص31 .

6 - ينظر : ابو محمد عبد الله بن احمد بن قدامة ، المغني ، ج2 ، (بيروت ، دار الكتاب العربي، د. ت) ، ص377 ؛ علاء الدين بن علي الماوردي ، الجوهر النقي ، ج8 ، (بيروت ، دار الفكر ، د. ت) ، ص34 .

ولا اعظم لتبعة ولا احرى بزوال نعمة ،وانقطاع مدة من سفك الدماء بغير حقها ،والله سبحانه مبتدئ بالحكم بين العباد ، فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة ، فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام ، فان ذلك مما يضعفه ويوهنه ، بل يزيله وينقله ولا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل العمد لان فيه قود البدن [1] [2] " .

والحقيقة هناك جملة من الأمور يمكن تلمسها في هذا النص ، منها :

- تأكيد حرمة الدماء وان حق الحياة مكفول للجميع ، إذ كان الحديث عن الدماء بصورة عامة وليس دماء المسلمين دون غيرهم .

- المساواة بين الحاكم والمحكوم ، من حيث لا ضمانات للمنصب او شاغله في موضوع التعدي على الدماء والحياة .

- ان سفك الدماء يثير الغضب والنقمة بين الشعب مما يؤدي إلى الاضطراب وهو من الأسباب المهمة للثورات لان " لكل دم ثائرا ،ولكل حق طالبا " [3] على وفق وصف الإمام.

وبناءً على احترام الإمام لحق الحياة نلاحظ انه حكم على جريمة التحريض او الأمر بالقتل أو بعقوبة أخرى تتناسب مع الجرم والشكل القانوني للجريمة [4] وكان (ع) يقول " من أعان على مؤمن فقد برئ من الإسلام " [5] وأشار الإمام كذلك إلى

عملية القتل المعنوي وذلك بهدم كرامة الإنسان وسمعته وعد ذلك بمثابة اغتيال له اذ يقول : "من استطاع منكم ان

---

1 أي القصاص .

2 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، كتاب 53 ، ص41 .

3 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، شرح محمد عبدة ، مصدر سابق ، ج1 ، ص201 .

4 – ينظر : ابو بكر احمد بن الحسن البيهقي ، السنن الكبرى ، ج8 ، (بيروت ، دار الفكر ، د. ت)، ص41 .

5– مدير ، مصدر سابق ، ج2، ص365 .

يلقى الله تعالى وهو نقي الراحة من دماء المسلمين وأموالهم سليم اللسان من إعراضهم فليفعل"[1] .

من بين الممزات الرئيسية للرؤية العلوية لحقوق الإنسان تبرز مسألة تقديسه (ع) للحياة وانعكاس ذلك على إقراره مبدأ مسؤولية الحكومة والمجتمع اتجاه حياة الإنسان وانه "لا يبطل دم امرئ مسلم "[2] وان " الدم لا يبطل في الإسلام "[3] ، ان الانعكاس العملي لهذا المبدأ كان على صعيدين الأول حفظ دماء المسلمين وان كانوا في غير بلاد الإسلام ، والثاني حفظ دماء من هم تحت حكم الإسلام كافة ، وبغض النظر عن ديانتهم وانتماءاتهم ، هذا على الصعيد النظري .

أما الصعيد العملي فان النموذج العلوي في الحكم كرس مبدأ حق الحياة وصيانتها وجعل منه حقا للشعب إزاء الحكومة ، إذ تعامل مع حفظ الحياة ، كمبدأ وليس عملية يمكن له استغلالها سياسيا او تتدخل فيها عوامل ذاتية ومصلحية لحادث الاعتداء على الحياة ومن ثم تخرج عن الهدف المتمثل بصيانة الدماء ابتداءً ، فمثلاً أصر الإمام على إقامة الحد بحق عبيد الله بن الخليفة عمر بن الخطاب بعد ان قتل ثلاثة انفس لمجرد الظن والاتهام[4] وكان أول خطاب للإمام علي (ع) ، كرئيس للدولة ، يؤكد حرمة الإنسان بشكل عام وسلامة حياته بشكل خاص فيقول : "ان الله حرم حرما غير مجهولة، وفضل حرمة المسلم على الحرم كلها وشد بالإخلاص والتوحيد

1– المصدر السابق ، ج2، ص357 .

2– لجنة الحديث في معهد باقر العلوم (ع) ، سنن الإمام علي (ع) ، ط1 ، (قم ، نور السجاد ، 1420 هـ)، ص475 .

3– المصدر السابق ، ص475 .

4 – حول هذه المسالة ونتائجها ينظر : محمد الطوي ، تاريخ الطوي ، مصدر سابق ، ج3، ص302 ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، مصدر سابق ، ج7 ، ص167 ؛ ابن ابي شيبة احمد بن داود الدينوري، الاخبار الطوال ، (د. م. د. ن. د. ت)، ص186 ؛ جمال الدين الزيعلي ، نصب الراية بتخريج احاديث الهداية ، ج6 ، (القاهرة ، دار الحديث ، د. ت) ، ص333 .

حقوق المسلمين والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده الا بالحق ، لا يحل اذى مسلم الا بما يجب ... اتقوا الله في عباده وبلاده فأنكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم "[1] .

واصبح الدفاع عن حياة الناس هدفاً أساسياً لحكومة الإمام ، فقد فسر (ع) أسباب اقدامه على الحرب في معركة الجمل ، عندما سئل "لرايت القتلى حول عائشة والزبير وطلحة ، بم قتلوا ؟ قال الإمام : قتلوا شيعتي وعمالي ... فسالتهم ان يدفعوا الي قتلة اخواني اقتلهم بهم ، ثم كتاب الله بيني وبينهم فأبوا علي ، فقاتلوني وفي اعناقهم بيعتي ودماء الفرجل من شيعتي فقتلتهم بهم "[2] . وكان (ع) يؤكد هذا الحق قائلاً :" فو الله لو لم يصيبوا منهم الارجلاً واحداً متعمدين لقتله لحل لي بذلك قتل الجيش كله"[3] . وكذلك الحال بالنسبة للخوارج في معركة النهروان[4] وما بعدها اذ كان الدافع الرئيسي لحربهم " لانهم سفكوا الدم واخافوا السبيل"[5] .

ووفقاً لما تقدم يمكننا القول ان حفظ الدماء ، وصيانتها والحاق القصاص بالمعتدين مهما كانت أسماؤهم او مناصبهم كان من الروافد المهمة للسياسة العلوية على ارض الواقع ،ولابد من الإشارة في هذا المجال الى مبدأين على جانب من الأهمية بشأن حفظ الحياة :

الاول : مسالة التقية .

الثاني : ان حفظ النفس الإنسانية أولى من تطبيق النصوص الشرعية .

---

1 – محمد الطوي ، تاريخ الطوي ، مصدر سابق ، ج3، ص457 ؛ابن كثير ، البداية والنهاية ، مصدر سابق ، ج7، ص245.

2 – نصر بن مزاحم المنقري ، وقعة صفين ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، ط2 ، (د. م، المؤسسة العربية الحديثة ، 1382هـ) ،ص5.

3 – ابن قتيبة الدينوري ، الإمامة والسياسة ، مصدر سابق ، ج1، ص176.

4– المصدر السابق ، ج2 ، ص42.

5 – محمد الطوي ، تاريخ الطوي ، مصدر سابق ، ج4 ، ص90 .

إن هذين المبدأين يتشكلان نتيجة للفهم العلوي العميق للإسلام ،والذي أشرنا لبعض من سماته سابقا ،فقد روي عن الإمام قوله : " التقية ديني ودين اهل بيتي "[1] ،والتقية – كمبدأ اول– بمعناها العام هي " التحفظ عن ضرر الظالم بموافقته في فعل او قول مخالف للحق "[2] وهي اداة لحفظ النفس والعرض والمال من الهلكة من قبل العدو سواء كان مسلماً وغيره[3] .

ويستمد مبدأ التقية أهميته في حفظ الحياة ،ولاسيما في وقت الاضطهاد ووجود الخطر والتحدي مع ضعف القوة او انعدامها للتصدي له ، من كونه رخصة شرعية[4] فضلا عن كونها رخصة عقلية أيضاً ، فقد روى عن الإمام علي (ع) قوله

موصياً رجلاً من شيعته: "وامرك ان تستعمل التقية في دينك ،فان الله عز وجل يقول {لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء الا ان تتقوا منهم تقاة}[5] وقد أذنت لك في تفضيل اعدائنا ان الجأك الخوف اليه ، وفي إظهار البراءة ان حملك الوجل عليه ، وفي ترك الصلاة المكتوبات ان خشيت على حشاشتك الآفات والعاهات ... ولئن تبرأت منا ساعة بلسانك وأنت موال لنا بجنانك

---

1 – ميرزا حسين النوري ، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل ، تحقيق مؤسسة ال البيت ، ج21 ، (بيروت ، مؤسسة ال البيت ، 1987) ، ص252 ؛ وحول جملة من اقوال الامام (ع) حول التقية ينظر : حسن القبانجي ، مسند الامام علي (ع) ، تحقيق الشيخ طاهر السلامي ، م9 ، ط1 ، (بيروت ، مؤسسة الاعلمي ، 2000) ، ص ص 73– 160 .

2 – ابو القاسم الموسوي الخوئي ، مصباح الفقاهة ، اعداد وتحقيق محمد علي التوحيدي ،ج1 ، (النجف ، المطبعة الحيدرية ، 1954) ،ص453 .

3 – محمد حسن البجنوردي ، القواعد الفقهية،تحقيق مهدي المهريزي،ج5 ،(ايران ، دار الهادي ،1419هـ)،ص75 .

4 – ينظر : سورة النحل /الآية 106 ، سورة المؤمن /الآية 28 ، سورة ال عمران /الآية 28 /اضافة الى احاديث الرسول (صلى الله عليه وآله) وسيرة الانبياء (عليهم السلام) والصحابة حول هذه التفاصيل ينظر : محمد حسن القزويني ، الإمامة الكبرى والخلافة العظمى ، تعليق : مرتضى القزويني ، ج1 ، (النجف ، مطبعة النعمان ،1958) ، ص ص165–196 ؛ مرتضى الانصاري ، التقية ، تحقيق فارس الحسون ، (قم ، مؤسسة قائم ال محمد ، 1412هـ) ، ص24 وما بعدها .

5 – سورة آل عمران / الآية 28 .

لتبقي على نفسك روحها التي بها قوامها ومالها الذي به قيامها وجاهها الذي به تمكنها وتصون بذلك من عرف من اوليائنا واخواننا فان ذلك افضل من ان تتعرض للهلاك وتنقطع به عن عمل الدين... واياك اياك ان تترك التقية التي امرتك بها فانك شاحط بدمك ودماء اخوانك وضررك على اخوانك ونفسك اشد من ضرر الناصب لنا الكافر بنا "[1] وحفاظا على الحياة البشرية اجاز الإمام التجاوز عليه باللسان من بعده حيث تكرر قوله "انكم سوف تعرضون على سبي فسبوني "[2] .

اما المبدأ الثاني فليس بعيدا عن الأول ، بل هو امتداداً له ، فحينما يوجد تقاطع بين نصوص واوامر الشريعة مع الوجود الإنساني ، فالأولوية تكون اضطرارا لحفظ الحياة عند الإمام علي (ع) ، فالصلاة يمكن ان تقطع[3] والحلف بالله كذباً يجوز[4] والطبيب له ان يكشف على جسد المريضة[5] وقد تلغى العقوبة على امرأة زنت لتحفظ حياتها[6] ، بل روى عن الإمام قوله: " لا قطع في طعام "[7] و " لا قطع في عام المجاعة "[8] فمهما كانت ملكية الافراد مهمة لكنها لا تعني شيئاً مقارنة بحق الانسان بالحياة ، ومن جهة اخرى نلاحظ ان الإمام تعامل مع روح النص الشرعي {والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما }[9] وذلك بتعطيل الحد في الحاجة

1 – ينظر : ابو منصور احمد بن علي بن ابي طالب الطبرسي ، الاحتجاج ، اشراف الشيخ ، جعفر السبحاني ، ج1، ط4 ، (طهران ، دار الاسوة ، 1424هـ) ، ص ص556–557 .

2– ابن ابي الحديد ، مصدر سابق ، ج4، ص113 .

3 – ينظر:جمال الدين ابي منصور الحسن بن يوسف الحلي،منتهى المطلب،ج1،(د. م،د. ن،د. ت)،ص312.

4 – ينظر:محمد صادق الروحاني ، فقة الصادق ، ج41 ، ط3 ، (ايران ، المطبعة العلمية ، 1412هـ) ، ص436 .

5 – ينظر:ابو العباس عبد الله الحميري،قرب الاسناد ، (قم ،مؤسسة ال البيت (عليهم السلام) ،1413هـ)، ص136.

6 – عبد الحسين احمد الاميني ، الغدير(في كتاب والسنة والاداب)،ج6،ط4 ،(بيروت، دار الكتاب العربي)،ص120.

7 – النوري ، مصدر سابق ، ج81، ص139.

8 – ابو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي ، المبسوط في فقه الإمامية ، تصحيح محمد تقي الكشفي ، ج8 ، (طهران ، المكتبة الرضوية ، 1387هـ) ، ص34 .

9 – سورة المائدة / الاية 38

الاضطرارية الى الطعام وفي عام المجاعة . وبناء على ذلك يمكن القول ان الإمام لا ينظر الى النصوص بشكل مجرد فحسب بل يرى ما وراء النص في تحقيق الاهداف الاسمى ومنها حق الحياة.

اما حالات القتل الخطأ فان الإمام اسهم في تطوير نظام التعويضات المادية او ما يعرف بـ (الدية)والذي قد يشمل حتى القتل المتعمد فقد روي عن الرسول (صلى الله عليه وآله) قوله " من قتل له قتيل فأهله بين خيرتين ان احبوا فلهم العقل [1] وان احبوا فان لهم القود [2] " [3] . وفيما يتعلق بالاسهامات الفكرية والعملية للامام بشان هذا النظام الاسلامي وصيغ عمله فتبدو مثلا في تحديده للدية في القتل العمد بعدة نصوص منها قوله : " الدية الف دينار – أي الف مثقال ذهب –وعلى اهل البوادي مائة من البقر او الف شاة " [4] ،وهي اقل من ذلك في الخطأ وتدفع الدية خلال سنة في القتل العمد وثلاث سنين في القتل الخطأ وسن علي(ع) كذلك ان في العين والانف واللسان دية وكل منها على تفصيل [5] . بل ان "الذمي والمستامن والمسلم في الدية سواء " [6] على وفق قول الامام ويعد هذا المبدأ منتهى السمو في النظر الى الانسان كانسان دون النظر الى معتقده او مكانته لتحديد ما يمكن ان يحصل عليه من تعويض عادل .

ولقد آثر عن الإمام علي (ع) ان من حق افراد الشعب على الحكومة ان تقدم لهم التعويض المناسب على وفق ما حدده الإمام في الحالات الآتية :

1– الدية .

2- القصاص .

3 – محمد بن علي بن ادريس الشافعي ، المسند ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، د. ت) ، ص343.

4 – باقر شريف القرشي ، النظام السياسي في الاسلام ، ط4 ، (بيروت ، دار التعارف ، 1987) ، ص244 .

5- ينظر : البيهقي ، مصدر سابق ، ج8 ، ص ص87 -94 .

6 – محمد بن امين (ابن عابدين الحصفكي) ، الدر المختار شرح تنوير الابصار ، ج7 ،(بيروت ، دار الفكر للطباعة والنشر ، 1995) ، ص144 .

1 -القتل الخطأ من قبل اجهزة الدولة[1] .

2 – اخطاء القضاء ، "لو اقام الحاكم الحد بالقتل فبان فسوق الشاهدين كانت الدية في بيت المال .. ولو انفذ الى حامل فاجهضت خوفا .. تكون الدية على بيت المال ..وهي قضية عمر مع علي"[2] .

3 -وعن علي (ع) قال :"من مات فيزحام جمعة او عرفة او على جسر لا يعلمون من قتله فديته على بيت المال[3] .

4 -وان " من حفر بئرا او عرض عودا ، فأصاب إنسان فضمن"[4] وهذه المقولة يمكن ان تشمل أعمال الدولة ومسؤوليتها عمّا قد تسببه من ضرر على بعض افراد المجتمع . وكذلك فان الإمام فرض الدية على الطبيب والبيطار اذا اخطأ في تشخيص الداء او وصف الدواء فمات المريض او الحيوان[5] .

ولعل أهم ما أضافه الإمام لمبدأ التعويضات عن الاضرار التي تؤدي بحياة الانسان او تشويهه واعاقته هو مبدأ التعويض المادي عن الاضرار المعنوية كالخوف والهلع الذي قد يصيب الانسان نتيجة عمل ما – ويبدو انه (ع) كان رائد فكرة التعويض في هذا الميدان – فحين ارسله

---

1 – ينظر : الشافعي ، كتاب الام ، مصدر سابق ، ج6، ص93 ؛ محمد مهدي شمس الدين ، عهد الاشتر، ط2 ، (بيروت، المؤسسة الدولية ، 2000) ، ص183 .

2 – ابو طالب محمد بن الحسن بن المطهر الحلي ، ايضاح الفوائد ، ج4، ط1 ، (قم : المطبعة العلمية ، 1387 هـ) ، ص181 ؛ ابو القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن (المحقق الحلي) ، شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام ، تعليق صادق الشيرازي، ج4 ، ط2 ، (طهران، دار الاستقلال ، 1409هـ) ، ص951 ؛وحول قضية الخليفة الثاني عمر (رضي الله عنه) مع الإمام ينظر : الشافعي ، المسند ، مصدر سابق ، ج6، ص93 ؛ البيهقي ، السنن الكبرى ، مصدر سابق ، ج9، ص69 .

3 – ابو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي ، تهذيب الاحكام ، تحقيق حسن الموسوي ، ج9 ، (طهران ، دار الكتب الاسلامية ،1390هـ) ، ص193 .

4 – ينظر: ابو بكر عبد الرزاق الصنعاني،المصنف ، تحقيق حبيب الرحمن الاعظمي ، ج1 ،(د. م ، د.ن ، د.ت) ،

ص72 .

5- الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، مصدر سابق ، ج29، ص ص260-261.

الرسول(صلى الله عليه وآله) لدفع الدية لبعض القتلى من (بني جذيمة) من الذين لم يجز قتلهم ، قال لهم الإمام بعد ان فرغ من إعطاء الأموال لذوي الضحايا " هل بقي لكم بقية من دم او مال لم يود لكم ؟ قالوا : لا، فقال : إني أعطيكم مالا بروعة الخيل ، يريد ان الخيل لما وردت عليهمراعت نسائهم وصبيانهم، وقال هذه لكم بروعة صبيانكم ونسائكم "[1] .

ورفض الإمام عملية الانتحار ،ناظرا اليها كحالة من التخاذل والانهزامية من مسؤولية الحياةوالفرار من مواجهة الواقع لتغييره وذلك ناتج عن فراغ الايمان وضحالة الوعي ، وقد كان (ع)رافضاً للانتحار ، سواء حين يقوم الانسان بقتل نفسه ، فيقول الإمام : "المؤمن يموت بكل موتة غير انه لا يقتل نفسه "[2] ام عند قيام الانسان بالقاء نفسه في التهلكة او تقصيره بالدفاع عن حياته إذ يقول (ع) : "والله ان امرءاً مكن عدوه من نفسه حتى يحز لحمه ويفري جلده ويهشم عظمه ويسفك دمه وهو يقدر ان يمنعه لعظيم وزره وضعيف ما ضمت عليه جوانح صدره "[3] .

ومع هذا المنهج الفكري والعملي إزاء الحياة البشرية فمن الضروري العلم ان الإمام لم تتملكه اطلاقية غير منضبطة بشأن تقديسه للحياة فضلاً عن ان القاتل عنده يقتل او يدفع الدية على وفق الحالة ورأي القضاءواولياء الدم يلاحظ ان هناك حالات اخرى " يطغى فيها الانسان ويفسد في الارض ويغدو وبالاً خطراً على المجتمع الذي يعيش فيه وهنا تتدخل العدالة فتلغي

---

1 - عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ،غريب الحديث ،ج4 (بيروت ،دار الكتب العلمية،1988)،ص372 وحول الاحداث الكاملة لعملية القتل واسبابها ينظر : ابن هشام ، مصدر سابق ، ج4، ص883 وما بعدها ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، مصدر سابق ، ج4،ص358 وما بعدها .

2 - سليم بن قيس الهلالي،كتاب سليم بن قيس،تحقيق محمد باقر الانصاري ، ط2،(قم،دليل،ما،1424هـ)،ص214 .

3- المصدر السابق ، ص214 .

عن حياته حرمتها التي كانت لها وتقرر لهذا الانسان المفسد عقوبة الاعدام"[1] .

اما الجرائم التي حكم الإمام بان عقوبتها الاعدام فهي لجملة افراد هم :

اولا:المرتد : أي من يغير دينه من الاسلام الى معتقد اخر[2] حيث قال الإمام : "كل مرتد مقتول ذكر كان او انثى "[3] .

ثانيا : اللص الهاتك للحرمات ،حيث قال الإمام " من دخل عليه لص فليبرزه بالضربة فما تبعه من اثم فانا شريكه فيه "[4] .

ثالثا : الجاسوس، او العين كما اصطلح عليه ،والحقيقة لم اعثر على نص مباشر للامام بهذا الشأن، لكنرأي الإمام الحسن بن علي والإمام جعفر بن محمد الصادق والإمام علي بن موسى الرضا ،وهم من ذرية الامام علي والذين يستندون في

علومهم الى حد كبير على علم النبي(صلى الله عليه وآله) وعلم الامام (ع) ، يقولون بقتل الجاسوس وان كان مسلما وذلك خلافا لاراء بعض فقهاء المسلمين الذين حكموا عليه بالحبس او التعزير [5] .

ويبدو ان الإمام يذهب الى قتل الجاسوس في الاقل من منطلق عقلي ، فجريمة التجسس اضافة الى هبوطها الاخلاقي بخيانة الامة قد تؤدي الى قتل

1- شمس الدين ،عهد الاشتر ، مصدر سابق ، ص184 .

2 - سنعرض لموضوع (الودة) ونظرة الإمام لها لاحقا .

3- الطوسي ، الخلاف ، مصدر سابق ، ج5، ص351.

4- المجلسي ، مصدر سابق ،ج6، ص195 .

5 - حول اراء الائمة : الحسن والصادق واتباع مذهب اهل البيت في الموقف من التجسس ينظر : نجم الدين الطبسي ، النفي والتغريب في مصادر الشريعة الاسلامية ، ط1 ، (قم ، مجمع الفكر الاسلامي ، 1416 هـ) ، ص ص 337-338 ، ص456 . وحول الاراء الاخرى التي لا تجوز قتل الجاسوس المسلم ينظر : احمد المرتضى ، شرح الازهار،ج4، (د.م ،د.ن ، د.ت) ،ص534 ؛ ابو زكريا محي الدين بن شرف النووي ، المجموع ، ج91 ، (بيروت ، دار الفكر ، د. ت) ،ص342 ؛ منصور بن يونس البهوتي ، كشف القناع ، تحقيق محمد حسن الشافعي ، ج3 ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، د. ت)،ص59.

مئات والاف من ابناء الامة وضياع قواتها ومن ثم تراجع مشروعها الحضاري .. وذلك جميعا مما يتضاد مع الاتجاه النظري والعملي للامام .

4 - الزاني المتزوج او الزانية المتزوجة ،الذين تثبت جريمتهما ،تكون عقوبتهما القتل [1] .

5 - الساحر وتتوج عقوبته - عند الإمام - من الحبس الى القتل [2] .

6 - من قطع الطريق واخاف الناس لسلب الاموال ، تتوج عقوبته من قطع اليد او اليد والرجل الى القتل ، وكل جريمة بتفاصيلها [3] .

ان تعداد هذه الجرائم يمكن ان يجمع تحت عنوان (الاضرار بالمجتمع وافساده) اذ ان هناك حالة اعتداء من مرتكبي هذه الاعمال ضد افراد وقيم المجتمع . لذلك كان الرد العادل هو تجريدهم من مسؤولية الحياة بعد ان خانوا تلك المسؤولية .

ومما يلاحظ ان قائمة العقوبات العلوية تخلو من اي عقوبة بالقتل لاغراض سياسية ، كالانتماء لجهة معارضة ، او نقد وشتم الحاكم او عدم مبايعة او ما شابه ،وهذا يدل على حرية المعارضة في فكر الإمام وفترة حكمه [4] .

وفي الجانب العملي شخص الإمام بعض خصومه السياسيين ولكنه رفض اسلوب التصفية الجسدية للمعارضة ،وان كان هذا الاسلوب من متبنيات تلك المعارضة ، إذ ذهب (ع) ضحيته، فمثلا عندما اتوه برجل وسأل (ع) عن سبب القاء القبض عليه

اجاب السامع "سمعت هذا يعاهد الله ان

1- ينظر : الزيعلي ، مصدر سابق ، ج4، ص110 .

2 - ابن قدامة ، مصدر سابق ، ج1، ص116 ؛وحول اصدار (ع) لاحكام بحبس السحرة ينظر : المحمودي ، مصدر سابق ، ج2، ص372.

3- حول تفصيل ذلك ينظر : البيهقي ، مصدر سابق ، ج8، ص283 .

4 - سنعوض لهذا الموضوع بالتفصيل لاحقا في الفصل الثالث ، المبحث الرابع .

يقتلك...فقال علي : خل عنه ، فقال الرجل :اخلي عنه وقد عاهد الله ان يقتلك ، فقال الإمام: انقتله ولم يقتلني ، قال وانه قد شتمك ، قال الإمام : فاشتمه ان شئت او دعه"[1] .

وفي مسالة القصاص وتحقيق العدالة فان الإمام يؤكد فكرا وممارسة ضرورة توخي الدقة والمراجعة للتأكد قبل اقامة الحد والقصاص[2] والتأكيد كذلك مبدأ شخصية العقوبة مبطلا نظام الثأر ، إذ يقول : "ابغى الناس من قتل غير قاتله"[3] وما وح الإمام مخلصا لما امن به من مبادئ انسانية حتى وهو على فراش الاستشهاد حين اكدرفض الثار بقوله :

" يا بني عبد المطلب لا الفينكم تخوضون دماء المسلمين تقولوا قتل امير المؤمنين "[4] . ومن الواضح ان الإمام اكد معاملة المجرم بانسانية حتى قبل القصاص منه إذ اوصي الإمام بقاتله (ابن ملجم) حين قال : "اطيبوا طعامه واليبوا فراشه فان اعش فعفوا او قصاص وان امت فألحقوه بي اخاصمه عندرب العالمين "[5] ، وقال ايضاً : " لا تمثلوا بالرجل فاني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول اياكم والمثلة ولو بالكلب العقور "[6] .

---

1 - شمس الدين السرخسي ، المبسوط ، مصدر سابق ، ج1، ص124.

2 - حول تأكيد الإمام على الدقة للوصول الى الحقيقة ينظر : محمد تقي التستري ، قضاء الإمام علي ، (د. م،د. ن، د.ت) ، ص ص17 - 23 وغيرها.

3 - ابو الفتح محمد بن علي الكراجي ، كنز الفوائد (د. م. د. ن. د. ت) ، ص138 .

4 - الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، كتاب 47،ص540.

5- محمد بن حبان احمد التميمي ، كتاب الثقات ، ج2 ،(حيدراباد ، دائرة المعارف العثمانية ، 1973) ، ص302.

6 - الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ن تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، كتاب 47،ص541.

واذا ما ثبتت الجريمة فان تنفيذ العقوبة يكون برحم الطرق إذ يقول الإمام (ع) "لا قود الا بالاسل ،والاسل هاهنا كل ما

[1]

رق من الحديد والرهف كالسنان والسيف والسكين " .

وبعد تنفيذ العقوبة بالمجرم كان الإمام في بعض الحالات يصلي ،عليه بنفسه[2] وكان يامر دائما اهل المتوفى بتجهيزه ودفنه بصورة لائقة ومساوية لموتى المسلمين[3] ، فلقد كانت المساواة العادلة الحق الاساس الثاني الذي امن به ودعا اليه وقاتل من اجله علي بن ابي طالب .

---

1 – ابن قتيبة الدينوري ، غريب الحديث ، مصدر سابق ، ص342.

2– ابن قدامة ، مصدر سابق ،ج1، ص131 .

3 – كان الامام ، يحترم الموتى ويأمر بدفنهم وفق الشريعة الاسلامية او بأي طريق لائق اذا لم يكونوا مسلمين وذلك اكراماً للانسان حتى بعد موته ، ينظر في هذه الاحكام عن الامام علي : حسن القبانجي ، مصدر سابق ، م4 ، ص ص139 – 173 .

المبحث الثاني

حق المساواة العادلة

شغلت فكرة المساواة والعدالة حيزاً مهماً من الجهد الفكري والعملي الذي قام به الانسان على امتداد مسيرته في هذه الحياة[1] ، ولم يكن الإمام علي (ع) بعيدا عن هذا المسعى الانساني في سبيل تحقيق وارساء حق المساواة العادلة . وقبل ان نتطرق إلى هذا الحق بالتفصيل لابد لنا من ان نعرج على تبيان معنى (المساواة) و(العدالة) في اللغة العربية ، فالمساواة تعني :"التكافؤ في المقدار لا يزيد ولا ينقص "[2] . اما العدالة ،فان "فلان يعدل فلان يساويه ، ..وعادلت بين الشيئيين وعدلت فلان بفلان اذ سويت بينهما"[3] ، و"ساواه مساواة مثله وعادله قيمة وقدرا "[4] ،و"سويت بينهما عدلت"[5] ،والعدل " ما قام في النفوس انه مستقيم وهو ضد الجور والعدل اسم من اسماء الله الحسنى...والعدل هو الذي لا يميل به الهوى فيجور في الحكم ...والعدل الحكم بالحق "[6] . فعلى صعيد المعنى اللغوي ، يمكننا القول ان – المساواة ، ابتداءً – مرادفة للعدالة والثانية اشمل حيث تدل على الاستقامة وعدم الميل والجور في الحكم.

---

1 – حول هذه الفكرة عند بعض الفلاسفة ينظر : افلاطون ، الجمهورية ، (طهران ، مكتبة الترجمة ونشر الكتب، (د. ت) ،ص236 وما يليها ؛ ارسطو ، السياسة ، (طهران ، دار الثورة الاسلامية ، د.ت) ، ص132 وما بعدها.

2– ابن منظور ، مصدر سابق ، ج4 ، ص410 .

3– المصدر السابق ، ج11 ، ص413 .

4 – الطريحي ، مصدر سابق ، ص462 .

5 – محب الدين ابن الفيض محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس، ج8 ، (بيروت ، مكتبة الحياة ، د. ت) ، ص10.

6– ابن منظور ، مصدر سابق ، ج11، ص430.

اما الامام علي فانه يتعامل مع المساواةوالعدالة من منطلقين : الاول : حق المساواة الانسانية للجميع او ما عبر عنه "فيما الناس فيه اسوة " [1] ،وهي على عدةوجوه ، سنتطرق اليها لاحقا ، الا ان اهمها حق الحياةوالكرامة ،والحرية المنضبطة والتقاضي العادل واحترام الملكيةوغيرها من الحقوق .

– الثاني : العدالة أي وضع الشيء محله . يفسر الإمام العدل وسموه في الحياة عندما سئل ايهما افضل الجود ام العدل ؟ اجاب الإمام : " العدل يضع الامور مواضعها والجود يخرجها الى جهتها ". [2]

ويعلق المفكر (مرتضى المطهري) على هذا الجزء من رؤية الإمام فيقول : "ان معنى العدالة في نظر الإمام ان تلاحظ الحقوق الواقعيةوالطبيعية فيعطى لكل شخص ما يستحقه بحسب استعدادهوعمله ،وحينئذ يجد كل شخص مكانه في المجتمع ، ويصبح المجتمع كمصنع جاهز منظم، اما الجود فهو وان كان معناه ان يهب الجواد ما يملكه بالمشروع –المجتمعي – للاخرين ولكن لا ينبغي الغفلة عن انه عمل غير طبيعي للمجتمع اذ احسن للمجتمع ان لايوجد فيه عضو ناقص يستدعي سائر الاعضاء الى العونوالمساعدة" [3] .

ويستمر الإمام في اجابته : "العدل سائس عامالوجود عرض خاص " [4] ، إذ ان العدالة ، " قانون عام يدير جميع شؤون المجتمع ،فهو سبيل يسلكه الجميع اما الجود فهو حال استثنائي خاص لايمكن ان يصبح قانونا

---

1 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق فهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، كتاب 53 ، ص571.

2– المصدر السابق ، حكمة 427، ص695 .

3 – مرتضى المطهري ، فيرحاب نهج البلاغة ، ط1 ،(بيروت ، الدار الاسلامية ،1992)،ص82.

4 – الشريف الرضي (الجامع) ، فهرسة وتعليق د. صبحي ، مصدر سابق ، حكمة 427، ص695.

عاما فانه ان كان كذلك لم يحسب جودا انذاك " [1] . ثم اوصل الإمام سائله الى النتيجة المنطقية بقوله :"فالعدل اشرفهما وافضلهما " [2] .وعليه يمكننا القول، ان هناك حقوقا تستدعي المساواة بين البشر ،وهناك مرتكزات للتفاضل تؤدي الى تحقيق العدالة اذا ما اخذت بنظر الاعتبار ، لذا تعد (المساواة العادلة) حق اساسي من حقوق الانسان عند الإمام علي (ع) .

ومن الجدير بالذكر ان الإمام انطلق كصوت للعدالة الانسانية من قاعدة الاسلام سواءً في القرآن الكريم [3] وسنة الرسول [4] [5]

(صلى الله عليه وآله) ، ناهيك عن سمات الإمام الحميدة والمعطيات العلمية والفقيهة التي ادت الى اقامته العدل بين الناس والذي يعد الدعامة الرئيسة في اقامة المجتمع الاسلامي والحكم الاسلامي ، اذ لا وجود للاسلام في مجتمع يسوده الظلم ولا يعرف العدل [6] .

ويرى مرتضى المطهري ان مسائل الحكومة والعدالة هي من اكثر ما اهتم به الإمام فيما ورد عنه في نهج البلاغة ، "إذ انه لا لاهما اهمية كبرى

---

1 – المطهري ، في رحاب نهج البلاغة ، مصدر سابق ، ص82 .

2 – الشريف الرضي (الجامع) ، فهرسة وتعليق د. صبحي ، مصدر سابق ، حكمة 427، ص695 .

3 – سورة النساء/ الاية 57 ، الآية 127 ، سورة النحل / الاية 89 ، سورة الحجرات/ الاية 9 ، سورة المائدة / الاية 8 ، سورة الاعراف / الاية 29 ، سورة الحديد / الاية 25 ، سورة ال عمران / الاية21.

4 – ينظر : صادق الموسوي ، نهج الانتصار (بهدى القرآن وسنة محمد واله الاطهار) ، (د.م،د.ن،د.ت) ،ص ص331–332 ؛ ابو عبد الله البخاري ، مصدر سابق ، ج1، ص160 ؛مسلم النيسابوري ، مصدر سابق ، ج3، ص93 ؛ ابن حنبل ، مسند الامام احمد ، مصدر سابق ، ج1، ص6 .

5 – اذ يقول الرسول (صلى الله عليه وآله) : "ان يدي ويد علي بن ابي طالب في العدل سواء ". ينظر : ابن عساكر ، مصدر سابق ، ج24،ص368 . ابو بكر احمد بن علي الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد، تحقيق مصطفى عبد القادر ، ج5، (بيروت ، مؤسسة الاعلمي ، 1974)،ص76 .

6 – د. علي محمد محمد الصلابي ، اسمى المطالب في سيرة امير المؤمنين علي بن ابي طالب (رضي الله عنه) (شخصيته وعصره) ، (القاهرة ، دار التوزيع والنشر الاسلامية ، 2004) ، ص268.

لا توصف " [1] . ومع افتراض صحة هذا الرأي ، الا ان الاهم من ذلك ، على ما يبدو ، ان فكر الإمام وسياسته قامت على تحويل هذا المبدأ الى واقع ملموس في حياة الانسان ،ذلك ان المساواة العادلة عند الإمام " ليست شعارا يرفع ولا كلمة تقال بل هي جهد يبذل وعمل يعمل ومفهوم يطبق في المجتمع تطبيقا جادا بلا مفاوتة بين انسان وانسان وبلا ترخص لانسان دون انسان" [2] .

ولقد حقق الإمام في مجال سياسته العادلة نجاحا بارزا فقد شعر الجميع بتلك السياسة ، حتى قالت احدى النساء اللواتي عشن في كنف حكمه :"اني احببت عليا(ع)على عدله في الرعية وقسمه بالسوية " [3] ،بل ان سمة العدل شهد له بها حتى اعداؤه [4] ، حتى قال الإمام الحسن(ع) "رحم الله عليا ما استطاع عفوه ولا وليه ان ينقم عليه في حكم حكمه ولا قسم قسمه" [5] .

ومن جهة اخرى ،وارتباطا وثيقا بعدالة الإمام فكرا وسلوكا كان الإمام حازما وحذرا في مسالة الظلم ورفضه وتجنبه على [6]

المستويين :الشخصي والعام ، اذ يقول : "والله لان ابيت على حسك السعدان مسهدا ،وأجَر في الاغلال مصفدا ، احب الي من ان القى الله ورسوله يوم القيامة ظالما

---

1 – المطهري ، فيرحاب نهج البلاغة ، مصدر سابق ، ص75 .

2 – د. نوري جعفر ، فلسفة الحكم عند الإمام ، ط2 ،(القاهرة ، دار المعلم ،1978)،ص8.

3 – ابو الفضل بن ابي طاهر (ابن طيفور) ،بلاغات النساء ، (قم ، مكتبة بصيرتي ، د.ت)،ص72.

4 – مثل عمرو بن العاص وغيره ينظر : ابن قتيبة الدينوري ، الإمامة والسياسة ، مصدر سابق ، ج1، ص143.

5 – البلاذري، انساب الاشراف ، ص153.

6– الشوك .

لبعض العباد وغاصبا لشيء من الحطام"[1] . ويقول (ع) : "والله لو اعطيت الاقاليم السبعة بما تحت افلاكها ، على ان اعصي الله في نملة اسلبها جلب شعيرة ما فعلته"[2] .

ويتضح تأكيد الإمام على الاهمية الكبرى للعدالة كونها حقاً للانسان كفرد أو في اطار المجتمع ولاسيما إزاء السلطة الحاكمة وان من حق الناس على الحكومة انصافهم والعدل بينهم[3] . ويقول (ع) في بيان له الى اقاليم الدولة وقادة المجتمع : " اما بعد ، فأن حق على الوالي الا يغيره على رعيته فضلاً ناله ... الا وان لكم عندي الا احتجز دونكم سراً الا في حرب ... وان تكونوا عندي في الحق سواء"[4] ،وانسجاماً مع تقديس الإمام للعدالة فأنه جعل منها السمة الرئيسة في البعد الالهي للمسيرة البشرية[5] .

اما على الصعيد الانساني فان الإمام ينظر الى العدل على انه "افضل مروءة"[6] وهو على راس القيم الاسلامية ، حيث ان "افضل الاعمال كلمة

---

1 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ،مصدر سابق ، خطبة 223،ص437 وهناك كلمات عديدة للامام حول رفضه للظلم والظالمين واثار الظلم السلبية حول ذلك ينظر : السيد محمد الحسيني الشيرازي ، اثار الظلم في الدنيا والاخرة ، (بيروت ، مؤسسة المجتبى ،2001) ، ص6 وما بعدها.

2 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، فهرسة وتعليق د. صبحي ، مصدر سابق ، خطبة 223 ، ص439 .

3 – المنتري ، مصدر سابق ، ص126.

4 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة ، د. صبحي ، مصدر سابق ، كتاب 50 ، ص542–543.

5 – حول هذه الفكرة مفصلة ينظر :مرتضى المطهري ، العدل الالهي ،ترجمة محمد عبد المنعم الخاقاني ، (ايران، دار

الفقه للطباعة والنشر ، 1424 هـ) ، ص 55 وما بعدها ، الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة ، د. صبحي ، مصدر سابق ، الخطب 177 ، 205 ، 214 ، كتاب 27 وغيرها .

6 – السيد محمد حسين الطباطبائي ، الميزان في تفسير القرآن ، ج21 ، (قم ،مؤسسة النشر الاسلامية ، د. ت) ، ص350.

عدل عند امام جائر "[1] ، بل ان العدالة هي مصدر للقيم الاسلامية[2] ، لذلك اضحت العدالة من دعائم الايمان الاربعة على وفق رؤية الامام(ع) اذ يقول : "الايمان على أربع دعائم على الصبر واليقين والعدل والجهاد "[3] .

هناك كثير مما يمكن ان يقال عن ايمان الإمام بالمساواة العادلة وعدها قاعدة للتعامل بين مختلف فئات الناس[4] ،ومن هذا المنطلق فان مضمون المساواة العادلة عند علي بن ابي طالب له عدة ابعاد ، لعل من اهمها : الانساني ،الاجتماعي ، الاقتصادي ، القانوني ،والسياسي .

اولاً : البعد الانساني :

ينطلق الإمام في سعية نحو المساواة العادلة من النفس البشرية فالعدالة الانسانية الفردية هي الاساس والبنية التحتية للعدالة في المجتمع ، فيخاطب الإمام الانسان ابتداءً : "ما لابن ادم والفخر ، اوله نطفة واخره جيفة"[5] ، فالامام يصوغ فلسفة المساواة وتأصليها في ثقافة الانسان ووعيه حين يذكره ببدء خلقه ونهايته حتى تكون هذه الحتمية المصيرية هي اولى تجليات المساواة البشرية "فكلكم لادم وادم من تراب "[6] .

---

1 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة ، د. صبحي ، مصدر سابق ،حكمة 364،ص684 .

2 – ينظر : وصف الإمام للمؤمنين بانهم "يامرون بالقسط ويأتمرون به" المصدر السابق ، خطبة221 ، ص432.

3– المصدر السابق ، حكمة 27، ص606 .

4 – حول مضمون ذلك في مجموعة من مقولات الإمام ينظر: صادق الموسوي،مصدر سابق ، ص ص332–338.

5 – ينظر : عزيز الله عطاردي ، مسند الإمام الرضا ، (ايران ، المؤتمر العالمي للامام الرضا ، 1406 هـ) ، ص84 .

6 –وهو حديث للرسول (صلى الله عليه وآله) كان الإمام دائم التوديد له والتذكير به.ينظر:المجلسي،مصدر سابق ، ج47، ص53 .

ويرفض الإمام (ع) الكبر مهما كانت مسوغاته سواء كان مصدره الافراد ام الجماعات ويحذر منه ويجعله من دواعي محق الاعمال الحسنة والمنجزات الصالحة ، اذ يقول : "الحمد لله الذي لبس العز الكبرياء واختارهما لنفسه دون خلقه ، وجعلهما حمى وحرما على غيره .. فاعتبروا بما فعل الله بابليس ، اذ احبط عمله الطويل وجهده الجهيد ، وكان قد عبد الله ستة الاف سنة لا يدري امن سني الدنيا ام من سني الاخرة ، عن كبر ساعة واحدة "[1] .

وينظر الإمام للاستكبار على انه عامل مسخ للهوية الانسانية فكان ندؤه للمجتمعات البشرية "اطفؤا ما كمن من قلوبكم من نوان العصبية واحقاد الجاهلية ...واعتمدوا وضع التذلل على رؤوسكم والقاء التعزز تحت اقدامكم وخلع التكبر من اعناقكم ... فالله الله في كبر الحمية وفخر الجاهلية فانها ملاقح الشنأن [2] ومنافخ الشيطان " [3] ويعد (ع) الاستكبار على الاخرين لرضية وباعث للجريمة والزلل ، حيث يصف سلبيات المجتمع الجاهلي- قبل البعثة النبوية -وهي سمات مرفوضة قد توجد لاحقاً في أي مجتمع ، قائلاً : " بعثه والناس ضلال في حيرة وحاطبون في فتنة قد استهوتهم الاهواء واستزلتهم الكبرياء واستخفتهم الجاهلية الجهلاء [4] ". ويصنف (ع) دواعي تقحم الذنوب انها "الحرص والكبر والحسد " [5] .

---

1 - الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، خطبة 192 ،ص ص 356-357.

2- البغض .

3- المصدر السابق ، خطبة 192 ، ص ص360-361 .

4- المصدر السابق ، خطبة 94 ،ص169.

5- المصدر السابق ، حكمة 360 ، ص681 .

وبما ان الظلم الذي يقع على الإنسان قد يكون نتيجة لغرور انسان اخر ، فان الإمام يشخص الغرور كحالة مرضية تؤدي الى الظلم وبالتالي فان الغرور عقبة في وجه تحقيق المساواة والعدالة في النفس والمجتمع الإنساني ، وخصوصا اذا ما اقترن مع مسؤولية قيادية في الامة ، لذلك يحذر (ع) بعض ولاته قائلا : "اياك والاعجاب بنفسك والثقة ، بما يعجبك منها وحب الاطراء فان ذلك من اوثق فرص الشيطان " [1] .

ويهاجم الإمام(ع)الكبر بالعديد من المقولات [2] ويسبر غور النفس الانسانية فيقول : " ما من رجل تكبر او تجبر الا لذلة وجدها في نفسه" [3] "وان كل متكبر حقير" [4] في نظر الإمام علي الذي حارب الكبر بسلوكه في التواضع والزهد طوال مسيرة حياته سواء كان حاكما ام محكوما [5] .

ان رفض الإمام للسلوك المتعالي مهما كان مصدره [6] رافقه الدعوة الى عدم قبوله من الجميع والغائه كمفردة من قاموس التعامل الانساني ، بل انه (ع) يلقي تبعات الظلم الذي قد يكون مصدره الكبر والتعالي على ثلاثة: "العامل بالظلم والمعين له والراضي به" [7] .

1- المصدر السابق ، كتاب 53 ، ص570 .

2- مدير ، مصدر سابق ، ج1، ص376 ؛ حيث يذكر عدة اقوال للامام يذم الكبر والمتكبرين.

3- ينظر : محمد مهدي الصدر ، اخلاق اهل البيت ، ط2 ،(ايران ، دار الكتاب الاسلامي، 2002)،ص40.

4- مدير ، مصدر سابق ، ج2، ص130.

5- الطائي ، مصدر سابق ، م3 ، ج7 ، ص ص197-207.

6 - للتوسع في (مصدرية الكبر) عند الامام ينظر : علي الخامنئي ، العودة الى نهج البلاغة ، ترجمة عباس نور الدين ، (بيروت ، مركز بقية الله الاعظم ،2000)، ص67وما بعدها .

7- محمد مهدي الصدر ، اخلاق اهل البيت ، مصدر سابق ، ص82 .

ولأهمية موضوع الغرور والكبر الذي قد يصيب الانسان فان الإمام يقول عنه : "شر الناس من يرى انه خيرهم "[1] ووفقاً لرؤيته (ع) هناك عدة اسباب للغرور منها غرور الشباب[2] ، غرور الجهل والجاهلية[3] ، غرور الرئاسة والقوة[4] ، غرور الشهوة[5] ، غرور الجناية[6] ، غرور الوفاء والامن[7] ،والغرور بالدنيا[8] .

ويقدم الإمام فلسفة التواضع كبلسم لمرض الغرور الذي يفتك بالنفس والمجتمع ، فهو يؤكد التواضع كعنصر اساس في الثقافة والوعي الاسلاميين، ومحط امتداح وثناء منه (ع)[9] ، بل ان فلسفة بعض العبادات ،عند الإمام هي لقتل حالة الكبر والغرور ، فيقول : "فرض الله الايمان تطهيرا من الشرك والصلاة تنزيها عن الكبر "[10] ،و" فرض عليكم حج بيته الحرام ، الذي جعله قبلة للانام ... جعله سبحانه علامة لتواضعهم لعظمته "[11] .

وعد الإمام التواضع هو السلوك الامثل في الحياة كونه مستمداً من سيرة الانبياء عليهم السلام فيقول : " فلو رخص الله في الكبر لاحد من عباده لرخص فيه لخاصة انبيائه واوليائه ،ولكنه سبحانه كره اليهم التكابر

1- الواسطي ، مصدر سابق ، ص293 .

2 - ينظر:الشريف الرضي (الجامع)،نهج البلاغة،تعليق وفهرسة ، د. صبحي ، مصدر سابق ، خطبة 82،ص123.

3- ينظر:المصدر السابق ، خطبة 86 ، ص137.

4- ينظر: المصدر السابق ، 132 ، ص233.

5- ينظر: المصدر السابق ، خطبة 112 ، ص204 .

6- ينظر: المصدر السابق ، خطبة 48 ، ص541 .

7- ينظر: المصدر السابق ، خطبة ، 88 ، ص140 .

8- ينظر: المصدر السابق ، خطبة ، 110، 199 .

9- مدير ، مصدر سابق ، ج1، ص379 .

10 - الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة ، د. صبحي ، مصدر سابق ،حكمة 371، ص611.

11- المصدر السابق ، خطبة 1، ص32 .

ورضى لهم التواضع، فالصقوا بالارض خدودهم وعفروا في التراب وجوههم وخفضوا اجنحتهم للمؤمنين"[1] .

ويعد الإمام النفس المتواضعة الراضية بالعدالة والساعية لتحقيقها هي النفس المسلمة حقاً فيقول : "ارض للناس بما ترضاه لنفسك تكن مسلما "[2] ،ويوصي ابنه الحسن ، ومن خلاله الانسانية قائلا : "يابني ، اجعل نفسك ميزانا فيما بينك وبين غيرك ، فاحبب لغيرك ما تحب لنفسك واكره له ما تكره لها ولا تظلم كما لا تحب ان تظلم "[3] ،وطالب الجميع ،بغض النظر عن وضعهم الاجتماعي والاقتصادي ومدى تاثيرهم في مجال حركتهم من الاسوة الى الامة بقوله : "عليكم بكلمة حق في الرضا والغضب والعدل مع الصديق والعدو "[4] .

ثانياً : البعد الاجتماعي

وبعد ان يهذب الإمام النفس البشرية ، ينطلق نحو رحاب المساواة في عنوانها الاشمل (المساواة في اطار المجتمعات الانسانية) ، اذ يقول في بيت شعر نسب اليه :

الناس من جهة التماثل اكفاء ابوهم ادم واما الام حواء

فان يكن في اصلهم شوف يفاخرون به فالطين والماء"[5]

1- المصدر السابق ، خطبة 190،ص362 .

2- مدير ، مصدر سابق ، ج1، ص109 .

3 - الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، كتاب 30 ،ص504.

4 - ابو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني ، تحف العقول عن آل الرسول (صلى الله عليه وآله) ، تصحيح وتعليق علي اكبر الغفاري ، ط2 ، (قم ، مؤسسة النشر ، 1404هـ) ، ص88 .

5- علي بن ابي طالب ، ديوان الإمام علي ، مصدر سابق ، ص24 .

وقد جعل الإمام دستور سياسته في المساواة كلمة قصيرة الصياغة بعيدة الدلالة تهدف للاصلاح واعادة بناء الانسان فيقول(ع):"الناس اما اخ لك في الدين او نظير لك في الخلق"[1] ، فشعار الإمام كان المساواة " بين جميع الناس وان تباينوا في الاديان واختلفوا في العناصر والالوان مساواة ميسرة قاصدة بغير تقصير سمحة بغير مغالاة ،نسبية بغير اطلاق تتعايش في الممكن المتاح"[2] .

ويعلق أستاذ معاصر على الشعار العلوي " اما اخ لك في الدين او نظير في الخلق " بانه اقصى غايات الإنسانية بشموليتها الواسعة اذ "ليس بوسع اكثر النظريات التنظيمية عمقا وتحسبا ان تعطي للبعد الإنساني عمقا في التعامل اكثر شمولية مما أورده الإمام علي(ع)في صورة الاخوة على أساس الدين او في الخلق والتكوين الجسدي حيث ان لم تجتمع وسواك بوحدة العقيدة الإسلامية فانك تجتمع معه بوحدة الخلق ...وهذه صفة شاملة تضم النوع الإنساني بأجمعه "[3] .

ان هذه النظرة الشمولية للإنسانية قادت الإمام لاتخاذ مواقف فكرية وعملية للمساواة العادلة سواء بين الرجل والمرأة كونهما شريكين في المسيرة البشرية[4] ،والإقرار بحقوق الأديان والثقافات الأخرى في ظل الحكم الإسلامي[5] .

---

1 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة ، د. صبحي ، مصدر سابق ، كتاب 53،ص547.

2 – د. نوري جعفر ، فلسفة الحكم عند الامام ، مصدر سابق ، ص ص7–8 .

3 – أ. د . خضير كاظم حمود ، السياسة الادارية في فكر الإمام علي بن ابي طالب (بين الاصالة والمعاصرة)، (بيروت ، مؤسسة الباقر ، د. ت) ، ص18.

4 – سنعرض هذا الموضوع لاحقا ، في الفصل الرابع ، المبحث الاول.

5 – سندرس هذا الموضوع لاحقا ، في المبحث الثالث من هذا الفصل .

وبرزت في رؤية الإمام المساواة في التمكن من اسباب العيش والعمل والوفاء للانسان بغض النظر عن أي انتماء او وصف اخر حيث كانت فكرته ان "الناس في المعاش اسوة"[1] ويحذر الإمام احد قادته بقوله : "اياك والاستئثار بما الناس فيه اسوة "[2] ، وكان دائما يردد قائلاً " ان الناس عندنا في الحق اسوة "[3] ويفهم من الحق هنا وجوده الواقعي في النظام القضائي والاجتماعي والمالي ،وهكذا فأن دعوة الإمام الى المساواة العادلة لم تكن المساواة مجمدة انما هي بمثابة المنطلق الذي يتم الارتقاء من عنده على وفق معايير المفاضلة ،التي سنتطرق اليها لاحقا ، في سلم الحقوق والواجبات .

ومن اول ما رفضه منهج الإمام التقسيم على اساس العرق او العنصر القومي مع انه شخصيا من اكرم الاصول ، وفي ذلك ورد عنه قوله : "من ابطأ به عمله لم يسرع به نسبه ...والذليل عندي عزيز حتى اخذ الحق له والقوي عندي ضعيف حتى اخذ الحق منه "[4] . ويوجه كلامه للباحثين عن الجنس النقي وسلالات العوائل والاقوام : " اطهر الناس اعراقا احسنهم اخلاقا"[5] و"افضل الناس انفعهم للناس "[6] .

---

1 – جرداق ، مصدر سابق ، م1، ص192.

2 – الشريف الرضي (اجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، كتاب 53 ، ص571.

3– المصدر السابق ، كتاب 70 ، ص594 ؛ ومواقع اخرى .

4 – ينظر : عبد الرحمن الشرقاوي ، علي امام المتقين ،ج2 ، (مصر ، دار المعارف ، د.ت)،ص369 . ينظر كذلك: يحيى بن اواهيم الجحاف ، ارشاد المؤمنين إلى معرفة نهج البلاغة المبين (ويتضمن نقاشات كلامية مع ابن الحديد في شرحه لنهج البلاغة) .تحقيق السيد محمد حسين الجلالي،ج1،ط1،(قم، دليل ما،1422هـ)، ص506.

5– مدير ، مصدر سابق، ج1، ص133 .

6– المصدر السابق ، ج1، ص162 .

ان فكرة المساواة الانسانية عند الإمام لم تكن تعني رفض الخصوصية العرقية او القومية في جانبها الايجابي ، بل كان (ع) يجعلها عامل توحد وليس عنصر تفرقة ، اذ يقول :"السباق خمسة ، فانا سابق العرب ، وسلمان سابق الفرس ، وصهيب سابق الروم ، وبلال سابق الحبش ، وخباب سابق النبط "[1] ، وفي هذا الكلام نلاحظ الثناء على شخصيات من قوميات مختلفة للتدليل على عالمية الرسالة الاسلامية ، من جهة وعالمية المشاركة في ارساء دعائمها من جهة اخرى . ولذلك فان منطلق الفضل لم يكن الانتماء العرقي او القومي وانما مدح الفعل ذاته وهو السبق للايمان بالله ورسوله (صلى الله عليه وآله) وهذا ما يتفق مع نظرة الإمام للمساواة العادلة .

لقد واجه الإمام علي تحدي الانقسام بين العرب والموالي ، وهم من غير العرب او من العرب الذين تخلت عنهم قبائلهم سواء من المسلمين وغير المسلمين الذين قبلوا بالحكم الاسلامي لكنهم رأوا ان حياتهم تحولت الى وضع سيء لا يطاق – وخصوصا ابان العهد الاموي ولم تختلف عما كانت عليه قبل الاسلام بينما كان المسلمون قد بشروهم بحياة سعيدة سمتها العدل والمساواة[2] . وكانت حالة التوقع العرقي قد بلغت حدا شكا فيها الموالي وضعهم السيء الى الإمام مستشهدين بحالة المساواة التي سادت في عهد النبوة ، فغضب الإمام لمثل تلك الحال في دولته فوجه لومه ولاً لأولئك المتعالين على المسلمين من غير العرب ،وعاد ليخاطب الموالي بقوله : " يا معشر الموالي ، ان هؤلاء قد صيروكم بمنزلة اليهود والنصارى

---

1 – ابو القاسم الموسوي الخوئي ، معجم رجال الحديث ،ج8، ط5، (د. م، د. ن ، 1992)، ص112.

2 – محمد تقي المدرسي ، التاريخ الاسلامي (دروس وعبر) ، (د.م ، د. ن ، د. ت)،ص44.

يتزوجون اليكم ولا يزوجونكم ولا يعطونكم مثل ما يأخذون ، فاتجروا بارك الله فيكم"[1] .

ان هذه الحادثة تكشف امامنا عددا من الملامح التي وجدت – الى حد ما – في ذلك الزمن المبكر في التاريخ الاسلامي منها :

1 – تفاقم المشكلة بين القوميات ،نتيجة تراكمات جاهلية ظلت عالقة في اذهان كثير من الناس على الرغم من اعتناقهم للعقيدة الاسلامية الرافضة للتمييز العنصري ، وتكريس هذه الحالة ببعض السياسات الخاطئة بعد عهد الرسول(صلى الله عليه

وآله) والفهم المجزوء للاسلام عند بعض المسلمين والنظرة الاستعلائية التي رافقت سلوكهم الواقعي .

2 – ايمان الموالي ورفض الإمام لمثل هذا الفكر والسلوك التمييزي ، لذلك لجأوا اليه مشتكين وغضبه الصارخ حينما لم ير استجابة لطروحاته عند المتكبرين وان كانوا مسلمين .

3 – البحث عن الحل العملي وتقديمه وهو من مزات تجربة الإمام بدمج الفكر النظري مع الحل الواقعي ويتضح ذلك بنصحه للموالي بان يتحولوا للعمل التجاري كونه من المهن المربحة والمحترمة اجتماعيا ولمعرفة الإمام ان التفرقة العنصرية كانت في جزء منها تغطية للمصالح السياسية والاقتصادية.

وهذه المعالجة العملية عززها الإمام في عدة خطب ومقولات صدرت عنه لتجاوز هذا الواقع ،من ذلك قوله : " فافضل الناس ،ايها الناس ،عند الله متقلة واعظمهم عند الله خطرا ، اطوعهم لامر الله واعملهم لطاعة الله واتبعهم لسنة رسول الله واحياهم لكتاب الله ...– ثم صاح

---

1 – السيد هاشم البحراني ، حلية الابرار في احوال محمد واله الاطهار ، تحقيق الشيخ غلام رضا، ج2 ، (ايران ، مؤسسة المعارف الاسلامية ، 1411هـ) ، ص287.

بأعلى صوته – يا معاشر المهاجرين والانصار ،يا معاشر المسلمين اتمنون على الله وعلى رسوله باسلامكم وله ولرسوله المن ان كنتم صادقين – ثم قال – الا انه من استقبل قبلتنا واكل ذبيحتنا ، وشهد ان لا اله الا الله وان محمداً عبده ورسوله اجرينا عليه احكام القرآن واقسام الاسلام ليس لاحد فضل على احد الا بتقوى الله وطاعته "[1] . وان " من كان في قلبه مثقال خردلة من عصبية جعله الله تعالى يوم القيامة مع اعراب الجاهلية "[2]

ولعل مما تجدر الاشارة اليه ان مسالة المساواة العلوية أثبتت خطأ "من نسبوا اسباب التشيع في خراسان الى مازعموه من تشابه تتابع الخلافة النبوية والدينية في بيت الرسول وتوارث الملك عند الفرس في الدولة الكسروية ... او اصهار الحسين الى الفرس في أُم زين العابدين كان سببا لتشيعهم ، متناسين هؤلاء ، ان ابني عمر وابو بكر اصهروا اليهم في اختين لها "[3] . اما ما طرح انفا من سبب للتشيع فيتجاهل " تفرقة الولاة والحكام بين العجم وبين العرب كان سبباً لتصبح المساواة صيحة للتجمع منهم على امير المؤمنين"[4] ،كما ان " تبنيه لنهج الشورى والعدل والمساواة والحوار قد جذب الى نهجه الموالي والجنسيات الاخرى غير العربية وعلى رأسهم الفرس الذين وجدوا في طرحه ما ينشدون من العدل والمساواة والحرية وهو ما كانوا يفتقدونه ...وهو ما يفسر سر ارتباط الفرس بالإمام علي وال البيت من بعده اذ وجدوا في خطبهم الخلاص من الظلم والتفرقة العنصرية التي

1– المجلسي ، مصدر سابق ، ج57،ص94 .

2 – النوري ، مصدر سابق ، ج12 ، ص26 .

3 – عبد الحليم الجندي،الإمام جعفر الصادق(ع) ،(القاهرة،المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية،1977)، ص316 .

4– المصدر السابق ، ص316 .

كانوا يعيشونها "[1] وهذا الرأي ، يبدو اقرب للصواب في تفسير هذه الظاهرة إذ ان العدل والمساواة انما هو مطلب انساني قائم بذاته ومهم في جوهره عظيم في اثره على الفرد والمجتمع .

ويذهب الباحث الاسلامي محمد مهدي شمس الدين الى ان واقع المساواة في زمن الإمام علي هو الذي جعل الموالي يتحركون نحو المشاركة والتعاطف مع ثورة الحسين 60هـ[2] ،وذلك بدافع من " الرغبة في تغيير واقعهم السيء ،واقع عاشوه في ايام الإمام علي "[3] . وبقيت سيرة الإمام في الانفتاح الانساني نحو مختلف القوميات ديدن اتباعه وتلامذته إذ ساهموا في " اطفاء نار الروح العنصرية والطائفية والاقليمية بين المسلمين ولاسيما في اوساط الشعب العربي ،فقد كان لها جذور في العهدا لجاهلي وتحركت بسبب الفتح الاسلامي الواسع واختلاط المسلمين بالموالي برزت هذه الروح في العصر الاموي وكانت سببا للصراع بين المسلمين وتقسيمهم الى العرب والموالي ثم امتدت الى العصر العباسي والعثماني ومن هنا نجد هذا الاتهام الذي واجهه شيعة اهل البيت (ع)، ومازالوا يواجهونه حتى الان في رميهم بانهم من الاعاجم لانهم كانوا يتعايشون مع الجميع بروح الاخوة الكاملة كما كانوا يجدون التعاطف مع اواسط الموالي والاعاجم بسبب هذه الروح المنفتحة"[4] .

---

1 – صالح الورداني ، السيف والسياسة (الصراع بين الاسلام النبوي والاسلام الاموي) ، (القاهرة ، دار الحسام ، 1996) ، ص187 .

2 – حول ثورة الحسين وتفاصيلها ينظر : محمد الطبري ، تاريخ الطبري ، مصدر سابق ، ج5، ص370 وما بعدها؛ محمد صادق الصدر ، اضواء على ثورة الحسين ، (النجف ، د.ن،1997) ؛ حبيب جميل اواهيم ، سيرة الإمام الشهيد الحسين ، (بغداد ، مطبعة الحافظ ، 1990) .

3– محمد مهدي شمس الدين ، انصار الحسين ، ط2 ، (د. م ، الدار الاسلامية ، 1981)، ص193.

4– محمد باقر الحكيم،دور اهل البيت في بناء الجماعة الصالحة ،ج1 ،(د. م ، دار العترة ، 1424هـ) ، ص45 .

ويدحض الإمام دعامة مهمة لفخر المفاخرين من العرب كون الرسول (صلى الله عليه وآله) ، عربي ، وحتى يبطل حجة من يستعلي بقربه من الرسول على العرب انفسهم ، يقول : "ان ولي محمد من اطاع الله وان بعدت لحمته وان عدو محمد من عصى الله وان قربت قرابته "[1] بل ان "اولى الناس بالانبياء اعلمهم بما جاءوا به "[2] على وفق رؤيته (ع) ، وعندما اعترضت امرأة من العرب على مساواتها في العطاء مع اخرى من العجم اجابها الإمام ، بعد ان اخذ بين يديه كفين من التراب ، : "والله لا اجد لبني اسماعيل في هذا الفيء فضلا على بني اسحاق "[3] وعلى وفق هذا الموقف في رفض التمايز العرقي يحدد الإمام اطلاقاً اخر للمساواة العادلة في جانبها الاقتصادي .

ثالثاً : البعد الاقتصادي

ان ما يكنه الإمام من احترام للعمل[4] كونه حق الانسان وواجباً عليه ، غير بعيد عن رفض الإمام للمساواة بين الخامل والعامل الكفؤ وبين الذكاء والابداع ونقيضهما ، بل انه يقرر عدم شرعية أي مكسب مالي على حساب القوى العاملة في الامة ، ناتج عن حسب أو جاه أو منصب وما الى ذلك من اعتبارات لا تفيد الا اصحابها على حساب المجتمع ، بل ان ثروة الامة في نظر الإمام علي تكون لابنائها العاملين فقط ، وبعد اخذ الحق العام[5] ،"فجناة ايديهم لا تكون لغير افواههم "[6] .

---

1 – محمد الريشهري ، ميزان الحكمة ، ج3 ، ط1 ، (قم ، دار الحديث ، 1416هـ) ، ج2، ص1751.

2– مدير ، مصدر سابق ، ج1، ص ص305–306 .

3– الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، مصدر سابق ، ج11، ص81 .

4 – سنعرض لموضوع حق العمل لاحقا ، في الفصل الرابع ، المبحث الرابع .

5 – يتمثل الحق المالي العام في الزكاة والخمس وغيره من حقوق الفقراء سنعرض لها لاحقاً في الفصل الرابع المبحث الخامس .

6 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج لبلاغة، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، خطبة 231، ص498 .

وقبل ان نلج اكثر في فهم البعد الاقتصادي للمساواة العادلة في فكر الإمام ،لابد من الاشارة الى حقيقة " ان السنوات الخمس والعشرين التي سبقت البيعة لامير المؤمنين علي بن ابي طالب قد شهدت نمواً سرطانيا لأسوأ اقتصاد اقطاعي – رأسمالي في اقاليم الوطن الاسلامي الحديث النشأة ، وظهور الطبقية بأسوأ صورها في الحياة"[1] ، لذلك كان من اولى قرارات الإمام، بعد توليه الخلافة، هو رد الاموال العامة للشعب ومن دون استثناء ، ومنعه للاثراء غير المشروع اذ يقول "ان في العدل سعة ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه اضيق "[2] ،واتخذ الاجراءات التي اكد من خلالها مساواة المسلمين في ثروات البلاد وتغييره ما كان قائما من سياسة التفاضل المالي[3] ، إذ يقول :" الا لا يقولن رجال منكم غداً قد غمرتهم الدنيا فاتخذوا

العقار وفجروا الانهار وركبوا الخيول الفارهة ،واتخذوا الوصائف الرقاق [4] ، اذا ما منعتهم ما كانوا يخوضون فيه واصوتهم الى حقوقهم التي يعلمون، فينقمون ذلك ويقولون حرمنا ابن ابي طالب حقوقنا ، الا وايما رجل من المهاجرين والانصار من اصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) يرى ان الفضل له على من سواه لصحبته فان الفضل النير غدا عند الله وثوابه واجره على الله وايما رجل استجاب لله وللرسول فصدق ملتنا ودخل ديننا واستقبل قبلتنا فقد استوجب حقوق الاسلام وحدوده فانتم عباد الله ،والمال مال الله يقسم بينكم بالسوية ،لا فضل فيه لاحد على احد ، وللمتقين عند الله غدا

---

1 – محمد ، مصدر سابق ، ص46 وحول مقدار الثروات الطائلة والفوضى المالية التي سادت في الفترة التي سبقت عهد الامام علي ينظر : الهمداني ، مصدر سابق ، ص ص 674–675 .

2 – الريشهري ، موسوعة علي بن ابي طالب ، مصدر سابق ،م4، ق5، ص120 .

3 – حول هذه السياسة التي وجدت في عهد الخليفة عمر بن الخطاب واسسها واثارها ونقدها ينظر: احمد بن يعقوب اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ،ج2 ، (بيروت ، دار صادر ، د. ت) ، ص ص134–153 ؛ محمد الطوي ، تاريخ الطوي ، مصدر سابق ، ج2، ص621 ؛ الطائي ، مصدر سابق ، م2 ، ج4، ص ص200–219 وغيرها .

4 – " الجميل جدا من الناس ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مصدر سابق ،ج10 ، ص634 .

احسن الجزاء وافضل الثواب ، لم يجعل الله الدنيا للمتقين اجرا ولا ثوابا ومن عند الله خير للأبرار. واذا كان غدا ان شاء الله فاغدوا علينا فان عندنا مالا نقسمه فيكم ،ولايتخلفن احد منكم عربي ولا اعجمي كان من اهل العطاء او لم يكن إلا حضر " [1] .

وهذا البيان الاقتصادي ، ذو دلالات مهمة بعيدة الغور ، وواضحة المعنى ولكن ما نود ان نشير اليه ان الامام ذهب إلى ان الفضل الديني لا يجب ان ينعكس بصورة منزة دنيوية ، من جهة ،ومن جهة اخرى ان المال ليس للسلطة الحاكمة ، كما توهم بعضهم [2] ، انما هو مال الله للامة [3] ،فان الحق في المساواة كأثر ونتيجة لذلك هو فوق الحاكم نفسه ، في رؤية للامام الذي يشير الى حق الملكية هي للامة قائلاً : "لو كان المال لي لسويت بينهم فكيف وانما المال مال الله " [4] .

ويرى محمد عمارة ان "ثوار علي في العدول عن تمييز الناس في العطاء والعودة الى نظام المساواة من اخطر ثوراته الثورية لانه كان يعني انقلاباً اجتماعياً بكل ما تعنيه هذه الكلمة من دلالات ... كما كان رد فعل الاغنياء – وفي مقدمتهم ملأ قريش وابنائهم – ضد علي وثورته هو بداية الثورة المضادة ضد حكمه" [5] ، ولقد ادرك هذه المسالة اكثر من مشير على الإمام وما قد تجلبه سياسته العادلة هذه من تأثرات في الموقف السياسي حيث قال له بعض من خلص اصحابه عن قيادات المعارضة بأنهم : " كرهوا الاسوة

---

1 – الريشهري ، موسوعة علي بن ابي طالب ، مصدر سابق ، م4، ق5، ص ص106–107 .

2 – خطب معاوية قائلا : " انما المال مالنا ،والفيء فيئنا ،فمن شئنا اعطيناه ومن شئنا منعناه " ينظر : هذه الافكار وغيرها : محمد بن عقيل العلوي ، النصائح الكافية لمن يتولى معاوية ، (قم، دار الثقافة ، 1412 هـ) ، ص57 وما بعدها . يونس ، مصدر سابق ، اماكن مختلفة .

3– ينظر : المجلسي ، مصدر سابق ، ج41، ص ص108–109 .

4 – الشريف الرضي (الجامع)، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، خطبة 183 ، ص126.

5 – د. محمد عمارة ، الفكر الاجتماعي لعلي بن ابي طالب ، ط1 ، (القاهرة ، دار الثقافة ، 1977) ، ص ص7 –8.

وفقوا الاثرة"[1] ،فكان رده عليهم بأنه لا يطلب النصر بالجور وخيانة الله والامة وتوظيف المال العام للاغراض السياسية ويتجلى ذلك بوضوح في قوله : " فاما هذا الفيء فليس لأحد فيه على احد اثرة ، وقد فرغ الله من قسمته فهو مال الله وانتم عباد الله المسلمون "[2] ،وتأكيده كذلك على سنة الرسول (صلى الله عليه وآله) بالعطاء المتساوي في حواره مع بعض أقطاب المعارضة[3] .

وقد كانت هذه السياسة العادلة لاسيما في جانبها الاقتصادي موضع نقد من المنطلقين من واقع سياسة المداهنة والمخادعة ، فيقول احد الناقدين : "كان على علي ان يشوي من يستطيع شواءهم وكان عليه ان يستخدم السلطة التي حصل عليها لتوزيع بعض المكاسب والمغانم على ذوي النفوذ الذين بامكانهم ان يدعموه في صراعه ضد معاوية . وبعد ان تستقر له الامور وبعد ان يفرغ من تصفية خصومه ، يستطيع بسهولة سحب أي امتيازات او مكاسب يكون قد منحها لأشخاص اثناء حاجته اليهم "[4] .

والحقيقة ، ان ما اثاره هذا الناقد من اشكالية قد تكون مقنعة بالعرف النفعي ولكنها بالتأكيد غير مجدية بالرؤية الإسلامية والأخلاقية والمبدئية التي مثلها الإمام ،فكيف يعطي الاموال والثروات للرؤساء دون غيرهم ، وماذا يقدم كخطاب سياسي ونموذج فكري لجنوده وشعبه؟ ومن الناحية العملية فان الامام لم يكن يملك أموالاً ليفاضل بها بعضا على بعض ، إلا ان يأخذ من الفقراء والضعفاء ليقدمها للأغنياء والأقوياء ، ان ما يذهب اليه هذا الناقد قد يبيح بالنتيجة للحاكم الاعلى قمع المعارضة بالحديد والنار وتعميم نظام السخرة العسكرية الالزامية لابناء المجتمع وسيكون التنازع وكأنه بين

---

1 – الريشهري ، موسوعة علي بن ابي طالب ، مصدر سابق ، م4، ق5 ،ص109 .

2– المصدر السابق ، م4، ق5 ، ف2 ، ص110 .

3– المصدر السابق ، ، م4 ، ق5 ، ص ص111–112 .

4 – حسنين كروم ، " المثالية والسلطة " بحث ورد في كتاب ، د. محمد عمارة واخرون ، علي بن ابي طالب ، (نظرة

عصوية جديدة) ، (بيروت ، المؤسسة العربية ، 197) ، ص80 .

إمواطوريتين لغرض التوسع وبسط النفوذ وليس تعارضا بين قيم من اجل مبادئ تسمو على واقع الحياة المادية الفانية .

ان اسلوب المساواة العادلة كان اداة بيد الإمام يسعى من خلالها للقضاء على الفقر المدقع بجنب الثراء الفاحش في المجتمع الاسلامي[1] ،ومن هذا البعد فان "الناس غير متساوين في الضرائب إذ لا تؤخذ الضريبة الا من الموسر دون المعوز "[2] ويذهب علي شريعتي الى ان الإمام علي هو اول من اوجد نظرية التسلي في الاستهلاك داخل المجتمع وعدم خلق الحاجة واللهث وراء السلع المادية والتفاوت الطبقي فيما تتسلى الحاجة اليه.[3]

ان التطور الاقتصادي ،في نظر الإمام ،وكذلك تراكم الثروة وتحقيق الرفاه لا يكون الا من حيث تقام العدالة والمساواة اذ يقول : " لا يكون العمران حيث يجور السلطان "[4] ،وهذا الكلام ينقلنا الى جانب اخر من جوانب عدالة علي بن ابي طالب وهو التسلي ببعديه القانوني والسياسي ،فاما ما يتعلق بالبعد القانوني ،ولاسيما القضائي منه ، فقد اولاه الإمام اهمية قصوى سنعرض لها لاحقا[5] ، كون اللجوء للقضاء العادل وخضوع الجميع لحكم القانون احد حقوق الانسان التي دعا اليها الإمام واهتم بها ايما اهتمام .

---

1 – سنعرض موقف الإمام من الفقر كوضع اجتماعي في الفصل الرابع ، المبحث الرابع.

2 – جرداق ، مصدر سابق ، م1، ص367 .

3 – د.علي شريعتي،الإمام علي(ع)،ترجمة علي الحسيني،(ايران،دار الكتاب الاسلامي،2000)،ص ص162–163

4 – الواسطي ، مصدر سابق ، ص467 .

5– الفصل الخامس ، المبحث الثاني .

رابعاً : البعد السياسي

اما البعد السياسي ،فان الإمام يتوجه نحو السلطة الحاكمة ،ليبين حالة التأثير والتأثر بين الامة والحاكم على محك المساواة العادلة ، فيقول الإمام " جمال السياسة العدل "[1] ، ويجعل ذلك مطلبا في مختلف توجهات الحكم ومستوياته اذ يوصي (ع) "اذا حكمتم فاعدلوا "[2] ، بل عنده "افضل عباد الله عند الله امام عادل"[3] و"ان زمن العادل خير الازمنة وزمان الجائر شر الازمنة "[4] وينصح الإمام الانسان بشكل عام وصاحب السلطة بشكل خاص قائلاً: " اياك والجور ، فان الجائر لا يشم ريح الجنة"[5] .

وقد قرن الإمام هذه الدعوات بمنهج عملي اختطه حالما تولى الخلافة إذ كانت المساواة العادلة هي أساس الحركة السياسية للامام ،يقول ابن عباس (رضي الله عنه) : " دخلت على امير المؤمنين بذي قار وهو يخصف نعله فقال لي : ما قيمة هذه النعل ؟ فقلت : لاقيمة لها ! فقال(ع) : "والله لهي احب الي من امرتكم ، الا ان اقيم حقا او ادفع باطلا "[6] . ويخاطب الإمام

مالك الاشتر ناصحا " ليكن احب الامور اليك اوسطها في الحق واعمها في العدل واجمعها لرضى الرعية ...وان افضل قوة عين الولاة استقامة العدل في البلاد "[7] بل انه (ع)ركز على ضرورة المساواة حتى في نظرة العين

1- المصدر السابق ، ص22 .

2 - ابو جعفر محمد بن عبد الله المعتزلي الاسكافي ، المعيار والموازنة ، تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي ، (بيروت ، مكتبة الحياة ، د. ت) ، ص283 .

3 - الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، خطبة 164 ، ص287 ، وينظر : محمد باقر الناصري ، من معالم الفكر السياسي في الاسلام ، ط2 ، (بيروت ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، 1988) ، ص105 .

4- الواسطي ، مصدر سابق ، ص276 .

5- المصدر السابق ، ص95 .

6 - الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، خطبة 33، ص75 .

7- المصدر السابق ، خطبة 33،ص75 .

للدلالة على ما هو اكبر واهم ،ففي عهده الى محمد بن ابي بكر حين ولاه مصر ، بيّن له كيفية التعامل مع ابناء الامة قائلاً : " فاخفض لهم جناحك والن لهم جانبك ،وابسط لهم وجهك ،وآسِ بينهم في اللحظة والنظرة ، حتى لا يطمع العظماء في حيفك لهم ولا ييأس الضعفاء من عدلك عليهم "[1] .وجعل الإمام العدل من واجبات الحكومة إذ يقول لواليه الاشتر: " الواجب عليك ان تتذكر ما مضى لمن تقدمك من حكومة عادلة او سنة فاضلة او اثر عن نبينا او فريضة في كتاب "[2] .وان مواجهة المستكبرين عند علي هي اولوية على رأس السياسات الإسلامية[3] .

ان رفض الجور وتأكيد المساواة والعدالة فضلاً عن بعدهما المعنوي والمجتمعي ، فان لهما بعداً سياسياً مادياً عند الإمام وذلك بتحقيق الاستقرار إذ يقول : "ثبات الدولة باقامة سنن العدل "[4] ، ان : "العدل نظام الامة "[5] و " بالعدل تصلح الرعية "[6] ، بل ان نتيجة انتهاك هذا الحق يمنح المشروعية للشعب ان يثور ضد حكامه او ظالميه[7] ، وربما ذلك يفهم من تذكير الإمام الخليفة عثمان بن عفان حين عرض له مطالب الثائرين عليه ، قائلا : " الناس الى عدلك اهوج منهم الى قتلك "[8] .

لقد نظر الإمام الى المساواة العادلة كنوع لحماية البلاد حتى من الخطر الخارجي فيقول "بالسوة العادلة يقهر المناوئ "[9] أي ان الشوعية المتأتية

1- المصدر السابق ، كتاب 27، ص485 .

2- المصدر السابق ، كتاب 53 ، ص572 .

3- ينظر : المصدر السابق ، كتاب 26 ، ص ص482 . كتاب 45 ص ص530-535.

4 - الريشهري ، ميزان الحكمة ، مصدر سابق ،ج2، ص937 .

5- المصدر السابق ، ج3 ، ص1839 ؛ صادق الموسوي ، مصدر سابق ، ص333 .

6- المصدر السابق ، ص335 .

7 - سنعرض هذا الحق لاحقا في الفصل الثالث ، المبحث الرابع .

8 - محمد الطوي ، تاريخ الطوي ، مصدر سابق ، ج3، ص403 .

9- ينظر : مدير ، مصدر سابق ، ج1، ص342 . وقوله " من عدل في سلطانه استغنى عن اعوانه "، ج2 ، ص421.

من سياسة المساواة العادلة تقوي شأن السلطان داخليا وخارجيا ، "اذا ادت الرعية الى الوالي حقه ،وادى الوالي اليها حقها عز الحق بينهم وقامت مناهج الدين واعتدلت معالم العدل ... فصلح بذلك الزمان ، وطمع في بقاء الدولة ويئست مطامع الاعداء"[1] . وعلى وفق هذه الرؤية اجاب الامام احد عماله حين طالبه باقامة سور لمدينة : "حصنها بالعدل ، ونقها من الجور"[2] . وقد ابتكر الإمام (صندوق القصص)[3] ليضع فيه المظلومون شكواهم والمطالبة بحقوقهم وكان الإمام يقرأ تلك الرقاع بنفسه حتى يكون قريبا من نبض الناس ويرفع الظلم والحيف عنهم ،ولكي يعطي مثلا على امكانية ايجاد الوسائل والسبل لتحقيق العدالة سواء من السلطة ام من قبل الشعب .

ان الحديث عن السلطة والشعب او الحاكم والمحكومين في تجربة الإمام غاية في السعة والأهمية ، فطرق تميز الطبقة الحاكمة كثيرة سواء ما اختص منها بالحاكم وباسرته ام حاشيته ام بالشرائح ذات المال والنفوذ في المجتمع . فبالنسبة للحاكم[4] يجب - كما يرى الإمام - ان يكون خاضعا للحق والقانون دون أي تميز عن الشعب فلقد اعلن (ع) يوم " الخامس والعشرين من شهر ذي الحجة عام ولايته سنة 35 هـ،الموافق 23 يونيو {حزيران} 656 م ، بعد ان تمت له البيعة، قائلا : "انما انا رجل منكم لي مالكم ..وعلي ما عليكم "[5] ،وقد كان الإمام كذلك حتى وصفه احد رعاياه قائلاً : "كان فينا كأحدنا"[6] .

---

1 - ينظر : الريشهري ، موسوعة علي بن ابي طالب ، مصدر سابق ، م4،ق5، ص230.

2- اليعقوبي ، مصدر سابق ، ج2، ص306 .

3 - الريشهري ، موسوعة علي بن ابي طالب ، مصدر سابق ، م4، ق1، ص243 .

4 - سنتطرق لموضوع (الحاكم) لاحقا في الفصل الثالث ، المبحث الثالث .

5- ابن ابي الحديد ، مصدر سابق ، ج7 ، ص36 .

6- لجنة الحديث ، سنن الإمام علي ، مصدر سابق ، ص165 .

اما بالنسبة لاسوة الحاكم واقربائه ،فقد قدم الإمام أنموذجاً فريداً في تعامله مع افراد اسرته[1] إذ لم يحصلوا الا على حقهم كمواطنين وكجزء من الشعب ،بل ان قصته مع اخيه عقيل وكيف احرق يده بحديدة محماة عندما طلب ان يتميز عمن سواه[2] هي على ما يبدو سلاح علوي الصنع بيد الشعوب لتحرق به ايادي سواق اقوات الشعوب من الاسر الحاكمة وتحت أي ذريعة او عنوان ، بل ان الإمام قد رفض هذا السلوك من بعض ولاته وعاقب عليه[3] ،وذلك منعا لاي تمييز على حساب الشعب ومهما كانت الجهة المستغلة ، بل استنكر (ع) التمييز في تقلد الوظائف العامة حين بيّن ان الناس متساوون فيها حيث "رفع ايدي الاشراف والوجهاء من كل عمل لا يكونون له اهلا ليتولاه اهل الكفاءة من الناس "[4] وتكون " قضية الكفاءة هي المقياس الاول والاخير في دستوره ، اما الولاه فينبغي ان يتم اختيارهم لا عن هوى او ميل شخصي ولا بنشوئهم في بيئة الثرفاء والارستقراطيين ولا لما يتحصنون به من المجد التليد والثروة الطارفة او السبق الى الاسلام وانما يختارهم بعد ان يختبر مكانتهم في قلوب الناس ويعرف انهم جبلوا ليخدموا لا ليخدموا وانهم ينظرون الى جهود العامة نظرتهم للامر المقدس الذي لا يمس "[5] بل ان الإمام اكد العدالة حتى في التقييم الاداري والسياسي للموظف العام حيث نبه احد ولاته قائلاً : " ثم اعرف لكل امرئ منهم ما ابلى ولاتضمن بلاء امرئ الى غيره ..ولا يدعونك شرف امرئ الى تعظم من

---

1 – ينظر : باقر شريف القريشي ، موسوعة الامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب ، ج11، ط1 ، (د. م ، مؤسسة الكوثر للمعارف الاسلامية ، 2002) ، ص38 وما بعدها.

2– المصدر السابق ، ، ج11 ، ص40 .

3 – حول كتبه الى بعض ولاته ينظر : الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، ، كتاب 5 ، ص463 ؛ كتاب 20 ، ص476 ، كتاب 40 ، ص524 ، كتاب 43 ، ص529 .وغيرها

4 – جرداق ، مصدر سابق ، م1 ، ص368 .

5– المصدر السابق ، م1 ، ص368 .

بلائه ما كان صغيرا ولاضعة امرئ الى ان تستصغر من بلائه ما كان عظيما"[1] .

ونتلمس بعدا اخر للتمييز على الصعيد السياسي ،وهو تصنيف الشعب الى فئتين رئيستين هما عامة افراد الامة وخاصة من اصحاب المناصب والثروات والامتدادات العائلية والقبلية وما شابه من اصحاب الوضع المميز داخل المجتمع ، ولعل الإمام كان السياسي والمفكر الاول الذي قد وضع العامة في مكانة اسمى من الخاصة ان هذا التصنيف قد اتى نتيجة معرفة علمية دقيقة لحالة كلتا الفئتين في المجتمع ،ثم اعلان ان العامة من الشعب هم عماد البلاد ومصدر قوته إذ يقول(ع): "ان سخط الخاصة يغتفر مع رضا العامة وليس احد من الرعية اثقل على الوالي مؤونة في الرخاء ،واقل معونة له في البلاء ،واكره

للانصاف وأسال بالالحاف واقل شكوا عند الاكفاء وابطأ عذرا عند المنع واضعف صبرا عند ملمات الدهر من اهل الخاصة وانما عماد الدين وجماع المسلمين والعدة للاعداء ،العامة من الامة ، فليكن صغوك اليهم وميلك معهم"[2] .

ان هذه الطريقة في النظر الى سمو الشعب بفقرائه ومستضعفيه بعماله وفلاحيه ،وما يناقضه من واقع سياسي ملرسته حتى الحكومات المدعية للاسلام ، دفع بعضهم للاعتقاد بان " هناك نوعاً من الجدل الغريب في سلطة علي بن ابي طالب فقد كان لا يقر المركزية المتعجرفة ويستهين بالارستقراطية وهما أي المركزية والارستقراطية قوام السلطة تاريخيا "[3] ،

---

1 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، كتاب 53 ، ص556 .

2– المصدر السابق ، كتاب 53، ص549 .

3 – عزيز السيد جاسم ، علي بن ابي طالب (سلطة الحق) ، ط2، (د. م، دار سينا للنشر ، د. ت)، ص166.

وتاتي الاجابة عن هذا الجدل بان الإمام "كان يبني سلطة عادلة قوامها الادارة الذاتية للجماهير المؤمنة ،وبكلمة اخرى ، كان يضع سلطة متحررة من ادواتها التراتيبية والقمعية المستعلية على المجتمع"[1] .

وتعد انطلاقة الإمام نحو المساواة العادلة ،مسالة مبدئية في سلوكه اصيلة في رؤيته فهي لم تكن ردة فعل او استجابة للمطالب الشعبية او مناورة سياسية بل هي حق للانسان حمل لواء المطالبة به قبل توليه الحكم ، إذ اشار على الخليفة عمر بن الخطاب بـ" الحدود على القريب والبعيد والحكم بكتاب الله في الرضا والسخط والقسم بالعدل بين الاسود والاحمر"[2] .

ورسمت المساواة العادلة ملامح سياسة الامام بعد توليه الحكم ، ويبدو انه كان مطمئنا بهذا الشأن حتى قال : " احاج الناس يوم القيامة بسبع : اقامة الصلاة وايتاء الزكاة ،والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والقسم بالسوية والعدل بالرعية واقامة الحدود"[3] . وبتوجهه نحو المساواة العادلة ، خطب الإمام بعد توليه الخلافة قائلا : "لتبلبلن بلبلة وتغربلن غربلة ... حتى يعود اسفلكم اعلاكم واعلاكم اسفلكم ،وليسبقن سابقون كانوا قصروا ، ويقصون سباقون كانوا سبقوا "[4] ،وهنا يمكن ان يثار تساؤل ما اسس وموازين التفاضل للصعود والارتقاء الانساني او الهبوط في نظر الإمام علي وذلك سعيا منه لتحقيق العدالة ؟

1– المصدر السابق ، ص116

2– اليعقوبي ، مصدر سابق ، ج2، ص208 .

3– المجلسي ، مصدر سابق ،ج14،ص106.

4 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، خطبة 16، ص49 .

من الممكن القول ان معايير الإمام علي في التقييم فضلاً عن كونها مستمدة من الشريعة الاسلامية ، فانها تتسم بالشمول

والمرونة وذلك بامكانية تغطيتها ابعاد الحياة المختلفة ، ولعل اهم تلك المعايير هي :

اولا : الايمان :

ان الايمان بالله عز وجل كخالق للكون يجعل الانسان مستعدا لاقرار منهج الله في الحياة وتحقيقه في صورة عملية تترجم فيها النصوص الى ممارسات عملية ومشاعر واخلاق وارتباطات لابد ان تؤدي الى الاستقامة وما ينتج عنها من خير وبر وامان وتعاون وسلام ،ان هذا الايمان وما يترتب عليه سيكون حاكما على عواطف الانسان وسلوكه في الحياة فلا ظلم ولا عدوان ولا اضطهاد ولا استغلال ،وبذلك فان التفاضل على اساس الايمان يكون امرا مرغوبا فيه تتقبله العقول وتركن اليه النفوس [1] .

يقول الإمام علي (ع) : " عامل سائر الناس بالانصاف وعامل المؤمنين بالايثار" [2] ، ويترتب على هذا التفاضل ايضا اثار عملية منها : عدم تولية الكافر او المشرك على المؤمن ،ولا يسمح للمشرك ان يكون قاضيا ولا مأمونا في كثير من مرافق الدولة الاسلامية . [3]

ثانيا : التقوى

التقوى هي الحارس الواعي الذي يحرس العقل والضمير والارادة من الغفلة والضعف والانزلاق وراء الاهواء والمنافع الذاتية ، والمتقي لله هو

---

1 – جعفر الفدلي ، " منهج الاسلام في اقرار المساواة بين الناس " بحث ورد في جعفر سبحاني واخرون ، خصائص الاسلام العامة (مجموعة مقالات مختارة) ، (طهران ، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب ، 1999)، ص473 ؛ يقول الله تعالى (ولعبد مؤمن خير من مشرك) سورة البقرة / الاية21 .

2– مدير ، مصدر سابق ، ج2، ص12 .

3– سبحاني ، خصائص الاسلام العامة ، مصدر سابق ، ص473.

المامون على ارواح الناس واعراضهم واموالهم وجميع حقوقهم ، والتقوى المتلازمة مع الايمان بالله تعالى ، تعد القطب الذي يدور عليه التفاضل في الاسلام [1] ، يقول الإمام علي : " لا تضعوا من رفعته التقوى " [2] و"لا ترفعوا من رفعته الدنيا " [3] ،ومن اهمية التقوى كسبيل للارتقاء الانساني نلاحظ اهتمام الإمام بها كموروث فكري اساسي للامام [4] ،ومن نتائج ذلك ، لا يصلح ان يكون غير المتقي قائدا للمسلمين او قاضيا او شاهدا في المسائل القضائية او اماما للصلاة ولا يصبح تبني المواقف تبعا لانبائه وارائه كونه فاقدا للمصداقية [5] .

والتفاضل على اساس التقوى ليس اجحافاً بحق احد ولا تناقضاً بينه وبين المساواة التي اقرها الاسلام ،فلكل امر مجاله الخاص به ،بل ان من الحقوق الانسانية ان تتحقق التفاضل الموضوعي بين الناس ، ان عدم التفاضل قد يكون من مصاديق

الظلم والاجحاف المؤدي الى زباك العقول والقلوب والنفوس والى اشاعة الاضطراب في المواقف والسلوك ،وتتحقق حالة الطمأنينة بين الناس حينما " يركنون الى هذا الميزان بمختلف انتماءاتهم العقائدية والعرقية والطبقية"[6] .

---

1 – يقول الله في القرآن الكريم "يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله خبير عليم" ، سورة الحجرات /الآية 13.

2– مدير ، مصدر سابق ، ج2، ص180.

3– المصدر السابق ،ج2، ص171 .

4 – حيث وردت دعوته للتقوى واهميتها في الفكر والسلوك الانساني في كثير من خطبه ورسائله وحكمه ينظر: الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي، مصدر سابق، الخطب:15/62/81/112/130/155/159/165/171/180/181/186/189/190/191/192/193/194/196/228، الكتب 12/25/26/27/30/31 /45/46/47/53،الحكم : 95/203/210/242/344/388/410.

5 – محمد مهدي شمس الدين ، دراسات في نهج البلاغة ،ط2 ، (بيروت ، دار الزهراء ، 1972)، ص35 .

6– سبحاني ، خصائص الاسلام العامة ، مصدر سابق ، ص ص475–476 .

ثالثا : العلم

العلم عند الإمام هو حق من حقوق الانسان[1] فضلاً عن انه يعد معياراً للتفاضل ايضا[2] كونه اداة لتطور المجتمع وتحصيل سعادته في الدنيا قبل الاخرة ،وقد اعتاد المسلمون ،في عصور نهوضهم الحضاري ،"تقدير العلماء واتباع منهجهم وان كانوا منتمين الى عنصر او قومية معينة ، إذ ان المقياس هو العلم لا العنصر والقومية واللغة والطبقة والنسب وهذا التفاضل لايعني عدم المساواة ، فالعلماء متساوون في الحقوق الشخصية ومتساوون امام القضاء والقانون"[3] . ولكن هذا لا يمنع ان يقلدهم الإمام لرفع المناصب في الدولة والمجتمع ، كونهم الاكفأ مع توفر الشروط والممزات الأخرى ويزرع حبهم واحترامهم في نفوس الناس عامة وطلبة العلم والمعرفة خاصة[4] .

رابعا : العمل الايجابي

ينظر الإمام علي الى كل من الانسان والاسلام كطاقات يجب ان تستغل في العمل الصالح[5] من اجل بناء المجتمع والانسان ، فضلاً عن احترامه العمل واعتباره حقا للانسان[6] ،فان الإمام جعل طبيعة العمل الصالح تأكيدا لمعيار الفضيلة ، فهو يقول : " فخر المرء بفضله لا باصله"[7] "وقدر الرجل على قدر همته"[8] بل " ان قيمة كل امرئ ما يحسنه "[9] وان "الشرف

---

1 – سنتطرق لهذا الحق لاحقا ، في الفصل الرابع ، المبحث الثالث .

2 – وقد ورد ذلك في القرآن الكريم سورة الزمر/ الاية 9 ، سورة المجادلة / الاية 11 .

3– سبحاني ، خصائص الاسلام العامة ، مصدر سابق ، ص477 .

4 – سنتطرق لموضوع حقوق العلماء لاحقا ، في الفصل الرابع ، المبحث الثالث .

5 – يقول تعالى : " وضرب الله مثلاًرجلين احدهما ابكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه اينما يوجهه لايأت بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم " ، سورة النحل / الاية 76 ، وقال تعالى " السابقون السابقون اولئك المقربون " سورة الواقعة / الآية 10–11 ، وقال تعالى : " لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين على القاعدين درجة وكلاًوعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً " سورة النساء / الآية 95 .

6 – سنتطرق لموضوع حق العمل في الفصل الرابع ، المبحث الرابع .

7– مدير ، مصدر سابق ، ج2، ص69 .

8– المصدر السابق ، ج2، ص92 .

9– المصدر السابق ، ج2، ص92 .

بالهمم العالية لا بالرمم البالية"[1] . وفي هذا السياق يتبنى الباحث محمد عابد الجابري ،رأيا يقول فيه ان الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي أقرت بالتفضيل كانت وصفا " لواقع هو نتيجة عمل الإنسان ، سواء تعلق الأمر بالأعمال التي تورث الفضل في الآخرة ام بالتي ينتج منها التميز في الدنيا"[2] .

ويولي الإمام العمل الصالح أهمية خاصة تكاد تسبق حتى بقية المعايير فيقول مثلا : " كافر سخي لرجى بالجنة من مسلم شحيح "[3] وذلك لأهمية العمل في تفعيل دور الإنسان وتطوير حياة الامة وتحقيق العدالة ويوصي (ع) في هذا الصدد بأن "لا يكون المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء فان في ذلك تزهيدا لأهل الإحسان في الإحسان وتدريبا لاهل الإساءة على الإساءة والزم كل منهما ما الزم نفسه"[4] .

ويلخص كاتب معاصر فلسفة المساواة العادلة عند الإمام بقوله : " منهجه الدستوري : المساواة في الحقوق والعدل بين الناس ،ومنهجه الاقتصادي : المساواة في العطاء بين فئات الشعب، ومنهجه الاجتماعي : ليس في الإسلام شريف ولا مشروف ولا احمر ولا اسود ولا عربي ولا عجمي وانما اكرم الناس اتقاهم "[5] أعلمهم وأفضلهم عملا .

ان هذا المبدأ والمنهج تحول الى صيغة عمل للمستضعفين وسيفٍ على رؤوس المستكبرين في الأرض ،وهذا الفكر ظل بمثابة الأمل الذي أهداه

1 – الواسطي ، مصدر سابق ، ص60.

2 – د. محمد عابد الجاوي ، الديمقواطية وحقوق الإنسان ، (بيروت ، مركز دواسات الوحدة العوبية ، 1994)، ص231 .

3– مدير ، مصدر سابق ، ج2، ص106 .

4 – الشويف الوضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهوسة د. صبحي ، مصدر سابق ، كتاب 53 ، ص551.

5– الجندي ، مصدر سابق ، ص132 .

الإمام الى الأمم المظلومة ،وعلى الضد من القول المتشائم " ان المسلواة دفنت مع علي في قوه"[1] فان مبدأ علي باق سواء في حق المسلواة العادلة ، الذي عوضناه سابقا ام في حق الحوية الذي سنعوض له في المبحث الثالث

---

1 – د. علي الوردي ،وعاظ السلاطين ،ط2 (لندن ، دار كوفان ، 1995) ، ص165 .

المبحث الثالث

حق الحرية

يعد حق الحوية الدعامة الأساسية الثالثة في منظومة حقوق الإنسان للإمام علي بن ابي طالب (ع) ، لقد شكلت الحوية الهدف الجلي للمصلحين والأنبياء[1] والساعين لغد افضل منذ اقدم العصور الى وقتنا الحاضر وفي ضمن هذه المسوة الطويلة أضيف للحوية وامتوج فيها كثير من المفاهيم والمضامين الفكوية حتى اضحى من الصعب انْ نضع تعويفاً جامعاً ًمانعا بًعموم ما احتوى عليه المضمون التاويخي والفكوي للفظة (الحوية) .

وكمدخل اولي لتوضيح (الحوية) ننطلق من المعنى اللغوي العوبي لها، ففي كتاب (لسان العوب) نلاحظ ان الحو نقيض العبد ،والحوة نقيضة الامة والتحوير جعل الانسان حوا ،وحورت القوم اطلقتهم عن اسو الحبس ،وحو الوجه مالم تستوقه الحاجة ،والحو: الكويم ،والحو من كل شيء : اعتقه ...والحو الفعل الحسن ...والحوة : سحابة كثوة المطو ،والحو من الناس اخيلهم وافضالهم وحوية العوب اشوافهم[2] .

ويعلق باحث معاصو على التعوين اللغوي للفظة الحوية قائلا : " تدلنا اللغة على ان هذا المصطلح قد تنوع بين معان متعددة وكلها تشير الى الشيء الحسن والجذاب والمنسق مع معانيه ودلالاته .. ومعنى التخليص والتميز والنقاوة من الشوائب ومن كل ما يشين فهي تعني الانطلاق الذي هو

---

1 – يقول السيد المدرسي : " ان انبياء الله هم الذين حرروا الانسان منذ اول حقب التاريخ وبقوا في روحه حب الحرية والتضحية من اجلها "، محمد تقي المدرسي ، التاريخ الاسلامي ، مصدر سابق، ص36.

2– ابن منظور ، مصدر سابق ، ج4 ، ص181 .

نقيض القيود والعبودية ..وجميع معانيها تدور حول الخير والجمال والبركة والنعماء"[1] .

اما بصدد المعنى الاصطلاحي للحرية فان هناك كثيراً ممن اسهموا بمحاولاتهم اعطاء تعريف لها " فمنهم من عرفها بانها (انعدام القيود)واخر (قدرة المرء على فعل ما يريده) وثالث يراه (اطلاق العنان للناس ليحققوا خيرهم بالطريقة التي يرونها طالما كانوا لا يحاولون حرمان غيرهم من مصالحهم) "[2] .

ويقترح باحث معاصر ، تمييز ثلاثة مستويات مختلفة في تعريف الحرية :

1 – "المستوى الاول : هو المستوى اللغوي والعادي المتعارف عليه ،والذي يعني انعدام القيود القسرية او الاجبرية ..

2 – المستوى الثاني ،يقع في نطاق التفكير الاخلاقي والسياسي ..والحرية في هذا المستوى لا تعود مجرد صفة تميز بعض الافعال من غيرها بل ترتفع الى مستوى الواجبات والحقوق والقيم .

3 – المستوى الثالث ، فهو مستوى الفلسفة الخالصة حين يطرح سؤال عن ماهية الحرية وجوهرها وربط وجودها بمجموعة من المفاهيم والتعابير مثل السببية والضرورة والحتمية والاحتمال والامكان وتتعلق هذه كلها بصيغ الوجود وطرقه"[3] .

---

1 – حيدر الجراح ، " الحرية قلق الغياب ودعوى الحضور " ، مجلة النبأ ، العدد 27 ، 1419 هـ، ص 112 .

2 – حول اصحاب هذه التعاريف وغيرها انظر : حيدر حسين عبد السادة ، " مفهوم الحريات في الشرائع السماوية والارضية " ، مجلة النبأ ، العدد 44 ، 1421هـ، ص27 .

3 – د. عبد الوهاب الكيالي ، موسوعة السياسة ، ج2 ، (بيروت ، المؤسسة العربية للدراسة والنشر ، 1990) ، ص222 .

ومن الممكن القول ان المستوى الاول هو المستوى الفردي ، الثاني هو المستوى الجماعي او التشريعي اما المستوى الثالث فهو المستوى الفلسفي حول كون الانسان مخيراً ام مسيراً وما تثار بهذا الصدد من مسائل اخرى.وعلى وفق هذا المنهج في تقسيم الحرية ، فان للامام اسهاماً مباشراً وممزاً في ترسيخ مبدأ الحرية حتى وصف عصره بانه "كان عصرا نعم فيه لناس بالحرية الواسعة الاسلامية ...وان امير المؤمنين علي بن ابي طالب ، هو واضع الأسس العميقة للحرية بعد النبي بأقواله ، ومنفذ ثابت للحرية بأعماله وممارساته في اوساط الامة "[1] .

وقبل الدخول الى نظرة الامام لقيمة الحرية وأبعادها وحدودها والتطبيقات العملية لها من قبله ، نرى من المفيد ان ننطلق من رأي الكاتب جورج جرداق في الامام علي بوصفه من دعاة الحرية وتفسيره ذلك كونه (ع) قد "حرر نفسه مما تقيد به ولاة زمانه من اغلال الاشادة بالحسب والنسب ، وحرر نفسه ، من المطمع في الملك والمال والجاه والكبر والاستعلاء ، وحرر نفسه من الخوف ان لم يدر في نطاق العقل السليم والحاجة الاجتماعية والشوق الانساني الخير ، وحررها من تخصيص ذويه ومحبيه بما ينفعهم دون سواهم ومن الحقد على اخصامه والانتقام من مبغضيه وحرر ضميره وجسده"[2] .

ومما يلحظه الباحث في فكر وسلوك الامام انه يسمو بقيمة الحرية في الحياة والمجتمع ، وذلك بجعلها هدفا وغاية للرسالة الاسلامية ، اذ قال (ع) :"سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول : " انا وعلي ابو هذه الامة ولحقنا عليهم

---

1 – صادق الحسيني الشيرازي ، السياسة من واقع الاسلام ، ط3 ، (بيروت ، مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر ، 1421هـ) ، ص156 .

2 – جرداق ، مصدر سابق ، م1، ص131 .

اعظم من حق ابوي ولادتهم فاننا ننقذهم ان اطاعونا من النار الى دار القرار ونلحقهم من العبودية بخيار الاحرار "[1] .

ولقد سعى الامام لاداء مهمة انقاذ الانسانية من شتى قيود الاسر واغلال العبودية للاصنام الحجرية او البشرية ، إذ يقول (ع) : " لقد احسنت جوارکم واحطت بجهدي من ورائكم واعتقكم من ربق الذل وخلع الضيم"[2] بل ان الامام يعد الانسان الحر ،بالمعطيات العلوية للحرية الانسانية، هو قلب الامة وعقلها ومقياس رضاها فيقول:"اياك وكل عمل ينفر عنك حرا او يذل لك قدرا او يجلب عليك شرا"[3] . ويجعل (ع) قيمة الحرية اعلى من قيمة الحياة نفسها إذ قال : " الموت ولا ابتذال الحرية "[4] .

وهنا تثار قضية حرية الارادة عند الانسان ،وهل هو "كائن مختار في تكوينه وصاحب ارادة حرة ، أي انه يملك القدرة على الاختيار وبامكانه التصرف كيفما يشاء في الحالات والاوضاع المختلفة فهذا المعنى في (الحرية) موضع جدل سافر في علم النفس الفلسفي ، فبعض الفلاسفة والمتكلمين[5] ينكر وجودها ويرى ان الانسان مجبر لا يملك الاختيار في افعاله كالجمادات والنباتات وبقية الحيوانات وهو ليس اكثر من الة لا ارادة لها وتتحكم قوى من خارجها وبعض أخر يؤمن باختيار الإنسان ولا يرى فيه موجودا تملى عليه الحياة بلا ارداة منه "[6] . ومع الجدل المثار في هذا

1– ينظر : الفيض الكاشاني ، مصدر سابق ، ج1 ، ص150 .

2 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق، خطبة 159، ص274.

3 – الواسطي ، مصدر سابق ، ص100 ، ويقول (ع) :"خير البر ما وصل الى الأحرار " الريشهري ، ميزان الحكمة ،

مصدر سابق ، ج1، ص584 .

4- مدير ، مصدر سابق ، ج2، ص492 .

5 - للمزيد حول هذا موضوع الحرية عند الفلاسفة والمتكلمين . ينظر : جعفر سبحاني ، محاضرات في الالهيات ،ط9،(قم ، مؤسسة النشر الاسلامي ،1423هـ) ، ص ص261-346.

6 - د. صادق حقيقت ، مدخل الى الفكر السياسي في الاسلام (مجموعة مقالات) ، ترجمة خليل العصامي ، ط1 ، (ايران ، مؤسسة الهدى ، 2001) ، ص243 .

المجال ، يمتاز الإمام بعمق تعامله مع هذا الموضوع ، فهو من ناحية كان ينأى بمثل هذه الأمور عن عامة المجتمع ،لذلك نجده يقول : " القضاء والقدر ،طريق مظلم فلا تسلكوه ،وبحر عميق فلا تلجوه، وسر الله فلا تتكلفوه"[1] ،وعندما كان (ع) يسأل عن هذا الموضوع كانت اجابته : " لاجبر ولا تفويض انما امر بين امرين "[2] .

ان الغزارة الفكرية للامام (ع) ، كانت واسعة الانتشار عميقة التأثير ،فقد اقدم على سبر غور ماهية القدر حين احجم الاخرون ووزنه بين الافراط والتفويط ، حتى ان آراءه فرضت نفسها على بعض مناوئيه ، فمثلاً " كتب الحجاج[3] الى الحسن البصري[4] والى عمرو بن عبيد[5] والى واصل بن عطاء[6] والى عامر الشعبي[7] ان يذكروا ما عندهم وما وصل اليهم في القضاء والقدر ، فكتب اليه الحسن البصري : ان احسن ما انتهى الي ما سمعت عن امير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع)انه قال: اتظن ان الذي نهاك دهاك؟!...وانما دهاك اسفلك واعلاك والله بريء من ذاك.

وكتب اليه عمرو بن عبيد ، احسن ما سمعت في القضاء والقدر قول امير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) : لو كان الوزر في الاصل محتوما كان الموزور في القصاص مظلوما .

1- بيضون ، مصدر سابق ، ص175 .

2 - المصدر السابق ، ص177 . وللمزيد من الآراء حول هذا الموضوع ينظر :رضي الدين ابي القاسم علي بن موسى الحسني (ابن طاووس) ، الطرائف ، (قم ، مطبعة الخيام ، 1399هـ) ، ص329 وما بعدها .

3- حول الحجاج ينظر : ابن عساكر ، مصدر سابق ، ج21،ص115 وما بعدها .

4 - حول الحسن البصري ينظر : شمس الدين بن احمد بن عثمان الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج4 ، ط9 ، (بيروت ، مؤسسة الرسالة ، 1993) ، ص563 وما بعدها .

5- حول عمر بن عبيد ينظر: ابن سعد ، مصدر سابق ، ج7 ، ص273 .

6 - حول واصل بن عطاء ينظر : خير الدين الزركلي ، الاعلام ، ج8 ، ط5 ، (بيروت ، دار العلم للملايين ، 1980) ، ص108 .

7 – حول الشعبي ينظر : ابو محمد عبد الرحمن بن ابي حاتم الرازي ، الجرح والتعديل ، ج6 ، (بيروت ، دار احياء التراث العربي ،د. ت) ، ص232 .

وكتب اليه واصل بن عطاء : احسن ما سمعت في القضاء والقدر قول امير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) : " ايدلك على الطريق ويأخذ عليك المضيق.

وكتب اليه الشعبي احسن ما سمعت في القضاء والقدر ،قول امير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) " كل ما استغفرت الله منه فهو منك ، وكل ما حمدت الله عليه فهو منه " فلما وصلت كتبهم الى الحجاج وقف عليها وقال : لقد اخذوها من عين صافية "[1] .

ويجعل الامام أعمال الإنسان الدنيوية ونتائجها الاخروية من مسؤولية الإنسان بقوله (ع): " عباد الله زنوا أنفسكم قبل ان توزنوا وحاسبوها قبل ان تحاسبوا "[2] .ان هذا التوجه لتحرير الإنسان من تأثرات غير ملموسة كان له انعكاسات مهمة لعل من اهمها رفض الامام للتوظيف السياسي لمسالة الجبر الذي يخلق اليأس في الانسان[3] ،والذي يسلب حقوق الشعب بادعاء كون الحكومة الظالمة هي برضا الله وقضائه[4] ونلاحظ ان انصار الامام قد استوعبوا هذا التوجه فحين حاول معاوية بن ابي سفيان " ان يجعل من منوه منوا للعقيدة الجبرية اصطدم في محاولته تلك بعقل حر افسد عليه خطته : فحين خطب معاوية قائلاً : ان الله تعالى يقول :(وان من شيء الا عندنا

---

1 – ابن طاووس ، الطرائف ، مصدر سابق ، ص329 ؛ الريشهري ، ميزان الحكمة ، مصدر سابق،ج1،ص362 .

2 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة،د.صبحي ، مصدر سابق ، خطبة 89، ص143.

3 – حين سئل (ع) " اكان مسيرنا الى الشام ،بقضاء الله وقدره ؟ قال الامام " ويحك ! لعلك ظننت قضاءً لازما وقدرا حاتما ؟ ولو كان ذلك لبطل الثواب والعقاب وسقط الوعد الوعيد . ان الله سبحانه امر عباده تخييراً ونهاهم تقديراً وكلف يسيرا ولم يكلف عسيرا " بيضون ، مصدر سابق ، ص177 .

4 – حول هذه الفكرة وتوظيفها السياسي . ينظر :رضوان السيد ، الامة والجماعة والسلطة (دراسات في الفكر السياسي العربي الاسلامي) ، (بيروت ، دار اقرأ ، 1984) ص129 وما بعدها ؛ احمد بن يحيى بن المرتضى ، المنية والامل في شرح الملل والنحل ، ط4 ، (بيروت ، دار الندى،1990) ، ص ص94 –168.

خزائنه وما ننزله الا بقدرٍ معلوم)[1] فعلام تلومونني ان قصرت في عطائكم ؟ فقال له الاحنف بن قيس[2] [وهو من انصار الامام] انا والله مانلومك على ما في خزائن الله ، ولكن على ما انزله لنا من خزائنه فجعلته انت في خزائنك وحلت بيننا وبينه "[3] .

والامام ينظر الى مسألة الحرية الانسانية كطرف فاعل وجوهري في معادلة الوجود البشري، وتملك القوة على التغيير بشكل غير محدود سواء في مبدأ الدعاء [4] ، أو البداء [5] ، واذا دمجنا بين هذه النظرة وقول الامام : " ان من حق عظم جلال الله سبحانه في نفسه [أي الانسان] وجل موضعه من قلبه ان يصغر عنده لعظم ذلك كل ما سواه " [6] . ومن خلال رؤية الامام علي (ع) للحرية فان المجتمعات الاسلامية بامكانها التعامل مع تهمة ، غير علمية من الصحة ، اثارها المستشرقون حول كون الفهم الخاطئ لمسالة القضاء والقدر عاملا للتخلف [7] من جهة ، ومن جهة اخرى ، يمكن ان يواجهوا فكريا كثيراً من العقائد الغربية الحديثة بمدارسها التي " تنادي ايضا بالحتمية وهي تعبير اخر عن (الجبر) ومثال ذلك قول الماركسية المادية بحتمية الصراع الطبقي... ومن ينادى بحتمية تأثير القوانين الاجتماعية في

---

1 – سورة الحجر/ الآية 21 .

2– حول الاحنف بن قيس ، انظر: ابن سعد ، مصدر سابق ،ج7، ص93 .

3 – صائب عبد الحميد ، تاريخ الاسلام الثقافي والسياسي ، (مسار الاسلام بعد الرسول (صلى الله عليه وآله) ونشأة المذاهب) ، ط1 ، (د. م ، مركز الغدير للدراسات الاسلامية ، 1997) ، ص769 .

4 – "روى عن علي (رضي الله عنه) انه قال : " ان الدعاء يرد القدر ، وذلك ان الله تعالى يقول :" الا قوم يونس لما امنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا "؛ ابو عبد الله بن احمد القرطبي ، تفسير القرطبي (الجامع لاحكام القرآن) ،ج 8 ، (بيروت ، دار احياء التراث العربي ، 1985)، ص385 .

5 – حول فكرة البداء ينظر : محمد تقي المدرسي ، مبادئ الحكمة (بين هدى الوحي وتصورات الفلسفة) ، ط2، (د. م ، دار محبي الحسين ، 2003) ، ص ص178–181 ؛ ينظر ايضا: سبحاني،الالهيات، مصدر سابق، ص ص279–294 ؛ محمدرضا المظفر ، عقائد الامامية ، (بيروت ، دار المحجة البيضاء ، د. ت) ، ص ص45–46 .

6– مدير ، مصدر سابق ، ج1 ، ص273 .

7 – ينظر : صادق البختياري ، " العدالة والتنمية في منهج الامام علي " ، مجلة المنهاج ، العدد 27 ، 2002 ، ص65 .

حركة الانسان وهناك المذهبي الجنسي القائل بحتمية انصياع حركة الفرد الى ما تمليه عليه احتياجاته الجنسية ... اما الرسالات السماوية ، [والتي شرح ابعادها الامام] ، فتؤكد ان الانسان كائن حر في تصرفاته ، مسؤول عن مصيره ، ويمكن ، ان تجزم بان احد اهم ابعاد الشرك بالله العلي العظيم هو الاعتقاد بحتمية تفوق العوامل الارضية على الانسان ومن ثم القول بحتمية وجود فاصلة بين الانسان وربه الخالق " [1] .

ان الامام يؤمن ان الحرية تنبع اولاً من داخل الانسان : من عقله وروحه فيوجه (ع) امرا او نصيحة او درسا اخلاقيا للانسان في أي مكان او زمان قائلا : " لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرا" [2] ،وهنا يحمل الامام الانسان مسؤولية نيل [3]

الحرية والمحافظة عليها . وكذلك نشر الوعي في ضمن الامة.فحرية الانسان لاتوجد بقانون او دستور ينظمان الحرية نظريا وانما هي هبة الهية لايمتلك سلطان في الارض ان ننتزعها من الانسان الا خاطئا يجب مواجهته ومقاومته كان الامام يحفز على الجهاد قائلا: " سيروا الى قوم يقاتلونكم كيما يكونوا في الارض جبارين ملوكا ويتخذهم المؤمنون ارباباً ، ويتخذون عباد الله خولا [4] " [5] .

ومن الأبعاد الأخرى ، في ظل الشرع الإسلامي ، سيخلق المجتمع الحر الذي ستكون ابعاد الحرية فيه وفق رؤية الإمام ، سياسية [6] واقتصادية [7] ،

---

1 – محمد تقي المدرسي ، مبادئ الحكمة ، مصدر سابق ، ص222 .

2 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ،مصدر سابق ، كتاب 31، ص509 . مدير ، مصدر سابق ، ج2، ص193

3 – يقول الامام علي ، :" الحر حر وان مسه الضر ،والعبد عبد وان ساعده القدر " ، الريشهري ، ميزان الحكمة، مصدر سابق ، ج1، ص583 .

4– عبيداً .

5 – ابن قتيبة الدينوري ، الامامة والسياسة ، مصدر سابق ، ج1، ص166 .

6 – سنتطرق لهذا الموضوع لاحقاً في الفصل الثالث ، المبحث الاول .

7 – سنتطرق هذا الموضع لاحقاً في الفصل الرابع ، المبحث الرابع .

وشخصية ، وفكرية ، ودينية ،فضلا عما يتعلق بموضوع الحرية من رؤية للإمام الى مسالة العبودية ،والاطار المحدد للحرية .

لعل من اولى أساسيات الحرية عند الامام هو اعطاؤه الحرية الشخصية للإنسان ، أي ان يكون الانسان حر التصرف في امور الشخصية دون قيد الا قيد منع ايذاء الجماعة ، كما ان منح الحرية الشخصية المنضبطة للانسان لابد ان تبدأ من اشاعة هذا المفهوم داخل الاسرة [1] كأسلوب لتربية الابناء ،وهذه اشارة مهمةولاسيما في تلك الحقبة من التاريخ . إذ يقول الامام: " لا تقسروا اولادكم على أخلاقكم فانهم مولودون لزمان غير زمانكم " [2] ويعلق جرادق على هذا المبدأ العلوي قائلا " ان الامام ينادي بمبدأ (الولادة الحرة) ،فان الابناء ان تخلصوا من القسر والاكراه والاستعباد من جانب السلطة والقوانين ، فانهم لا يتخلصون عادة من اخلاق ابائهم وعاداتهم وميولهم وسائر ما يفرض عليهم بحكم نزوع الاباء الى ان ينشأ اولادهم على ما نشأوا عليه ...وان الحرية لا تتقيد حتى بشروط يضعها الاباء قسرا او فرضا لان الحرية في أقصى معانيها وأهدافها دافع الى التطور وباعث على التقدم" [3] .

(5) (4)

كذلك فان الامام قد شمل الاسرة ايضا بمظلة الحرية سواء من ناحية اختيار الزوجة ام السكن ، ام أي تفاصيل حياتية اخرى [6] . ولقد نهى الامام علي عن التجسس على الناس وطلب نياتهم وسقطات ألفاظهم وهفواتهم المستترة ، فلقد اصدر الامام امرا لبعض اركان حكومته قائلاً : "ليكن ابعد

---

1 – سنتطرق لموضوع الاسرة وحقوق الطفل في الفصل الرابع ، المبحث الثاني .

2– مدير ، مصدر سابق ، ص327 .

3 – جرداق ، مصدر سابق ، ج1 ، ص ص344–345.

4– ينظر : المجلسي ، مصدر سابق ، ج101، ص183 .

5 – ينظر : الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة،تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق،كتاب 31،ص514 .

6 – سبق وأوردنا قول الامام حول تفسيره قول قال الرسول(صلى الله عليه وآله)غيروا الشيب ولا تتشبهوا باليهود "فقال الامام" انما قال(صلى الله عليه وآله) ذلك والدين قل ، فاما الان وقد اتسع نطاقه وضرب بجرانه ،فامرؤ وما اختار "، المصدر السابق ، حكمة 13،ص604.

رعيتك منك ،واشنأهم عندك اطلبهم لمعائب الناس ، فان في الناس عيوبا ، الوالي احق من سترها ، فلا تكشفن ما غاب عنك منها ، فانما عليك تطهير ما ظهر لك،والله يحكم على ما غاب عنك ، فاستر العورة ما استطعت ، يستر الله منك ما تحب ستره من رعيتك" [1] .

يلحظ الباحث ان في هذا النص عدة ابعاد لعل من اهمها توسيع دائرة الحرية الشخصية للمواطن ، بل يمكن القول ان الامام اعطى حرية الخطأ مع الالتزام بعدم علانية ذلك الخطأ ، فضلا عن انه يرفض نموذج الدولة الشمولية التي تجعل من نفسها جهاز تجسس ومراقبة ضد ابناء الامة بل يريد من الدولة ان تكون اداة اصلاح ووسيلة لحل الازمات يجب ان تعامل المواطنين كبشر تلازمه حتمية الخطأ ،ويجب ان يمنح الانسان فرصة الاصلاح الذاتي لذلك الخطأ ما دام لم يتجاوز القانون العام .

وفي الاطار ذاته ،نلاحظ الامام ينادي بحرمة المسكن للمواطنين إذ قال لبعض رجال الحكومة : " لا تروعن انسانا ولا تجتاز عليه كرها ... فاذا قدمت على الحي فانزل بمائهم من غير ان تخالط ابياتهم " [2] ، وفي مناسبة اخرى قال (ع) : "ولا تؤتى البيوت إلا من ابوابها فمن اتاها من غير ابوابها سمي سارقا" [3] . والامام يعد من السابقين في اقرار حرية التنقل كحق للانسان إذ قال :"من ضيق العطن لزوم الوطن " [4] ،بل انه نادى بتسهيل حرية السفر للفوائد الموجودة منه وذلك في شعر ينسب له:

تغرب عن الاوطان في طلب العلى وسافر ففي الاسفار خمس فوائد

1- المصدر السابق ، كتاب 53 ، ص549 .

2- المصدر السابق ، كتاب 25 ، ص481 .

3 - جرداق ، مصدر سابق ، م1، ص364 .

4 - الواسطي ، مصدر سابق ، ص468.

تفوج هم واكتساب معيشة وعلم واداب وصحبة أماجد [1]

وحتى حين تأزم الوضع السياسي والامني داخل الدولة ابان حكم الامام لم يثنه ذلك من احترام حرية الناس في التنقل حيث ماشاءوا ، فقد سمح لطلحة والزبير [2] ومروان بن الحكم [3] واخيه عقيل [4] بالتنقل والتوجه حيث مارغبوا على الرغم من المحاذير المتوقعة من هذه التنقلات على الوضع العام ، ولكن سمة المسيرة العلوية هي تثبيت حقوق الانسان ومنها الحرية في التنقل ، كمبادئ وليس الحصول على مكسب سياسي آني [5] .

وهناك بعض الروايات التي اشارت الى ان الامام نفى بعضهم ممن اقيم عليه الحد ، من مرتكبي بعض الكبائر ، ولكن ظل هذا الاجراء في ضمن نطاق الحالات الفردية لا يمكن التعميم من خلاله ، هذا من ناحية ومن ناحية اخرى انه يمكن تلمس بعض ايجابيات التغريب [6] ولكن بصورة عامة كان الامام يرفض مبدأ النفي غير المبرر وكان يقول : "كفى بالنفي فتنة " [7] .

1 - علي بن ابي طالب ، ديوان الامام علي ، مصدر سابق ، ص142 . ولقد بين الامام علي ، وكجزء من تأكيده حرية النقل العديد من اخلاقيات السفر وآدابه ، ينظر: حسن القبانجي ، مصدر سابق ، م10، ص ص9- 31.

2 - اتى طلحة والزبير الى علي فقالا : يا امير المؤمنين ، ائذن لنا في العمرة 000 فنظر اليهما علي وقال : نعم ،والله ما العمرة تريدان وانما تريدان ان تمضيا الى شانكما فمضيا " ، ابن قتيبة الدينوري ، الامامة والسياسة ، مصدر سابق ، ج1، ص71 .

3 - قال الامام ، عن مروان بعد معركة الجمل : " هو امن ، فليتوجه حيث ما شاء " . البلاذري، انساب الأشراف، مصدر سابق ، ص262 .

4 - " قال عقيل : يا امير المؤمنين ائذن لي الى معاوية ، قال : في حل محلل ، فانطلق نحوه " علي بن حسين علي الاحمدي الميناجي ، مواقف الشيعة ، ج1 ، (قم مؤسسة النشر الاسلامي ، 1416هـ) ، ص240 .

5 – سنتعوض لحق التنقل ، بشكل واسع ، كجزء من حقوق المعارضة لاحقا .

6 – حول ايجابيات التغريب ينظر : علاء الدين ابو بكر بن مسعود الكاشاني،بدائع الصنائع،ج7،(باكستان،مكتبة الحبيبية ، د. ت) ، ص39 .

7 – ابو بكر محمد بن احمد بن ابي سهل السوخسي ، اصول السوخسي ، تحقيق ابو الوفا الافغاني ، ج2 ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1993)، ص7 .

كما نهى الامام بشدة عن نفي النساء او تشويههن وذلك دفعا للفتنة وتقديرا لخصوصية المرأة في الحياة والمجتمع ،مخالفا بذلك بعض فقهاء المسلمين مثل ابن مسعود الذي نادى بجواز تغريب المرأة[1] .وهذا يقدم لنا معلماً مهماً لفهم نظرة الامام لحقوق المرأة[2] من حيث انه(ع)رفض نفي المرأة او تشويهها، بينما اقر بحرية المرأة في التنقل ، من غير محرم في حالة تحقق الامن لها استناداً لما كان في عهد الرسول(صلى الله عليه وآله)[3] .

ويعلق محمد حسين فضل الله على اختيار الامام الهجرة النبوية كنقطة انطلاق في التاريخ الاسلامي[4] ،بانه اعلاء لشأن الهجرة التي تتجسد عنده في " كل رحلة يقوم بها الانسان في خدمة الاسلام والمسلمين وفي القيام بواجب شرعي من عبادة ونحوها ،وفي انقاذ فئة محرومة او مضطهدة من الفئات التي اوجب الله علينا انقاذها... لان الهجرة ليست فكرة تخضع لحركة الاقدام من موقع الى اخر ، بل تشمل حركة العمل التي تنقل المجتمع والحياة من مرحلة متأخرة الى مرحلة متقدمة"[5] .

والواقع ان حق التنقل في نظر الامام يمثل الانفتاح الحضاري له على الامم والافكار الاخرى ،وهو اساس حق الحرية الفكرية الذي اقره الامام للانسان الذي خلقه الله " في احسن تقويم والعقل الذي منحه الله للانسان وهو مكان الشرف ومناط التكليف فبالعقل يصير الانسان انسانا وتفضيل على غيره بهذا العقل ... ان التفكير فطرة انسانية وفريضة اسلامية وعبادة راقية والآيات القرآنية تحث كثيراً على استعمال العقل والتفكير وكثيراً ما نرى في

---

1 – حول رأي ابن مسعود ينظر : شمس الدين السوخسي ، المبسوط ، مصدر سابق ، ج9، ص44 .

2 – سنتطرق لاحقا لحقوق المرأة في الفصل الرابع ، المبحث الاول .

3 – ينظر : احمد الاردبيلي ، مجمع الفائدة ، مصدر سابق ، ج1، ص181 .

4 – تطرقنا لمصادر هذه المعلومة سابقا في الفصل الاول ، المبحث الاول .

5 – فضل الله ، علي ميزان الحق ، مصدر سابق ، ص ص54–55 .

نهاية الآية (افلا تعقلون) (افلا تتفكرون) (لعلهم يتفكرون) (لاولى الالباب) (ثم تتفكروا)"[1] .

وفي هذا السياق ،فان انطلاقة العقل الانساني هي سابقة للعقيدة التي يعتقد بها ،لذلك ينصف الامام الانسان واضعا اياه على[2]

الطريق الصحيح للوصول الى الحقيقة إذ يقول (ع): "انظر الى ما قال ولا تنظر الى من قال " ويقول عن الاختلاف المكاني في منابع المعرفة " خذ الحكمة انى كانت فان الحكمة ضالة كل مؤمن"[3] و " ضالة الحكيم الحكمة فهو احق بها حيث كانت "[4] ويقطع الامام الطريق على من ينغلق فكريا وحضاريا بحجة الاختلاف العقائدي قائلا : "الحكمة ضالة المؤمن فاطلبوها ولو عند المشرك تكونوا احق بها "[5] ، ومع هذه النظرة الشمولية للمعارف الانسانية واختلاف النظرة للحياة والعلوم والقيم فان الامام يدعو لتوظيفها لصالح المسيرة البشرية فمن " كشف مقالات الحكماء انتفع بحقائقها "[6] ومع عنصر الوقت والتطورات التي تحدث في الواقع فان الامام ينبه في ان تكون كلها حاضرة في ذهن

---

1 – محمد الامين خليفة ، " الحريات الاساسية ودور الشعب في الحكومة الاسلامية "ورد في محمد واعظ الخراساني، الحكومة من وجهة نظر المذاهب الاسلامية ، مجموعة من المقالات للمؤتمر العالمي العاشر للوحدة الاسلامية ، (طهران ، المجمع العالمي للتقريب الاسلامي ، 1419هـ) ، ص35 .

2 – كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني ، شرح كلمات امير المؤمنين ، تعليق وتصحيح مير جلال الدين الحسيني (د. م ،د. ن ، 1390هـ) ، ص12 . وللمزيد حول شرح هذا القول للامام واثره في الحرية الفكرية . ينظر : د. محمد عقيل بن علي المهدلي ، الامام علي بن ابي طالب (حياته الفكرية وتأثيرها في فكر الامام الغزالي) ، (د. م ، دار الحديث ، 1997م) ، ص ص48 –57 .

3 – الواسطي ، مصدر سابق ، ص243 .

4– المصدر السابق ، ص309 .

5– المجلسي ، مصدر سابق ،ج57،ص34 .

6 – الواسطي ، مصدر سابق ، ص438 .

المتطلعين للمعرفة الانسانية فـ " حسب المرء من عرفانه .. علمه بزمانه"[1] .

ونلاحظ ان الموروث الفكري من مقولات الامام السابقة قد عززه بسلوك سياسي مؤمن بالتنوع الحضاري ومستفيد منه في الوقت ذاته فلما " قدم عليه وفد من بلاد فارس قال الامام : اخبروني عن ملوك فارس كم كانوا ؟ [قال المتحدث عنهم] كانوا اثنين وثلاثين ملكا ، قال الامام : وكيف كانت سيرتهم؟ قال : ما لانت سيرتهم من عظم امرهم واحدة حتى ملكنا اخرهم فاستأثر بالمال والاعمال واخرب الذي للناس وعمر الذي له.فقال الامام:ان الله خلق الخلق بالحق ولا يرضى من احد الا بالحق "[2] .

ويشير احد الباحثين ان الخطابة وصلت إلى قمتها على " عهد أمير الإمام (ع) .. وذلك لاسباب كثيرة منها ظهور التيارات والاتجاهات الفكرية والسياسية المختلفة وحاول كل تيار ان يثبت لنفسه الحق ووسيلته لاثبات الحق هو استخدام مجال الخطابة [وهو دليل على] توفير حرية الفكر والراي، فقد كان عهد الامام علي(ع)عهد الحريات التي لم يشهد له مثيل في العهود التي

[3]

سبقته الا عهد النبي(صلى الله عليه وآله) " .

ونتلمس عملية الحوار الفكري ولتعليمي [4] الذي اثاره الامام ،ولاسيما في مدة حكمه ، فطالما كان ينادي (سلوني) فهذا الشعار مع توفير حرية السؤال والاستفهام وسماحة الجواب ودقته في تعامل الامام مع السائلين والحيلى من طلاب المعرفة او خصوم خطه الفكري كان مبدأ آمن به وعمل له علي بن ابي طالب فحين خطب (ع) قائلا : " سلوني فاني لا اسئل

---

1 – الريشهري ، ميزان الحكمة ، مصدر سابق ، ج2، ص1158 .

2 – المنقري ، وقعة صفين ، مصدر سابق ، ص14 .

3 – د. محسن الموسوي ، المدخل الى علوم نهج البلاغة ، مصدر سابق ، ص15 .

4 – سنتناول لاحقا موضوع حق التعليم . في الفصل الرابع ، المبحث الثالث .

عن شيء الا اجبت فيه ... فقام رجل من جانب مجلسه وفي عنقه كتاب كأنه مصحف ... فقال رافعا صوته لعلي: ايها المدعي ما لا يعلم والمقلد ما لايفهم انا السائل فأجب ، فوثب اليه اصحاب علي... فنهرهم علي(ع) وقال لهم دعوه ولا تعجلوه فان الطيش لا يقوم به حجج الله ولا به تظهر براهين الله ، ثم التفت الى الرجل وقال له : سل بكل لسانك وما في جوانحك فاني اجيبك"[1] . ومن هنا يتضح تماما منطق الحرية عند الامام وهو منطق الكلمة التي تعمل على الحوار مع الرأي الاخر دونما اضطهاده او قمعه ، "وسماحة لمن خالفه في تصوره وتفكره ومسلكه ومذهبه بان يفكر وينظر ثم يكون من امره على مايبدو له ، أي انه كان يأذن له بأن يفكر حرا ويتجه حيث دله التفكير الحر والنزعة المستقلة عن أي ضغط او اكراه "[2] .

ومع هذه القاعدة التي رساها الامام بشأن حق الحرية الفكرية سواء في الجانب النظري ام في العملي ، بنى الامام كتلة بشرية امتلكت " القدرة على حرية التفكير والتامل والتدبر والفحص لمختلف القضايا الفلسفية والكلامية والسياسية بعيدا عن الاطر الجامدة او القيود الفكرية المفروضة سياسيا او مذهبيا ، الامر الذي جعل هذه الكتلة قادرة على نقد التاريخ الاسلامي والابداع والتطور في فهم القضايا الفلسفية والكلامية والتصدي لمواجهة التيارات الفكرية الفلسفية في مختلف العصور"[3] .

ان الدعوة لتبني الاسلوب العلوي في الحرية الفكرية والتسامح مع الاخر والاطلاع والانفتاح ربما يكون جزءاً من حل لمشكلة التخلف التي نتفق فيها مع رأي المدرسي في: " ان جزءاً من اسباب تخلف الامة

---

1 – صادق الشيرازي ، مصدر سابق ، ص ص170–171 .

2 – جرداق ، مصدر سابق ، م1، ص347 .

3 – محمد باقر الحكيم ، دور اهل البيت ، مصدر سابق ، ج1 ، ص ص48–49 .

الاسلامية هو حالة الإرهاب الفكري الذي سيطر وخيم على البلاد الاسلامية إذ مارسه الخلفاء في اجلى صوره ، وكتب التاريخ مليئة بالشواهد والامثلة التي تحكي واقع هذا الإرهاب وانعكاساته السلبية على الحركة الثقافية وعلى المفكرين المسلمين ومن ثم على الامة الاسلامية ككل ... ولو كانت الحرية هي السائدة في الدولة الاسلامية لطرح الجميع رؤوه ولحصل تلاقح فكري يعود على المجتمع الاسلامي بالفوائد الجمة ، ولحلت اكثر الاختلافات الفكرية والفقهية التي نشأت بين المسلمين ومن ثم لعادت على البشرية جمعاء بالفوائد الجمة "[1] .

ان البحث عن الحرية الفكرية يرتبط اشد الارتباط بالجانب الايديولوجي في حياة الإنسان، ويدخل تحته المصطلح الديني (العقيدة) ، والذي يعد من اهم مصاديق الحرية ، وغني عن القول ، ان الاسلام منح الانسان كامل الحرية الفكرية وامره بالنظر والتفكر ، ولم يجز له تبني العقيدة على اساس التقليد او العاطفة[2] ، فاذا كانت الحرية الفكرية مكانها العقل مناط التكليف فان الحرية الدينية مكانها القلب ولا يمكن ان يكره الانسان على ما يؤمن به ويصدقه الاطوعا من عنده فان { لا اكراه في الدين[3]

قد تبين الرشد من الغي} ومن هذا المنطلق نفهم قول الامام : "ان قوما عبدوا الله سبحانه رغبة فتلك عبادة التجار ، وقوما عبدوه رهبة فتلك عبادة العبيد وقوما عبدوه شكرا فتلك عبادة الاحرار"[4] ، فالامام يؤمن بحرية العقيدة كحق مصان للانسان وهذا الايمان يأخذ مجريين :

---

1 – محمد تقي المدرسي ، التاريخ الاسلامي ، مصدر سابق ، ص ص344–345 .

2 – سورة البقرة / الايتان 64، 256 ، سورة فصلت / الاية 53 ، سورة الانفال / الاية42 ، سورة يونس / الاية 99.

3 – سورة البقرة / الاية 256 .

4 – الواسطي ، مصدر سابق ، ص158 .

الاول : الحرية في اطار الاسلام ، أي في دائرة المسلمين انفسهم .

الثاني : الحرية في اطار حق الاديان الاخرى إزاء المسلمين .

ففي الساحة الاسلامية ، فتح الامام باب الحرية على مصراعيه امام الحوار والسؤال والنقاش، وظل علي بن ابي طالب كفقيه وحاكم ومرجع في تعليم الامة اميناً على الحرية الفكرية . ولعل اهم درس اعطاه في هذا المجال وفق اعتقادنا المتواضع ، هو عدم قمع أيرأي او فكرة وانه لا قناعات مقدسة تفرض على مجرى الحوار .

ومن خلال الحرية الفكرية في ضمن الدائرة الاعتقادية الاسلامية ، انفتح باب السؤال والحوار والفكر من ابناء الامة اتجاه الامام الذي فسر دقائق العبادات وفلسفتها للسائلين[1] واوضح معنى العرش والملائكة[2] ومفاهيم السنة والجماعة والبدعة[3] بروح علمية وانسانية ، بل ان سماحة الامام كانت حتى مع من شك بأصول العقيدة " فقد اتى رجل ... وبيده جمجمة انسان ميت فقال : انكم تزعمون ان النار تعرض على هذا وانه يعذب في القبر وقد وضعت عليها يدي فلم احس منها حرارة ... فقال علي (ع) : ائتوني بزند وحجر [والرجل السائل والناس ينظرون اليه] فآتى بهما فاخذهما وقدح منهما النار ،ثم قال للرجل ضع يدك على الحجر فوضعها عليه ، ثم قال (ع): ضع يدك على الزند فوضعها عليه ،فقال (ع) : هل

---

1 – سئل علي بن ابي طالب لم كان الوقوف بالجبل ولم يكن بالحرم ؟ فاجابهم قيل " يا امير المؤمنين فما معنى الوقوف بالمشعر الحرام ؟ فأجابهم الامام ... قالوا فمن اين حرم عليهم ايام التشريق ؟ فأجابهم ... واجابهم كذلك عن سبب رمي الجمرات ، حول هذه المحاور العلمية والفكرية ينظر : عبد الوهاب الشعراني ، لواقح الانوار القدسية في بيان العهود المحمدية ، (مصر ، البابي الحلبي ، 1973) ، ص283 وما بعدها . ويفسر الامام دقائق الاذان وحكمته ينظر : المجلسي ، مصدر سابق ، ج18 ، ص133 ، بالاضافة إلى عشرات المحاورات والنقاشات .

2 – ينظر : الطباطبائي ، الميزان في تفسير القرآن ، مصدر سابق ، ج8 ، ص162 .

3- الهلالي ، مصدر سابق ، ص284 .

أحسست منهما حرارة النار؟ فبهت الرجل ،لانه رأى النار ولم يحس بالحرارة"[1] .

وبلغ الامام غاية الحرية في فهم نصوص الاسلام من مختلف جوانبه إذ قال عن اهم دعامات الاسلام : " القرآن حمال ذو وجوه "[2] ،وكذلك دعا الامام الى شحذ الذهن وتوظيف العلم من اجل استيعاب وشرح ايات القرآن الكريم وعدم الوقوف عند شرح او فهم دون احتساب لعامل التطور والزمن اذ قال (ع) :"ان القرآن ظاهره انيق وباطنه عميق ، لا تفنى عجائبه ولا تنقضي غرائبه "[3] . وقبل الامام ان يحاور رجلا كانت تكتنفه الشكوك حول اثنى عشر موقعاً في القرآن الكريم ، فقدم الامام له اية التسامح الفكري وحاوره بعد ان سمع جميع حججه قائلا : " سأعلمك ما شككت فيه "[4] ، وناقشه واقنعه بحوار علمي وفكر حر ولاسيما في موضوع ذو أهمية واثر بالغ على عقيدة المسلم مثل الشك في القرآن[5] .

واطلق الامام حرية تقييم رجال الدين والصحابة وكل من يتصدى للقيادة الدينية[6] ، بل ان الامام ركز على ان ترسيخ العقيدة يجب ان تكون مبانيها الاساسية على حرية الفرد بقبولها وعمق ايمانه بمبادئها وليس تحت تأثير الاشخاص وهذا ما يتضح في قوله : "من دخل في هذا الدين بالرجال

1- ايماني ، مصدر سابق ، ص ص144-145 .

2 - محمد بن الحسين الموسوي البغدادي (الشريف الرضي) ، المجازات النبوية ، تحقيق د. طه محمد الزيني ، (قم، مكتبة بصيرتي، د. ت) ، ص251 .

3 - الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، خطبة 18،ص54 .

4- المجلسي ، مصدر سابق ، ج9، ص 127.

5- ينظر : المصدر السابق ، ص ص127-135 .

6 - تطرقنا سابقا لتقسيم الامام للرجال حول الرسول (صلى الله عليه وآله).

اخرجه منه الرجال كما ادخلوه فيه ، ومن دخل فيه بالكتاب والسنة زالت الجبال قبل ان يزول"[1] .

اما في مسالة العبادات والشعائر الدينية فان الامام يعطي الحرية للانسان في ادائها إذ قال(ع) :"ان للقلوب اقبالا وادبارا ، فاذا اقبلت فاحملوها على النوافل ،واذا ادبرت فاقتصروا بها على الفرائض "[2] ،ولم يفوض الامام في فترة حكمه على افراد الامة اسلوب القسر في تأدية فريضة، وقد روي ان شعاره (ع) كان " امرؤ وما اختار "[3] .

وكجزء من عملية الحرية الفكرية في الوعي الاسلامي التي رسخها الامام كان الاجتهاد شعاراً من شعاراته منذ بداية الامر ، وكذلك كان شعار اتباع اهل البيت من بعد الائمة حيث امنوا باستمرار فتح باب الاجتهاد ،التي اغلقها اكثر المسلمين في القرن

الرابع الهجري مما اوقعهم في دائرة التقليد الضيقة وما ترتب عليها من خبو شعلة الفكر وهكذا شهد اتباع اهل البيت منذئذٍ نهضة شاملة [4] ،ظهرت جلية في اعمال علمائهم فاصبح استعمال العقل اصل [5] ، لا يتعطل "وما الاجتهاد الا الحرية الفكرية في استخلاص النتائج

---

1 – الريشهري ، ميزان الحكمة ، مصدر سابق ، ج2، ص954.

2 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، وتعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، حكمة 303، ص669 .

3 – المصدر السابق ، حكمة 13، ص64 . ولقد روي ان الامام لم يعسر الامور في تطبيق الناس لاحكام الشريعة محاولاً ان تكون وسيلة الاقناع واسلوب التروي في حث الناس على اتباع هدى الشريعة ، وذلك في : عدة حوادث ومناسبات ينظر : محمد كاظم القزويني ، موسوعة الامام الصادق ، ج9 ، (قم ، مكتبة بصيرتي ، 1418هـ) ، ص ص503 –504 ؛ الحواني ، مصدر سابق ، ص118 .

4 – حول هذا الاسهام الحضاري ينظر : جعفر سبحاني ، دور الشيعة في بناء الحضارة الاسلامية ، ط1 ، (د. م ، معاونية شؤون التعليم والبحوث الاسلامية ، 1413هـ) ، ص9 وما يليها .

5 – حول مكانه العقل في الفكر الاسلامي ينظر : د.رشدي عليان ، العقل عند الشيعة الامامية ، (بغداد ، مطبعة دار السلام ، 1977) مواقع متفرقة .

والنزاهة العلمية والاعتبار بالواقع والصحيح وهاتان العجلتان تحملان موكب الفكر الانساني المنجب" [1] .

وكل ما ذكر من مواقف الحرية الفكرية الإسلامية تتجسد في مواجهة الامام (ع) للتطرف باسم الدين وغلق نافذة التفاعل الحضاري والانساني بادعاء الدفاع عن العقيدة حيث يقول(ع) عن مثل هؤلاء المتطرفين :"جعلوا الدين من اقفال البصيرة ومغاليق العقل فهم اغوار... يسيئون ويحسبون انهم يحسنون " [2] واقفال البصر والبصيرة من هؤلاء يشمل المسلمين فيما بينهم من جهة ومع غيرهم من اصحاب الديانات الاخرى بشكل اكثر حدة من جهة اخرى .

يقف الامام من اصحاب الديانات الاخرى بانفتاح اسلامي وحضاري وانساني مميز إذ يمنحهم معظم الحقوق التي للمسلمين إلا من ناحية المناصب السيادية كالحكم وتولي القضاء حيث " ان الدولة الاسلامية في حقيقة امرها دولة قائمة على (المبدأ) ... [وانها] تقسم القاطنين بين حدودها على قسمين: قسم يؤمن بالمبادئ التي قد قامت عليها الدولة وهم المسلمون : وقسم لا يؤمن بتلك المبادئ وهم غير المسلمين ...وان الحكومة في الدولة الاسلامية لا يسير دفتها الا الذين يؤمنون بها " [3] ان هذا الموقف الاعتقادي يجد له جذورا في الادبيات الاسلامية الاولية ، ومنها ما ورد عن الامام علي حيث يقول لاحد عماله : " اما بعد ، فان دهاقين عملك شكوا غلظتك ونظرت في

1- الجندي ، مصدر سابق ، ص290 .

2 - تاريخ الاسناد ، نقلاً عن ابو رية ، اضواء على السنة المحمدية ، مصدر سابق ، ص391 .

3 - ابو الاعلى المودودي ، حقوق اهل الذمة في الدولة الاسلامية ،(د. م ، دار الفكر ، د. ت) ، ص ص3-4 .

امرهم فمارأيت الاخواً ،فلتكن متولتك بين متولتين : جلباب لين بطرف من الشدة في غير ظلم ولا نقص فخذ مالك عندهم وهم صاغرون ولا تتخذ من دون الله وليا .. فقد قال الله عز وجل: {لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء }[1] واياك ودماءهم والسلام "[2] .

ولكن الدولة في زمن الامام على وفق التوجيه العلوي اعلاه قد اعطت لغير المسلمين معظم الحقوق سوى تولي المناصب السياسية والقضائية العليا، ولعل اهم تلك الحقوق هي :

-حفظ حياتهم وهذا ما تطرقنا اليه في المبحث الاول من هذا الفصل.

-احترام عقيدة غير المسلمين فلقد عرف عن الامام احترامه العميق للاديان والمعتقدات السماوية، التي سبقت الديانة الاسلامية فيقول الامام :"لو استقامت لي الامرة وثنيت لي الوسادة لحكمت لاهل التوراة بما انزل الله في التوراة ... ولحكمت لاهل الانجيل بما انزل الله في الانجيل ... ولحكمت لاهل القرآن بما انزل الله في القرآن"[3] وهذا تأكيد صريح من الامام[4] بوجوب احترام اهل هذه الديانات وعقائدهم ورجال دينهم واماكن عبادتهم

---

1 - سورة المائدة / الآية 51 .

2- اليعقوبي ، مصدر سابق ، ج2، ص203 .

3 - محمد بن مسعود عياش السلمي ، التفسير العياشي ، تحقيق السيد هاشم الرسولي ، ج1 ، (طهران ، المكتبة العلمية الاسلامية ، د. ت) ، ص15 .

4 - عن احد اصحاب الامام قال :" بينما انا اسير مع امير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع)في الحيرة اذا نحن بديراني يضرب الناقوس ،قال : فقال علي بن ابي طالب (ع): ياحارث - اسم صاحبه - اتدري ما يقول هذا الناقوس ؟ قلت : الله ورسوله وابن عم رسوله اعلم ،قال انه يضرب مثل الدنيا ،وخرابها ويقول : لا اله الا الله حقا حقا صدق صدقاً ويستمر (ع) في شرح دقات الناقوس ببعد توحيدي غاية في السمو" . ينظر: شمس الدين ابي البركات ، جواهر المطالب في مناقب الامام علي(ع) ، (د. م ، د. ن ، د. ت) ، ص133 . في حين ورد عن مالك بن انس قوله : " اذا دق بالناقوس اشتد غضب الرحمن عز وجل فتنزل الملائكة فتأخذ باقطار الارض وكتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى ان لا يضرب بالناقوس خرجا من الكنيسة" محمد بن ابي بكر بن قيم الجوزية ، احكام اهل الذمة ، ج1 ، (بيروت ، دار ابن حزم ، 1997) ، ص169 .

(1) (2)

وممارسة شعائرهم واعيادهم ، وضمان تميزهم بالقوانين الشخصية الخاصة بهم وحرية اداءهم لبعض ما هو محرم في الاسلام كشرب الخمر اذا لم يجاهر به [3] ، وما ذكر سابقا مفصل في كتب الفقه الاسلامي عامة، ومن الملاحظ اعتماد هذه الكتب في هذا المجال على اقوال الامام على الرغم من تغافلها عن آرائه في مسائل اخرى ،وهذا يدلنا على مدى الحرية الفكرية والتسامح الديني الذي تميز به الامام ازاء المعتقدات الاخرى [4] . بل ان حرية المعتقد التي اطلقها الامام شملت بعض الاحيان عبادة غير الله فقد روي ان الامام علي حين بعث " محمد بن ابي بكر اميرا على مصر ، فكتب الى علي يسأله عن زنادقة منهم من يعبد الشمس والقمر ومنهم من يعبد غير ذلك ... فكتب اليه [ان يتركوا] ويعبدون ما شاءوا" [5] .

ولقد احترم الامام ملكية اهل الاديان الاخرى ، بشكل مميز ،وكذلك كرامتهم اذا ما شعروا انهم اقل اهمية من غيرهم من المسلمين ،وقد عرضنا

---

1 – " اتى علي (ع) بهدية النيروز ،فقال (ع) :ما هذا ؟ قالوا : يا امير المؤمنين اليوم النيروز ،فقال (ع) اصنعوا لنا كل يوم نيروزا " محمد بن علي بن بابويه القمي (الشيخ الصدوق) ، من لا يحضره الفقيه ، تصحيح وتعليق علي اكبر الغفاري ، ج3 ، ط2 ، (قم ، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية ، 1404هـ)، ص300 ، في حين روى عن عمر الخطاب (رضي الله عنه) انه قال :"اجتنبوا اعداء الله في عيدهم" احمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ، اقتضاء الصراط ، ج1، ط2 ، (القاهرة ، مطبعة السنة المحمدية ، 1369هـ) ، ص200 .

2 – " ان محمد بن ابي بكر كتب الى علي (ع) يسأله عن الرجل يزني بالمرأة اليهودية والنصرانية ،فكتب اليه : ان كان محصنا فارجمه ،وان كان بكرا فاجلدوه مائة جلدة ثم انفه ،واما اليهودية فابعث بها الى اهل ملتها فليفعلوا بها ما احبوا ". ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي ، الاستبصار فيما اختلف من الاخبار ، تعليق حسن الموسوي ،ج4 ، (طهران ، دار الكتب الاسلامية ،1390 هـ) ،ص207 ؛ الطوسي ، تهذيب الاحكام ، مصدر سابق ، ج1، ص47 ؛ الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، مصدر سابق ، ج18، ص415 .

3 – هذا الحكم مروي عن الامام علي ينظر : محمد بن الحسن الشيباني ، السير الكبير، ج1 ، (د. م، د. ن، د. ت)،ج1، ص306 . وكذلك تحليف اهل الملل عند الامام ، بـ"ان يستحلف بكتابه وملته " الطوسي، الاستبصار، مصدر سابق ، ج4، ص207 .

4– ينظر مثلا : الشافعي ، الام ، مصدر سابق ، ج6، ص150 .

5– عبد الله بن محمد ابن ابي شيبة ، المصنف ، ج7 ، (د. م،د. ن،د. ت) ، ص597 .

سابقا كيف انهم شكوا احد الولاة وانصفهم الامام منه ، وفي مناسبة اخرى حين مر على بعض الفرس الذين يدفعون الجزية "فلما استقبلوه قاموا ثم جاءوا يشتدون معه – قال الامام – ما هذه الدواب التي معكم ؟ وما اردتم بهذا الذي صنعتم ؟ قالوا :

اما هذا الذي صنعنا فهو خلق منا نعظم به الامراء ،واما هذه الوذين فهدية لك، وقد صنعنا لك وللمسلمين طعاما ،وهيأنا لدوابكم علفا كثيرا . قال : اما هذا الذيزعمتم انه خلق منكم تعظمون به الامراء فو الله ما ينفع هذا الامراء ،وانكم لتشقون به على انفسكم وابدانكم فلا تعودوا له ،واما دوابكم هذه فان احببتم ان ناخذها منكم فنحسبها من خراجكم ،واما طعامكم الذي صنعتم لنا فانا نكره ان نأكل من اموالكم شيئا الا بثمن"[1] .

وفي هذا السياق يمكن التطرق الى موضوع الجزية التي تؤخذ من غير المسلمين في الدولة الاسلامية والتي يبررها الامام قائلاً : " انما بذلوا الجزية لتكون دماؤهم كدمائنا واموالهم كأموالنا"[2] ،وهناك العديد من احكام الجزية وتفاصيلها[3] لكن ما يمكن فهمه من فلسفتها هي بدل عن توفير الحماية لغير المسلمين من العدو الخارجي او أي اعتداء داخلي من جهة كون عدم فرض الخدمة العسكرية او الجهاد الاسلامي على غير المسلمين ،والجزية كذلك اسهام مالي لتسيير امور الدولة بدلا عن الزكاة والخمس وغيرها من الضرائب التي يختص بها المواطنون المسلمون دون غيرهم .

ويركز الامام على كيفية اخذ الجزية ممن فرضت عليهم وهم الموسرون اقتصاديا ممن هم قادرون على حمل السلاح بين (15-45 سنة)

---

1 – المنقري ، وقعة صفين ، مصدر سابق ، ص ص 144-145.

2 – النووي ، المجموع ، مصدر سابق ، ص416 .

3 – حول احكام الجزية ينظر : الشافعي ، الام ، مصدر سابق ، ج4 ، ص254.

وتتفاوت ايضا على وفق الامكانية الاقتصادية لهم[1] . ولقد روي عن احدرجال الدولة فيزمن الامام قوله :" استعلمني علي بن ابي طالب على موج سابور فقال : لا تضربن رجلا سوطاً في جباية درهم ولا تبيعن لهم رزقا ولا كسوة شتاء ولاصيفا ولا دابة يحتملون عليها ولا تقيمن رجلا قائما في طلب درهم ،قلت يا امير المؤمنين اذن لرجع اليك كما ذهبت من عندك قال وان رجعت ويحك امرنا ان نأخذ منهم العفو"[2] [3] .

ومن باب الحرية الفكرية ، فان الامام سمح لغير المسلمين في اثارة النقاش العقائدي ، حيث يقول احد اصحاب الامام : " كنت بالكوفة في دار الامارة دار علي بن ابي طالب اذ دخل علينا [احدهم] فقال : يا أمير المؤمنين بالباب اربعون رجلا من اليهود ،فقال علي : علي بهم ، فلما وقفوا بين يديه قالوا له : صف لنا ربك هذا في السماء كيف هو وكيف كان ومتى كان على أي شيء هو؟ فاستوى علي جالسا وقال : يا معشر اليهود اسمعوا مني ولا تبالوا ان تسألوا احد غيري "[4] ، بل انه (ع) في بعض المحاورات كان يستند إلى التوراة والانجيل لاثبات وتدعيم الموقف الاسلامي[5] ، وتتجلى ثقة الامام

---

1 – حيث يتراوح مقدار هذه الضريبة بحسب الامكانية الاقتصادية بين اثني عشر درهما وثمانية واربعين درهما سنوياً.

وكان امير المؤمنين (ع) قد جعل على اغنيائهم ثمانية وأربعين درهماً وعلى اوساطهم أربعة وعشرين درهماً وجعل على فقرائهم اثنى عشر درهماً . ينظر : محمد بن محمد النعمان العكبري البغدادي (الشيخ المفيد) ، المقنعة ، ط2 ، (قم ، مؤسسة النشر الاسلامي ، 1410هـ) ، ص272 .

2- الفضل .

3- ابن الاثير ، اسد الغابة ، مصدر سابق ، ج4، ص24.

4 - احمد بن محمد بن الصديق الحسني المغربي ، فتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينة العلم علي ، تحقيق وتعليق محمد هادي الاميني ، (اصفهان ، مكتبة امير المؤمنين (ع) ، 1388هـ) ، ص76 .

5 - حين ناقشه احد اليهود فنهره اصحاب الامام فقال (ع) : " خلو عنه ، ثم قال : اسمع يا اخا اليهود ما اقول لك باذنك واحفظه بقلبك فانما احدثك عن كتابك الذي جاء به موسى بن عمران فان كنت قد قرأت كتابك وحفظته فانك ستجده كما اقول " الهندي ، مصدر سابق ، ج1 ، ص407 ..

بعمق العقيدة وفهمه لها من جهة وايمانه بالحرية الفكرية كحق للعقل الانساني من جهة اخرى ، فقد سمح للنقاش حتى بالمفاضلة بين الرسل ،والقرآن ،والوجود الالهي ،والجنة والنار ،وجميع المواضيع ومن أي طرف شاء وفي الكيفية التي يرتضيها سواء أكان فردا او جماعة بلوحة انسانيةراقية في تقديس حق حرية الفكر والنقاش [1] .

وتثار قضية الردة ،وهو تغيير المسلم لدينه واشهاره ذلك التغيير [2] ،وعد ذلك سلبية يمكن ان تثار بالضد من الحرية الفكرية والدينية ،ولاسيما ان عقوبة هذا التحول هو القتل في الشريعة الاسلامية وحكم بذلك الامام نفسه [3] ،وهذا دليل على اهمية الموضوع وخطورة الموقف على الصعيد الفردي والمجتمعي ،وهناك يمكن الرد على ذلك بان عدة اسباب لهذه العقوبة، لكن لابد من الاشارة الى ان الردة تقتصر على المسلم حيث رُفع الى علي بن ابي طالب في يهودي او نصراني تزندق قال دعوه يتحول من دين الى دين " [4] وكان الامام يامر بان يستتاب المرتد شهر [5] ، خلافا لغيره من الذين قالوا بان يستتاب ليوم او ثلاثة ايام [6] ، ناهيك عن طلب الامام لمناقشة المرتد وازالة أي شبهة او عذر له ، بل ان الامام مارس تلك

---

1 - حول تلك المناقشات ومواضيعها واثارها انظر : الطوسي ، الاحتجاج ، مصدر سابق ، ج2 ، مواقع متفرقة .

2 - حول تعريف ومفهوم الارتداد وشروطه ينظر : ليث الحيدري ، الارتداد وحقوق الانسان ، ط1 ، (قم ، دار الغدير ، 2004) ، ص ص17-64 .

3 -راجع المبحث الاول من هذا الفصل وحول اثار الارتداد من الناحية الشرعية . ينظر : السيد سابق ، فقه السنة ، ج2 ، (بيروت ، دار الفكر العربي ، د. ت) ، ص459 .

4- الصنعاني ، مصدر سابق ، ج6 ، ص48 .

5 – احمد بن اسماعيل بن حجر العسقلاني ، سبل السلام ،ج3 ، (مصر ، البابي الحلبي ، 1960) ، ص26 ؛ الشوكاني ، مصدر سابق ، ج8، ص162 .

6– ابن حجر العسقلاني ، سبل السلام ، مصدر سابق ، ج3، ص26، سابق ، مصدر سابق ، ج2 ، ص459 .

الحوارات بنفسه [1] ،ولكن عند الاصرار على الارتداد بعد استنفاذ السبل المقنعة كافة مع المرتد كان الامام يأمر بقتله.

وفي تفسير اسباب هذا الحكم الحازم بحق المرتد يقول محمد عابد الجابري ان " المرتد في هذه الحالة ، بعد قيام الدولة الاسلامية ، لم يكن مجرد شخص يغير عقيدته لاغير ، بل هو شخص خرج عن الاسلام عقيدة ومجتمعا ودولة ،واذا اخذنا بعين الاعتبار ان دولة الاسلام في المدينة ،زمن النبي وزمن الخلفاء الاربعة ،كانت تخوض حربا مستمرة (على المشركين العرب ، ثم على الروم والفرس) ادركنا ان (المرتد)زمن هذه الدولة هو في حكم الشخص الذي يخون وطنه ، اذاً فحكم الفقه الاسلامي على المرتد بهذا المعنى ليس حكما ضد حرية الاعتقاد بل ضد خيانة الامة والوطن والدولة فضلا عن الدين " [2] .

ومما يؤكد هذا التفسير لعقوبة الردة :" ان اناساً كانوا ياخذون العطاء والرزق ويصلون مع الناس ، وكانوا يعبدون الاصنام في السر فآتى بهم علي بن ابي طالب فوضعهم في المسجد او قيل في السجن ثم قال : يا ايها الناس ما ترون في قوم كانوا يأخذون معكم العطاء والرزق ويعبدون هذه الاصنام ؟ قال الناس : اقتلهم ، فقتلهم الامام " [3] ، ويبدو ان ذلك قد يشير الى وجود تدبير مسبق من بعضهم بأن يدسوا بين صفوف المسلمين بعض العملاء ،والتظاهر بأنهم من المسلمين مما يعني التجاوز على حقوق غيرهم وعمل مدبر من الداخل عبر التظاهر بالصلاة معهم . لذلك كانت العقوبة متناسبة مع الجريمة ، وامام الفقه الاسلامي تحد لمعالجة هذه القضية من جهتين ، الاولى

---

1 – ينظر : الطوسي ، المبسوط ، مصدر سابق ، ج7، ص218 ؛ الطوسي ، الخلاف ، مصدر سابق ، ج5 ، ص357 .

2 – د. محمد عابد الجابري ، مصدر سابق ، ص ص178–179 .

3– ابن ابي شيبة ، مصدر سابق ، ج7، ص659 .

شمول جرائم اخرى بعقوبة الاعدام كونها تهدف لهدم الاسلام ، بعقوبات رادعة ،والثانية النظر بامعان في عقوبة " المسلم الذي يعتنق دينا اخر اعتناقا فرديا لايمس من قريب او بعيد بالمجتمع الاسلامي ولا بالدولة الاسلامية " [1] .

ويبدو ان تحدي الردة ليس التحدي الوحيد في مجال الحرية فهناك موضوع العبودية ايضاً ، فلقد تعامل الامام مع موضوع العبودية مقسماً اياها على ثلاثة انواع ، حذر منها وحاول (ع) الحد منها في خطوة للقضاء عليها وتلك الانواع هي :

الرق ،وهو من يؤخذ عن طريق الحرب المشروعة .

الاستعباد السياسي ، اوسحق المواطن المعارض للسلطة الحاكمة .

عبادة الشهوة .

فبالنسبة للنوع الاول ،فان الرق كنظام وجد منذ زمن بعيد جدا قبل ظهور الاسلام ،واعترفت فيه الحضارات القديمة والديانات السماوية السابقة وقد اعترف الاسلام به لكونه وضعاً متخذاً في الحياة العربية الجاهلية آنذاك ، الا انه ركز على جعله قاصرا على الحرب من جهة وتهذيبه بصورة انسانية عالية من جهة اخرى ، هذا فضلاً عن العمل الاسلامي الفاعل بالتشجيع على تجفيف منابع العبودية من خلال جعل العتق كفارة لبعض الذنوب وموردا للانفاق العام [2] ،وافساح المجال للرقيق بشراء انفسهم من مالكيهم ،وعدم القبول بتوريث العبودية .

---

1 – محمد عابد الجابري ، مصدر سابق ، ص179 .

2 – حول موقف الاسلام من العبودية ينظر: محمد جعفر شمس الدين ، "الاسلام والرق " ، مجلة النجف ، السنة الخامسة ، العدد الاول ، تشرين الاول 1962 ، د. احمد الوائلي ، من فقه الجنس في قنواته المذهبية ، (النجف، المكتبة الحيدرية ، د. ت) ، ص 179 وما بعدها .

ولقد اتخذ الامام جملة من الافكار والمبادئ والسياسات العملية في مناهضة ساعية لنظام الرق حيث قال ،(ع):" ايها الناس ان ادم لم يلد عبدا ولا امة وان الناس كلهم احرار الا من اقر على نفسه بالعبودية " [1] .

ومن ناحية اخرى جعل للرقيق حقوقا في المأكل والمعيشة اللائقة وصيانة حقوقهم الانسانية وان كان وضعهم القانوني مختلفا عن غيرهم ، "وقد بلغ من عمق تاثير علي بن ابي طالب على الناس انه اشترى عبداً ، فعلمه الاسلام واعتقه ،لكن العبد لزمه .. حتى اذا مات النجاشي ملك الحبشة ،واضطربت الامور من بعده ، اكتشف الملأ من الحبشة ان هذا العبد هو ابن للنجاشي قد خطفه تجار الرقيق وهو غلام وباعوه في مكة ، فجاءه الملأ من الحبشة يعرضون عليه ملك الحبشة خلفا لابيه النجاشي لكنه رفض الملك واثر البقاء على الاسلام في صحبة علي" [2] .وهذه الرواية تثبت تقديم النموذج العملي ، فضلاً عن الحقوق القانونية حيث طالما ذكر الامام العبيد والمستضعفين بقول الرسول (صلى الله عليه وآله) خمس لا ادعهن حتى الممات .. [منها] الاكل على الحضيض مع العبيد" [3] ، بل ان الامام اعلنها بصراحة انه " من نكل بمملوك فهو حر" [4] ، ودعا الى التساهل في امور العتق من مكاتبة وغيرها [5] ، وقدم (ع) نوع الصيغ العملية في رفضه للعبودية إذ " اعتق الف مملوك من كد يده " [6] .

---

1 – الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، مصدر سابق ، ج61، ص33 .

2 – جاسم ، مصدر سابق ، ص ص 280–281 . حول تفاصيل هذا الموضوع ينظر : العسقلاني ، مصدر سابق ، ج7 ، ص343 ؛ المحمودي ، مصدر سابق ، ج4 ، ص13 ؛ الغروي ، مصدر سابق ، ج1 ، ص575 .

3 – الصدوق ، علل الشرائع ، مصدر سابق ، ج1، ص130 .

4 – محمد بن الحسن الحر العاملي ، الفصول المهمة في اصول الائمة ، تحقيق محمد القائيني ، ج2 ، ط1 ، (ايران ، مؤسسة المعارف الإسلامية ، 1418هـ) ، ص394.

5 – حول مفهوم المكاتبة واحكامها ينظر: البيهقي ، مصدر سابق ،ج1،ص331.

6– الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، مصدر سابق ، ج61، ،ص3 .

ومن الممكن ان يثار سؤال، لماذا لم يحرم الاسلام الرق ؟ او تمنع سياسة الامام العملية الرق؟وعلى الرغم من كثرة الدفاع عن هذه المسالة ، مما ذكرنا بعضه سابقا وغيره [1] ، الا انه يمكن ان نضيف ان بقاء مثل هذه المسائل (احكام الردة والرق وغيرها) انما هو تحد فكري وفقهي، اقتضت الحكمة الالهية ان يمتحن العقل الاسلامي بالتعامل مع النص والواقع بما يؤدي الى مساحات فكرية انسانية اوسع وهكذا نجد ، مثلا ، تلاشي مسالة العبودية في مجتمعات الاسلام المعاصرة من خلال تلاشي اسبابها وتجفيف منابعها دونما حاجة الى الغاء معلن لاحكامها... فالاحكام انما وجدت بوجود موضوعاتها .. ولن يسري مفعولها اذا ما انتفى وجود تلك الموضوعات بزوال اسبابها .

اما الاستعباد السياسي ، فقد شغل حيزاً مهماً من مسيرة الامام الفكرية والعملية كواقع يجب التعامل معه والسعي لتغييره [2] ، فيقول الامام عن تجربة بني اسرائيل كنموذج للطغيان السياسي ، " اتخذتهم الفراعنة عبيدا فساموهم سوء العذاب وجرعوهم المرار فلم تبرح الحال بهم في ذل الهلكة وقهر الغلبة " [3] .

اما ما يتعلق بعبودية الشهوة ،فانها تتناقض مع الحرية التي ارادها الاسلام وجاهد من اجل منحها للبشرية ،والتي تكون وسيلة ينال من خلالها الانسان مراتب الكمال والتقدم نحو غايته في الوجود ، لذلك فالحرية في منهجه لابد ان تكون مقرونة بالمسؤولية تجاه الافراد والمجتمع والدولة، حتى

---

1 – حول تفسير موقف الاسلام من الرق ،والعبودية بعدها كنظام يحقق التوازن او الردع العسكري ، ويفتح آفاق للتفاعل بين الشعوب ينظر :زين الدين بن على العاملي (الشهيد الثاني) ، الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية ، تعليق محمد كلانتر ، ج6 ، (النجف، منشورات : جامعة النجف الدينية ، 1406)، ص228 .

2 – سنتناول هذا الموضوع بالتفصيل لاحقا في الفصل الثالث المبحث الرابع .

3– بيضون ، مصدر سابق ، ص839 .

الطبيعة وقبل ذلك تجاه الله تعالى. ان انقياد الانسان لشهواته يكاد يبلغ عند بعضهم بمثابة العبودية لها ، وله اثاره السلبية، فعلى الامتداد الزمني يرى الامام ان " الطمع رق مؤبد" [1] وعلى مستوى الهبوط الانساني لانسياق الانسان لفلسفة اتباع اللذة [2] [3]

يقول الامام : "عبد الشهوة اذل من عبد الرق" وابعد من ذلك يرى الامام ان " من ترك الشهوات كان حرا " من ذلك يتضح ان تشخيص الامام للربط بين الحرية والتحرر من الشهوة ،انما قصد به التحرر من حالة خطرة من حالات الاسر التي تكبل المسيرة الانسانية من داخل الذات الضعيفة .

يعد الامام عبودية الانسان لشهواته من اسوأ انواع العبودية ؛ ولذلك سعى جاهداً لمناهضتها وتحرير الانسان من اغلالها على وفق فلسفة اسلامية علوية متكاملة من ابرز مقوماتها الزهد [4] الذي جسده الامام بابعاده كافة [5] ان هذا المنطلق يبني مفهوما للحرية يتعارض مع ما دعا اليه " في القرن العشرين الفيلسوف البريطاني رسل ،بان الحرية غياب الحواجز امام تحقيق الرغبات " [6] . فإذا كان رسل يطلق العنان للرغبات دون حدود او قيود منطلقا من احوال المجتمعات فإننا – على عكس ذلك – يمكننا مواجهة سلبيات المجتمع المادي في الوقت الحالي من خلال الالتزام بالمفهوم العلوي للحرية المرتبطة بالمسؤولية والمحددة بعدم تجاوز حقوق الاخرين من بني البشر .

---

1 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ،مصدر سابق ، حكمة170 ، ص640.

2 – كمال الدين البحراني ، مصدر سابق، ص41 .

3– المجلسي ، مصدر سابق ، ج57 ، ص91 .

4 – سنتطرق لموضوع الزهد لاحقا في الفصل الرابع ، المبحث الرابع .

5 – تطرقنا اليه سابقا .

6– الامين ، مصدر سابق ، ص29 .

ويرى الامام ان " الحريات يجب ان يرافقها مراعاة الجوانب والضوابط التي حددتها الشريعة حتى لاتنتهك حقوق الاخرين المشروعة في العيش بسلام وامان، وتصان الحياة العامة والنظم التي تسير الحياة الاجتماعية من كل انحراف او تجاوز" [1] ،ان هذه النظرة للحرية كونها حرية مسؤولة وملتزمة جعلت من الامام يبني سجنا [2] " للمسيئين والسراق ومن تثبت خيانته [3] ، مع ذلك كان الامام يؤكد ان " الحبس بعد معرفة الحق ظلم " [4] فليس في رأي علي أي نوع من حرية الجريمة او الاساءة لعقيدة المسلمين ، بمعنى عقيدة المجتمع فلقد كان " علي (ع) يجلد الحر والعبد واليهودي والنصراني في الخمر والنبيذ ثمانين ، فقيل له ، ما بال اليهودي والنصراني؟ فقال : اذا اظهروا ذلك في مصر من الامصار [يقصد الاسلامية] لانه ليس لهم ان يتظاهروا بشربها " [5] مما يمس بمشاعر ومنظومة القيم الدينية والاخلاقية لغالبية شعب الدولة ويحترم الامام المواطن المسلم في داخل الدولة ويجعل الاولوية لاخذ حقه على أي اعتبار اخر ،فحين سئل الامام " عن الذمي يستكره امة مسلمة حتى اصابها، فقال(ع):" فعليه في ذلك ما على المستكره من المسلمين لان الله اوجب حدا واحدا على جميع الفاجرين " [6] .

ومما يمكن عده تحديدا لـ (حق الحرية) في رؤية الامام هو وجوب احترام الملكية العامة للمجتمع ،فعندما تعدى بعضهم ،

في عهد الامام ،على جزء من

---

1 – عبد الرضا الزبيدي ، في الفكر الاجتماعي عند الامام علي (ع) (دراسة في ضوء نهج البلاغة) ، ط1 ، (د. م ، د. ن ، 1998) ، ص ص168–169.

2 – ابو اسحاق ابراهيم بن محمد الثقفي ، الغارات ، تحقيق جلال الدين المحدث،ج2، (د.م ، د.ن ، د. ت)،ص727 .

3 – محمد بن ابي بكر بن قيم الجوزية ، الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ، ج1 ، ط2 ، (الرياض ، دار العاصمة ، 1998) ، ص377 .

4 – الريشهري ، ميزان الحكمة ، مصدر سابق ،ج1، ص526 .

5– الشهيد الثاني ، مسالك الافهام ، مصدر سابق ، ج41، ص464 .

6 – يحيى بن الحسين ، كتاب الاحكام في الحلال والحرام ، ج2 ،(د.م ، د.ن، د. ت) ، ص246.

طريق المسلمين ، اصدر الامام امره قائلاً : " لا اعفو عنكم الا على ان ترجع وقد هدمتم هذه المجالس وسددتهم كل كوة وقلعتم كل ميزاب وطممتم كل خوخة على الطريق فان هذا كله في طريق المسلمين "[1] . وكذلك كان الامام يحجر على الغلام المفسد حتى يصلح وذلك تحقيقا لصالحه الخاص وايضا للصالح العام[2] .

بعد هذه الدراسة لحق الحرية عند الامام علي ، يمكننا القول ان الامام ايقظ روح الحرية المسؤولة عند الناس ، ونجد انفسنا متفقين مع الاستاذ جرداق حين يقول : " ان الحرية بمفهومها العلوي هذا هي التي تخلق الثورات وتنشئ الحضارات "[3] ، وهذا يوصلنا الى موضوع غاية في الاهمية عند الامام الا وهو (الحقوق السياسية) للامة ،ولاسيما انها هي التي تثور على الظلم ،وهي التي تشيد الحضارة ، وسيكون ذلك مجال بحثنا في الفصل الآتي.

1– المجلسي ، مصدر سابق ، ج101 ، ص254 .

2– ينظر : الحر العاملي ، الفصول المهمة ، مصدر سابق ، ج2، ص272 .

3 – جرداق ، مصدر سابق ، م1 ، ص134 .

الفصل الثالث

الحقوق السياسية

الحقوق
والسياسة
هي
الحقوق
التي
تنظم
علاقة
الانسان
بالدولة
،
او
بالمجتمع
باعتبار
ان
الانسان
مدني
واجتماعي
بطبعه
لذلك
فان
ظاهرة
الحكم
هي
حالة
انسانية
وان
الحقوق
السياسية
هي
حقوق
للانسان
بشكل
عام
،
وان
تطلبت
بعض
الشروط
الخاصة
لممارستها
،
وميدان
الحقوق
السياسية
واسع
جداً
وسيقتصر
بحثنا
في
هذا
الفصل
على
اربعة
مباحث
تناول
كل
منها
حقاً
سياسياً
من
حقوق
الانسان
عند
الامام

علي
(ع)
فالمبحث
الاول
تناول
(حق
حرية
الرأي
والتعبير)
،
اما
المبحث
الثاني
فتطرق
إلى
(حق
المشاركة
السياسية)
،
والمبحث
الثالث
فيبحث
في
(حق
ضبط
الحكام)
والمبحث
الرابع
تناول
(حق
المعارضة
السياسية)
.

المبحث الاول

حرية الرأي والتعبير

من السمات الواضحة في تجربة الامام علي بن ابي طالب السياسية ، هو سعيه (ع) الحثيث نحو ايجاد وتوسيع دائرة الحرية السياسية وفتح سبل التعبير سواء بحرية القول والفكر والراي ام بالعمل وتبني المواقف إزاء الاحداث السياسية . فقد كفل الامام حق اختيار الخط السياسي لكل مواطن في اصقاع دولته وشملت هذه الحرية حتى مناوئيه وفق رؤية كاتب معاصر تذهب الى اعطاء الحرية السياسية في ظل مبدأ : "دعوهم وما اختاروا لانفسهم"[1] . وكتب في عهده للاشتر : "والزم كل منهم [المحسن والمسيئ] ما الزم نفسه"[2] . ويشير المفكر محمد حسين فضل الله إلى هذا البعد في مسيرة الامام بأنه(ع)" كان يفتح باب الحوار امام الافراد والجماعات حرصا منه على حرية المجتمع واسباب تطوره ، بمعنى انه لم يعزل الحرية الفردية عن الحرية العامة في مجرى قيادته لشؤون المجتمع الاسلامي . وفي اصعب المحن التي مرت بها خلافة الامام علي ظل تمسكه المبدئي الصارم بالحرية ورفضه الحاسم للاكراه من اي نوع كان "[3] .

فاذا قسمنا الحرية فردية وجماعية ، فسنقتصر في هذا المبحث على الحقوق الفردية تاركين النوع الثاني أي الممارسة الجماعية الى مبحث اخر [4] ، وسنبحث محاور الموضوع كالاتي:

---

1 – خالد محمد خالد ، في رحاب الامام علي (ع) ، (القاهرة ، دار الاسلام ، د . ت) ص ص124 –125 . حول هذا المبدأ ينظر : ابن ابي الحديد ، مصدر سابق ، ج13 ، ص309 ، ص311 .

2 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، كتاب 53 . ص551.

3 – فضل الله ، علي ميزان الحق ، مصدر سابق ، ص6

4 – ينظر : المبحث الرابع من هذا الفصل .

– تأكيد الامام على الحرية السياسية .

– نظرة الامام لحرية الراي وقيودها .

– جانب من حرية الرأي في صعيدها العملي عند الامام .

– ضمانات حرية الرأي .

– فوائد حرية الرأي والتعبير .

لقد اكد الامام باقواله وخطبه وادائه سواء كمواطن أم كحاكم على مسالة الحرية السياسية، الذي يعد حرية الرأي والتعبير جزءاً منها ، ومناهضته الاستبداد والظلم والتجبر . إذ يقول(ع) في خطبة عامة للامة بعد ان مدحه احدهم : " ان من اسخف حالات الولاة عند صالح الناس ان يظن بهم حب الفخر ويوضع امرهم على الكبر . وقد كرهت ان يكون جال في ظنكم اني احب الاطراء واستماع الثناء ، ولست بحمد الله كذلك ... فلا تكلموني بما تكلم به الجبابرة ،ولاتتحفظوا مني بما يتحفظ به عند اهل البادرة [1] ولا تخالطوني بالمصانعة ولا تظنوا بي استثقالا في الحق قيل لي ولا التماس اعظام لنفسي فان من استثقل الحق ان يقال له او العدل يعرض عليه كان العمل بهما اثقل عليه . فلا تكفوا عن مقالة بحق او مشورة بعدل فاني لست في نفسي بفوق ان اخطئ ولا امن ذلك من فعلي الا ان يكفي الله من نفسي ماهو املك به مني " [2] .

ففي هذا الخطاب يفتح الامام باب حرية الراي على مصراعيه وكذلك النقد والمحاسبة امام جماهير الامة ، بل ان الامام يدعو الى توفير الامن للمجاهرين بالحق ويجعل من تقبل الرأي الاخر دعوة لمراجعة الذات بالنسبة للحاكم وتصحيح الخطأ وتغير مسيرة العمل نحو الحق والعدل. وفي مناسبة اخرى ، يمجد الامام الداعين للحق بقولهم وفعلهم ، ويطالب

1– الغضب .

2 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، خطبة 216 ، ص ص 420–

الصفحة 141

بمعاملتهم ، بأقصى سبل الاحترام كونهم المرآة الكاشفة عن مواطن الضعف في العملية السياسية فيوصي(ع) الاشتر قائلاً: " ثم ليكن اثرهم عندك اقولهم بمر الحق لك واقلهم مساعدة فيما يكون منك مما كره الله لاوليائه واقعا ذلك من هواك حيث وقع "[1] .

ويقول الامام : " ايها الناس . انا احب ان اشهد عليكم ان لايقوم احد فيقول : لردت ان اقول فخفت ، فقد اعذرت بيني وبينكم "[2] .وهنا يبرز الامام ويؤكد حق الافراد في ابداء رائهم والتعبير عن معتقداتهم وافكارهم السياسية في ظل جو من الامن واحترام الرأي الاخر اشاعته حكومة الامام ، حتى انه كان يأمر عماله بايجاد وتغذية روح النقد وحرية الرأي كركيزة رئيسة في تربية الامة فيوجه رسالته الى احدولاته حول صيغ التعامل مع الامة في عصر دولة الامام وتطبيق الاسلام قائلاً : " احلل عقدة الخوف عن راهبهم بالعدل والانصاف ان شاء الله تعالى"[3] .

تعد حرية الكلمة والراي جزءاً من مسؤولية الانسان في نظر الامام ؛وهذا الاستحقاق يتطلب عدة شروط[4] لاطلاق الاراء والاحكام فان لسان الانسان الذي شرفه الله به[5] هو سلاح ذو حدين وذا اثر مهم في المجتمع والدولة فـ "رب قول انفذ من صول "[6] وفق رأي الامام ؛ الذي يعطي للكلمة الصادقة قدسية كونها جزءاً من الايمان الذي يتجسد عند الامام بأنه "

---

1 – المصدر السابق ، كتاب 53 ، الصفحة 551 . ولشرح هذه الفقرة بشيء من التوسع ينظر : توفيق الفكيكي،الراعي والرعية،ط3 ،(بغداد ، المعرفة للنشر والتوزيع ، 199 ، ص ص133–143 .

2 – النعمان محمد بن منصور بن احمد التميمي المغربي ، دعائم الاسلام ، تحقيق امين بن علي اصغر فيضي ، ج2، (مصر ، دار المعارف ، 1963) ، ص354 .

3 – البلاذري ، انساب الاشراف ، مصدر سابق ، ص 158 .

4 – سنتطرق لها لاحقا .

5 – يقول الله تعالى " الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان " ، سورة الرحمن / الاية 1–4 .

6– بيضون ، مصدر سابق ، ص705 .

الصفحة 142

معرفة بالقلب واقرار باللسان وعمل بالاركان"[1] وهي اداة لتطور الفكر الانساني والاسلامي خاصة إذ قال الامام ، ان " هذا القرآن انما هو خط مسطور بين الدفتين لاينطق بلسان ولابد له من ترجمان وانما ينطق عنه الرجال "[2] .وهو وسيلة لتحقيق الثواب فـ " الاجر في القول باللسان والعمل بالايدي والاقدام "[3] .

ان دعوة الامام لاحترام حرية الرأي والكلمة لم تحجب عن نظرته تشخيص بعض السلبيات التي قد توظف تلك الحرية

للتاثير سلبا على الفرد والمجتمع . فيصف الامام بعضهم بانهم قد " اتخذوا الشيطان لامرهم ملاكا ... فنظر بأعينهم ونطق بألسنتهم "[4] . ويحذر الامام من رفع الشعارات الواقه المفرغة من اهدافها الحقيقية فقد " صار دين احدكم لعق على لسانه "[5] . وصدق الكلمة ومسؤوليتها هو للتقدم الاجتماعي والانساني والعكس صحيح فمن اخطاء الانسان وصفاته الذميمة ، ولاسيما رجل الدولة ، هو انه " يمشي فيهم بلسانين "[6] ، وهذا النموذج هو عنصر هدم داخل المجتمع يثير مخاوف الامام فيقول : " اخاف عليكم كل منافق الجنان ، عالم اللسان يقول ما تعرفون ويفعل ما تنكرون"[7] .

وفي سبيل تجاوز الابعاد السلبية وما يترتب عنها من آثار ، وضع الإمام بعض القيود المحددات على الحرية الرأي والتعبير تتجسد بالاتي :

1 – صيانة حقوق الاخرين إذ ان حرية القول والفعل تقف عند خط لا يمكن ان يتعداه ، إلا من كان ظالما ، وهو الكيان المادي والمعنوي للانسان فـ

1– المصدر السابق ، ص 703 .

2– المصدر السابق ، ص 702 .

3– المصدر السابق ، الصفحة 702 .

4– المصدر السابق الصفحة 701 .

5– المصدر السابق الصفحة 702 .

6– المصدر السابق الصفحة 702 .

7– المصدر السابق الصفحة 703 .

"المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه الا بالحق"[1] ، على وفق قول الامام .

2 –العلم ، اي الاحاطة والتعمق بالشي او الشخص قبل اطلاق الاحكام والاراء فيؤكد الامام مسألة العلم إذ قول : " لا تقل ما لا تعلم ، بل لا تقل كل ما تعلم"[2] . والجهل آفة من آفات النقد والاراء الخاطئة ، فيقول (ع) : "من جهل شيئاً عابه"[3] ."ولا خير في القول بالجهل "[4] . بل قد تصل حالة الجهل الى ايجاد نوع من العداء فـ "الناس اعداء ما جهلوا "[5] . على وفق رؤية الامام .

3 – الانصاف في اطلاق الاراء واتخاذ المواقف ، فيقول الامام "قلما ينصف اللسان في نشر قبيح او احسان "[6] .

4 – الاسلوب ، فكون الرأي حقا او مصيبا غير كاف ليؤدي الى بناء المجتمع وتطويره بل ان عرض الرأي بنحو مناسب هو من شروط نجاح توظيف الحرية لصالح المجتمع . فيجب ان يراعى نوع التعامل واللفظ واسلوب التعبير والظروف الزمانية والمكانية والمخاطب والمتغيرات الاخرى . فان " من اسرع للناس بما يكرهون قالوا فيه ما لا يعلمون "[7] . ويحذر

الامام كذلك من الاندفاع فيقول ان " هذا اللسان جموح بصاحبه " . و " اخزن

1- المصدر السابق ، ص 702 .

2- المصدر السابق ، ص705 .

3- المجلسي ، مصدر سابق ، ج 78 ، ص 79 ،

4- بيضون ، مصدر سابق ، ص 705 .

5 - الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي،مصدر سابق ، حكمة 428 ص 696.

6 - عبد الواحد بن محمد بن تميم الامدي ، تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم ، تحقيق المصطفى الرايتي ، ط1، (قم، مكتب الاعلام الاسلامي ، د. ت) ، ص213 .

7 - الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، حكمة 31 ، ص 609 .

8- بيضون ، مصدر سابق ، ص 705 .

لسانك كما تخزن ذهبك وورقك فرب كلمة سلبت نعمة وجلبت نقمة "[1] . وينصح الامام كذلك بتجنب الاطلاقية في اتخاذ المواقف والاراء فيقول (ع) : " احبب حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك يوما ما ،وابغض بغيضك هونا ما عسى ان يكون حبيبك يوما ما "[2] .

ان دعوة الامام لحرية الرأي والتعبير كانت تجد تجسيدها العملي في مواقف الامام السياسية سواء قبل توليه رئاسة الدولة الاسلامية[3] ، ام بعد توليه اياها فقد ظل (ع) مثل حي وملموس في احترامه لحرية الآراء والمواقف ويمكن التوقف عند أبرزها وهي على النحو الآتي :

- مسالة البيعة .
- الموقف من الحرب .
- الحرية في تحديد المواقف السياسية .
- قبول النقد والمعارضة الفردية .

فبالنسبة لموضوع البيعة ، فعلى الرغم من الاحوال السياسية والتاريخية المتأزمة قبل بيعته وبعدها[4] ، الا ان الامام اتاح " للناس الحرية التامة في اعتناق اي مذهب سياسي ، من دون ان تفرض السلطة عليهم رأياً معاكسا ، وقد منح الامام(ع) هذا الحرية حتى لاعدائه الذين رفضوا بيعته التي قام عليها اجماع معظم المسلمين كسعد بن ابي وقاص وعبد الله بن عمر

---

1 - المصدر السابق . ويقول (ع) "هانت عليه من امر عليها لسانه" : الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق

وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، حكمة 2، ص602 .

2 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، حكمة 259 ، ص661 .

3 – هناك عدة مواقف لتصدي الامام لحرية الراي والتعبير لاحقاق الحق وتقويم الخطأ . ينظر مثلاً : اليعقوبي ، مصدر سابق ، ج2 ، ص164 .

4 – تفاصيل موقفة في هذه المرحلة واثارها موجودة في معظم كتب التاريخ الشهيرة ، وفي كثير من الكتب التي ارخت لسيرة الامام علي (ع) .

وغيرهم... فلم يجبرهم الامام على بيعته ولم يتخذ معهم اي اجراء حاسم "[1] ، ونلاحظ ان الامام ، بعد ان تمت بيعته ، لم ير غضاضه في قول احدهم له : " لن أأتم بك، ولن اشهد معك الصلاة ، ولن ائتمر بأمرك ، ولن يكون لك عليَّ سلطان ، فقال له الامام : لك ذلك مع عطائك كاملاً غير منقوص ، على شريطة ان لا تتعدى على احد ، فان اعتديت عاقبتك بما تستحق "[2] ،واحتج الامام بشرعية بيعته كونها كانت حرة حتى على من ناصبه العداء . فكان يقول لطلحة والزبير : " انشدتكما الله هل جئتماني طائعين للبيعة ودعوتماني اليها وانا كاره لها؟ قالا : نعم . فقال : غير مجبرين ولا مقسورين فاسلمتما لي بيعتكما واعطيتماني عهودكما . قالا : نعم "[3]

اما معارك الامام بعد توليه الخلافة فقد وضعت اسساً عميقة للحرية في هذا المضمار ، فمن جهة منع الامام اسلوب السخرة العسكرية مهما كانت المسوغات ، إلا في مجالها الشرعي المحدود[4] . وكانت إستراتيجيته متجسدة في كتابه الى امراء الجند قائلا : " استغن بمن انقاد معك عمن تقاعس عنك ، فان المتكاره مغيبه خير من مشهده ، وقعوده اغنى من نهوضه"[5] .

كذلك قد رفض الامام انسياق الناس الى الهيجاء إلا بعد التثبت من اسباب الحرب واهدافها؛ فقد سأل احدهم قبل مسير جيش الامام الى البصرة: " يا امير المؤمنين أي شي تريد واين تذهب بنا؟ فقال : أما الذي نريد ونوي

---

1 – القرشي ، موسوعة امير المؤمنين ، مصدر سابق ، ج11 ، ص41 . وحول اسباب ومسوغات هذه المجموعة الرافضة للبيعة ينظر : ابو عبد الله محمد بن النعمان العكبري (الشيخ المفيد)، الجمل ، تحقيق السيد علي مير شريفي،(قم ، مكتب الاعلام الاسلامي ، 1413) ، ص ص94 – 101 .

2 – محمد جواد مغنية ، فضائل الامام علي ، (بيروت ، مكتبة الحياة ، 1962) ، ص76 ، ينظر : ابن ابي الحديد ، مصدر سابق ، ج3 ، ص128 ، وينظر : المحمودي ، مصدر سابق ، ص418 ، وينظر : المجلسي ، مصدر سابق ، ج33 ، ص406 .

3 – القرشي ، موسوعة علي بن ابي طالب ، مصدر سابق ، م4 ، ق5 ، ص110 .

4 – سوف نتطرق لهذا الموضوع في الفصل الخامس ، المبحث الثالث .

5 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، شرح محمد عبدة ، مصدر سابق ، ج3 ، ص6 .

فالاصلاح ان قبلوا منا واجابونا اليه . قال فإن لم يجيبونا اليه؟ قال : ندعهم بعذرهم ونعطيهم الحق ونصبر ، قال فان لم يرضوا؟ قال : ندعهم ماتركونا ، قال فان لم يتركونا ؟ قال امتنعنا منهم ، قال المتحدث : فنعم اذا"[1] . وسمح الامام بالحوارات والبحث عن شرعية الحرب حتى في اثناء المعركة[2] ، وبمناقشة نتائج الحرب وشرعيتها بعد المعركة[3] .

اما غير المشتركين في الحرب فقد احترم الامام آراءهم السياسية في هذا الصدد وكان(ع) يقول : " من كره منكم ان يقاتل معنا معاوية فليأخذ عطاءه وليخرج الى الديلم فيقاتلهم"[4] . واتت مجموعة "وهم يومئذ اربعمائةرجل فقالوا : انا شككنا في هذا القتال على معرفتنا بفضلك ،ولا غنى بناولا بكولا المسلمين عمن يقاتل العدو، فدعنا لبعض الثغور فنكون به ثم نقاتل عن اهله، فوجهم على ثغر الري "[5] .

واجاز الامام حرية تبني المواقف السياسية للافراد والجماعات[6] ، فكان يقول لمعارضيهوهم تحت سلطانه:" كن من امرك ما بدا لك"[7] . وفي ضمن حرية الرأي والكلمة ، مع مراعاة الضوابط السابقة وكانت الساحة

---

1 – محمد الطبري ، تاريخ الطبري ، مصدر سابق ، ج3 ، ص493 .ويستنهض (ع) الامة في حروبه قائلاً : "اما بعد، فأني خرجت من بيتي هذا اما ظالماً واما مظلوماً ،واما باغياً واما مبغيا عَليه،وانا اذكر الله من بلغه كتابي هذا الا نفر إلى فان كنت محسنا اعانني وان كنت مسيئاً استعتبني " ، الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، كتاب 57 ، ص ص 575–576 .

2 – ينظر : مختلف هذه الحوارات في ، الميناجي ، مواقف الشيعة ، مصدر سابق ، ج2، ص47 .

3– الهمداني ، مصدر سابق ، ص677 .

4 – احمد بن يحيى بن جابر البلاذري ، فتوح البلدان ، ج2 ، (بيروت دار الاعلمي ، د. ت) ، ص395 .

5 – المنقري ، وقعة صفين ، مصدر سابق ، ص115 . وقد شعر المواطن بالحرية في المجال العسكري فقد قال احد اصحاب الامام يعرض على القتال قائلاً : " هذا جمع حشره الله لك بالتقوى ولم تكره فيه شاخصاً ولم تشخص فيه مقيما ً ، المصدر السابق ، ص29 .

6 – سنعرض موضوع معارضة الجماعات في المبحث الرابع من هذا الفصل

7 – ابن قتيبة الدنيوري ، الامامة والسياسة ، مصدر سابق ، ج 1 ، ص74 .

السياسية لدولة الامام تعج بعملية تساؤل وشفافية في شتى القضايا التي قد تهم الفرد والجماعة[1] .

ان الهامش الواسع للحرية السياسية في دولة الامام ، عده بعض منتقدي الامام نقطة ضعف رئيسة في الاداء السياسي له ،

إذ قال احد مستشاري معاوية ان ميزان القوة هو لصالح الأخير حيث ان معه " قوما لا يقولون اذا سكت ويسكتون اذا نطقوا ولا يسألون اذا أمر ، ومع علي قوما يقولون اذا قال ويسألون اذا سكت "[2] . ويمكننا القول ان البون الشاسع بين الرجلين انعكس على اضفاء صفة الحرية السياسية على سلوك الامام والاستبدادية على خصمه حيث ينقاد جزء من الامة لمثل معاوية وتشترك وتسأل الامة حاكماً مثل علي[3] ولعل خشية الامام من استبدادية السلطة تنعكس في قوله لتحريض المؤمنين على القتال في حرب صفين:"سيروا الى قوم يقاتلونكم كيما يكونوا في الارض جبارين ملوكا ، يتخذهم المؤمنين ارباباً ، ويتخذون عباد الله خولا "[4]

واتسع صدر الامام لناقديه ، كون النقد هو حق للمحكوم إزاء اخطاء الحاكم ، فكان(ع) يقول : " احب اخواني الي من اهدى الي عيوبي "[5] .

---

1 – فقد سأل الامام من قبل مختلف الاشخاص عن شتى القضايا ، مثل موقفه من الخلفاء ،والحروب التي خاضها، ومستقبل الامة ، وشرعية حكومته .... الخ من مسائل السياسة .ينظر : نور الدين علي بن ابي بكر الهيثمي ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، ج9 ،(بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1988)، ص97 ؛ محمد الطوي ، تاريخ الطوي، مصدر سابق ، ج4 ، ص5 وما بعدها . المنقري ، وقعة صفين ، مصدر سابق ، ص321

2 – ابن داود الدينوري ، الاخبار الطوال ، مصدر سابق ، ص 155 .

3 – لقد اعطى غرس الحرية في نفوس ابناء الامة الاسلامية اكله بعد ذلك بإعتراف معاوية نفسه وذلك بعد ان انتقدت امراة من المسلمين تفشي المظالم في عهده والزمته الحجة فقال : " هيهات يا اهل العراق فقهكم ابن ابي طالب فلن تطاقوا ثم امر بانصافها " ابن طيفور ، بلاغات النساء ، ص 71.

4 – ابن قتيبة الدنيوري ، الامامة والسياسة ، مصدر سابق ، ج1، ص166 .

5– المجلسي ، مصدر سابق ، ج74، ص282 .

ويمكن ان نتلمس حقيقة انه بالرغم من الأهوال التي عصفت بالدولة والفكر الاسلامي بعد مقتل الخليفة عثمان وتسلم الامام دفة الحكم لم يذكر في التاريخ انه قمع صوت احد انتقده او انه استخدم القوة ضد منتقديه . فنراه (ع) يرفض ان يقتل او يحبس او يعاقب منتقديه[1] .وعزز الامام لغة المسامحة بين الافراد والسلطة خصوصا اذا ما تعلق الامر بشخص الامام ، فعندما قال له احد معارضيه : "قاتله الله كافرا ما افقهه ، فوثب القوم اليه ليقتلوه فقال (ع) : رويدا انما هو سب بسب او عفو عن ذنب "[2] . ويوضح رؤيته حول التعامل مع مثل هذا النوع من السلوك قائلا : " دع شاتمك مهانا ترض الرحمن ، وتسخط الشيطان ، وتعاقب عدوك"[3] . ويجمل الامام مساحة الحرية السياسية في عهد حكمه مخاطبا الامة : " لم تكونوا في شي من حالاتكم مكرهين "[4] .

ومع هذا الكم من الاراء والافكار من جهة والتجربة العملية الثرية من جهة اخرى ، يبرز الامام جانباً من ضمانات حرية الرأي والتعبير . فضلاً عن الآيات القرآنية التي تؤكد هذا الحق[5] . للانسان بشكل عام والمسلم بوجه خاص ، نلاحظ ان الامام علي يبرز شرعية هذه الحرية عند الرسول(صلى الله عليه وآله) إذ يقول: " اني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول في غير موطن لن تقدس امة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي غير متعتع"[6] . ويحيط

---

1 – ينظر : محمد الطوي ، تاريخ الطوي ، مصدر سابق ، ج4 ، ص82 ؛ ابن داود الدنيوري ، الاخبار ، مصدر سابق ، ص161 .

2– الهمداني ، مصدر سابق ، ص652 .

3– المصدر السابق ، ص650 .

4– المجلسي ، مصدر سابق ، ج5 ، ص13 .

5 – سورة البقرة / الاية 111 . سورة الاعراف / الاية 159 ، سورة العنكبوت / الاية46 ، سورة ال عمران/ الاية 64 . ينظر : شهاب الدين الحسيني ، "الانسانية وحقوق الامم والاديان في الاسلام ". ورد في جعفر سبحاني ، خصائص الاسلام ، مصدر سابق ، ص331 وما بعدها .

6 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، كتاب 53 ، ص565.

الامام حق حرية الرأي والتعبير بشرعية مبدأ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر حيث يقول : " يا ايها المؤمنون ... من رأى عدوانا يعمل به ومنكرا يدعى اليه فأنكره بقلبه فقد سلم وبرئ ومن انكر بلسانه فقد اجر وهو افضل من صاحبه..."[1] ويقول ايضاً " ومنهم تارك لانكار المنكر بلسانه وقلبه ويده فذلك ميت الاحياء ، وما اعمال البر كلها والجهاد في سبيل الله عند الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الا كنقطة في بحر لجي ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يدنيان من اجل ولا ينقصان من رزق ، وافضل من ذلك كلمة عدل عند امام جائر "[2] ، وهذا الحديث اذ يدل على اثر الكلمة وأهميتها في المجتمع والدولة الاسلامية .

أما الانعكاسات الايجابية لحرية الرأي والتعبير على الصعيد السياسي والانساني على وفق رؤية الامام (ع) فيمكن اجمالها على النحو الآتي :

– تحقيق واجب شرعي وهدف الهي،إذ قال (ع) " لا تكن عبداً لغيرك وقد جعلك الله حرا "[3] .

– ايجاد السبل لاطلاع الحكومة على مكامن النقص واحتياجات المجتمع ، فقد قال الامام "احب اخواني الي من اهدى الي عيوبي "[4] .

– انشاء وتعميق حالة الوعي السياسي في الامة ، فقال احد ائمة المدرسة الامامية : " من اصبح وامسى غير مهتم بأمور

(5)

المسلمين فليس منهم " .

1- الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، مصدر سابق ، ج6 ، ص405 .

2- المصدر السابق ، ج6 ، ص 406 . وسوف نتناول مبدأ (الامر بالمعوف والنهي عن المنكر) لاحقا في المبحث الرابع من هذا الفصل .

3 - الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، كتاب 31 ، ص509 .

4- المجلسي ، مصدر سابق ، ج74 ، ص282 .

5 - ورد هذا القول على لسان للامام جعفر بن محمد (الصادق) . الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، مصدر سابق ، ج6 ، ص559.

– ان انعدام حرية البيان يؤدي الى ديكتاتورية الحكام ، اذ " ان المعارضة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر هي التي تقف دون سير الحاكم في الطريق الذي تمليه عليه اهوائه وشهواته ... وفي الحديث عن علي (ع) لن تقدس امة لا يؤخذ من قويها حق ضعيفها غير متعتع"[1] .

– ان ترسيخ هذا الحق في فكر وسلوك الامة يحد من اللجوء للعنف والمعارضة المسلحة لحل الاشكالات السياسية ، فقال (ع) لاحدولاته : "استعمل العدل ،واحذر العسف والحيف فان العسف يعود بالجلاء والحيف يدعوا الى السيف"[2] .

– ان هذا الحق يسهم في التخلص من سبات العقل ، فالحرية السياسية وهامش الحركة ينضج الاراء ويوسع المدارك والقوة على مجابهة التحديات الفكرية والحضارية ، قال الامام "نعوذ بالله من سبات العقل وقبح الزلل"[3] . ويظهر لنا هذا القول معنى اصيل في تطور الفكر الناجم اساسا من حرية الرأي والتفاعل وتبادل الآراء والخبرات .

ان حق حرية الرأي والتعبير هو جزء مهم من منظومة الحقوق السياسية عند الإمام علي(ع). والتي يتمثل جزؤها الثاني بحق الإنسان في الشورى والمشاركة في الحياة السياسية . وهو ما سنعرضه في المبحث التالي .

---

1 – محمد الحسيني الشيرازي ، الفقه السياسة ، (ايران ، مطبعة رضائي ، 1403هـ) ، ص ص 461–462 .

2 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، حكمة 466 . ص702 .

3 – عمار حمادة ، لقاء مع الامام علي(ع) في نهج البلاغة،(بيروت،مركز باء للابحاث،2001) ، ص 42 .

المبحث الثاني

حق المشاركة السياسية

يعد الامام علي بن ابي طالب (ع) من السباقين في منح الامة حقها في المشاركة السياسية ؛ التي يمكن تعريفها بانها " أي عمل تطوعي من جانب المواطن ، بهدف التأثير في اختيار السياسات العامة وادارة الشؤون العامة او اختيار القادة السياسين على أي مستوى حكومي او محلي او قومي "[1] . وفي تعريف اخر تعد المشاركة السياسية "عملية تشمل جميع صور اشتراك او اسهامات المواطنين في توجيه عمل اجهزة الحكومة او اجهزة الحكم المحلي او لمباشرة القيام بالمهمات التي يتطلبها المجتمع وكان طابعها استشاريا او تقريريا او تنفيذيا او رقابيا "[2] .

ووفقاً لذلك يمكننا ان نتناول حق المشاركة السياسية للامة عند الامام علي(ع)عبر تناول المواضيع المهمة الآتية :

– السلطة للامة .

- حق الامة في اختيار حكامها .
- حق الشورى .
- الموافقة الشعبية على السياسات العامة .
- عملية الرقابة الشعبية على الحكومة وسنتناول هذه المواضيع تباعاً .

---

1 - مجموعة مؤلفين موسوعة الشباب السياسية 2005 ، h t t p : www yahoo com.

2- المصدر السابق .

1- السلطة للامة :

يقر الامام (ع) بان السلطة هي من حق الشعب ، حيث روي عنه قوله (ع) "ان هذا امركم ليس لاحد فيه حق إلا من امرتم" [1] . فهذا النص المتعلق بـ(الامر) يفهم منه انه العمل والمنهج الفكري والاداء السياسي يجب ان ينبع من الامة ؛ وليس حكرا على فرد أو طبقة خاصة - بل هو حق اصيل لها ففي خطاب سياسي ذو اهمية خاصة يقول الامام : "اعظم ما افترضه سبحانه... حق الوالي على الرعية وحق الرعية على الوالي ، فريضة فرضها الله سبحانه لكل على كل ، فجعلها نظاما لألفتهم ،وعزاً لدينهم ، فلا تصلح الرعية لا بصلاح الوالي ،ولا تصلح الولاة الا باستقامة الرعية .

فاذا ادت الرعية الى الوالي حقه ،وادى الوالي اليها حقها ، عز الحق بينهم ، وقامت مناهج الدين ،واعتدلت معالم العدل ، وجرت على اذلالها السنن ، فصلح بذلك الزمان وطمع فيه بقاء الدولة ويئست مطامع الاعداء" [2] ..ويستمر (ع) بتحديد حق الامة في المشاركة قائلاً : "فعليكم بالتناصح في ذلك ،وحسن التعاون عليه ، فليس احد وان اشتد على رضا الله حرصه ، وطال في العمل اجتهاده ببالغ حقيقة ما الله سبحانه اهله من الطاعة له ، ولكن من واجب حقوق الله على العباد النصيحة بمبلغ جهدهم ،والتعاون على اقامة الحق بينهم ، وليس امرؤ وان عظمت في الحق منزلته، وتقدمت في الدين فضيلته - بفوق ان يعان على ما حمله الله من حقه ،ولا امرؤ وان صغرته النفوس واقتحمته العيون بدون ان يعين على

---

1 - محمد الطوي ، تاريخ الطوي ، مصدر سابق ، ج3 ، ص456 ، المجلسي ، مصدر سابق ، ج32 ، ص8 ، باقر شريف القرشي ، حياة الامام الحسين بن علي (ع) ، ج1 ، ط1 ، (النجف ، مطبعة الاداب ، 1974) ، ص401 .

2 - الشريف الرضي (الجامع) نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د . صبحي ، مصدر سابق ، خطبة 216 ، ص ص418 - 420 .

ذلك او يعان عليه" [1] . وبالوقوف عند هذا النص يوضح الامام (ع) عدة حقوق يؤصله كونها حقوقاً افترضها الله سبحانه .

ففي الفكر الاسلامي ليس هناك اسمى من حق اعطاه الله فلا يجوز التصرف به او التلاعب فيه ، ومن نتائج هذا الحق الاسهام باصلاح المجتمع واعلاء لقيمه وذلك بالانسجام بين الحكام والمحكومين ويؤدي ذلك الى الاستقرار السياسي الداخلي والخارجي . وللوصول الى هذه النتيجة المرجوة يجب ان تنهض الامة باعبائها بحسن التناصح والتعاون ، ويستطرد الامام بتثبيت حقوق الامة في المشاركة السياسية بان السلطة الحاكمة مهما علا شانها وحرصها في تحقيق العدل والسعي في مراضاة الله ليس من حقها ان تنفرد بالسلطة وتحتكرها . وان حق المشاركة مكفول لكل افراد الامة – مهما قل شأن بعضهم على وفق معيار ما او من ناحية تأثيرهم – فهم اصحاب حق في السلطة ويجب ان يشتركوا فيها اذا ما ارادوا ذلك مساهمين بايجابية في تحقيق الاهداف بتطوير المجتمع وتقدمه .

وحتى تسهم الامة بايجابية في العملية السياسية فان الامام يرى ضرورة ان تقوم الامة بمكوناتها كافة برص صفوفها فيقول (ع) موصيا الحسنيين وابناء الامة قائلا : " اوصيكما وجميع ولدي واهلي ومن بلغه كتابي بتقوى الله ونظم امركم "[2] . ويقول الامام في نص اخر يحدد فيه مسؤولية الامة وعلو شأنها من الناحية السياسية وكرامتها : "فالله الله ايها الناس فيما استحفظكم من كتابه واستودعكم من حقوقه ، فان الله لم يخلقكم عبثا ولم يتركم سدى"[3] . فالامام يحمل الامة مسؤولية الحفاظ على

1- المصدر السابق ، خطبة 216 ، ص ص 419 – 420 .

2- المصدر السابق ، كتاب 47 ، ص539 .

3- المصدر السابق ، خطبة 85 ، ص133 .

الاسلام والحقوق التي اقرها الله وهذا واجب الانسان وتكليفه فان الله لم يخلقه عبثا او سدى ، ومن كانت مهمته هو حفظ الاسلام فالمشاركة السياسية تصبح بديهية كون حفظ الشريعة هو من مقاصد الحكومة في الاسلام[1] .

2- حق الامة في اختيار حاكمها :

ان من اهم انعكاسات المشاركة السياسية هو حق الامة في اختيار حاكمها وولاتها ومن يمكن ان نعرفهم الان بكبار الموظفين في الدولة والمجتمع . وبعبارة اخرى : ان السلطة بيد الامة ولها الحرية – مع الاخذ بمبادئ الشريعة – في تولية من يشاء على وفق قول الامام" ان هذا امركم ليس لاحد فيه حق الا من امرتم"[2] . ويثبت الامام شرعية الحاكم من خلال الاعتماد على رضا الناس الذي انعكس آنذاك في نظام البيعة[3] كأسلوب للتعبير عن الارادة الشعبية خصوصا مع ضمان الحرية لتلك البيعة ، فيقول الامام (ع) : " ان الواجب على المسلمين بعدما يموت امامهم او يقتل .. ان يختاروا لانفسهم اماما عفيفا عالما ورعا عارفا بالقضاء والسنة "[4] .

وقدم الامام انموذجا تاريخيا صادقا لحرية التعبير عن الارادة الشعبية في بيعته التي يقول عنها (ع) : "بايعني الناس غير مستكرهين ولا مجبرين

1 – سنتطرق لهذا الموضوع في المبحث التالي .

2 – ينظر : محمد الطوي ، تاريخ الطوي ، مصدر سابق ، ج3 ، ص456 ، المجلسي ، مصدر سابق ، ج32 ، ص8 .

3 – البيعة هي : " العهد على الطاعة 000 وهي عقد اتفاق بين طرفين اذا التزم كل من الطرفين صارت البيعة ملزمة ومثمرة واذا نكث احدهما ستفسد البيعة كما تعقد الصفقة التجارية " حول هذا التعريف والمصطلح وجزيئاته ينظر: محمد الامين خليفة " الحريات الاساسية ودور الشعب في الحكومة الاسلامية "ورد في محمد واعظ الخراساني وآخرون ، مصدر سابق ، ص40 وما بعدها .

4– الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، مصدر سابق ، ج6 ، ص19 ؛ الهلالي ، مصدر سابق ، ص291 .

بل طائعين مخيرين "[1] . ويقول(ع): " ان العامة لم تبايعني لسلطان غاصب ولا لغرض حاضر "[2] . ان تركيز الامام على (العامة) انما يعبر عن اهمية ارادة الجماهير وهذا يمكن ان يفسر رفضه (ع) البيعة مرتين، اولهما بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله) عندما اراد عمه العباس بن عبد المطلب ان يبايعه[3] ، ومرة ثانية بعد مقتل الخليفة الثالث ، حيث يصف احد الكتاب المعاصرين الفوضى التي عمت المدينة المنورة آنذاك قائلاً " اندفعت الجماهير الى منزل الامام علي تطالبه بتحمل مسؤولياته في الحكم والخلافة في واحد من اكثر المنعطفات التاريخية حساسية وخطورة لكن الامام رفض بشدة وهتفت الجماهير تستنجد به – ياابا الحسن ان هذا الرجل قد قتل ولابد للناس من امام ... فقال الامام : لا تفعلوا ولا افعل فاني لكم وزير خير لكم من امير . فقالت الجماهير : – انت لنا امير. فقال الامام : لا حاجة لي في امركم واصر الامام: دعوني والتمسوا غيري انا مستقبلوا امرا له وجوه ... وله الوان لا تثبت له العقول ولا تقوم له القلوب ... فردت الجماهير بحماس . ما نحن بمفارقيك ، فقال الامام : ان كان لابد من ذلك ففي المسجد ... فبيعتي لا تكون خفية ...ولاتكن الا عن رضا المسلمين وفي ملأ جماعتهم"[4] .

1 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، كتاب1 . ص459 . وبنفس المعنى وردت في مصادر اخرى ينظر : ابن عساكر ، مصدر سابق ، ج42 ، ص439 . ابن الاثير . اسد الغابة ، مصدر سابق ، ج4 ، ص573 .

2 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، كتاب 54 ، ص573 .

3 – وردت تفاصيل هذه الحادثة وتحليلها ومصادرها في : مرتضى العسكري ، عبد الله بن سبا ، مصدر سابق ، ج1، ص110 وما بعدها .

4 – كمال السيد ، إلا علي ، ط3 ، (قم ، مؤسسة انصاريان ، 2003) ، ص ص179 – 182 . وللاطلاع على تفاصيل

هذه البيعة . ينظر : محمد الطوي ، تاريخ الطوي ، مصدر سابق ، ج3 ، ص450 . البلاذري ، انساب الاشراف ، مصدر سابق ، ص209 وما بعدها .

وقد كان الامر كما اراد الامام حيث " كانت البيعة الخاصة والعامة في المسجد النبوي"[1] . وهذا الاسلوب في التعامل مع الجماهير يدل على جملة امور اهمها :

أ–ايمان الامام بالحوار المباشر مع الجماهير ، وتهيئتهم نفسيا لحمل اعباء المسؤولية في المراحل القادمة .

ب– ان البيعة – كأسلوب للتعبير عن ارادة الشعب – لا تكون الا عن رضا من دون اي نوع من انواع الترهيب أو الترغيب .

ج– اختيار المسجد كنقطة لانطلاق الحكومة يعطي دلالات تقيد الحكم بمبادئ الاسلام ويرتكز على الجماهير في رسم خطواته القادمة وتحديدها .

ويصف الامام ذلك الرضا الشعبي الذي يعد السمة الابرز في بيعته ويحتج به ضد خصومه[2] ، قائلا : " فماراعني الا والناس كعرف الضبع ينثالون علي من كل جانب ، حتى لقد وطئ الحسنان ، وشق عطفاي مجتمعين حولي كربيضة الغنم"[3] . وفي وصف اخر يقول : "ثم تداككتم علي تداك الابل الهيم على حياضها يوم وروده حتى انقطعت النعل وسقط الرداء ووطئ الضعيف وبلغ من سرور الناس ببيعتهم اياي ان ابتهج بها الصغير وهدج اليها الكبير ، وتحامل نحوها العليل ، وحسرت اليها الكاعب"[4] .

واستند الامام على مشروعية بيعة الجماهير السياسية ليؤسس عليها صحة حربه لمناوئيه، في جانب منها إذ قال (ع) : " فخرجوا ... متوجهين

---

1 – محمد الطوي ، تاريخ الطوي ، المصدر السابق ، ج3 ، ص450 ؛ حسن بن فرحان المالكي ، نحو انقاذ التاريخ الاسلامي ، (الرياض، مؤسسة اليمامة ، 1418هـ) ، ص138 . .

2 – حول هذه الاحتجاجات ينظر : ابو منصور الطبرسي ، الاحتجاج ، مصدر سابق ،ج1،ص404 وما بعدها .

3– الاسكافي ، مصدر سابق ، ص49 .

4– المصدر السابق ، ص49 .

الى البصرة ... في جيش ما منهم رجل الا وقد اعطاني الطاعة وسمح لي بالبيعة طائعا غير مكره "[1] . ونستطيع ان نميل مع الرأي القائل: " لقد ايقنت الاوساط الشعبية ان الامام هو الذي يحقق امالها واهدافها ويعيد لها كرامتها ، وانها ستنعم في ظلال حكمه بالحرية والمساواة والعدل فاصرت على انتخابه وتقليده شؤون الحكم"[2] .

ولا يقتصر حق الجماهير في اختيار راس الدولة وقمة الهرم السياسي انما اعطى الامام الامة بافرادها حق الرضا بمن يعينه وينصبه الحاكم في المناصب العليا كالولايات وما شابه " فقد استشار علي الناس فيمن يوليه عليهم "[3] ، وكان (ع) اذا بعث واليا قال له " اقرأ كتابي عليهم فاذا رضوا بك كن واليا عليهم "[4] . وفي كتاب الامام الى معاوية بيد احد اصحابه قال له : "واعلمه باني لا ارضى به امرا ولا العامة ترضى به واليا "[5] . واعتبر الامام مطلب معارضي الخليفة الثالث منطقياً وشرعياً ، اذ طلب الامام منه " ان يعزل كل عامل كرهوه "[6] . بل ان حق رضا الشعب بالافراد الذين يقودون المجتمع بسطه الامام ليشمل حتى القائمين بالشعائر الدينية ، لاسيما ذات الاثر السياسي والاجتماعي منها ، إذ قال (ع) : " اربعة لا تقبل

---

1 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د . صبحي ، مصدر سابق ، خطبة 172 ، ص304. ونحن نذهب مع الرأي القائل ان هذا الكلام لا يتعارض مع فكرة النص من الرسول (صلى الله عليه وآله) على الامام علي (ع) ذلك ان الامام واكد اهمية البيعة – مع وجود النص وكان احتجاجه بالبيعة على من انكر الوصية ، وليس على المؤمنين بها . حول هذه الفكرة ينظر : ابو علي السوداني ، الشهاب الثاقب – الامامة بين الثابت والمتحول – (بيروت ؛ مكتبة العلمين ، د . ت) ص66 وما بعدها .

2 – القرشي ، حياة الامام الحسين ، مصدر سابق ، ج1 ، ص397 .

3 – ابن كثير ، البداية والنهاية ، مصدر سابق ، ج7 ، ص355 .

4 – محمد الشرقاوي ، الفقه السياسة ، مصدر سابق ، ، ص97 .

5 – ابن قتيبة الدينوري ، الإمامة والسياسة ، مصدر سابق ، ج1 ، ص113 ، الشرقاوي ، مصدر سابق ، ج1 ، ص310 .

6 – محمد الطوي ، تاريخ الطوي ، مصدر سابق ، ج3 ، ص403 .

لهم الصلاة : الامام الجائر ، والرجل يؤم القوم وهم له كارهون ..."[1] . ويعد الامام ان من ضمن صفات الموظف الحكومي في المناصب المهمة هو قبول الجماهير به إذ يوصي مبيناً اختيار كبار الموظفين قائلاً : " فاعمد لاحسنهم كان في العامة أثراً واعرفهم بالامانة وجها"[2] ، ولعل من الامور المعززة لحرية الرأي والرضا الشعبي عن الحكام هي مسألة الشورى .

3 – حق الشورى :

لقد شغلت الشورى[3] – كواحدة من معالم المشاركة السياسية – حيزاً مهماً في نموذج الامام الفكري والعملي ، لقد انتشرت كثير من اقوال وحكم الامام حول فضل الشورى واهميتها ، وان هذا التأكيد منه (ع) ، على مسالة الشورى ومحدداتها يدفعنا الى الاعتقاد انه (ع) ينظر الى الشورى ليس مجرد كونها فضيلة يتحلى بها الانسان بشكل عام والحاكم في ممارسته السياسية بشكل خاص ؛ بل هي دعامة اساسية لمشروع سياسي قائم على مشاركة الشعب في ادارة شؤون الحكم اذ ترتقي لتكون "

مصلحة مشتركة وسببا لتأكيد وتوثيق العلاقة بين القيادة والامة كما تتجسد هذه المصلحة من طرف الامة في تربيتها على تحمل المسؤولية والمشاركة في قضاياها واقترابها من الواقع وسعيها الى معرفة الحقيقة والموقف الصحيح"[4] .

---

1 – ابو الطيب محمد شمس الحق العظيم ابادي ، عون المعبود – شرح سنن ابي داود – ج2 ، ط2 ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1995) ، ص213 . الواسطي ، مصدر سابق ، ص73 .

2 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د . صبحي، مصدر سابق ، كتاب 53 ، ص561.

3 – الشورى والتشاور والمشاورة وتعني استخلاص الرأي عن طريق الرجوع إلى البعض الاخر فهي تعني الوصول إلى الواقع والحق بأكثر وافضل ما يمكن ورعاية حقوق الافراد الخاضعين للمشورة ، حقيقت ، مصدر سابق ، ص203 . وحول تاريخ الشورى وتطورها ينظر: ظافر القاسمي، نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الاسلامي ، ط6 ، (بيروت ، دار النفائس ، 1990) ،ص ص63–83.

4– محمد باقر الحكيم ، دور اهل البيت في بناء الجماعة الصالحة ، مصدر سابق ، ج1 ، ص229 .

ويجهر الامام بدعوته الى ممارسة الامة حقها بالشورى إذ يقول : " لا تكفوا عن مقال بحق او مشورة بعدل ، فاني لست بنفسي بفوق ان اخطئ"[1] . فيطالب الامام الامة بالاستمرار في عملية تنضيج الافكار وتمحيص الآراء وان هذا الحق يمارس على اساس شرعي[2] واوضح الامام جزءاً منه قائلا : " قلت يا رسول الله ان عرض لي امر لم ينزل فيه قضاء في امره ولا سنة كيف تأمرني ؟ قال تجعلونه شورى بين اهل الفقه والعابدين من المؤمنين ولا تقضي برأي خاصة "[3] .

ان العمل بنظام الاستشارة وهيئات الرأي هو من حكمة القيادة عند الامام علي حيث روي عنه قوله (ع) : " الاستشارة عين الهداية ، وقد خاطر من استغنى برايه"[4] ، و" افضل الناس رايا من لا يستغني عن راي مشير"[5] والشورى هي الاسلوب الامثل في تجنب الخطا ومنع الوقوع في الزلل حيث نقل عن الامام قوله : "المستشير متحصن من السقوط "[6] . و" لا صواب مع ترك المشورة "[7] . و" شاور ذوي العقول تامن من الزلل والندم"[8] .

لقد ذكر " الامام امير المؤمنين علي – المشاورة – كعنصر مضاد للاستبداد ، قبل قرون من طرحها في الحكومات الديمقراطية للوقاية من الاستبداد وحذر الذين لا يستهدون بهذه الظاهرة الصائنة من الوقوع في فخ

---

1 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، خطبة 216، ص421.

2 – حول الادلة الشرعية للشورى ومناقشتها ينظر: حقيقت ، مصدر سابق، ص202 وما بعدها .

3 – محمد الريشهري ، ميزان الحكمة ، مصدر سابق ، ج2 ، ص1526 .

4– المصدر السابق ، ج2 ، ص1526 .

5- المصدر السابق ، ج2 ص1025 .

6- المصدر السابق ، ج2 ، ص1524 .

7 – كمال الدين البحراني ، مصدر سابق ، ص 202

8- مدير ، مصدر سابق ، ج1 ، ص530 .

الاستبداد والهلاك "[1] . إذ يقول الامام : " من استبد رايه هلك"[2] . ويوجه كلامه لمن يملك نزعة الاستبداد قائلا : " اتهموا عقولكم فان من الثقة بها يكون الخطأ"[3] .

ويعد الامام الشورى احد اساليب انفتاح الحكام على الجماهير إذ قال : "لا يقذفن في روعك انك اذا استثرت الرجال ظهر للناس فيك الحاجة الىرأي غيرك فتتقطع بذلك عن المشورة فانك لا تزيد الفخر ولكن الانتفاع"[4] وان" لا ظهير كالمشاورة"[5] ؛ و"الشوكة في الرأي تؤدي الى الصواب "[6] .

ان ما اشار إليه الامام من فوائد واثار ايجابية للشورى يمكن ان تعمق وتعزز المشاورة كاسلوب في ادارة شؤون الدولة ، مما يدفع الى عدم قبول الرأي القائل ان الشورى الواردة في القران والسنة بشقيها لا تسلب الوالي صلاحية اتخاذ قرار ولعل ما يؤكد ذلك ان عدم اتباع القائد –

غير المعصوم بالتوجيه الالهي– لاراء المشاورين ،ولاسيما من ذوي الاختصاص وممن هم في المستوى الفكري والعلمي المشهود له ، يُفرغ الشورى من محتواها وما سبق ان ذكرناه من فوائدها، ناهيك عمّا روي عن الامام علي بن ابي طالب انه " سأل رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن العزم ؟ فقال : مشاورة اهل الراي ثم اتباعهم "[7] .

---

1 – محمد الريشهري ، القيادة في الاسلام ،تعريب علي الاسدي ، ط1 ، (قم ، دار الحديث ، 1416 هـ) ، ص ص316-317 .

2 – الريشهري ، ميزان الحكمة ، مصدر سابق ، ج2 ، ص1025 .

3- المصدر السابق ج2 ، ص 1025 .

4- ابن ابي الحديد ، مصدر سابق ، ج11 ، ص106 ؛ المحمودي ، مصدر سابق ، ج7 ، ص280 .

5 – الريشهري ، ميزان الحكمة ، مصدر سابق ، ج2 ، ص1524 .

6- مدير ، مصدر سابق ، ج1 ، ص539 .

7 – ابو الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي ، تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) ، ج1 ، (بيروت ، دار المعرفة ، 1992) ، ص173 .

ويمكن القول ان الية الشورى عند الامام علي(ع) تعتمد على مستويين :

المستوى الاول : الشورى الجماهيرية ،وهي التي تشمل الناس باسوهم في ضمن اطار الدولة الاسلامية ففي "زمن علي بن ابي طالب فان الشورى اتسعت لديه فتجاوزت حدود الفئة (الصفوة المختارة) واصبحت تشمل جماعة المسلمين . بينما اعتمد ابو بكر وعمر على خاصة اهل الراي في المدينة ، وبينما ارتكز عثمان على حزب بني امية من ذوي قرباه ، اذا بعلي ينصرف عن هذا وذاك ويعتمد على جمهور الامة الاسلامية ، كما لم يفعل خليفة ممن سبقه ،واذا به يجعل اهل المشورة في اخطر امور الدولة هم الاف الافراد لا احادهم وجنود الجيش لاقواده"[1] .

ويعزز الامام هذا النمط من المشاركة السياسية بما نقل عنه ناصحاً : "لا يستصغرن عندك الرأي الخطير اذا اتاك به الرجل الحقير"[2] . فالتقييم الموضوعي الذي نادى به الامام يجب ان يكون للرأي وليس لمصدره او من يتبناه .هذا من جانب، ومن جانب اخر فان الامام لا يقصر حق الشورى في محيط المشاركة السياسية بفئة ما وفق متغير العمر او السن بل كان يؤكد شمولية الشورى ، إذ قال (ع): "اذا احتجت الى المشورة في امر قد طرأ عليك فاستبده ببداية الشبان ، فانهم احد اذهانا واسرع حدسا ثم رده بعد ذلك الى رأي الكهول والشيوخ ليستعقبوه ويحسنوا الاختيار له فان تجربتهم اكثر"[3] .

1- جاسم ، مصدر سابق ، ص191 .

2 - الريشهري ، مصدر سابق ، ج2 ، ص1027 .

3- مدير ، حكم ، مصدر سابق ، ج1 ، ص77 .

المستوى الثاني : هي الشورى عن طريق هيئات او أصحاب رأي يمتازون بجملة من المميزات والمواصفات حددها الامام قائلا : " لا تدخلن في مشورتك بخيلا يعدل بك عن الفضل ويعدك الفقر ،ولا جبانا يضعفك عن الامر ولا حريصاً يزين لك الشدة بالجور ، فان البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله"[1] . ويحدد الامام صفات اخرى يجب تجنبها عند مصادقة الاخرين – ومن ضمنها يقع المشير – إذ قال : " اياك ومصادقة الاحمق ، فانه يريد ان ينفعك فيضرك ...واياك ومصادقة الكذاب فانه كالسراب يقرب عليك البعيد ويبعد عليك القريب"[2] . وتأخذ التجربة العملية والخبرة العلمية حيزاً مهماً في تعيين سمات المستشيرين عند الامام إذ قال: "خير من شاورت ذو النهى والعلم واولوا التجارب والحزم"[3] . وحتى تكون المشورة مجدية لابد من الشفافية المعلوماتية سواء امام المجتمع ام امام هيئات الرأي فقال الامام : " ان المشورة لا تكون إلا بحدودها [ومنها] ان تطلعه [أي المشير] على سرك"[4] . ويؤطر الامام كل ما ورد من مواصفات في المستشير بمبدا اساسي هو: مخافة الله فقد قال : "شاور في حديثك الذين يخافون الله "[5] .

وفي سبيل ضمان حرية رأي المشير يمنحه الامام الحصانة سواء من ناحية التبعات التي قد تنشأ جراء تبني رأيه من جهة وسلامته الشخصية من جهة اخرى اذ قال (ع) : "المستشار متحصن من السقط"[6] . وتعد هذه

1 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، كتاب 53 ، ص550.

2– المصدر السابق ، حكمة 34 ، ص610 .

3 – الريشهري ، ميزان الحكمة ، مصدر سابق ، ج2 ، ص1526 .

4 – محمد الشيرازي ، الفقه السياسة ، مصدر سابق ، ص523 .

5– الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، مصدر سابق ، ج8 ، ص426 .

6 – الريشهري ، ميزان الحكمة ، مصدر سابق ، ج2 ، ص1524 .

اللفتة على قدر كبير من الاهمية ، لاسيما في ظرفها التاريخي ، مما يشجع على تطوير الرأي الحر ويعزز الفكر الخلاق داخل المجتمع .

ويعد الامام النص الشرعي – سواء في القران الكريم ام في السنة النبوية – حداً يؤطر الشورى وتبادل الاراء ، إذ قال لما افضت اليه الخلافة " نظرت الى كتاب الله وما صنعه لنا وما امرنا بالحكم فاتبعته ، وما استسن النبي ، فلم احتج بذلك الى رأيكم [والخطاب موجه الى طلحة والزبير]ولارأى غيركما ،ولا وقع حكم جهلته فاستشيركما واخواني من المسلمين"[1] ، ويوضح الامام في توجيهه الى احدولاته علاقة الشورى بالنص الشرعي فقال (ع) : "وارددالى الله ورسوله ما يضلعك[2] من الخطوب ، ويشتبه عليك من الامور ، فقد قال الله سبحانه لقوم احب ارشادهم {يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم فان تنازعتم في شي فردوه الى الله والرسول}[3] : فالرد الى الله الاخذ بمحكم كتابه ،والرد الى الرسول : الاخذ بسنته الجامعة غير المفرقة"[4] . وقد يثار سؤال : هل هذا التحديد هو نقطة ضعف في البناء الفكري لحق المشاركة السياسية بوجه عام والشورى بشكل خاص عند الامام علي (ع) ؟ فللباحث ان يجيب بالنفي . فعند معالجة كلام الامام الموجه اساسا الى خصومه نرى ان سمات الامام الشخصية والعلمية لم تجعله محتاجا – بصورة فعلية – الى المشاركة او الشورى من شخص ما . وهذه الميزه لم يتمتع بها بعد الامام أي حاكم او حكومة . ومع ذلك فقد دعا الى الشورى

1 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. .صبحي ، مصدر سابق ،خطبة 216 ، ص421.

2– يثقلك .

3 – سورة النساء / الآية 59 .

4– المصدر السابق ، كتاب 53 ، ص556 .

وممارسها عملياً لذلك فان من لا يمتلك مؤهلات الامام تكون حاجته للشورى أكبر وان العيب الجلي في المستبدين واخطائهم

الجسيمة لا تخفى لراء الحكم المنطقي السليم مما يؤكد ضرورة الشورى كحق شرعي للانسان وضرورة سياسية للحكم .

أما في توجيهه السابق لاحدولاته فمن جهة يمكننا عد احترام النصوص الشرعية – كقواعد دستورية سامية – هو اسلوب لمنهجة الفكر وليس لتقييده ، ومن جهة اخرى فان اقتصار تحديد الامام لشورى بـ (محكم الكتاب) و (السنة الجامعة) يعطي مساحات واسعة ومتجددة لانطلاق الفكر الاسلامي ،ولاسيما في مجال سياسة الدولة في ضمن اطار الشورى والمشاركة السياسية .

ومما يدلل على ما ذهبنا اليه السيرة العملية لحكومة الامام إذ كان كثير المشاورة في الامور السياسية ففي حرب صفين مثلاً " جمع رؤوس الاسباع والقبائل ووجوه الناس وقال: "اعينوني بمناصحة جلية خالية من الغش "[1] ويوجه الامام ولاته وقادته نحو الاسلوب الافضل في ادارة البلاد والعباد إذ روي عنه قوله : "واكثر مدارسة العلماء ومناقشة الحكماء في تثبيت ما صلح عليه امر بلادك ،واقامة ما استقام به الناس قبلك "[2] ،وهذه الدعوة الصريحة للمشاورة وتبادل الراء تحمل في طياتها مسألة غاية في الاهمية هي احترام الامام للرأي العام وقناعته بأهمية رضا الشعب على سياسة الدولة.

4 –الموافقة الشعبية على السياسات العامة :

مع اختيار الامة لحكامها وايجاد سبل المشاورة وتبادل الآراء بين الحكام والمحكومين تبرز عند الامام مسألة اساسية اخرى هي رضا الشعب

---

1 – محمد الطوي ، تاريخ الطوي ، مصدر سابق ، ج4 ، ص58 ؛ ابن قتيبة الدينوري ، الامامة السياسية ، مصدر سابق ، ج1 ، ص165 .

2– مدير ، مصدر سابق ، ج1، ص175 .

بالسياسة المرسومة والخطوات المتخذة من الحكام وكان (ع) يشدد على مبدأ عدم اكراه الامة إذ كان منهجه السياسي في مدة حكمه يتضمن مبدأ مهما يتجسد لقوله (ع) " ليس لي ان احملكم على ما تكرهون"[1] . وقال (ع): "اصنعوا ما احببتم "[2] على ان لا يعارض ذلك العمل الشريعة الاسلامية .

لقد شغل الشعب حيز مهم في التجربة السياسية للامام علي بل يمكن عده محوراً لتلك التجربة حيث نلاحظ تكراره لعبارة " يا ايها الناس "[3] و"عباد الله "[4] في العديد من خطبه وكتبه السياسية للامة وللحكام على حد سواء وجعل الامام الرأي العام احد المقاييس المهمة التي تدل على صلاح الحاكم والوالي فقد روي عنه قوله: " يستدل على المحسنين بما يجري لهم على السن الاخيار من حسن السيرة والفعل "[5] ، وقال (ع) : " اتقوا ظنون المؤمنين فإن الله اجرى الحق على السنتهم "[6] . وفي تقييم للمسيرة السياسية قال : " افة الملوك سوء السيرة"[7] . ويشخص الامام اخطاء احد الولاة في دولته قائلاً : " كثر شاكوك وقل شاكروك "[8] .

وفي عهده (ع) للاشتر قال الامام " ثم اعلم يا مالك اني قد وجهتك إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك ، من عدلٍ وجور ، وان الناس ينظرون من امورك في مثل ما كنت تنظر فيه من امور الولاة قبلك ويقولون فيك ما كنت

---

1 – ابن قتيبة الدينوري ، الامامة والسياسة ، مصدر سابق ، ج1 ، ص139 .

2 – ابن داود الدينوري ، الاخبار الطوال ، مصدر سابق ، ص190 .

3 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، الخطب 85 ، 86 ، 98 ، 100، 102، 136 ، 145 ، 147 ، 149 ، 175 ، 177 ، 181 ، 184 ، 192، 194 ، 199 .

4 – المصدر السابق ، الخطب 85 ، 86 ، 98 ، 100، 102 ، 1، 36 ، 145 ، 147 ، 149 ، 175 ، 177، 181 ، 184 ، 192 ، 194 ، 199 .

5 – الواسطي ، مصدر سابق ، ص553 .

6– المصدر السابق ، ص88 .

7– المصدر السابق ، ص82 .

8 – المرتضى ، مصدر سابق ، ج1 ، ص534 .

تقول فيهم . انما يستدل على الصالحين بما يجري الله على السن عباده "[1] ولشرح ابعاد هذا النص يقول الكاتب عزيز السيد جاسم ان تقدير الراي العام في هذا النص ، " من الملاحظات المبكرة جداً في الفكر الانساني السياسي وبصورة خاصة في الفكر الاسلامي التي تدعو إلى اعطاء قيمة سياسية فعلية للرأي العام واحترامه وضرورة التجاوب مع توجهاته...ولا يجوز ابداً سحق الارادة الشعبية وتجاهل مطالب الجماهير "[2]

ويقرر الامام مكانة الامة في السياسة الاسلامية التي جسدها (ع) بقوله حول كيفية ادارة شؤون الحكم لبعض ولاته" وليكن احب الامور اليك اوسطها في الحق واعمها في العدل واجمعها لرضى الرعية ، فان سخط العامة يجحف برضى الخاصة ويغتفر مع رضى العامة ..وانما عمود الدين وجماع المسلمين والعدة للاعداء العامة من الامة فليكن صغوك اليهم وميلك معهم "[3] . ولكن هل يمكن تحقيق حالة الرضا الكلي عند الناس ؟ يجيب الامام عن هذا التساؤل بأن "رضا الناس غاية لا تدرك "[4] وقد مال الامام إلى الاخذ برأي الاغلبية في بعض المواقف[5] ،ولاسيما في حرب صفين ومسألة التحكيم[6] وان لم يتفق ذلك الرأي مع رؤيته السياسية الخاصة ، إلا ان الامام كان بصدد تشييد هيكل حقوق الانسان في الاسلام الذي وضع اسسه

---

1 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د.صبحي ، مصدر سابق ، كتاب 53 ، ص546 .

2– جاسم ، مصدر سابق ، ص571 .

3 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، كتاب 53، ص549 .

4 – الريشهري ، ميزان الحكمة ، مصدر سابق ،ج2 ، ص1100 .

5 – اخذ الامام برأي الاغلبية في حل بعض المشاكل القبلية مثلاً ، ينظر : محمد الطبري ، تاريخ الطبري، مصدر سابق، ج4 ، ص5 .

6– التميمي ، كتاب الثقات ، مصدر سابق ، ج2 ، ص292 ، الاسكافي ، مصدر سابق ، ص167.

الرسول (صلى الله عليه وآله) فلم يبالي(ع) بنصراني اذا كان ثمنه تكميم الافواه واستعباد الناس ؛ انما الدرس الاعمق هو احترام ارادة الجماهير وتحقيق ما تصبوا اليه من طموحات سياسية .

وينبغي ملاحظة ادراك اهمية نظرة الامام إلى الكثرة او القلة وفقاً للموضوعات العقائدية الجوهرية التي يتوجب الالتزام بها اسلامياً ، فمثلاً نجده (ع) يؤكد في بعض اقواله : " الزموا السواد الاعظم فأن يد الله مع الجماعة واياكم والفرقة فان الشاذ من الناس للشيطان "[1] ،وايضاً " لا تكونوا انصاب الفتن واعلام البدع والزموا ما عقد عليه حبل الجماعة وبنيت عليه اركان الطاعة"[2] . بينما يبين ايضاً توجهه نحو النخبة في مجالات اخرى إذ قال : "ايها الناس لا تستوحشوا في طريق الحق لقلة اهله "[3] ، ويصف (ع)الحال بأن: "القائل بالحق قليل واللسان عن الصدق كليل واللازم للحق ذليل "[4] .

ويمكننا ان نفسر وجود هذين الاتجاهين في رؤية الامام من خلال التزام المجتمع العقائدي حيث يميل مع الكثرة او السواد الاعظم حين ينهض المجتمع ككتلة متجانسة وواعية متمسكة بالاسلام الصحيح . متجاوزاً سلبياته التي شخصها الامام بالجهل[5] ، الفقر[6] ،واختلاف الاهواء[7] والانحطاط

---

1 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، خطبة 127 ، ص227 .

2– المصدر السابق ، الخطبة 151 ، ص259 .

3– المصدر السابق ، ،خطبة 201،ص401.

4– المصدر السابق ، خطبة 232 ، ص249 ، ورد عن الامام قوله ايضاً " لا يزيد في كثرة الناس حولي عزة ولا تفرقهم عني وحشة " ، المصدر السابق ، كتاب 36 ، ص521 .

5 – ينظر : المصدر السابق ، خطبة 104 ، ص184 ، كتاب 104 ، ص516 وسنتطرق إلى هذا الموضوع لاحقاً بتوضيح اكبر في الفصل الرابع ، في المبحث الثالث .

6– ينظر : جاسم ، مصدر سابق ، ص196 ، وما بعدها وسنعرض لهذا الموضوع لاحقاً بتفصيل اكثر في الفصل الرابع ، المبحث الخامس .

7 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، خطبة 107 ، ص ص190–

191 ،وخطبة 118، ص215 .

الخلقي[1] . اما اذا طغت وتمكنت أي من هذه الافات او غيرها في المجتمع فان توجه الامام سيكون نحو النخبة للقيام بعملية النهوض في المجتمع إلى مستوى الطموح الذي تستطيع الامة معه ان تتحمل اعباء المسؤولية السياسية والتي اكد الامام ضرورة النهوض بها من الامة ككل ، تلك الامة التي يسمو بها الامام قائلاً : " من لم يستح من الناس لم يستح من الله سبحانه"[2] .

ويذهب باحث معاصر إلى " ان الامام علي كان يريد سلطة مكشوفة للناس ، هي سلطتهم انفسهم التي تستحق فيها ارقى صورة للادارة الذاتية والتسيير الذاتي وانها سلطة المجتمع الفعلية من الشعب وإلى الشعب وليست السلطة المزدوجة التي تضمر على نحو وتبطن نحو اخر "[3] ، ويظهر ان هذا الرأي صائب وتسنده كثير من اقوال وافعال الامام (ع) في ميدان الحكم إذ كان (ع) يقول : "الا وان لكم عندي الا احتجز دونكم سراً الا في حرب ولا اطوي دونكم امراً الا في حكم"[4] . واذا احتج بان هذه الخطبة كانت موجهة إلى قادة الجيوش دون العامة من الناس فان وصيته (ع) لولاته بأتباع الشفافية السياسية مع الجماهير يقطع كل جدال في هذا الشأن اذ قال(ع):"وان ظنت الرعية بك حيفاً فأصحر[5] لهم بعذرك واعدل عنك ظنونهم باصحارك"[6] .

وغير بعيد عن ما ذكر تبرز مسألة المال العام في الدولة ، ومن دون الولوج في التفاصيل[7] ، فان الامام يعد هذه الاموال هي ملك الامة وليست

1- المصدر السابق ، خطبة 107 ، ص191 .

2- مدير ، مصدر سابق ، ج2 ، ص454 .

3- جاسم ، مصدر سابق ، ص193.

4 - الشريف الرضي (الجامع) ،نهج البلاغة، تعليق وفهرسة د. صبحي،مصدر سابق،كتاب 50،ص542 -543.

5- أظهر .

6- المصدر السابق ، كتاب 53 ، ص568 .

7 - حول موضوع الاموال العامة من الاسلام ينظر : القاسم بن سلام ابو عبيدة ، كتاب الاموال ، تحقيق وتعليق محمد خليل هراس ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1986) ، ص27 ، وما بعدها ، يعقوب بن ابراهيم ابو يوسف ، كتاب الخراج ، (بيروت، دار المعرفة ، 1975) ، ص18 وما بعدها .

ملك الحاكم باي حال من الاحوال فقد روي عنه (ع) قوله : " اني قد كنت كارهاً لامركم فابيتم الا ان اكون عليكم ، الا انه

ليس لي امر دونكم الا ان مفاتيح مالكم معي ، الا وانه ليس لي ان اخذ منه درهماً دونكم رضيتم؟ قالوا: نعم ، فقال اللهم اشهد عليهم ثم بايعهم على ذلك "[1] . وسعياً لترسيخ هذا المفهوم في ضمائر وعقول افراد الامة كان (ع) دائماً يردد مفاهيم " فيء المسلمين "[2] و" بيت مال المسلمين"[3] . كما انه حدد واجب امام الامة بأنه : " النصيحة لكم وتوفير فيئكم عليكم "[4] و "المال مال الله لهم"[5] .

اما من الناحية العملية ، التي لا تقل شأناً عن الجانب النظري ، فان الامام كان يمارس الانفتاح مع الجماهير الذي يصفه (ع) بقوله : " قد درستكم الكتاب وفاتحتكم الحجاج وعرفتكم ما انكرتم وسوغتكم ما مججتم "[6] ، وامتلأت كتب التاريخ بالخطب والرسائل التي وجهها الامام إلى الامة يشرح لهم فيها الدوافع والابعاد العملية والمواقف السياسية مهما كانت دقيقة اولاً تتناغم مع مشاعر الجمهور ، فقد اوضح (ع) موقفه من الشورى بعد الخليفة الثاني[7] ، واعطى تقييمه لحالة حكم الخليفة الثالث إذ قال : " اني

---

1 – محمد الطبري ، تاريخ الطبري ، مصدر سابق ، ج4 ، ص427 ؛ عز الدين علي بن ابي الكرم الشيباني بن الاثير ، الكامل في التاريخ ، مراجعة د. محمد يوسف الدقاق ، ج3 ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، د. ت) ، ص304 .

2 – ينظر : الشريف الرضي ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، كتاب43 ، ص529 . كذلك ينظر : بيضون ، مصدر سابق ، ص623

3– ينظر : الطائي ، مصدر سابق ، ج4 ، ص215 .

4 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، خطبة34 ، ص78.

5– المصدر السابق ، خطبة 126 ، ص225 .

6– المصدر السابق ، خطبة 180 ، ص ص 319 –320 .

7– المصدر السابق ، خطبة 139 ، ص241 .

اخبركم عن امر عثمان حتى يكون سامعه كمن عاينه "[1] ، ويشرح الامام اسباب وتطورات حروبه في الجمل[2] وصفين[3] والنهروان[4] ، وبذلك نلاحظ ان الامام كان حاضراً بفكره وعمله في حياة الامة دافعاً اياها لتحمل مسؤوليتها السياسية ، التي يتوجب ان تأخذ شكل المراقبة والنقد لحكامها وحكوماتها .

5 . الرقابة الشعبية على الحكومة

يوجه الامام الامة إلى تحمل مسؤولياتها في المشاركة[5] السياسية إذ يقول (ع) : " اتقوا الله في عباده وبلاده فانكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم"[6] . ولعل من اهم سبل المشاركة السياسية هو حق الامة في تقييم ورقابة الحكام وسير عملهم ، ويذهب المفكر محمد باقر الحكيم إلى تطور دور الامة عند الامام علي في مجال الرقابة حتى انها تنقسم إلى :

1 . "الرقابة على بقاء اتصاف القيادة او الادارة بالمواصفات المطلوبة من العلم والتقوى وحسن الادارة ومدى انسجام سلوكها مع هذه المواصفات .

---

1 – ينظر : ابن قتيبة الدينوري ، الامامة والسياسة ، مصدر سابق ، ج1 ، ص86 .

2 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة،تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، خطبة 137 ، ص238–239 ، خطبة 169 ، ص300–301 ، خطبة 172 ، ص ص 303–304 .

3– المصدر السابق ، كتاب 58 ، ص576 .

4– بيضون ، مصدر سابق ، ص565 ، ص573 . .

5 –وهذه الفكرة وردت في القرآن الكريم : سورة النساء /الآية 58 ، سورة الحشر /الآية 7 ، سورة الانفال / الآية 240 ، سورة النور /الآية 52 ، سورة النساء / الآية 68–69 ، سورة الانفال /الآية 1 ، سورة المائدة /الآية 12 ، سورة الاحزاب / الآية 71 ، سورة الانفال /الآية 26 ، ينظر : الناصري ، مصدر سابق ،ص ص114 – 115 .

6 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ،مصدر سابق ، خطبة 167 ، ص298.

2 .الرقابة على حسن الاجراء والانسجام مع الاحكام الشرعية الكلية الواضحة في حالة القيادة ، وكذلك الانسجام مع ما تريده الامة من الادارة في تحقيق رغباتها ومصالحها"[1] .

ومما ينبغي التأكيد عليه هو رفض الامام بشدة سلبية المجتمع اتجاه الخطأ اياً كان مصدره او الفردي من أي جهة يأتي ، إذ يقول مخاطباً ابناء الامة : "وقد ترون عهود الله منقوضة فلا تغضبون ... [ويحملهم المسؤولية قائلاً] وكانت امور الله عليكم ترد ومنكم تصدر واليكم ترجع، فمكنتم الظلمة من منزلتكم او القيتم اليهم زمتكم وسلمتم امور الله في ايديهم يعملون بالشبهات ويسيرون في الشهوات"[2] وقال الامام : " ايها الناس لو لم تتخاذلوا عن نصر الحق ولم تهنوا عن توهين الباطل لم يطمع فيكم من ليس مثلكم ولم يقو من قوي عليكم "[3] .

ان تحميل الامام ابناء الامة مسؤولية الانحراف او الخطأ في المجتمع بشكل عام وقياداته بشكل خاص ، ليس بعيداً عن منح الامام للامة الحق في تقييم العمل والاداء السياسي بموضوعية وعقلانية قبل اتخاذ موقف ما ، إذ قال (ع) " اذا رأيتم الخير فأعينوا عليه .واذا رأيتم شراً فاذهبوا عنه "[4] و "رحم الله رجلاً رأى حقاً فأعان عليه او رأى جوراً فرده "[5] ، ويبلغ الامام درجة في انصاف الامة تركاً لها حق تقييم ادائه ففي احدى خطبه (ع) يقول : " اما بعد فاني خرجت من حيي هذا اما ظالماً او

1– محمد باقر الحكيم ، دور اهل البيت ، مصدر سابق ، ج1 ، ص300 .

2 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، خطبة 105 ، 187.

3– المصدر السابق ، خطبة 166 ، ص297 .

4– المصدر السابق ، خطبة 176 ، ص313 .

5– المصدر السابق ، الخطبة 205 ، ص405 .

مظلوماً واما باغياً او مبغياً عليه ،وانا اذكر الله من بلغه كتابي هذا لما نفر الي ، فان كنت محسنا أعانني وان كنت مسيئاً استعتبني"[1] .

ويبدو ان الامام لم ينظر إلى مسألة المراقبة الدقيقة من الامة للحاكم وسياسته على انها حق فحسب ، ولكنها واجب كذلك . وتوافقت هذه النصوص القانونية مع سيرة عملية ممهدة للامام فقد كان يطالب الامة بمراقبته قائلاً : " يا اهل الكوفة ان خرجت من عندكم بغير رحلي وراحلتي وغلامي فانا خائن "[2] . ويؤكد التاريخ ان الامام هو من رواد مبدأ (من اين لك هذا) واثارته بوجه كل من يؤي على حساب الامة ومقدراتها ولعل هذا المبدأ هو ما نحن بأمس الحاجة اليه كشعوب متخلفة وكشعوب مسلمة في ان معاً .

ويبدو لنا ان تكرار الامام لندائه (سلوني)[3] – فضلاً عن كونه تحد علمي – هو من زاوية اخرى تذكير للامة بحقها بسؤال حاكمها ومحاسبته[4] ، مع ان ذلك الحاكم قد احاط الامام منصبه وشخصه بجملة من المحددات والشروط سنتطرق اليها في المبحث الآتي .

1– المصدر السابق ، كتاب 57 ،ص ص575 – 576 .

2 – الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، ، مصدر سابق ، ج11 ، ص81 ، ومما يستحق ذكره في هذا الصدد ان احدرعية الامام علي دخل عليه "وهو يرعد تحت شمل قطيفة فقال: يا امير المؤمنين ان الله قد جعل لك ولاهل بيتك في هذا المال نصيباً وانت تصنع بنفسك ما تصنع ، فقال ما ارزاكم من مالكم وانها لقطيفتي التي خرجت بها من منزلي " ، احمد الطوي ، ذخائر العقبي ، مصدر سابق ، ص108.

3 – ينظر : ابو عبد الله محمد بن النعمان البغدادي العكوي (الشيخ المفيد) ، الارشاد في معرفة حجج الله على العباد ، تحقيق مؤسسة اهل البيت ،ج1 ، (ايران ، دار المفيد ،د.ت) ، ص34 .

4 – سنتطرق لهذا الموضوع في المبحث الرابع من هذا الفصل .

المبحث الثالث

حق ضبط الحكام

مع ما دعا اليه الامام علي بن ابي طالب (ع) حول حق الحرية والمشاركة السياسية، الا انه تميز باهتمام خاص بمسألة (الحاكم) و (الحكم) والتي يمكن ان نفهمها بشكل اوسع لتعني " كيان الدولة وكامل مؤسساتها وتشمل تعبئة جهدها بالكفاءات وتطبيق شريعتها وادارة امورها بالشكل الذي يجعلها محققة لغايات وجودها في النظام السياسي "[1] . وقبل التطرق إلى ماهية هذا الحق في وضع ضوابط خاصة لمن يشغل منصب الحاكم الاعلى في الدولة لابد لنا ان نتطرق إلى اهمية الحاكم والحكومة عند الامام علي (ع) .

هنالك عدة ابعاد يمكن من خلالها تلمس اهمية الحاكم والحكومة – عند الامام – لعل اولها مسألة وجود الحاكم ، حيث ان من موارد الاتفاق بين المسلمين وجوب تنصيب الحاكم إلا من شذ عن ذلك منهم[2] وفي ذلك الوجوب قال الامام : " انه لابد للناس من امير برٍ او فاجر يعمل في امرته المؤمن ويستمتع فيها الكافر ، ويبلغ الله فيها الاجل ، ويجمع به الفيء ويقاتل به العدو وتأمن به السبل ويؤخذ به للضعيف من القوي . حتى

---

1 – احمد حسين يعقوب ، النظام السياسي في الاسلام (أي الشيعة ،رأي السنة ، حكم الشوع)،ط3 ، (قم ، مؤسسة انصاريان ، 1424هـ) ، ص189 .

2 – حول هذا الموضوع ومن شذ عنه ينظر : ابو محمد علي بن احمد (ابن حزم) ، الفصل في الملل والاهواء والنحل ، ط2 ، (بيروت ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، 1975) م3 ، ج4 ، ص87 ؛ الاشعري ، مصدر سابق ، ج2، ص133 ؛ عبد القاهر بن طاهر البغدادي ، اصول الدين ، ط3 ، (بيروت ، دار الكتب العلمية، 1981) ، ص ص 277–278. ومن الكتب الحديثة التي تناولت الموضوع بشيء من التفصيل ينظر : محمد ضياء الدين الريس ، النظريات السياسية الاسلامية ، ط4 ، (القاهرة ، دار المعارف ، 1967) ، ص145 وما بعدها ؛ وحول ادلة الجوازات ينظر : علي عبد الرزاق ، الاسلام واصول الحكم ، دراسة محمد عمارة ،(بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1972) ، ص113 وما بعدها .

يستريح بر ويستراح من فاجر "[1] وعلى الرغم من السلبيات المرفوضة للحكومة الظالمة واثرها السيء في المجتمع الا ان الامام يعد هذه الحكومة مع الاضطرار افضل من استمرار الفوضى التي قد تحدث جراء انعدامها فيقول : " اسد حطوم خير من سلطان ظلوم . وسلطان ظلوم خير من فتنة تدوم"[2] .

وينطلق الامام بتأكيد مهم على ضرورة الحكومة ووجوبها في احدى رسائله السياسية قائلاً : " الواجب في حكم الله وحكم الاسلام على المسلمين بعدما يموت امامهم او يقتل ضالاً كان ام مهتدياً ، مظلوما كًان او ظالما حًلال الدم او حرام الدم ، ان لا يعملوا عملاًولا يحدثوا حدثاًولا يقدموا يداًولارجلاًولًا يبدؤوا بشيء قبل ان يختاروا لانفسهم اماما"[3] .

اما البعد الثاني لاهمية الحاكم والحكومة عند الامام علي فيتجسد بالاثر الواضح الذي يتركه الحكام في المجتمع ، حيث قال

(4)

الامام : " فرض الله الايمان تطهيراً من الشرك..والامامة نظاماً للامة " ويعلق ابن ابي الحديد – احد اهم شراح نهج البلاغة – على هذا المبدأ قائلاً : "والنظام في اللغة العربية الخيط الذي يمر وسط خرز السبحة او حبات القلادة وينظمها [5] .

ويبين الامام فكرته حول ان الامامة نظام الامة قائلاً : " ومكان القيم بالامر مكان النظام من الخرز يجمعه ويضمه فان انقطع النظام تفرق وذهب ثم لم

---

1 – بيضون ، مصدر سابق ، ص325 ، وفي نفس المعنى ، ولكن باختلاف يسير ؛ البلاذري ، انساب الاشراف، مصدر سابق ، ص351 .

2 – القيشيري ، ميزان الحكمة ، مصدر سابق ، ج1 ، ص98 ؛ابو عبد الله بن سلامة ، دستور معالم الحكم ومآثر مكارم الشيم ، (د. م ، المكتبة الاهلية ، د. ت) ، ص17 .

3– الهلالي ، مصدر سابق ، ص291 .

4– بيضون ، مصدر سابق ، ص327 .

5– ابن ابي الحديد ، مصدر سابق ، ج1 ، ص96 . ومن الجدير بالذكر ان النظام في اللغة هو الخيط الذي ينظم فيه اللؤلؤ ونحوه ينظر : محيي الدين الزبيدي ، مصدر سابق ، ج17 ، ص689 .

يجتمع بحذافيره" [1] . من هنا نفهم ان فلسفة الامامة والحكم – على وفق هذه النصوص – هي المحافظة على النظام الاسلامي ،وان الحاكم والحكومة كالخيط الذي يرتبط به شمل الامة من اجل تطبيق مناهج الاسلام في الحياة والسعي لتكامل الانسان المعنوي والمادي .

اما من ناحية تأثير الحاكم في المجتمع فان الامام قد تلمس ذلك بشكل مهم ومباشر حيث قال (ع) : " الناس بامرائهم اشبه منهم بآبائهم " [2] وانه اذا " تغير السلطان تغير الزمان" [3] . ويروي الامام علي عن الرسول(صلى الله عليه وآله) قوله: " اخوف ما اخاف عليكم بعدي من الرجال ائمة مضلين " [4] وهو ما يدل على خطر قيادة الدولة اذا لم تكن تلك القيادة مؤهلة لسبب او اخر [5] .

ولاهمية الحاكم ودوره المؤثر في المجتمع فان الامام يرتقي به قائلاً: " ان افضل عباد الله امام عادل هدي وهدى فاقام سنة معلومة وامات بدعه مجهولة...وان شر الناس عند الله امام جائر ضل وضل به " [6] . وقد روي ان الامام سأل الرسول(صلى الله عليه وآله) (وهذا السؤال مع ما تشوبه الرغبة بالمعرفة الا انه يحوي اثارة الموضوع وترسيخه في اذهان الامة حتى يستوعب البعد السياسي في الدين الاسلامي) حين قال الامام : " يارسول الله بأبي انت وامي ما منزلة امام جائر معتدٍ لم يصلح لرعيته ولم يقم فيهم بامر الله

---

1 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة : د. صبحي ، مصدر سابق ، خطبة 146 ، ص249 .

2– المجلسي ، مصدر سابق ، ج57 ، ص45 .

3 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة : د. صبحي ، مصدر سابق ، كتاب 31 ، ص514 .

4 – ابو بكر احمد بن عمرو الضحاك بن ابي عاصم ، الشيباني ، كتاب السنة ، ط3 ، (بيروت ، المكتب الاسلامي ، 1993) ، ص47 .

5 – سنتطرق لهذا الموضوع لاحقاً خلال هذا المبحث .

6 – ينظر : عبد الرضا الزبيدي ، الفكر الاجتماعي عند الامام علي ، مصدر سابق ، ص109 . يقول الرسول (صلى الله عليه وآله) "لعمل الامام العادل في رعيته يوماً واحداً افضل من عبادة العابد في اهله مائة عام ". ابو عبيدة ، مصدر سابق ، ص60

تعالى ؟ اجاب الرسول(صلى الله عليه وآله) : "هو رابع اربعة من اشد الناس عذاباً يوم القيامة ابليس وفرعون وقاتل النفس ورابعهم الامام الجائر" [1] .

ويذهب الامام إلى ان تيار السلطة جارف لاسيما مع جبروت وقوة تلك السلطة يؤثر في الامة ، بل قد يكتسح جل ابنائها إذ قال (ع) : "انما الناس مع الملوك والدنيا الا من عصم الله " [2] . ويؤكد مبدأ سياسي هو انه " بالراعي تصلح الرعية " [3] ذلك ان الرعية بحاجة ماسة إلى الراعي الصالح الذي يخدم الرعية ويرعى شؤونها مشدداً في ذلك على واجب السلطة – أي سلطة – انما هو خدمة الرعية وهو واجب اكبر من أي تأطرات سياسية واقتصادية وخدماتية انية، بل هو واجب يتصل بعناية اعظم هي عناية الصلاح ... انه تحقيق الخير العميم والسعادة المشتركة القائمة على ركيزة مادية مدعومة وبمنظومة افكار حقوقية ضامنة لها ومضمونة بها [4] .

ولا بد لنا من معرفة طبيعة هذا المنصب عند الامام الذي يحذر من السلطة وتأثيرها في الفرد الحائز عليها قائلاً : " السكر اربع ، سكر الشراب، وسكر المال ، وسكر النوم ، وسكر الملك " [5] [6] . وقال ايضاً : " الامارة مضامير الرجال" [7] . هذا من الناحية النفسية للحكام ، اما من الناحية القانونية

---

1 – الريشهري ، ميزان الحكمة ، مصدر سابق ، ج4 ، ص3383 .

2 – الشريف الرضي (الجامع)، نهج البلاغة،تعليق وفهرسة د. صبحي، مصدر سابق ، خطبة 210، ص409 .

3– المجلسي ، مصدر سابق ، ج5 ، ص79 .

4– جاسم ، مصدر سابق ، ص231 .

5 – الريشهري ميزان الحكمة ، مصدر سابق ، ص1322 .

6 – غير متناسين ان رؤية الامام مستوحاة من القرآن الكريم حيث يصف جواءة بعض الحكام لدرجة ان "السلطان يسمي نفسه يظل الله ، إذا لم نزعم انه الله ، كما قال فرعون : { ما عملت لكم من اله غيري} القصص /38 وكما قال نمرود:{وانا احيي واميت} البقرة /260 ".محمد الشيرازي ، الفقه السياسة،مصدر سابق ،ص100.

7 – الشريف الرضي (الجامع) نهج البلاغة،تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق، حكمة 430 ، ص696 .

فأن هذا المنصب لا يضيف لشاغله أي مزة انسانية او دينية ، إذ قال الامام بعد توليه الحكم : " ايها الناس انما انا رجل منكم لي ما لكم وعلي ما عليكم"[1] ويوضح تصوره للمنصب في رسالة له لاحد ولاته قائلاً: " ان عملك ليس لك بطمعة ولكنه في عنقك امانة "[2] ،والحاكم مسؤول امام الله فان: "هذه الامرة امانة فمن جعلها خيانة فعليه لعنة الله إلى يوم القيامة "[3] والمسؤولية كذلك امام الامة فيقول (ع) "لولاته : " انصفوا الناس من انفسكم واصبروا لحوائجهم فانكم خزان الرعية ووكلاء الامة"[4] ، لذلك نتفق مع ما ذهب اليه الاستاذ مطهري من ان الحاكم عند الامام هو " حارس امين على حقوق الناس ومسؤول امامهم وان كان لابد من ان يكون احدهما للأخر فالحاكم هو الذي جعل للناس لا ان يكون الناس للحاكم "[5] ،وهناك البعد الانساني للعلاقة بين الحكام والمحكومين والذي تلمسه الامام قائلاً: "وجعلكم من الوالي وجعل الوالي منكم بمنزلة الوالد من الولد "[6] ، بل ان الامام يعلنها بكل صراحة ووضوح كصرخة تمزق دياجير الاستبداد والكبرياء لكل الحكام والملوك قائلاً : " الامام اجير الامة "[7] .

ويعد الامام السلطة العادلة هي خير حقيقي للمجتمع ومنتهى امله اذ قال: " عدل السلطان خير من خصب الزمان "[8] ، بل ان هذا النمط العادل

1– ابن ابي الحديد ، مصدر سابق ، ج7 ، ص36 ؛ الريشهري ، ميزان الحكمة ، مصدر سابق ، ج1 ، ص147 .

2 – الشريف الرضي (الجامع)،نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، كتاب 5 ، ص463 .

3– المحمودي ، مصدر سابق ، ج5 ، ص130 .

4 – المنقري ، مصدر سابق ، ص108 .

5 – المطهري ، في رحاب نهج البلاغة ، مصدر سابق ، ص91 .

6 – المنقري ، مصدر سابق ، ص126 .

7 – الريشهري ، ميزان الحكمة ، مصدر سابق ، ج1 ، ص26 .

8– المصدر السابق ، ج3 ، ص1838 ؛ جرداق ، مصدر سابق ، ج1 ، ص401 .

يرتقي به الامام ليقول : "دولة العادل من الواجبات "[1] ،والسلطة على وفق رؤيته نعمة الهية اذا ما توجهت نحو الحق

والعدالة، فيقول : " فانظروا إلى مواقع نعم الله سبحانه عليهم حين بعث اليهم رسولاً فعقد بملته طاعتهم... قد تربعت الامور لهم في ظل سلطان قاهر ،واوردهم الحال إلى كنف عز غالب وتعطفت الامور عليهم في ذرى ملك ثابت فهم حكام على العالمين وملوك في اطراف الارضيين يملكون الامور على من كان يملكها عليهم ويمضون الاحكام فيمن كان يمضيها فيهم [2] ."

ان هذه الاهمية القصوى للحكم يجب ان لا تغيب عن رؤيتنا النظرة الشاملة لموقف الامام الذي كان " كسائر الرجال الربانيين يحتقر الحكومة بصفتها مقاماً دنيوياً يشبع غريزة (حب الجاه) في الانسان وبصفتها هدفا ًللحياة ،وحينئذ فلا يعدها شيئاً ابداً ، بل هي عنده حينذاك، اهون من عظم خنزير في يد مجذوم [3] 00 ولكنه (ع) يقدسها تقديساً عظيماً اذا كانت مستقيمة غير محرفة عن سبيلها الاصلي والواقعي الحق وهي ان تكون وسيلة إلى اجراء العدل واحقاق الحق وخدمة الخلق " [4] ،وهذا ما يوصلنا إلى بعد اخر في اهمية الحكم عند الامام والمقامة على اساس الواجبات الملقاة على عاتق الحكام .

---

1 – ينظر : الواسطي ، مصدر سابق ، ص44 .

2 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي،مصدر سابق ،خطبة 192،ص373 .

3 – هنالك العديد من الروايات التي تبين عدم اكتراث الامام بالسلطة الا لاحقاق الحق وانجاز اهداف الاسلام . ينظر : مغنية ، فضائل الامام علي ، مصدر سابق ، ص76 وما بعدها ؛ " قال عبد الله بن عباس : دخلت على امير المؤمنين صلوات الله عليه بذي قار وهو يخصف نعله . فقال لي : ما قيمة هذه النعل ؟ فقلت لا قيمة لها ! قال : والله لهي احب الي من امرتكم ،إلا ان اقيم حقاً او ادفع باطلاً " ، الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، خطبة 133 ، ص75 .

4 – المطهري ، في رحاب نهج البلاغة ، مصدر سابق ، ص78 .

يمكننا فهم الواجبات الاساسية التي رتبها الامام على الحكام [1] –وبايجاز– على النحو الآتي :

1 –الواجبات الدينية

لقد وضع الامام الحفاظ على الشريعة الاسلامية كمنهج للحياة من ضمن الواجبات التي يجب ان يضطلع بها الحاكم إذ قال (ع) مخاطباً الامة بعد وصوله للحكم : " لكم علينا العمل بكتاب الله وسنة رسوله والقيام بحقه والنعش لسنته " [2] . وقال ايضاً : "انه ليس على الامام الا ما حمل من امر ربه : الابلاغ في الموعظة والاجتهاد في النصيحة والاحياء للسنة " [3] ، بل نجده يعلن انه: " حق على الامام ان يحكم بما انزل الله " [4] .اما في اطار تجربة الامام السياسية فانه قد عد هذا الواجب هو محور حركته السياسية كحاكم اذ قال : " اللهم انك تعلم انه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان ولا التماس شيء من فضول الحطام ولكن لنرد المعالم من دينك ونظهر الاصلاح في بلادك " [5] . وقال (ع) : "والله ما تقدمت عليها [الخلافة] الا خوفاً [6]

من ان ينزوا على الامر تيس من بني امية فيلعب بكتاب الله عز وجل " . اذن الحفاظ على الدين وصيانته تنفيذ اوامر ونواهي الكتاب والسنة وتفعيلها كمنهج للحياة في المجتمع وكأسلوب للاستجابة الفكرية والعملية لأي تحدٍ فكري او تشويعي

---

1 – للاطلاع على رأي العديد من الفقهاء والمفكرين الذين تناولوا موضوع واجبات الحكام ينظر: علي بن محمد بن حبيب الماوردي ، الاحكام السلطانية والولايات الدينية ، (بغداد، المكتبة العالمية ، 1989) ، ص30 ، وما بعدها ؛ الويس ، مصدر سابق ، ص ص 271–272 ؛ ابو حامد محمد الغزالي ، احياء علوم الدين ، ج1 ، (بيروت ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، د. ت) ، ص16 وما بعدها .

2 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، خطبة 169 ، ص301 .

3– المصدر السابق ، خطبة 104 ، ص185 .

4 – الطباطبائي ، الميزان في تفسير القرآن ، مصدر سابق ، ج4 ، ص385 ؛ الريشهري ، ميزان الحكمة ، مصدر سابق ، ج1 ، ص124 ؛ المتقي الهندي ، مصدر سابق ، ج5 ، ص764 .

5– بيضون ، مصدر سابق ، ص49 .

6 – البلاذري ، انساب الاشراف ، مصدر سابق ، ص103 .

او عملي لما قد يواجهه الكيان الاسلامي كل ذلك يعد من اهم واجبات الحاكم الاسلامي ناهيك عن ان بعض الواجبات الدينية اكد الامام فرضها على الحاكم إذ قال (ع) : " يقيم حجهم وجمعتهم "[1] وهذا اذا ما دل على شيء فهو يدل على خطر شأن الحاكم في رؤية الامام (ع) .

2 -الواجبات السياسية :

وهي جملة من المهمات تشمل الحفاظ على الوحدة الاسلامية ، والانسانية حيث قال الامام ان من واجبات الحاكم ان " يجمع امرهم "[2] ، والقيام بالمهمات العسكرية والامنية، اذ قال (ع) : " يقاتل به العدو وتأمن به السبل ويؤخذ للضعيف من القوي "[3] . ويفسر (ع) بأنه سبب عدم استجابته لدعوات الخروج في المعارك الصغيرة ضد جيش الشام بعد التحكيم : " لا ينبغي لي ان ادع الجند والمصر وبيت المال وجباية الارض والقضاء بين المسلمين والنظر في حقوق المطالبين ثم اخرج في كتيبة اتبع اخرى "[4] ، ويحدد الامام للاشتر واجباته حين ولاه مصر قائلاً ان عليه : " جباية خراجها وجهاد عدوها "[5] ، وان على الحاكم ان "يحفظ اطرافهم"[6] كما اهتم الامام كذلك بواجب تعميق الحرية الانسانية والسياسية[7] .

ومن اهم واجبات الحاكم السياسية هو تعيين الامناء والاكفاء[8] في مراكز الدولة ، المهمة، لاسيما ذات التأثير في سير الاحداث والمجتمع . وإلى جانب

1- الهلالي ، مصدر سابق ، ص291 .

2- ينظر : المصدر السابق ، ص291 .

3- ينظر : بيضون ، مصدر سابق ، ص235 .

4 - الشريف الرضي (الجامع)،نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، خطبة 118 ، ص215.

5- المصدر السابق ، ، كتاب 53 ، ص546 .

6- الهلالي ، مصدر سابق ، ص291 .

7 - تطرقنا إلى هذا الموضوع سابقاً في الفصل الاول ، المبحث الثالث .

8 - سنتطرق لهذا الموضوع لاحقاً .

تعيين من يملكون هذه الصفات ، وفي مرحلة لاحقة ، تأتي عملية المراقبة والمحاسبة ليؤدوا ما عليهم من واجبات دون تلكؤ أو تقصير وقصور . إذ قال الامام : " ثم تفقد اعمالهم [أي الولاة] وابعث العيون من اهل الصدق والوفاء عليهم فان تعاهدك في السر لامورهم حدوة[1] لهم على استعمال الامانة والرفق بالرعية "[2] ونرى هذا المبدأ متجلياً بشكلٍ ملفت النظر في الممارسة العملية عند الامام اثناء فترة حكمه حيث نبه وحاسب وراقب ولاته على مسائل الثروات الخاصة[3] والسلوك

الشخصي[4] والاجتماعي[5] والاداء السياسي[6] لهم ، ناهيك عن مسؤولية القضاء[7] الذي ولاه الامام اهتماماً خاصاً .

3 -الواجبات الاجتماعية :

تتمثل الواجبات الاجتماعية في مجموعة واسعة من المهام تشمل الاهتمام بأمور المسلمين وحسن التعامل مع الرعية ناهيك عن الاهتمام بالاسوة وعن الواجبات التربوية والتعليمية[8] .

1- حث .

2 - الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق،كتاب 53 ، ص558 .

3 - "روي ان شريح بن الحرث قاضي امير المؤمنين اشترى على عهده داراً بثمانين دينارا ًفبلغه ذلك فاستدعى شريحا ً وقال له : بلغني انك ابتعت داراً بثمانين دينارا ًوكتبت به كتابا،ًالمصدر السابق ، كتاب 3 ،ص460 .

4 - " اما بعد يا بن حنيف [وهو واليه على البصرة] فقد بلغني ان رجلاً من فتية اهل البصرة دعاك إلى مأدبة فاسرعت اليها تستطاب لك الالوان 000" إلى اخر الكتاب ، المصدر السابق ، كتاب 45 ، ص531.

5 - كتب إلى بعض عماله " فان دهاقين اهل بلدك شكوا منك غلظة وقسوة "، المصدر السابق ، كتاب 19 ، ص476 .

6 - من المعروف ان اروع ما كتبه الامام هو عهده للاشتر ، ينظر :المصدر السابق ، كتاب 53 ، ص ص545 - 573

7 - سنتطرق لهذا الموضوع في الفصل الخامس المبحث الثاني .

8 - سنتعرض لهذا الموضوع في الفصل الرابع ، المبحث الثاني والمبحث الثالث .

4 -الواجبات الاقتصادية :

وهي تتجسد في تحقيق التوازن الاقتصادي والحفاظ على المال العام[1] واشباع حاجات المستضعفين والعدالة في العطاء والسعي لتحسين المستوى المعاشي للرعية ومراقبة العمليات الاقتصادية[2] .

ومع عبء المسؤولية والواجبات الجسيمة الملقاة على عاتق السلطة الحاكمة، فان الامام يطالب بمجموعة من الحقوق لها لتشكل هي الاخرى احد ابرز معالم اهمية السلطة عند الامام ، ونلاحظ ان الامام قيد الاستفادة من حقوق السلطة بالقيام بواجباتها ابتداءً إذ قال (ع) : "فاذا فعلت ذلك [وكان قد ذكر جملة من الواجبات تطرقنا اليها سابقاً]وجبت عليكم النصيحة والطاعة "[3] . ويقول (ع) في خطبة له يحدد فيها حقوقه على الامة كحاكم شرعي : " اما حقي عليكم فالوفاء بالبيعة والنصيحة في المشهد والمغيب والاجابة حين ادعوكم والطاعة حين امركم"[4] . ويقول (ع) : "ولي عليكم حق الطاعة والا تنكصوا عن دعوة ولا تفوطوا في صلاح وان تخوضوا الغمرات إلى الحق "[5] .

ومن الجدير بالذكر ان طلب الامام ان يتمتع الحاكم بالنصيحة في المشهد والمغيب هو دعوة للسمو إذ " يتعاون مع الامام وبمساعدة كل مسلم لتنفيذ الشريعة والحرية متاحة امام المواطن المسلم ، وامنية الامام المسلم وقصده واماني وقصد الامام

1 – " لئن بلغني انك خنت من فيء المسلمين شيئاً صغيراً او كبيراً لاشد عليك شدة تدعك قليل الوفر ثقيل الظهر ضئيل الامر " ، قال الامام لاحد ولائه والذي اتهم بتبديد اموال المسلمين ، المصدر السابق ، كتاب 20، ص ص 476 –477 .

2 – سنتعرض لهذا الموضوع في الفصل الرابع ، في المبحثين الرابع والخامس .

3 – المنتوي ، مصدر سابق ، ص107 .

4 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ،مصدر سابق،خطبة 32 ، ص78 .

5– المصدر السابق ، كتاب 50 ، ص543 .

الشريعة ومن ثم تلتقي الامة مع مقاصد الامام مع مقاصد الشرع ويصنع التكافل الاجتماعي المكرس بالاصول العامة المستقرة للشريعة، بل ان يتمنى توفيقه – أي الحاكم – حتى الذين يطمعون ان يصلوا للحكم يوماً لان تمني غير التوفيق والخير للامام غش وخداع ومن غش المسلمين فليس منهم "[1] .

اما الحق الاهم الذي دعا اليه الامام فهو (حق الطاعة) فقد اولى الامام(ع) هذا الحق اهمية كبيرة حيث يقول: " الطاعة تعظيماً للامامة "[2] ، ولكنه (ع) في الوقت نفسه ، وضع عدة محددات وضوابط حول متى وكيفية الطاعة المطلوبة من الامة ازاء حكامها لعل من اهمها ما يأتي :

1 . ان تحقق الطاعة مرضاة الله تعالى وتنسجم مع احكام الشريعة الاسلامية إذ يقول(ع) : " لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق "[3] . ويؤكد الامام هذه المبدأ بقوله(ع) : " لا يسخط الله برضا احد من خلقه ، فان في الله خلفاً من غيره وليس من الله خلف في غيره "[4] .

وعندما تولى الامام (ع) سدة الحكم كان وفياً لهذا المبدأ وحريصاً على تنبيه الجماهير له إذ كان يحدد حق الطاعة لولاته قائلاً للرعية : " فاسمعوا له واطيعوا امره فيما طابق الحق"[5] ، بل انه يضع تحت طائلة مبدأ الطاعة بالمعروف الحاكم نفسه حيث يقول(ع) : " الا واني لست نبياً ولا يوحى الي ولكني اعمل بكتاب الله ما استطعت ، فما امرتكم به من طاعة الله فحق عليكم طاعتي فيما احببتم وفيما كرهتم وما امرتكم به او غيري من معصية

1– يعقوب ، مصدر سابق ، ص ص 194–195.

2– بيضون ، مصدر سابق ، ص327 ؛ الواسطي ، مصدر سابق ، ص44 .

3 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، خطبة 165 ، ص599 ؛ النوري ، مصدر سابق ، ج21 ، ص173 .

4- بيضون ، مصدر سابق ، ص332 .

5- بيضون ، مصدر سابق ، ، ص332 ويقول (ع) عن الوالي " حقكم عليه انصافكم والتعديل بينكم والكف عن فيئكم فاذا فعل ذلك معكم وجبت عليكم طاعته بما وافق الحق" ، المنقوي ، مصدر سابق ، ص126 .

الله فلا طاعة في المعصية الطاعة في المعروف الطاعة في المعروف الطاعة في المعروف"[1] .

ويرفض الامام سلوك بعضهم في الطاعة المطلقة لولاة الامر وما يرتبط بهذا النمط من السلوك إذ يصفهم (ع) " يلتمسون الحق بالباطل ويطيعون المخلوق في معصية الخالق"[2] . ولتأكيد هذا المبدأ ينقل الامام عن الرسول (صلى الله عليه وآله) قوله: " يا علي لربعة من قواصم الظهر [ويعدد هذه الاربعة التي من بينها] امام يعصي الله ويطاع امره ...0"[3] ،وهذا الموقف والتحديد للطاعة سيكون له اثر مهم في رؤية الامام لحق المعارضة الذي سنعرض له لاحقاً .

2 .ان حق الطاعة الذي طالب به الامام للسلطة الحاكمة على شقين الاول منهما امر الحاكم في عدم استغلال هذا الحق الا فيما وافق الحق إذ يقول (ع) : " لا تقولن اني مؤتمر امر فاطاع فان ذلك ادغال في القلب ومنهكة للدين وتقويب من الغير "[4] ، اما الثاني فهو : من يجب ان تطيع ؟ -وهذا ما سنلاحظه في شروط الحكام فان الامام قال : " الحذر الحذر من طاعة ساداتكم وكوائكم الذين تكبروا عن حسبهم ، وترفعوا فوق نسبهم والقوا الهجينة على ربهم ، وجاحدوا الله على ما صنع بهم مكاوة لقضائه ومغالبة لالآئه فانهم قواعد اسس العصبية ودعائم لركان الفتنة وسيوف اعتزاء[5] الجاهلية"[6] ويحذر الامام بشدة من توظيف البعد الالهي لصالح السلطة

1- لجنة الحديث ، سنن الامام علي ، مصدر سابق ، ص71 .

2 - الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، خطبة 272 ، ص517 ؛ يقول (ع) : " الواعنة يدعون الناس إلى عبادتهم لا يأمرونهم ان يصلوا لهم ولا يصوموا ولكنما يأمرونهم بطاعتهم فيطيعونهم فبطاعتهم لهم في معصية الله جل ثناؤه قد اتخذوهم لرباباً من دون الله " ابن سلامة ، مصدر سابق ، ص146 .

3- المجلسي ، مصدر سابق ، ج96 ، ص39 .

4 - الشريف الرضي (الجامع) ، ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، كتاب 53 ، ص547 .

5- تفاخر .

6- بيضون ، مصدر سابق ، ص332 .

السياسية اذ قال (ع): "احذروا على دينكم ثلاثة[احدهم]رجلاً اتاه الله سلطاناً فزعم ان طاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله"[1] .

(2)

3 .ويقصر الامام لطاعة بشرط الامكانية إذ قال (ع) : " لا تعذبوا خلق الله ولا تكلفوهم فوق طاقتهم " .

ويعلق مفكر اسلامي معاصر على السبب الذي دعا الامام للمطالبة بهذه الحقوق للحاكم كونها اموراً " ضرورية لاستمرار الحكم وصلاحه والتعبير عن – الرغبة المشتركة بين الحاكم والمحكومين في اصلاح ما يفتقر إلى الاصلاح وتقويم ما يحتاج إلى تقويم من شؤون الناس والبلاد"[3] .

ويعطي الامام بعداً اخر لحقوق الحاكم وذلك بتقدير حق مالي له ، ومن الملاحظ اسهام الامام المباشر بهذا الامر حين كان خارج السلطة ، وذلك حين قال الخليفة عمر بن الخطاب : " اني كنت امرءاً تاجراً يغني الله عيالي بتجارتي وقد شغلتموني بأموركم ، فماذا ترون ان يحل لي في هذا المال ؟ فأكثر القوم عليه يقترحون الاغداق عليه وعلي صامت . فلم يحفل بما يقولون وسأل علياً : ما تقول يا ابا الحسن قال علي : ما اصلحك واصلح عيالك بالمعروف وليس لك في هذا المال غيره فقال عمر : الله اكبر صدقت يا ابا الحسن لولا علي لهلك عمر "[4] .

وكان الامام وفياً لهذا الطرح ، فحين تولى امور الحكم وفي اول خطبة له، قال : " ان مفاتيح مالكم معي وانه ليس لي ان اخذ منه درهماً دونكم ارضيتم ؟ قالوا : نعم . قال(ع) اللهم اشهد "[5] . ونلاحظ ان الامام اقر

1- ينظر : الهلالي ، مصدر سابق ، ص406 .

2- المصدر السابق ، ص108 .

3 – محمد مهدي شمس الدين ، دراسات في نهج البلاغة ، مصدر سابق ، ص143 .

4 – الثقفي ، مصدر سابق ، ج1 ، ص103 ؛ هذه الرواية وردت في محمد الطوي ، تاريخ الطوي ، مصدر سابق ، ج3 ، ص111 .

5 – محمد الطوي ، تاريخ الطوي ، مصدر سابق ، ج3 ، ص451 .

للسلطان بأن تكون مفاتيح بيت المال وليس المال بحوزته أي انه جهة تنظيمية وليس مالكة لتلك الاموال ، بل حتى ذلك التنظيم يجب ان يكون وفقاً للشريعة الاسلامية ورضا الامة .

ويبين الامام مقدار الحق المالي للحاكم قائلاً : " لا يحل للخليفة من مال الله الا قصعتان: قصعة يأكلها هو واهله وقصعة يطعمها "[1] . ولكن يجب ان نلاحظ ان الامام لا يفوض هذا النمط من الزهد[2] الا على الحاكم نفسه اذ قال (ع):"ان الله تعالى فرض على ائمة الحق ان يقدروا انفسهم بضعفة الناس كي لا يتبيغ بالفقير فقره ...على ائمة الحق ان يتأسوا بأضعف رعيتهم حالاً في الاكل واللبس ولا يتميزون عليهم بشيء لا يقدرون عليه لكي يراهم الفقير فيرضى عن الله تعالى بما هو فيه ويراهم الغني فيزداد شكراً وتواضعاً"[3] ومن جهة اخرى نرى الامام يدعو إلى معاملة من نوع اخر للوظائف العليا العامة في الدولة إذ يوصي الاشتر قائلاً : " ثم اسبغ عليهم الارزاق فان ذلك قوة لهم على استصلاح انفسهم وغنى لهم عن تناول ما تحت يدهم[4]

وحجة عليهم ان خالفوك وثلموا امانتك" .

واعتقد ان هذا الاسلوب الذي يبدو متبايناً في التعامل يعود إلى ان الحاكم عند الامام علي يشغل موكزاً دينياً / معنوياً وسياسياً /مادياً – وهذا سنتلمسه اكثر حين نتطوق إلى شروط وصفات الحاكم عند الامام – مما يحتم عليه ان يكون اسوة لابناء شعبه ولاسيما الفقواء منهم حتى يكون قوله مطابقاً لعمله بشأن التنوه عن التعامل المادي مع الحياة . اما الجانب الاخر فهذه السياسة النفسية للحاكم تغلق كثير مما قد يواجهه من اشكالات حول استغلاله

---

1 – الويشهوي ، ميزان الحكمة ، مصدر سابق ، ج1 ، ص123 .

2 – للاطلاع على موقف الامام ورؤيته للزهد ينظر : بيضون ، مصدر سابق ، ص ص871 – 879

3 – الوشهوي ، ميزان الحكمة ، مصدر سابق ، ج1 ، ص123 .

4 – الشويف الوضي (الجامع)، نهج البلاغة،تعليق وفهوسة د. صبحي ، مصدر سابق ، كتاب 53 ،ص558 .

منصبه لزيادة ثرواته او توسيع ثروات اسوة الحاكم وحاشيته او اقدامه على اصدار قوانين او اتخاذ مواقف يفسوها بعضهم انها سعي وراء مصالح ذاتية والزهد يمنحه حصانة ضد الوشوة وانشغاله بالدنيا وتوكه الاخوة ومصالح الامة المستأمن عليها ،واخواً فان انشغاله بالدنيا يؤدي إلى عدم ايصال الوسالة السماوية إلى غوه من الشعوب والحكام . اما الموظف الحكومي فليس مطلوباً منه حالة الزهد المفوض ان تتوفر في الحاكم . فالامام(ع) يتسم بالواقعية سواء في منهجه الفكوي ام تجوبته العملية ، لذلك سعى لتوفير مستوى جيد لكبار الموظفين وذلك كجزء من نجاح ادارة الدولة ، حيث قوله (ع) في رسالة موجهة إلى واليه على البصوة : "إلاوان امامكم [يقصد نفسه] قد اكتفى من دنياه بطمويه ومن طعمه بقوصيه الاوانكم لا تقدرون على ذلك ولكن اعينوني بوع واجتهاد وعفة وسداد "[1] .

ان استكمال الصوة بالتوابط بين واجبات الحاكم وحقوقه عند الامام هي السبيل لتطوير المجتمع وتحقيق سعادته إذ قال (ع) :" فاذا ادت الوعية إلى الوالي حقه ،وادى الوالي اليها حقها،عز الحق بينهم وقامت مناهج الدين واعتدلت معالم العدل ، وجوت على اذلالها السنن فصلح بذلك الزمان وطمع في بقاء الدولة ويئست مطامع الاعداء"[2]

وبعد ان عوفنا – بصوة تكاد تكون موجزة – اهمية السلطة الحاكمة عند الامام ، ومن حيث وجوبها من جهة ومهامها الواسعة من جهة ثانية وحقوقها المحددة من جهة ثالثة ، فان مسألة الشوط التي يجب ان يتمتع بها من يشغل هذا المنصب غاية في الاهمية عند الامام، بل ان النظر إلى هذه الشوط المفوضة – فضلاً عن كونها مؤهلات ومتطلبات لقيادة امة

1– المصدر السابق ، كتاب 53 ، ص531 .

2– المصدر السابق ، خطبة 216 ، ص419 .

صاحبة رسالة انسانية عالمية – فانها حق للامة ان لا يحكمها إلا اشخاص يمتلكون هذه المؤهلات . وهذه ميزة اخرى تضاف لصالح منهج الامام في مجال حقوق الانسان ، الا وهو اهتمامه بمن يحكم كأساس لمعرفة كيفية الحكم .

ويمكن اجمال اهم الشروط او المؤهلات التي طالب الامام ان يتمتع بها الحاكم المسلم بما يأتي:

1 .معرفة الاسلام وحسن تطبيقه :

ان اول شروط القيادة في الاسلام – على وفق رؤية الامام – هو معرفة الاسلام بالمفهوم الدقيق للكلمة واستيعاب اصوله ومبادئه واحكامه في المجالات الثقافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية المختلفة ، إذ قال الامام عن الحاكم " يجب ان يكون اعلم الناس بحلال الله وحرامه وضروب احكامه وامره ونهيه وجميع ما يحتاج اليه الناس "[1] .

ويضع الامام نصب عيني الامة واهتمامها مسألة التركيز على هذا الشرط – مع احترامه العميق لاختيارها – فقال (ع) يجب على المسلمين: " ان يختاروا لانفسهم اماماً عفيفاً عالماً وَرِعاً عَارفاً بالقضاء والسنة "[2] . ويجعل الامام من شرط المعرفة بالاسلام والعمل به ضماناً لسير الحكم وتأسيساً لمشروعية وجوده ، إذ قال (ع) : " ان احق الناس بهذا الامر...اعلمهم بأمر الله فيه "[3] . ويقول محتجاً على خصومه السياسيين : "نحن احق بهذا الامر منكم ما كان فينا القارئ لكتاب الله الفقيه في دين الله

1- المجلسي ، مصدر سابق ، ج25 ، ص165 .

2- الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، مصدر سابق ، ج6 ، ص14 ، الهلالي ، مصدر سابق ، ص291 .

3 – ينظر : الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، شرح محمد عبدة ، مصدر سابق ، ج3 ، ص348 .

العالم بسنن الله"[1] ، ويصف الامام خصومه السياسيين بأنهم " ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن "[2] .

ويبدو لنا ان الامام لا يهمه ان يحيط الحاكم بالاسلام إلا لتطبيقه كمنهج في الحياة واسلوب في السياسة فأمر الامام الحاكم بقوله : " اجعل الدين كهفك والعدل سيفك تنج من كل سوء وتظهر على كل عدو "[3] . وقال لأحد ولاته: "وتمسك بحبل القرآن وانتصحه ،واحل حلاله ،وحرم حرامه "[4] و " ارددّ إلى الله ورسوله ، ما ضلعك من الخطوب ويشتبه عليك من الامور فقد قال الله سبحانه لقوم احب ارشادهم (يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول) فالرد إلى الله الاخذ بمحكم كتابه والرد إلى الرسول الاخذ بسنته الجامعة غير المفرقة "[5] .

ويحذر الامام الامة الاسلامية من اى خداع بالاسلام الشكلي الذي قد يتظاهر به بعضهم حيث يقول (ع) : " كم من ضلاله زخرفت بآية من كتاب الله كما يزخرف الدرهم النحاس بالفضة المموهة "[6] و "رُب متنسك لادين له "[7] ويعالج الامام هذه المسألة بالتطبيق العملي والاداء الفعلي للحكام ، حيث يقول : " من نصب نفسه للناس اماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم

1 – ابن قتيبة الدينوري ، الامامة والسياسة ، مصدر سابق ، ج1 ، ص29 .

2 – محمد الطوي ، تاريخ الطوي ، مصدر سابق ، ج4 ، ص34 .

3 – الواسطي ، مصدر سابق ، ص77 .

4 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة،تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، كتاب 69 ، ص591.

5 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، شرح محمد عبدة ، مصدر سابق ، كتاب 23 ، ص556 .

6 – الريشهري ، ميزان الحكمة ، مصدر سابق ، ج2 ، ص269 .

7 – الواسطي ، المصدر السابق ، ص265 .

غيره وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه "[1] ، بل انه يشدد على ادعاء السلطة ما لا تفعله حيث " لعن الامام امير المؤمنين (ع) مثل هؤلاء القادة المقتصر فعلهم على القول دون الفعل –حيث يقول – لعن الله الامرين بالمعروف التاركين له والناهين عن المنكر العاملين به ويقول الامام زيادة الفعل على القول احسن فضيلة ونقص الفعل عن القول اقبح رذيلة "[2][3] . [وينتقد الامام] احدولاته كون قوله ليس له مصداق في عمله قائلاً : " تتكلم على المنبر بكلام الصديقين وتفعل اذا نزلت افعال المحلين "[4] . ولعل المعيار الافضل لتقييم اداء السلطة الحاكمة وتمسكها الشريعة الاسلامية هو الشرط الثاني الذي نادى به الامام (ع) وهو (العدالة) .

2–العدالة :

على الرغم مما تطرقنا اليه سابقاً من حق المساواة العادلة التي اقرها الامام كأحد اهم حقوق الانسان ، إلا اننا نعتقد انه لزاماً ان نعاود الالتقاء مرة ثانية مع هذا المبدأ كشرط اساسي للحاكم عند الامام (ع) الذي كان مدركاً " لمخاطر الحكم ومسؤولياته الكبرى لذلك كان متشدداً في تحديد مواصفات الوالي العادل وهي مواصفات نظرية وعملية حقيقية ... فالامام العادل هو افضل عباد الله عند الله "[5][6] وفق رؤية الامام (ع) الذي يروي عن الرسول(صلى الله عليه وآله) قوله : "العدل حسن ولكنه في الامراء احسن"[7] .

1 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة،تعليق وفهرسة د. صبحي،مصدر سابق،حكمة 68 ، ص614 .

2– المصدر السابق ، خطبة 139 ، ص213 .

3 – الريشهري ، القيادة في الإسلام ، مصدر سابق ، ص ص 57–58 .

4– اليعقوبي ، مصدر سابق ، ج2 ، ص202 .

5– الامدي ، مصدر سابق ، ص 347 .

6- جاسم ، مصدر سابق ، ص236 .

7- الهندي ، مصدر سابق ، ج61 ، ص138 .

والعدل في الحاكم ابتداءً هو سمة ذاتية تنبع من داخل الحاكم وتمتزج مع نمط تفكيره وذوقه العام ، ويشرح الامام هذه العدالة الذاتية في الحاكم قائلاً : " من اذا حدث الناس لم يكذبهم واذا وعدهم لم يخلفهم واذا خاطبهم لم يظلمهم ، فاذا فعل ذلك وجبت اخوته وكملت مروءته وحرمت غيبته وظهر عدله"[1] . وتتوسع العدالة حتى تشمل استيعاب اصحاب السلطة للاسلام اذ يقول الامام : " افضل المسلمين اسلاماً من كان همه لاخوته واعتدل خوفه ورجاءه"[2] .

بل ان الموازنة مطلوبة ايضاً حتى في اداء الطقوس الدينية ، حيث يقول(ع) موصياً احدولاته : "واذا قمت في صلاتك للناس فلا تكونن منفراً ولا مضيعاً ، فأن في الناس من به العلة وله الحاجة ، وقد سألت رسول الله (صلى الله عليه وآله) . حين وجهني إلى اليمن كيف اصلي بهم ؟ فقال : صل بهم كصلاة اضعفهم وكن بالمؤمنين رحيما"[3] .

اما على مستوى ممارسة السلطة إزاء المجتمع فان الامام طالب بالعدالة من الحكام وعدها اساس قيام الدولة وثباتها إذ يقول (ع) : " العدل نظام الامرة"[4] و " في العدل الاقتداء بسنة الله وثبات الدول "[5] و "ولن تحصن الدول بمثل العدل فيها "[6] واقامة العدل يعد شرط للطاعة من قبل الامة اذ يقول(ع): " حق على الامام ان يحكم بالعدل ويؤدي الامانة ، فاذا فعل ذلك

---

1 - البلاذري ، انساب الاشراف ، مصدر سابق ، ص126 .

2- الواسطي ، مصدر سابق ، ص123 .

3 - الشريف الرضي (الجامع)،نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، كتاب 53،ص566 .

4- مدير ، مصدر سابق ، ج1 ، ص22 .

5- المصدر السابق ، ج2 ، ص79 .

6- المصدر السابق ، ،ج2 ، ص126

وجب على المسلمين ان يطيعوه ، لأن الله امرنا بأداء الامانة والعدل ثم امر بطاعته "[1] .

وعلى النقيض من حالة العدالة هناك حالة الظلم التي ناصبها الامام العداء حتى قال : "ولاة الجور شرار الامة "[2] . وان " لا جور اعظم من جور حاكم"[3] ، وذلك لان الامل في الحاكم ان يكون هو محور العدالة في المجتمع وحاميها ، ويبين (ع) الآثار السلبية للظلم اذ يقول : " في الظلم هلاك الرعية "[4] ، ومن جار في سلطانه عد من عوادي زمانه "[5] ، بل ان " من ظلم رعيته نصر اضداده "[6] . ويحذر الامام من الفهم الخاطئ عند الحاكم حول مسألة العدالة اذ يقول : " اجور الناس من عد جوره عدلاً منه "[7] ، ويصعد الامام من هجومه على الحكام الظالمين قائلاً : " السلطان الجائر والعالم الفاجر اشد الناس نكاية[8]

" .

اما سمة العدالة في الحكام فان الامام يعطي ابعادها الواقعية قائلاً : " من علامات المأمون على دين الله بعد الاقرار والعمل الحزم في امره والصدق في قوله والعدل في حكمه والشفقة على الرعية لا تخرجه القوة الى الخرق ولا اللين إلى الضعف ولا تمنعه الرقة من كرم عفو ولا يدعوه العفو إلى اضاعة حق ولا يدخله الاعطاء في سرف لا يتخطى به القصد إلى البخل ولا تأخذه نعم الله ببطر" [9] ان من يملك هذه الصفات الذاتية

---

1 – محمد مهدي شمس الدين ، دراسات في نهج البلاغة ، مصدر سابق ، ص138 . وكذلك ينظر : القرطبي، مصدر سابق ، ج5 ، ص251 .

2– مدير ، ج2 ، ص536 .

3– المصدر السابق ، ج2 ، ص538 .

4– المصدر السابق ، ج2 ، ص78 .

5– المصدر السابق ، ج2 ، ص387 .

6– الواسطي ، مصدر سابق ، ص429 .

7– المصدر السابق ، ص57 .

8– المصدر السابق ، ص116 .

9– مدير ، مصدر سابق ، ج2 ، ص483 .

والسلوكية العادلة يستحق ان يكون قائداً وحاكماً للامة – مع توفر الشروط الاخرى – بل يتمتع الحاكم بصفة العدالة يكون من خير الملوك حسب وصف الامام من ان خير الحكام "من امات الجور واحيا العدل " [1] . وان " افضل الملوك العادل " [2] .

3 .الوعي السياسي :

ان من اهم الصفات التي يجب ان يتمتع بها الحاكم هو الفهم الدقيق للمسائل وحسن التشخيص وسعة الادراك ودقة النظر في جميع الامور التي تحتاج إلى تدبير وحسن سياسة [3] ، ولعل الشعوب الاسلامية والحركات السياسية فيها خاصة بأمس الحاجة – في واقعنا المعاصر – إلى تحقيق هذا الشرط فيمن يتصدى لقيادة الامة او جزءاً منها دون تنازل عما ذكر انفاً من شروط .

فالامام يرى ان اساس الحكم هو حسن السياسة إذ يقول (ع) : " الملك سياسة" [4] ، وان " فضيلة الرئاسة حسن السياسة " [5] في حين ان "أفة الرعماء ضعف السياسة" [6] . وللتأثير المباشر لهذا العامل على الشعب فقد عده الامام من حقوق الامة بأن يقودها من يتمتع بحسن السياسة حيث ان في " حسن السياسة قوام الرعية " [7] ، وان سوء التدبير سبب التدمير" [8] .

ويحدد الامام ابعاد حسن السياسة اولاً بالقوة البدنية والنفسية إذ يقول(ع) : " لا يحمل هذا الامر الا اهل الصبر والبصر والعلم بمواقع

---

1 – الواسطي ، مصدر سابق ، ، ص239 .

2– المصدر السابق ، ص117 .

3 – الويشهري ، القيادة في الاسلام ، مصدر سابق ، ص203 .

4– الامدي ، مصدر سابق ، ص331 .

5– مدير ، مصدر سابق ، ج1 ، ص77 .

6– المصدر السابق ، ج1 ، ص30 .

7– الامدي ، مصدر سابق ، ص 334 .

8– المصدر السابق ، ص343

الامور"[1] ويقول : "ايها الناس ان احق الناس بهذا الامر اقواهم عليه واعلمهم بأمر الله فيه "[2] .

اما البعد الثاني في حسن السياسة فهو الموازنة السياسية وتقديم الاهم على المهم إذ يقول: " اما بعد فان تضييع المرء ما ولي ، وتكلفه ما كفي لعجز حاضر ورأي متبر"[3][4] ، وكذلك يظهر حسن السياسة عند الامام بكيفية الادارة والتعامل مع الاخرين – لاسيما من اولئك المشكوك ولائهم سواء للدين ام الدولة – إذ يقول (ع) ناصحاً واحداً احد ولاته : "فالبس لهم جلباباً من اللين تشوبه بطرفٍ من الشدة ، وداول لهم بين القسوة والرأفة وامزج لهم بين التقريب والادناء والابعاد والاقصاء ان شاء الله"[5] ويوصي اخر : " اخلط الشدة بضغثٍ من اللين وارفق ما كان الرفق ارفق واعتزم بالشدة حين لا تغني عنك الا الشدة "[6] .

والبعد الثالث في عملية الوعي السياسي ، هو الدقة والحزم في تحقيق المصالح ودرء المخاطر عن كيان الدولة وشعبها وعقيدتها اذ يقول (ع): "من رد عن المسلمين عادية ماء او نار او عادية عدو مكابر للمسلمين كفر الله ذنبه "[7] . ومن اجدر بتحمل هذه المسؤولية من حاكم المسلمين وقدوتهم متأزراً معه ابناء الامة كافة . ويطلب الامام من الحاكم ان يباشر الدفاع عن الامة بنفسه إذ كان على سبيل المثال يقول لاثنان من قواده : "واحرسا

---

1 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق، خطبة 173، ص305 .

2– بيضون ، مصدر سابق ، ص328 .

3– أي أهلك صاحبه .

4 – الشريف الرضي (الجامع) نهج البلاغة ،تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر السابق ، كتاب 61 ، ص597 .

5– المصدر السابق ، كتاب 19 ، ص476 .

6– المصدر السابق ،رسالة 46 ، ص538 .

7– الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، مصدر سابق ، ج11 ، ص109 .

عسكركما بانفسكماولا تنوقا نوماً الا غراراً ومضمضة "[1] ، بل ان سيرته العملية لم تكن الا تجسيداً حياً لما كان يأمر به بالدفاع عن الامة وعقيدتها بنفسه[2] .

ولعل الجزء الاهم من عملية الوعي السياسي والتي شدد عليها الامام هو مسألة اختيار مكونات وعناصر المجموعة الحاكمة من شاغلي الوظائف المهمة وهم رؤساء الهياكل الرئيسة لادارة البلد والذي اطلق عليهم اسم العمال والذين هم بمثابة المحافظين ورؤساء الدوائر العامة في البلد والمشرفين على الاعمال الادارية والقريبين من الحاكم في ادارة البلاد بتنوعاتهم كافة[3] .

يقول الامام عن الية اختيار العمال : " ثم انظر في امور عمالك فأستعملهم اختباراً ولا تولهم محاباةً واثرة فانهما جماع من شعب الجور والخيانة وتوخ منهم اهل التجربة والحياء من اهل البيوتات الصالحة والقدم في الاسلام "[4] . ويحدد الامام ضابطاً اخر لعملية الاختيار في المنصب العام إذ يقول : " ان شر وزرائك من كان قبلك للاشرار وزيراً ومن شركهم في الاثام فلا يكونن لك بطانة فانهم اعوان الاثمة واخوان الظلمة وانت واجد

1 – ابن داوود الدينوري ، مصدر سابق ، ص166 .

2 – وذلك يتبين من خلال سيرته من المعارك وباقي شؤون الدولة إذ كان يواجه الخطر والتحدي مباشرة فمثلاً في حادث بسيط لكنه يعطي دلالة مهمة حين اراد جيش الامام ان يعبر النهر اصر الامام على حماية مؤخرة الجيش ثم " عبر امير المؤمنين والاشتر اخر الناس " ، البلاذري ، انساب الاشراف ، مصدر سابق، ص298 .

3 – عبد الرضا الزبيدي ، الفكر الاجتماعي عند الامام علي ، مصدر سابق ، ص236 .

4 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق، كتاب 53 ، ص ص 557 – 558 ؛ وينظر كذلك : الفكيكي ، مصدر سابق ، ص106 .

منهم خير الخلف"[1] . والتركيز على عملية الاختيار والدقة فيها عند الامام تستمد اهميتها من ثلاثة امور :

(أ) البعد الشرعي : إذ يقول (ع) " من استعمل خائناً فان محمد (صلى الله عليه وآله) برئ منه في الدنيا والاخرة "[2] ، ويقول ايضاً : " لم يكن الله لواني اتخذ المضلين عضدا"[3] .

(ب) البعد السياسي : مما قد يسببه الاختيار غير الدقيق من أزمة واشكالات تنعكس بالتأكيد على القيادة العليا والحاكم نفسه ، إذ يقول الامام " من فسدت بطانته كان كمن غص بالماء فأنه لو غص بغيره لأساغ الماء غصتة "[4] ، وورد عنه قوله (ع): " لا يواد الاشرار الا اشباههم ولا يصطنع اللئام الا نظرائهم "[5] .

(ج) البعد القانوني : وهو تحمل الحاكم لاخطاء ولاته من الناحية السياسية ، والشرعية، اذا لم يتم تداركها ويسعى لاصلاحها – وهذا ما نادى به الامام (ع) حيث يقول(ع) لواليه عبد الله بن عباس : " اربع[6] ابا العباس رحمك الله فيما جرى على يدك ولسانك من خير وشر فانا شريكان في ذلك "[7] .

ان تكامل هذه الابعاد في الوعي السياسي للسلطة الحاكمة سيؤدي بالنتيجة إلى النهوض بالامة لتحقيق الحقوق الاخرى كافة ، ولعل مسألة

---

1 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة، تعليق وفهرسة د. صبحي،،مصدر سابق ، كتاب 53 ، ص550 .

2– ينظر : المحمودي ، مصدر سابق ، ج5 ، ص130.

3 – ابن قتيبة ، الدينوري ، الامامة والسياسة ، مصدر سابق ، ج1 ، ص116 .

4– مدير ، مصدر سابق ، ج2 ، ص430 .

5 – الريشهري ، ميزان الحكمة ، مصدر سابق ، ج3 ، ص1583 .

6– ارفق .

7 – الشريف الرضي (الجامع) ،نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ،مصدر سابق ، كتاب 38 ، ص475 .

القوة السياسية والوعي جزء ما سعى الامام لترسيخه بالعقل الجمعي للامة اذ يقول (ع) مخاطباً مناوئيه : " نحن احق بهذا الامر منكم ما كان فينا ... المضطلع بأمور الرعية، الدافع عنهم الامور السيئة ، القاسم بينهم بالسوية"[1] . ويرد الامام على متهميه بضعف السياسة من خلال توضيحه لادائه المتميز بالذكاء والحسم في الاطار الاسلامي الذين صبغ حركته السياسية اذ يقول : "فقمت بالامر حين فشلوا وتطلعت حين قبعوا . ونطقت حين تعتعوا ومضيت بنور الله حين وقفوا ، وكنت اخفضهم صوتاً واعلاهم فوتاً فنظرت بفنائها واستبرت برهانها كالجبل لا تحركه القواصف ولا ترتله العواصف "[2] . ان تقييد الامام حركته بنور الله التي يمكن ان يفهم انها الشريعة الاسلامية هي دفاع الامام عن نفسه امام منتقديه بضعف السياسة ، بل انه يقول صراحة بان هناك المكر السياسي المرفوض الذي يناقض الذكاء السياسي في اطار الشريعة وهو ما يسعى لتحقيقه والمطالبة به حيث يقول : " لقد اصبحنا في زمان اتخذ اكثر اهله الغدر كيساً ونسبهم اهل الجهل فيه إلى حسن الحيلة ، ما لهم قاتلهم الله ! قد يرى الحول القلب وجه الحيلة ودونها مانع من امر الله ونهيه فيدعها رأي عين بعد القوة عليها ، وينتهز فرصتها من لا حريجه له في الدين "[3] وهذا البعد في الوعي السياسي يتكامل مع الصفات الشخصية للحاكم .

1 – ابن قتيبة الدينوري ، الامامة والسياسة ، مصدر سابق ، ج1، ص29 .

2 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، خطبة 37 ، ص81.

3 – المصدر السابق ، خطبة 41 ، ص84 ؛ ويقول (ع) : " لولا التقى لكنت ادهى العرب " ، الواسطي ، مصدر سابق ، ص512 .

4.الصفات الشخصية للحاكم :

وهي مجموعة من الصفات التي طالب الامام ان يتصف بها كل من يقود المجتمع او يطمح لقيادته ، وذلك سعياً منه (ع) لتقديم المثل الاعلى في المستوى الاخلاقي والمعنوي من جهة ، وضماناً لافضل اداء سياسي من جهة اخرى ، ويمكننا القول من دون تردد ان الامام سعى إلى تثبيت الافضل في قيادة المجتمع حين قال (ع) : " ان سركم ان تزكوا صلاتكم فقدموا خيلركم "[1] .

ولعل اهم الصفات الشخصية التي اشترطها الامام تتجسد في ان يكون الحاكم من "اسخى الناس "[2] ، وذلك حتى لا يكون له مطمع بالاموال العامة ، او يرتشي في الحكم او يجير منصبه خدمة لاغراضه الشخصية كما فعل بعض مناوئي الامام حيث يصفهم بأنهم : "اكلة الرشا وعبيد الدنيا "[3] وان من اهم مقومات الحاكم عند الامام هو ان يكون " عفيفاً ورعاً"[4] ، أي مقتصراً فيما يحل له ومجتنباً لما يحرم عليه . .

اما الشرط الثاني للحاكم فقد طالب الامام ان يكون من" اشجع الناس "[5] .وهذه الشجاعة هي القاعدة التي ينطلق منها التعامل مع الاخرين ، ولعل ما يمكن فهمه من كلمة الشجاعة هي اوسع من المدرك العسكري لهذه المفردة – على اهمية هذه السمة في معركة الدفاع ورفع الظلم عن االاخرين – فالشجاعة تصب في صالح الاعتراف بالخطأ والقبول بالرأي الاخر

1 – يوسف البحراني ، الحدائق الناظرة في احكام العترة الطاهرة ، تحقيق محمد تقي الايرواني ، ج8 ، (قم ، مؤسسة النشر الاسلامية ، د. ت) ، ص205 .

2– المجلسي ، مصدر سابق ، ج68 ، ص390 .

3– المحمودي ، مصدر سابق ، ج5 ، ص250 .

4– الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، مصدر سابق ، ج6 ، ص14 .

5– المجلسي ، مصدر سابق ، ج68 ، ص 390 .

والمعارضة، بل ان الشجاعة تكون ايضاً حتى في السعي لاحداث التغيير والتطور داخل المجتمع ولصالحه .

(1)

لقد دعا الامام إلى ان تكون الشجاعة خاضعة لاحكام العقل إذ يقول (ع): "العاقل لا يفوط به عنف ولا يقعد به ضعف " وهذا العقل الذي يعول عليه الامام بشكل كبير ويجعله من اهم متطلبات القيادة يتضح في قوله: "العاقل من يملك نفسه اذا غضب واذا رغب واذا رهب "[2] فهو بجميع الامور يجب ان تعود ويحتكم بها إلى مرجعية العقل والعقلاء، ويقول الامام: " يحتاج الامام إلى قلب عقول ولسان قؤول وجنان على اقامة الحق صؤول"[3] .

ويتطرق الامام إلى مسألة الصبر وكظم الغيض كسمة ضرورية للحاكم اذ يقول(ع): " الة الرئاسة سعة الصدر "[4] . وينصح الامام الحاكم بقوله : "واجرع الغيض فأني لم ار جرعة احلى منها عافية "[5] ، وتعد هذه السمة صمام امان للانفتاح على الاخرين ولاسيما مع وجود حالة التباين في الرؤى والاراء ، وكذلك هي مصد لحالة التسرع وما قد يجره من ويلات على الامة والعقيدة .

وانتقد الامام حالة الكبر والغرور التي تميز اغلب الحكام واصحاب النفوذ ، ويقول لاحد ولاته بعد ان تلمس في شخصيته شيئاً من هذه السمة :" اترجو ان يعطيك الله اجر المتواضعين وانت عندة من المتكبرين "[6] ، ويقول

1- مدير ، مصدر سابق ، ج2 ، ص8 .

2- المصدر السابق ، ج2 ، ص8 .

3- الامدي ، مصدر سابق ، ص111 .

4- مدير ، مصدر سابق ، ج1 ، ص32 .

5 - الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، كتاب 31 ، ص512 .

6- المصدر السابق ، كتاب21 ، ص477 .

للحاكم ناصحاً : "اياك ومساماة الله في عظمته والتشبه به في جبروته فان الله يذل كل جبار ويهين كل مختال "[1] ومن سلبيات الغرور هو تولد حالة تنوير الحكام لأخطائهم ، إذ يقول (ع) بهذا الشأن " الاعجاب ضد الصواب وافه الالباب"[2] .

وليس مستغرباً ان يرفض الامام اسلوب المدح والمداحين ، بل وحتى الحكام الذين يرغبون بسماع مثل هذه الاقوال او هذا النمط من السلوك ، اذ يقول(ع): " افة الرئاسة الفخر "[3] وان " اجهل الناس المغتر بقول مادح متملق يحسن له القبيح ويبغض اليه النصيح "[4] . ويقرر الامام ان انتشار المادحين هو بداية لسلسلة اخطاء الحكام ، إذ يقول : " عجباً للسلطان كيف يحسن وهو اذا اساء وجد من يزكيه ويمدحه"[5] ، "وان من اسخف حالات الولاة عند صالح الناس ان يظن بهم حب الفخر ويوضع امرهم على الكبر"[6] بل ان "من مدحك فقد ذبحك"[7] على وفق رؤية الامام .

كذلك فان الحاكم عند الامام يجب ان ينأى بنفسه عن الهوى الباطل ، إذ يقول(ع): "اما بعد فأن الوالي اذا اختلف هواه منعه ذلك كثيراً من العدل"[8] وجعل الامام من تحرير الذات اهم معيار لتقييم الحكام إذ يقول: " اجل الاهواء من لم يكن الهوى عليه[9] [10]

امير " و " اجل الملوك من ملك نفسه " . ويبلغ مسألة عداء الامام للهوى الباطل في سياسة الحكام حداً

1- المصدر السابق ، كتاب 53 ، ص584 .

2- المصدر السابق ، كتاب 31 ، ص504 .

3- مدير ، مصدر سابق ،ج1 ، ص30 .

4- المصدر السابق ، ج1 ، ص47 .

5- المصدر السابق ، ج2 ، ص15 .

6- المجلسي ، مصدر سابق ، ج14 ، ص152 .

7- مدير ، مصدر سابق ، ج2 ، ص461 .

8 - الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق، كتاب 59 ، ص577. ولتفصيل اكثر في وصول فكرة تهذيب النفس الانسانية لدى الامام علي في ادارة الحكم الاسلامي ينظر : د. محمد حسنين علي الصغير ، الامام علي (ع) ، سيرته وقيادته في ضوء المنهج التحليلي ، (بيروت ، مؤسسة المعارف ، 2002) ، ص ص341-349 .

9- مدير ، مصدر سابق ، ج1 ، ص46 .

10- المصدر السابق ، ج1 ، ص47 .

بعيداً حتى يصفه بانه " اله معبود ... داء دفين ... شريك العمى... عدو متوع 00 مطية الفتن ... قرين مهلك 00 ويقود إلى النار"[1] . وكل هذا السيل من التحذيرات لتحكم الهوى والمآرب الشخصية انما كان سعياً من الامام من اجل ان يسير الحاكم على وفق الشريعة وبمعايير العدل والحرية واحترام الانسان وصيانة حقوقه وليس كما يشاء هواه ، ذلك ان مصير الامة والرسالة التي تحملها اسمى من ان يتحكم به هوى حاكم اورغبة سلطان .

ويجمل الامام بعض الصفات التي لا تنبغي ان تكون في الوالي ويبين اثارها السلبية ان وجدت ، معرباً عن حق الانسان ان لا يحكمه المتصفون بأي من هذه الصفات قائلاً: "انه لا ينبغي ان يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والاحكام وامامة المسلمين: البخيل فتكون في اموالهم نهمته ،ولا الجاهل فيضلهم بجهله ،ولا الجافي فيقطعهم بجفائه ،ولا الحائف للدول فيتخذ قوماً دون قوم ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق ،ولا يقف بها دون المقاطع ولا المعطل للسنة فتهلك الامة "[2] .

وعلى العكس من هذه الصفات السلبية ، يرسم الامام صورة للانسان التقي والتي ينبغي توافرها في الحكام المؤهلين لقيادة الامة قائلاً ان : " منطقهم الصواب، وملبسهم الاقتصاد ، ومشيهم التواضع ، غضوا ابصارهم عما حرم الله عليهم ووقفوا اسماعهم على العلم النافع لهم ...عظم الخالق في انفسهم فصغر ما دونه في اعينهم ... قلوبهم محزونة وشرورهم مأمونة واجسادهم نحيفة وحاجاتهم خفيفة وانفسهم عفيفة . اما الليل فصافون اقدامهم تالين لاجزاء القرآن...واما النهار فعلماء ابرار

اتقياء ...

1- المصدر السابق ، ج2 ، ص524 .

2- بيضون ، مصدر سابق ، ص331 .

اذا زكي احد منهم خاف مما يقال له فيقول ...اللهم لا تؤاخذني بما يقولون ،واجعلني افضل ما يظنون واغفر لي ما لا يعلمون..."[1]

ويستمر الامام واصفاً صفات الانسان المؤهل لقيادة الامة قائلاً " فمن علامة احدهم انك ترى له قوة في دين وحزما ً في لين ،وايماناً في يقين ،وحرصا ً في علم ،وعلما ً في حلم، وقصدا ً في غنى وخشوعا ً في عبادة وتحملا ً في فاقة وصبرا ً في شدة ، وطلباً في حلال ونشاطا ً في هدى وتحرجا ً عن طمع... يمزج الحلم بالعلم والقول بالعمل ...الخير منه مأمول والشر منه مامون ... يعفو عمن ظلمه ويعطي من حرمه ويصل من قطعه ... في الزلازل وقور وفي المكاره صبور وفي الرخاء شكور ... لا يحيف على من يبغض ،ولا يأثم فيمن يحب "[2] .

ان هذه الصفات – ان قال بعضهم بانها مثالية اجبناه ان وظيفة الحاكم تستدعي ان تتوفر فيه هذه السمات ولو اصوت الامة على ان تكون هذه صفات من يقودها لم يصل المسلمون لهذا الوضع الان – اما في حالة انعدام هذه الصفات او كلها او انحراف القيادة بعد توليها الحكم فسيبرز لنا (حق المعارضة) عند الامام علي (ع) وهذا ما سنتناوله في المبحث الرابع .

---

1 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، خطبة 193 ، ص ص 382-386 .

2- المصدر السابق ، خطبة 193 ، ص ص 380 – 386 .

المبحث الرابع

حق المعارضة

مع ما وضعه الامام من شروط ومواصفات ومحددات عملية لمن يمسك زمام السلطة ؛ خشية من عواقب انحرافها وما هيأه من بيئة تترسخ فيها الحرية بشتى ابعادها ولاسيما الحرية السياسية وسبل التعبير عن الرأي الا ان تجربة الامام(ع) تمتاز باقراره لحق المعارضة السياسية كجزء مهم وحيوي من حقوق الانسان ،وجعلها من الواجبات الشرعية والسياسية في بعض الظروف والحالات .

ولابد من تعريف المعارضة قبل التطرق إلى رؤية الامام ليكون التعريف خط الشروع وقاعدة لفهم هذا الحق المهم ضمن الحقوق السياسية عند الامام علي فمن الناحية اللغوية يقال " اعترض الشيء في حلقه وقف فيه بالعرض واعترض الفرس في مشيه أي اعتراض مشيه من الصعوبة ،والمعارضة ان يكون كل منهما في عرض صاحبه "[1] .

والمعارضة يمكنها ان تنشأ داخل كل جماعة بشرية (العائلة ، التجمعات المهنية،00 الخ) ما دام هناك اختلاف في الرؤى والتوجهات . اما ما يهمنا فهو المعارضة السياسية أي تلك التي تقوم بوجه السلطة الحاكمة وفي اطار الدولة . فالمفهوم السياسي للمعارضة " هو عمل القوى السياسية ضد من هو في السلطة "[2] ولأجل ان " تنشأ المعارضة يجب ان يكون للسلطة الحاكمة سياسة منظمة وواضحة تقوم على مرتكزات ثابتة ذلك ان المعارضة تكون

---

1 – ينظر : ابن منظور ، مصدر سابق ، ج7 ، ص ص 160 –167 ، ج14 ، ص455 ، وينظر كذلك : د. شوان العجلي ، " المعارضة في ظل الدولة الاسلامية " ، مجلة المنهاج الاسلامي ، بيروت ، السنة 7 ، العدد 25 ، 2002 ، ص7 .

2– العجلي ، مصدر سابق ، ص15 .

معارضة للنهج الذي تتبعه الحكومة في ممارسة السلطة وللتوجهات السياسية التي تعتمدها "[1] .ولا يمكن "القول بوجود معارضة عندما يكون النضال ضد من هو في السلطة ، نضالاً سوياً، انما يمكننا الكلام عن مقاومة للسلطة ، من جهة ثانية ، لا تعد الانتقادات الفردية الموجهة للسلطة معارضة ، فهذه الاخيرة تقتضي النقد المنظم الذي يقوم به مجموعة من الاشخاص تجمعهم رؤية واحدة ، حول الطريقة التي يجب ان يمارس بها الحكم"[2] . وينضوي تحت مصطلح المعارضة بشكل عام " كل الجماعات التي لها اهداف سياسية والتي تملك في الاطار الحقوقي القائم القدرة على اعلان وجهات نظر ومواقف مغايرة لوجهات نظر ومواقف الحكومة ،وعلى التعبير العملي عن افكارها عبر العمل السياسي ، وتهدف المعارضة غالباً الوصول إلى السلطة "[3] .

ان السيرة العملية والنهج الفكري الذي صاغه الامام خلال تجربته السياسية، يظهران انه قد اقر بالمعارضة السياسية كحق من حقوق الانسان على الصعيد السياسي وانه اسهم في تنظيم عملية المعارضة بعدة ضوابط ، ومن ثم تحديد انواعها وسبل التعامل معها ، بل الاكثر من ذلك انه قد منح المعارضة جملة من الحقوق تكفل صيانتها واستمراريتها ليرسخ بذلك مبدأ (شرعية المعارضة) في بادرة ربما لم تصل اليها مجتمعات وسلطات ومفكرين حتى وقتنا الحاضر ؛ فقد انطلق الامام من فهم عميق للرسالة الاسلامية من جهة ، ورؤية سياسية ناضجة لاهمية المعارضة كأداة لتقييم وتقويم وتغيير السلطة الحاكمة من جهة اخرى .

1– المصدر السابق ، ص15 .

2- د. عصام سليمان ، مدخل إلى علم السياسة ، ط2 ، (بيروت ، دار النضال ، 1989) ، ص257 .

3- المصدر السابق ، ص258 .

وسوف نتطرق إلى رؤية الامام علي بن ابي طالب إلى حق المعارضة السياسية من خلال الابعاد الآتية :

أولاً – شرعية المعارضة :

لقد منح الامام (ع) ، انطلاقاً من الشريعة الاسلامية ، المعارضة السياسية عند المسلمين ما هي بأمس الحاجة اليه الا وهي الشرعية الدينية والقانونية ، وذلك انطلاقاً من جانبين :

- العطاء الفكري للامام .
- السيرة العملية للامام .

الجانب الاول : العطاء الفكري للامام :

في الرؤية النظرية للامام (ع) يمكننا تلمس مسألة المعارضة السياسية في استنادها بصورة رئيسة إلى مبدأ (الامر بالمعروف والنهي عن المنكر).فهذا المبدأ الاسلامي [1] قد اعاد الامام صياغة مادته ناقلاً اياه من

---

1 – ورد ها المبدأ واكد عليه في القرآن الكريم ، يقول تعالى :

- {ولتكن منكم امة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر} سورة ال عمران/الاية 104 .
- {وكنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر } سورة ال عمران / الاية 110.
- {لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصو وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه } سورة المائدة / الاية 78 .
- {وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك } سورة لقمان/ الاية 11.
- وقوله تعالى في صفة النبي (صلى الله عليه وآله){يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر} سورة الاعراف/الاية 157 .
- {والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر}سورة التوبة/الاية 71
- الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة واتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور } سورة الحج / الاية 41 .
- فضلاً عن كثير من الاحاديث الواردة عن الرسول (صلى الله عليه وآله) ، ينظر : صادق الموسوي ، مصدر سابق ، ص104 – 106 .حيث اورد العديد من الاحاديث النبوية حول مبدأ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مع اسانيدها ومصادرها .

سلوك فردي يتميز به الانسان المؤمن إلى قاعدة تنطلق منها الامة لتغيير الواقع كلما دعت الحاجة واقتضت الضرورة ذلك التغيير ، حيث كان احياء فريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر "وجعلها احدى هواجس المجتمع من شواغل الامام الدائمة وقد تناولها في خطبه وكلامه ... كقضية فكرية لابد ان توعى لتغني الشخصية الاسلامية وباعتبارها قضية تشريعية تدعوا الامة والافراد إلى العمل"[1] .

لقد اعطى الامام فريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر منزلة عظيمة، تستحقها بلا شك ، بين سائر الفرائض الشرعية فجعلها احدى شعب الجهاد الاربع حيث يقول (ع) : "والجهاد [وهو من دعائم الايمان] على اربع شعب على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ،والصدق في المواطن وشنأن الفاسقين فمن امر بالمعروف شد ظهور المؤمنين ، ومن نهى عن المنكر أرغم انوف الكافرين ومن صدق في المواطن قضى ما عليه ... ومن غضب لله غضب الله له ورضاه يوم القيامة "[2] .

وفي قول اخر له جعل الامام هذه الفريضة تتقدم على اعمال البر كلها فيقول (ع): "وما اعمال البر كلها والجهاد في سبيل الله عند الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الا كنفثة من بحر لجي "[3] ، بل ان هذا المبدأ هو غاية الدين وقوام الشريعة عند الامام ، اذ يقول: " غاية الدين الامر

---

1 – محمد مهدي شمس الدين ، حركة التاريخ عند الامام علي (دراسة في نهج البلاغة) ، ط4 ، (بيروت ، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر ، 1997) ، ص120 .

2 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ،حكمة 27 ، ص607.

3– المصدر السابق ، حكمة 364، ص683.

بالمعروف والنهي عن المنكر واقامة الحدود "[1] و " قوام الشريعة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واقامة الحدود "[2] .

ويشخص الامام احدى سلبيات المجتمع وتأخره بتركه هذا المبدأ إذ يقول : "ان الله سبحانه لم يلعن القرن الماضي بين ايديكم ، إلا لتركهم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر . فلعن الله السفهاء لركوب المعاصي ،والحلماء لترك التناهي"[3] ، ويقول (ع) : " انما اهلك الله الامم السالفة قبلكم بتركهم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر يقول الله عز وجل {كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون}"[4] . ويذهب الامام إلى ان عدم التزام الامة بأفرادها ومجموعها بمبدأ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر هو احد عوامل نشوء وتعميق مظاهر الاستبداد في المجتمع ، حيث يوصي (ع) ابناءه والامة الاسلامية وهو على فراش الشهادة قائلاً : "لا تتركوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولى عليكم شراركم، ثم تدعون فلا يستجاب لكم "[5] .

ويسمو الامام بالنفس الانسانية مشجعاً اياها على استجماع طاقاتها للعمل بفريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ويهيؤها للتضحية بما قد ينظر اليها على انها خسائر دنيوية ، اذ يقول (ع) " ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لخلقان من خلق الله سبحانه وانهما لا يقربان من اجل ولا

1- مدير ، مصدر سابق ، ج2 ، ص57 .

2- المصدر السابق ، ج2 ، ص103 .

3 - الشريف الرضي(الجامع)،نهج البلاغة،تعليق وفهرسة د. صبحي،مصدر سابق،خطبة192،ص ص374-375

4 - المحمودي ، مصدر سابق ، ج1 ، ص391 ؛ جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، ج2 ، (بيروت ، دار الفكر ، د. ت) ، ص296 .

5- بيضون ، مصدر سابق ، ص304 .

ينقصان من رزق "[1] . ويعلق الباحث محمد مهدي شمس الدين على هذا القول للامام بأن "الله هو الآمر بكل معروف والناهي عن كل منكر ، اذن فان المؤمن الملتزم بقضية مجتمعه الواعي للاخطار المحدقة به ، يمثل - حين يأمر وينهي - الله تعالى ويتبع سبيله الاقوم "[2] .

ان مبدأ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لا يعد هو البعد الوحيد لشرعية المعارضة على وفق رؤية الامام (ع) ، بل انه يمتزج مع اقواله واوامره الاخرى ، حيث كان له دور مهم تمثل في ايقاف الحاكم عن المزيد من الانحراف وان استدعى هذا الهدف استخدام القوة فحين صعد الخليفة عمر بن الخطاب المنبر وتساءل عن رد الفعل لو صرف الناس عما يعرفون إلى ما ينكرون فرد عليه الامام بكل وضوح وصراحة : " اذن لقومناك بسيوفنا "[3] . وانسجاماً مع ما ورد عن الامام فأنه(ع) لم يمنح أي حصانة للحاكم إزاء ثورة الجماهير ، بل انه اعطى الشرعية للثورة على الحاكم اذ لم تجد وسائل التقويم الاخرى كالنصيحة والتوجيه وقد نقل عنه هذا الرأي بعد الاحداث والاضطرابات التي ادت إلى نهاية حكم الخليفة عثمان بن عفان[4] .

يوضح الامام للامة الاسلامية طريق خلاصها من السلطات الظالمة حين " اقبل على بعض اصحابه يوماً وهو محزون فقال : كيف انتم وزمان قد

---

1 - الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، خطبة 156 ، ص268 .

2 - محمد مهدي شمس الدين ، حركة التاريخ عند الامام علي ، مصدر سابق ، ص127 .

3 - الموفق بن احمد بن محمد المكي الحنفي الخوارزمي ، المناقب ، تحقيق الشيخ مالك المحمودي ، ط2 ، (قم ، مؤسسة النشر الاسلامية ، 1411 هـ) ، ص98 ؛ صدر الدين القبنجي ، تاريخ التشيع الفكري والسياسي ، ط1 ، (قم ، مكتب شؤون

المبلغين ، 1422هـ) ، ص177 ؛ محمد باقر الصدر ، اهل البيت (تنوع ادوار ووحدة هدف) ، تحقيق عبد الرزاق الصالحي ، ط1 ، (بيروت ، دار الهدى ، 2003) ، ص89 .

4 – حول ما روي عن الامام في هذا الشأن ينظر : الهلالي ، مصدر سابق ، ص291 . المحمودي ، مصدر سابق ، ج 188 ، ص193 ، ص226 ، ص228 ، ص231 ، ج5 ، ص221 .

أضلكم 00 تعطل فيه الحدود ، ويتخذ المال فيه دولاً ، ويعادى فيه اولياء الله ويوالى فيه اعداء الله ، فقال له الحاضرون : فأن ادركنا ذلك الزمان فكيف نصنع ؟ قال : كونوا كأصحاب عيسى (ع) نشروا بالمناشير وصلبوا على الخشب موت في طاعة الله عز وجل خير من حياة في معصية الله "[1] ولعل اصوار الامام في تأكيده على شرعية المعارضة ، هو الذي دفع الكاتب جورج جرداق إلى القول: " يتمييز علي عن اكثر مفكري العصور السابقة بأنه لم يجعل رفع الظلم منوطاً بإرادة الحاكم او المشرع ان شاء ظلم وان شاء عدل ، بل جعله حقاً من حقوق الجماعة يولون من يرفع عنهم الجور ويعزلون من جار واضطهد "[2] ، ويستمر جرداق مفسراً تبنيه هذا الرأي بأن الامام سمى بـ " حق الانسان في مقاومة الظلم والاضطهاد قائلاً لهم كونوا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً و خذوا على يد الظالم السفيه ... ومقاومة الظالم بالسيف حق مشروع للناس لذلك يحذر علي الحاكم من ان يظلم ، مذكراً اياه بحق الناس في قتاله اذ كان جائراً مستبداً فيقول لممثل الحكومة "استعمل العدل واحذر العسف والحيف فان العسف يعود إلى الجلاء والحيف يدعو إلى السيف "[3][4] .

وتستمر سلسلة المقولات العلوية في اضفاء الشرعية على المعارضة السياسية – ولكن بشروطها[5] – إذ قال (ع) " لا تكرهوا سخط من يرضيه الباطل"[6] ويعلو (ع) بالمعارضة السياسية حين يمتدحها في رسالة له إلى اهالي مصر يقول فيها : " من عبد الله علي امير المؤمنين إلى القوم الذين

---

1 – المحمودي ، مصدر سابق ، ج2 ، ص639 .

2 – جرداق ، مصدر سابق ، م1 ، ص373 .

3 الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، حكمة 266 ، ص702 .

4 – جرداق مصدر سابق ، ص ص 373–374 .

5 – سنتطرق إلى شروط المعارضة لاحقاً .

6– ينظر : مدير ، مصدر سابق ، ج2 ، ص157 .

غضبوا لله حين عُصي في ارضه ، وذهب بحقه ، فضرب الجور سوادقه على البر والفاجر والمقيم والظاعن[1] فلا معروف يستراح اليه ولا منكر يتناهى عنه"[2] . ويمنع الامام اتباعه من المسلمين من محاربة القوة الثائرة بوجه الظالمين – وان تباينوا فكرياً معهم – فعندما ذكر الخوارج عند علي بن ابي طالب (ع) قال: " ان خرجوا...على امام عادل فقاتلوهم وان خرجوا على امام جائر فلا تقاتلوهم"[3] .ويؤكد الامام ان المعارضة الواعية هي الطريق لتحقيق ارادة الامة في الحاكم العادل للمجتمع المسلم الحر قائلاً: " ايها الناس ان المنتحلين للامامة من غير اهلها كثير ولو لم تتخاذلوا عن مر الحق ولم تهنوا عن توهين الباطل لم يتشجع عليكم من ليس مثلكم ولم يقو من قوي عليكم"[4] . ويقول الامام : " لا زال عدل الله مبسوطاً على هذه الامة ما لم يمل قرؤهم إلى امرائهم وما لم يزل ابرارهم ينهوا فجارهم فان لم يفعلوا ثم استنفروا فقالوا لا اله إلا الله قال الله في عرشه كذبتم لستم بها صادقين "[5] .

ان هذا الزخم الفكري في تأييد المعارضة السياسية شرعياً وسياسياً عند الامام علي هو من ناحية اخرى عملية رفض وادانة للتيار الذي برز في الفكر الاسلامي والمعارضة الاسلامية في جانبها العملي والذي يستند إلى احاديث نسبت الى الرسول (صلى الله عليه وآله) والتي " تدعو الناس إلى الصبر والسكوت

1- المسافر .

2 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، كتاب 38 ، ص522، ويهدد الامام (ع) معاوية بالروح الثورية التي غيرت الواقع السياسي الظالم ، المصدر السابق ، كتاب 9 ، ص ص 466 – 467 .

3- الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، مصدر سابق ، ج15 ، ص81 ؛ الزاقي ، مصدر سابق ، ج6 ، ص20 .

4 – ابو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني ، الكافي ، تصحيح وتعليق علي اكبر الغفاري ، ج8 ، ط3 ، (طهران ، دار الكتب الاسلامية ، 1388هـ) ، ص66 ؛ المجلسي ، مصدر سابق ، ج13 ، ص556 .

5- المجلسي ، مصدر سابق ، ج52 ، ص228 ؛ صادق الموسوي ، مصدر سابق ، ص109 .

حيال ظلم الحكام الفاسدين المتسلطين على البلاد الاسلامية وتوجب طاعتهم حتى اذا اعتدوا على حقوق الناس وتحرم الخروج عليهم بالسيف وتفتي بقتل الخارجين عليهم – بل ان مثل هذه الاحاديث – كلها من وضع وعاظ السلاطين "[1] و كانت تهدف – ومازالت – وفقاً لرأي محمد باقر الحكيم إلى مجابهة " الالتزام العقائدي والفكري بالمبدأ السياسي في مقاومة الظالمين ومواجهتهم الذي كان يتصف به اتباع اهل البيت – عليهم السلام – حيث تعرض هذا الاصل الاسلامي إلى محاولات الطمس والاخماد اما بطريقة القمع والمطاردة او بطريقة التضليل والتحريف فقد كانت النصوص والاحاديث توضع على لسان النبي لتبرير الاستسلام للظالمين والقبول بحكمهم وسلطانهم بحيث تأثرت بذلك الاوساط العامة للمسلمين وبقيت الجماعة الصالحة من

اتباع اهل البيت تلتزم بهذا الخط السياسي ونقلته لنا عبر الاجيال المتعاقبة لا على المستوى الشعار والنظرية فحسب بل على مستوى التطبيق والموقف السياسي الفعلي"[2].

وقد كشف الامام علي (ع) هذا النمط من وعاظ السلاطين وفقهاء الملوك الذين لرتتوازي الدين والدين منهم براء إذ يقول عنهم : "ورجل منافق مظهر للايمان ، متصنع بالاسلام ، لا يتأثموولا يتحوج يكذب على رسول الله (صلى الله عليه وآله) متعمداً... وقد اخبرك الله عن المنافقين بما اخبرك ووصفهم بما وصفهم به لك... فتقربوا إلى ائمة الضلالة والدعاة إلى النار بالزور والبهتان فولوهم الاعمال وجعلوهم على رقاب الناس واكلوا بهم الدنيا"[3].

---

1 – الريشهري ، القيادة في الاسلام ، مصدر سابق ، ص150 . ويذهب الى مثل هذا الرأي كذلك الورداني ، مصدر سابق ، ص17 ؛ القريشي ، النظام السياسي في الاسلام ، المصدر السابق،ص100 ؛ الطباطبائي ، الميزان ، مصدر سابق ، ج5 ، ص ص 320– 322.

2– محمد باقر الحكيم ، دور اهل البيت ، مصدر سابق ، ج1 ، ص47 .

3 – الشريف الرضي ، (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، خطبة 210 ، ص409 .

ان الزخم والعطاء الفكري للامام قد تعزز بتجربته السياسية العملية التي امتازت بالثراء في مضمار المعارضة .

الجانب الثاني : السيرة العملية للامام

ان الحديث عن التجربة العملية للامام علي بن ابي طالب بحاجة إلى مجلدات ضخمةولاسيما قد فاضت كثير من مصادر التاريخ والسيرة بسرد الوقائع والروايات التاريخية بشأن هذه التجربة الفريدة في المسيرة الاسلامية ، ولكننا سنقتصر على الاشارة إلى بعض ما يمكن عده ابرز المواقف في ما يخص المعارضة السياسية في تجربة الامام علي حيث امتزجت المحددات الشرعية مع الواقع العملي .

لقد تميز الامام برفعهراية المعارضة السياسية – بشكلها السلمي – بعد وفاة الرسول(صلى الله عليه وآله) واستمرت هذه المعارضة في عهد الخليفتين (ابو بكر وعمر بن الخطاب)[1] وتصاعدت في عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان حتى ان الامام تبنى التماس وثقة المعارضة ليكون سفيراً لها ومفاوضاً لتحقيق مطالبها عند السلطة الحاكمة[2] ، بل انه (ع)وافق على تسلم الخلافة

---

1 – حول مواقفه المعارضة للخليفتين (ابو بكر وعمر) ينظر : اليعقوبي ، مصدر سابق ، ج1 ، ص115 ، ص122 ؛ المنقري ، مصدر سابق ، ص90 – 112 ؛ابو القاسم الموسوي الخوئي ، البيان في تفسير القرآن ، ط4 ، (بيروت ، دار الزهراء ، 1975) ، 77 ؛ بيضون ، مصدر سابق ، ص326 ، ص347، ص ص416 –417 ، ص 433 – ص435 ،

ص440 ، ص442 ، ص ص445 – 446 .؛ ابن ابي الحديد ، مصدر سابق ، ج6، ص60 –61، ج7 ، ص164 ؛ الهلالي ، مصدر سابق ، ص146 –147 . ومن المصادر الحديثة ينظر : د. علي شويعتي ، التشيع العلوي والتشيع الصفوي ، مصدر سابق، ص245 ؛ شويعتي ، الامام علي ، مصدر سابق ، ص93 ؛ صدر الدين القبنجي ، مصدر سابق ، ص150–151 ؛ عبد الحميد ، مصدر سابق ، 302 وما يليها .

2 – كون الامام سفير المعارضة ينظر : محمد الطوي ، تاريخ الطوي ، مصدر سابق ، ج3 ، ص304 ؛ الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ،خطبة 30،ص70–71، خطبة 164 ، ص286 ؛ اما عن المعارضة للخليفة عثمان ينظر : المنقري ، مصدر سابق ، ص85 – ص189 ؛ ابن ابي الحديد ، مصدر سابق ، ج6 ، ص21 ، ص ص 60–61 ؛ ابو زيد عمر بن شبة النميري ، تاريخ المدينة المنورة (اخبار المدينة النبوية) ، تحقيق مهدي محمد شلتوت ، (قم، دار الفكر، 1410هـ)، ص4 ، ص154 ؛ ج2 ، ص683 –685 .

بعد انتهاء حكم الخليفة الثالث على يد الثوار وان جزءاً من جيشه وبعضاً من اصحابه كانوا من الذين اسهموا باسقاط السلطة الحاكمة[1] .

اما بعد تسلمه السلطة فان اهم خطوات الامام إزاء المعارضة السياسية التي تصاعدت آنذاك ضد حكمه –واتخذت عدة صور وانواع – فكانت عملية الاعتراف بهذه المعارضة والتعامل معها كواقع قانوني وسياسي ،والاهم من ذلك هو عملية منح المعارضة جملة من الحقوق[2] .

كان الاعتراف بالمعارضة السياسية جزءاً حيوياً من حقوق المعارضة ، فلقد قال الامام عندما طلب منه الاقتصاص من بعض المتهمين بقتل الخليفة الثالث " ان الناس من هذا الامر [أي مقتل الخليفة الثالث] اذا حرك على امور ، فرقة ترى ما ترون ، وفرقة ترى ما لا ترون ، وفرقة لا ترى هذاولا هذا "[3] وفي خضم صراعه مع معاوية ، قدمت إلى الامام طائفة من اتباع عبد الله بن مسعود " فقال قائلهم : يا امير المؤمنين انا نخرج معكم ولا نقاتل عسكركم ونعسكر على حدة حتى ننظر في امركم وامر اهل الشام ،

---

1 – ينظر : ابن قتيبة الدينوري ، الامامة والسياسة ، مصدر سابق ، ج1 ، ص90 ، ابو عبد الله الحاكم النيسابوري ، المستدرك على الصحيحين ، اشراف د. يوسف عبد الرحمن المرعشلي ، ج9 ، (بيروت ، دار المعرفة ، د. ت) ، ص480 ، د. محمد ضيف الله بطاينة ، دراسات وبحوث في جوانب من التاريخ الاسلامي ، (الزرقاء ، مكتبة المنار ، 1986) ، ص ص39–65 ؛ ابن عساكر ، مصدر سابق ، ج5، ص177 ؛ ابو القاسم سليم بن احمد الطبراني ، المعجم الكبير ، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي ، ج1 ، ط2 ، (القاهرة ، مكتبة ابن تيمية ، د.ت)، ص79 ؛ المجلسي ، مصدر سابق ، ج72 ، ص ص250 –252 ، ج3 ص69 ؛ الاميني ، مصدر سابق ، ج9 ، ص69 ؛ طه حسين، الفتنة الكبرى، ج1 ، ط13 ، (القاهرة ،

دار المعارف ، 2003)،ص155، ص156 ؛ ويمكن عد كتاب المفكر عبد الزهراء عثمان محمد ، المعارضة السياسية في تجربة الامام علي ،والذي سبق ذكره في ثنايا البحث من الكتب المهمة بهذا الشأن حيث يتطرق إلى موقف الامام في زمن الخلفاء ثم المعارضة في زمنه (ع) في مواقع مختلفة .

2 – سنستعرض هذه الحقوق لاحقاً .

3 – الشريف الرضي ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، خطبة 168، ص299.

فمن رأيناه أراد ما لا يحل له او بدا منه بغي كنا عليه ، فتبسم الامام قائلاً : مرحباً واهلاً هذا هو الفقه في الدين والفهم للسنة ،من لم يرض بهذا فهو جائر خائن ..رحم الله عبد الله بن مسعود ورضي عنه"[1] .

واذا نظرنا إلى حالات وجود المعارضة هذه يمكن عدها نابعة من داخل النظام السياسي ومعترفة بشرعيته وان كانت متباينة معه في الوسائل والاهداف والأولويات إلا انه يمكن تلمس ان الامام سمح ايضاً بوجود معارضة تشكك اصلاً بشرعية السلطة التي يمثلها(ع) وتختلف معه على مبادئ اساسية . وقد تجسد هذا النوع من المعارضة بجبهة طلحة والزبير ومن معهما وجبهة معاوية بن ابي سفيان وكذلك في حركة الخوارج فيما بعد . وحتى يفصل الامام بين انواع المعارضة وما قد تضمره تحت شعاراتها الواقة من اهداف حقيقية من جهة وسبل التعامل مع هذه المعارضة من جهة ثانية وضع الامام كثيراً من الضوابط في سبيل تشخيص (المعارضة) ونوعها ومن ثم آلية التعامل معها .

ثانياً – ضوابط المعارضة الشرعية :

يمكننا تقسيم ضوابط المعارضة الشرعية عند الامام علي إلى ثلاثة اقسام :

1 .اسباب المعارضة الشرعية :

ان الاسباب الآتية – على عموميتها – هي اخطاء وسقطات للحكومة تمنح المعارضة شرعية وجودها ومطاليبها عند الامام علي (ع) ،واهم تلك الاسباب هي :

أ– المساس بالشريعة الاسلامية :

يذهب الامام الى عزل الخليفة اذا أحدث حدثاً فيقول مخاطباً طلحة والزبير : " فليس لكما غير ما رضيتما به [من بيعتي] إلاّ ان تخرجاني مما بويعت عليه بحدث ، فان كنت احدثت حدثاً فسموه لي"[1] . وفي كتاب وجهه إلى حدولاته[2]

1– ابن ابي الحديد ، مصدر سابق ، ج3 ، ص186 ؛ المنقري ، مصدر سابق ، ص115.

يقول فيه (ع) : " ان طلحة والزبير كانا اول من بايعني تم نقضا بيعتي على غير حدث" ، والحدث هو " ما ابتدعه اهل الاهواء من الاشياء المنكرة مما لم يكن معروفاً في كتاب ولا سنة ولا اجماع"[3] . وقد روي عن الامام علي قوله عن الخليفة عثمان : " انه قد كان على الامة وال احدث احداثاً ، ووجد الناس مقالاً فقالوا ثم نقموا فغيروا "[4] .

وحول ضرورة التزام الحاكم بالشريعة الاسلامية كمعيار لصلاحه وشرعية استمراره في اداء وظيفته حيث يقول : ان جهاد من صرف عن الحق رغبة عنه وهب في نعاس الضلال اختياراً له ، لفريضة على العارفين بالله ، ان الله ليرضى عمن رضاه ويسخط على من عصاه قد هممنا بالمسير الى هؤلاء القوم الذين عملوا في عباد الله بغير ما انزل الله"[5] . ويقول ايضاً " من ترك الجهاد في الله وادهن في امره كان على شفا هلكة الا ان يتداركه الله بنعمة فاتقوا الله وقاتلوا من حاد الله وحاول ان يطفئ نور الله قاتلوا الخاطئين الضالين القاسطين المجرمين ليسوا بقراء للقرآن ولا فقهاء في الدين ولا علماء في التأويل ولا لهذا الامر في سابقة الاسلام والله لو ولوا عليكم لعملوا فيكم بأعمال كسرى وهرقل "[6] .

---

1 – ينظر : ابن قتيبة الدينوري ، الامامة والسياسة ، مصدر سابق ، ج1 ، ص95 . ويقول (ع) بنفس المعنى "والله ما انكروا على منكر "؛ الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي، مصدر سابق ، خطبة 137 ، ص238 .

2 – ينظر : ابن قتيبة الدينوري ، الامامة والسياسة ، مصدر سابق ، ج1 ، ص111 .

3 – د. محمد طي،الامام علي ومشكلة نظام الحكم،(د.م ،مركز الغدير للدراسات الاسلامية، 1997) ، ص84.

4– ابن ابي الحديد ، مصدر سابق ، ج2 ، ص219 .

5 – ابن ابي الحديد ، مصدر سابق ، ج3 ، ص182 ؛ المحمودي ، مصدر سابق ، ج4 ، ص224 ؛ المتقي ، مصدر سابق ، ص104 .

6 – محمد الطوي ، تاريخ الطبري ، مصدر سابق ، ج4 ، ص57 .

ب– الاستبداد والظلم من قبل الحاكم :

يعد الامام الظلم والاستبداد من قبل الحاكم وبطانته من اهم عوامل الثورة المشروعة ضد هذا النمط من الحكام ، لذلك ينصح (ع) احدولاته قائلاً : "استعمل العدل واحذر العسف والحيف فان العسف يعود بالجلاء والحيف يدعو الى السيف "[1] .

ويحفز الامام الامة الاسلامية للاطاحة بالظلم والظالمين فيقول: " سيروا إلى قوم يقاتلونكم كي ما يكونوا في الارض جبارين ملوكاً يتخذهم المؤمنون ارباباً ويتخذون عباد الله خولاً "[2] .

ويؤكد الامام ان قمع المعارضة ، هو من ارکان الظلم والاستبداد ، وهو احد عوامل شرعية الاطاحة بالحكومة التي تنتهج هذا السبيل في التعامل مع الرأي الاخر والتي يصف الامام القائمين عليها بأنهم " اماتوا الحق واظهروا الفساد في الارض

واتخذوا الفاسقين وليجة وبطانة ، من دون المؤمنين ، فاذا ولي الله اعظم احداثهم ابغضوه واقصوه وحرموه واذا احد ساعدهم على ظلمهم احبوه وادنوه وبروه"[3] .

جـ- الضعف السياسي والاداري :

يقول الامام لمعارضيه من الخوارج " فلم ات لا ابا لكم حواماً ووالله ما خبلتكم عن اموركم ولا اخفيت شيئاً من هذا الامر عنكم ولا اوطأتكم عشوة ولا ادنيت لكم الضواء "[4] . وفي حواره مع جبهة المعارضة التي تجسدت في طلحة والزبير واتباعهما يتساءل الامام عن سبب معارضتهما قائلاً : " افوقع حكم او حق لاحد من المسلمين فجهلته او ضعفت عنه؟

---

1 - الشريف الرضي (الجامع)،نهج البلاغة،تعليق وفهرسة د. صبحي،مصدر سابق ، حكمة 466 ، ص702 .

2- المحمودي ، مصدر سابق ، ج2 ، ص363 ؛ ابن قتيبة الدينوري ، الامامة والسياسة ، مصدر سابق ، ج1، ص166 .

3 - المنقري ، مصدر سابق ، ص ص104- 105 ؛ الثقفي ، مصدر سابق ، ج2 ، ص17 .

4 - محمد الطوي ، تاريخ الطوي ، ، مصدر سابق ، ج4 ، ص63 .

قالا : معاذ الله "[1] فعد الامام معارضيه فاقدين لشرعية الخروج عليه كونه حاكماً للأمة لم يقصر ويضعف في اداء المهمات الملقاة على عاتقه .

د-الخيانة المالية واشاعة الفقر داخل المجتمع :

لقد عد الامام الخيانة لاموال المسلمين من الجرائم العظمى التي يجب ان يحاسب عليها الحاكم او أي شخص اخر كونه مؤتمناً عليها وليس مالكاً لها . ولقد رسخ الامام هذا الموقف الشرعي في الحفاظ على اموال المسلمين ،وامكن عده من اسباب المعارضة الشرعية حيث يقول عن سمات الحكام الفاسدين بأنهم " استأثروا بالفيئ "[2] . كما انه يجعل من الحفاظ على اموال الامة محوراً لحركته السياسية لأن في هذا صلاح وعز لأبنائها حيث يقول الامام : "ولكن اسفاً يعتريني وجزعاً يريبني من ان يلي هذه الامة سفهؤها وفجارها فيتخذون مال الله دولاً وعباد الله خولاً والصالحين حرباً والفاسقين حزباً "[3] .

ويحاور الامام معارضيه ومناصريه بلسان واحد حيث يقول (ع) : " دخلت بلادكم بأشمالي هذه ورحلي وراحلتي هاهي فان انا خرجت من بلادكم بغير ما دخلت فانني من الخائنين "[4] .

ويشير الباحث الاسلامي باقر شريف القريشي إلى بعد اخر في كيفية اشاعة الفقر في المجتمع وذلك " باهمال السلطة للمشاريع الحيوية العامة التي تنتعش بها البلاد ويزداد بها دخل الفرد . وان الجهاز الحاكم اذا اهمل ذلك

---

1 - الريشهري ، موسوعة علي بن ابي طالب ، مصدر سابق ، م4 ، ق5 ، ص11 ، الشريف الرضي (الجامع)، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، ، مصدر سابق ، خطبة 205 ، ص405.

2 – المنقري ، مصدر سابق ، ص104 .

3 – ابن داوود الدينوري ، مصدر سابق ، ص176 .

4 – ينظر : لجنة الحديث ، سنن الامام علي ، مصدر سابق ، ص80 . وراجع حواره مع طلحة والزبير يقول(ع) : " أي قسم استأثرت عليكما به " ؛ الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي،مصدر سابق ، خطبة 205 ، ص404 –405 .

ولم يعتن به اضطربت الحياة الاقتصادية العامة وواجه المواطنين امر الوان العنت والارهاق وخيم عليهم البؤس والحرمان ، كما ان اهمال السلطة للامن العام يعرض البلاد للمخاوف ويوجب شيوع القلق والاضطراب بين جميع ابناء البلاد "[1] ، ونعتقد ان الامام علياً قد اولى مسألة اهتمام الدولة بالمشاريع العامة اهمية قصوى وجعلها من اهم واجباتها وهذا ما سنتطرق اليه لاحقاً في الفصل الرابع .

ولا يعد توفر هذه الاسباب للمعارضة بمثابة المحدد الوحيد لشرعيتها عند الامام علي وانما هناك شروط يجب توفرها ، ويمكن عدها محددات فكرية وشخصية ايضاً .

2 .المحددات الفكرية والشخصية للمعارضة .

ان ادعاء الثورية ورفع الشعارات ليست هي الجوهر الحقيقي للمطالبة بالحق بكل حالاتها وظروفها عند الامام فنجده يقول عن احد شعارات المعارضة في عهده وهو " لا حكم الا لله "[2] بأنه : "كلمة حق يراد بها باطل "[3] . ومع وجود الاسباب والعوامل الشرعية التي تطرقنا اليها سابقاً فقد طالب الامام علي بحالة من الوعي الفكري للمعارضة كحركة سياسية من جهة ونمط من التهيئة العقائدية والنفسية لمن يتبنى خط المعارضة للسلطة الحاكمة من جهة اخرى .فبالنسبة لأهم السمات الفكرية التي تميز المعارضة المشروعة والمطلوبة عند الامام علي يمكن تلخيصها بالاتي :

---

1 – القرشي ، النظام السياسي في الاسلام ، مصدر سابق ، ص80 .

2 – وهو مبدأ رفعه الخوارج زمن الامام علي واستمروا عليه مستندين الى قوله تعالى (ان الحكم الا لله) سورة يوسف / الاية 40 وكذلك (سورة المائدة / الاية 44 /الاية45 /الاية47). وقد تطرقنا سابقاً إلى مصادر فكر الخوارج في الفصل الأول .

3 – الشريف الرضي ، المصدر السابق ، خطبة 36 ، ص83 .

أ– تحقيق اهداف الامة الحقيقية :

يحدد الامام فلسفة معارضته على الصعيد العملي ، كنموذج يحتذى به في تحقيق المصالح الحقيقية للمسلمين بحفظ الشريعة

والحياة الحرة الكريمة فيقول (ع) : " فأمسكت يدي [أي عن المبايعة] حتىرأيتراجعة الناس قدرجعت عن الاسلام يدعون إلى محق دين محمد(صلى الله عليه وآله) فخشيت ان لم انصر الاسلام واهله ان ارى فيه ثلما تكون المصيبة به علي اعظم من فوت ولايتكم "[1] اذن اعطى الامام الاولوية في الحفاظ على الاسلام والشريعة على أي هدف سياسي اخر . لذلك نتفق مع ما ذهب اليه المفكر محمد باقر الصدر في ان هدف المعارضة عند الامام هو : " المحافظة على الامة الاسلامية من الانهيار "[2] .

ب – القوة على النهوض واستكمال الاستعدادات المادية للمعارضة :

لقد وقف الامام إلى جانب التهيئة المادية للمعارضة وبجميع مراحلها واشكالها حيث يقول: " ايها الناس شقوا متلاطمات امواج الفتن بمجار سفن النجاة... افلح من نهض بجناح "[3] . وفي الخطبة الشقشقية يقول الامام عن الخلافة : " فسدلت دونها ثوباً وطويت عنها كشحاً وطفقت ارتئي بين ان اصول بيد جذاء[4] او اصبر على طخية عمياء "[5] . وفي المعنى نفسه يقول : " فنظرت فاذا ليس لي رافدولا ذاب ولا مساعد "[6] . ويبدو ان الامام قد اعطى الارجحية لوجود القوة على التحرك في مسار المعارضة من اجل ان

1– ينظر : بيضون ، تصنيف نهج البلاغة ، مصدر سابق ، ص427 .

2 – محمد باقر الصدر ، اهل البيت تنوع ادوار ووحدة هدف ، مصدر سابق ، ص203.

3– المحمودي ، مصدر سابق ، ج1 ، ص44 .

4 – مقطوعة كناية عن عدم وجود الناصر .

5 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، خطبة 3، ص36.

6 – بيضون ، مصدر سابق ، ص427 . ويقول (ع) : " لا تعاجلوا الامر قبل بلوغه فتندموا " محمد كاظم القزويني ، مصدر سابق ، ج9 ، ص728

تكون للتضحيات في هذا المضمار معنى واضحاً وهدفاً محددا في تحقيق الاهداف والمعاني الشرعية التي تنشدها المعارضة .

ولكن هذا الموقف " لا يعني الاستسلام امام أي مغتصب ، بل وجوب قتاله ما امكن . والدليل ان الامام قاتل معاوية قتالاً لا هوادة فيه ، كما قاتل قبله طلحة والزبير وكان الامر استقر لهما في البصرة ، اما اذا كان تحريك الناس غير ممكن وكانت النصرة مفقودة وغير كافية للتغلب على المغتصب وغير المستحق فيمكن السكوت عليه "[1] وذلك لاستكمال التهيئة والمتطلبات للنهوض والمعارضة ، ومن الجدير بالذكر ان الامام نظر إلى مسألة التضحية والتحدي الفردي بكثير من الاحترام والتقديس ، وخير دليل على ذلك التأييد الواضح والعلاقة المميزة التي جمعت بين الامام والصحابي الثائر ابي ذر الغفاري[2] .

جـ– الالتزام بتعاليم الشريعة ووجود القيادة الواعية :

بحذر الامام من الاندفاع في المعارضة دون وجود رؤية واضحة توظف العمل الثوري في خدمة الشريعة ويكون مقيداً بها حيث يقول : " انما بدء وقوع الفتن اهواء تتبع واحكام تبتدع يخالف فيها كتاب الله ويتولى عليها رجال رجالاً على غير دين الله "[3] . ويقول (ع) " اصبروا على البلاء ولا تحركوا بأيديكم وسيوفكم في هوى السنتكم "[4] . وهنا اشارة مهمة لوجود القيادة الواعية التي تتحكم بحركة المعارضة وتحدد اولوياتها ، ويقول الامام:

1- طي ، مصدر سابق ، ص87 .

2 - ينظر : الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، خطبة 130، ص231 . وقد روي الامام علي ابن ابي طالب عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قوله:"اما اظلت الخضراء ولا اقلت الغبراء على ذي لهجة اصدق من ابي ذر" ؛ الحاكم النيسابوري ، مصدر سابق ، ج4 ، ص480

3 - الشريف الرضي ، (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، خطبة 50 ، ص90 .

4- المصدر السابق ، خطبة 190 ، ص351 .

" ان الفتنة اذا اقبلت شبهت... فقام رجل فقال : يا امير المؤمنين ما يصنع في ذلك الزمان ؟ قال : انظروا اهل بيت نبيكم ان لبدوا فالبدوا ، وان استصرخوكم فانصروهم تؤجروا ولا تسبقوهم فتصرعكم البلية "[1] . أي انه حدد صفات القيادة بأنها صفات اهل بيت النبوة ، ويمكن ان تتمثل هذه الصفات ولو بنسبة مقبولة بمن يسير على نهج الاسلام واهل بيت النبوة فينالوا الاحترام في نظر المسلمين والمجتمع ويثبتوا تمكنهم في الشريعة الاسلامية ويتحقق فيهم الشعور بالمسؤولية إزاء الامة والسعي الحثيث لانهاء الامها وتحقيق امالها .

وفي السياق نفسه يرفض الامام الانتهازية التي قد تتسم بها بعض حركات المعارضة، وذلك بالتحالف مع قوى قد تستغل المعارضة لضرب الامة الاسلامية كوجود مادي او فكري، لذلك نرى الامام رفض ان يضع يده او يصغي الى طروحات ابي سفيان يوم السقيفة[2] ان هذه السمات العامة لحركة المعارضة هي التي يتصف بها فكر وسلوك الافراد الذين يشخصونها اما المحددات الشخصية المطلوب تجسيدها في خط المعارضة السياسية عند الامام فيمكن ايجازها بما يأتي :

- التهيئة العقائدية والاخلاقية والنفسية :

لقد اولى الامام في البحث عن الصورة الافضل للانسان المعارض المتصف بصفة الشرعية ، فهو يحدد سمات امثال هؤلاء الذين يمثلون جزءاً من حركة المعارضة بقوله : "وان للذكر لاهلاً ، اخذوه من الدنيا بدلا فلم

1- الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، مصدر سابق ، ج6 ، ص410 .

2 - " جاء ابو سفيان بن حرب إلى علي بن ابي طالب (ع) فقال ما بال هذا الامر في اقل قريش قلة واذلها ذلة يعني ابا

بكر والله لئن شئت لأملأنها عليه خيلاً ورجالاً فقال علي لطالما عاديت الاسلام واهله يا ابا سفيان فلم يضره ذلك شيئا " ، الحاكم النيسابوري ، مصدر سابق ، ج3 ، ص78 .

تشغلهم تجارة ولا بيع عنه ، يقطعون به ايام الحياة ويهتفون بالزواجر من محارم الله في اسماع الغافلين ويأمرون بالقسط ويأتمرون به وينهون عن المنكر ويتناهون عنه "[1] . يشير (ع) الى الالتزام الفردي بالشريعة الاسلامية قبل الانطلاق في عملية الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والتي هي عماد عملية المعارضة عند الامام حيث يضرب بنفسه مثلاً قائلاً: " ايها الناس اني والله ما احثكم على طاعة إلا واسبقكم اليها ولا انهاكم عن معصية الا وانتاهى قبلكم عنها "[2] ، بل ان الامام يعلنها بصراحة بوجه ادعياء الثورية والتغيير نحو الافضل : " لعن الله الامرين بالمعروف التاركين له والناهين عن المنكر العاملين به "[3] .

ويطالب الامام بالتهيأة النفسية لافراد وشخوص المعارضة حين يقول(ع): " لا يصبر على الحرب ويصدق في اللقاء الا ثلاثة مستبصر في دين او غيران على حرمة او ممتعض من ذل "[4] .

- الابتعاد عن المصالح الشخصية :

يرفض الامام التحرك في ضمن خط المعارضة لتحقيق مصالح فردية ضيقة ، انما يجب ان يكون الهدف الحقيقي هو بلوغ اهداف الامة ، كما اشرنا سابقاً ، لذلك نراه يقول كمعارض: "والله لاسلمن ما سلمت امور المسلمين ولم يكن فيها الا جور على خاصة "[5] . ويقول للصحابي الثائر ابو ذر الغفاري : " لا يؤنسك الا الحق ولا يوحشنك إلا الباطل فلو قبلت

---

1 - الشريف الرضي (الجامع)،نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي،مصدر سابق ، خطبة 221 ، ص432.

2- بيضون ، مصدر سابق ، ص378 .

3 - الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، خطبة 129 ، ص231 .

4- مدير ، ج2 ، ص228 .

5- بيضون ، مصدر سابق ، ص378 .

دنياهم لأحبوك ولو قرضت منها لامنوك"[1] ففي هذا النص يؤكد الامام الحصانة ، التي لم تكن تنقص ابو ذر انما هو مثال يحتذى به بالبعد عن المصالح الدنيوية تحت غطاء المعارضة .

- توفر الوعي الثوري

يبين المفكر محمد باقر الصدر ان الامام علي كان " حريصاً كل الحرص على ان يبدو صراعه موضوعياً عقائدياً يستهدف النظرية لا الشخص ويستهدف تثبيت دعائم نظرية دقيقة للاسلام لا تدعيم شخصه "[2] .

وتبرز هنا مسألة في غاية الاهمية وهي وجوب ان يكون الشخص الموجود في ضمن اطار المعارضة صاحب رؤية واضحة وهدف دقيق يسمو على غايات مثل تحقيق مكاسب دينوية والانتقام الشخصي او الثأر وما شابه من انفعالات إنما حقيقة المعارضة يجب ان تكون من اجل المبادئ والقيم والعقيدة .

ويحذر الامام (ع) من مسألة اخرى هي الانخداع بالغطاء الديني للمعارضة ،ولاسيما في مرحلة الفتن بوجود قيادات من علماء السوء قائلاً : " يأتي على الناس زمان لا يبقى فيهم من القرآن الا رسمه ، ومن الاسلام الا اسمه ومساجدهم يومئذ عامرة من البناء ، خراب من الهدى ، سكانها وعمارها شر اهل الارض ، منهم تخرج الفتنة واليهم تأوى الخطيئة "[3] ان انعدام حالة الوعي لدى الغوغاء جعل الامام يتخذ موقفاً سلبياً ازائهم ، بل انه فضل عدم تدخلهم بالمعارضة السياسية التي قد تتسم بالتعقيد اذا ماقورنت

---

1 – الشريف الرضي ، نهج البلاغة ،تعليق وفهرسة د. صبحي،مصدر سابق ، خطبة ص231 .

2 – محمد باقر الصدر،الامام علي،سيرة وجهاد،ط1 ،(بيروت،دار المرتضى ، 2003) ،ص116–117 .

3– ينظر : بيضون ، مصدر سابق ، ص377 .

بمدركاتهم البسيطة حيث يقول في صفة الغوغاء : " هم الذين اذا اجتمعوا غلبوا . واذا تفرقوا لم يعرفوا "[1] كما روي عنه (ع) انه قال: " هم الذين اذا اجتمعوا ضروا ،واذا تفرقوا نفعوا ، فقيل : قد عرفنا مضرة اجتماعهم فما منفعة افتراقهم؟ فقال (ع) يرجع اصحاب المهن إلى مهنهم فينتفع الناس بهم ، كرجوع البناء إلى بنائه والنساج إلى منسجه والخباز إلى مخبزه"[2] ، ولعل من اهم حالات الوعي تنعكس في المحدد الثالث الذي وضعه الامام التدرج بمراحل المعارضة .

ثالثاً. مراحل المعارضة :

لم تقتصر مهمة الامام علي على تغذية الامة بمفاهيم الاعتراض واذكاء نار الرفض ضد الظلم والباطل بل وجه الاعتراض ونظمه ،وحدد مراحل الاعتراض واساليب المعارضة.

فأول مراحل المعارضة هي عملية الرفض العقلي والقلبي للمظالم وما ينتج عن ذلك للرفض من تأجيج روح المواجهة ، حيث يقول الامام : " انما عقر ناقة ثمود رجل واحد فعمهم الله بالعذاب لما عموا عاقراً الناقة بالرضا "[3] . ان تأكيد الامام على هذه المرحلة انما هو لخلق القاعدة التي ستنطلق منها المراحل اللاحقة .

اما المرحلة الثانية ، فان المعارضة تبدأ بالنصح والتسديد وبتشخيص الخطأ وتقديم المشورة والعلاج للوضع القائم في مرحلة يمكن ان نطلق عليها مرحلة "الموعظة الحسنة والدعوة السلمية "[4] . ويشخص الامام هذه المرحلة

1– المصدر السابق ، ص604 .

2- المصدر السابق ، ص604 .

3 - الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، شرح محمد عبدة ، ج2 ، ص181 ؛ المحمودي ، مصدر سابق ، ج2 ، ص689 .

4 - الناصري ، مصدر سابق ، ص155.

قائلاً : " لا خير في السكوت عن الحق"[1] . اما الجزء المتقدم من هذه المرحلة فهو الصدع بكلمات الحق بوجه الظالمين والمتجبرين والخاطئين من الحكام حيث يقول الامام " من اثر رضى رب قادر فليتكلم بكلمة عدل عند سلطان جائر "[2] .

ومن ثم يتم الانطلاق في المرحلة الثالثة المتضمنة المقاطعة السلمية او السلبية وعدم التعاون والمشاركة مع الكفار والظلمة حيث يقول الامام : " لا تطرق ابواب الظالمين للاختلاط بهم والاكتساب معهم واياك ان تعظمهم ، وان تشهد مجالسهم بما يسخط الله عليك "[3] . ويقول الامام : " العامل بالظلم ، والمعين عليه والراضي به شركاء ثلاثة"[4]

وبعد ان تسقط شرعية الحكام الظلمة حيث يُمتنع حتى الاختلاط معهم ، تبدأ مرحلة المطالبة بعزلهم ، وكل حالة على وفق أحوالها ، فاذا لم تتم هذه المطالب ينطلق العصيان ومن ثم الثورة المسلحة لإزاحة الظلم وتحقيق التغيير المنشود من الامةُ بما يرضي الله تعالى . ان هذه المراحل تجمعها الرؤية الكلية للامام التي جسدها بقوله : " ان من رأى عدواناً يعمل به ومنكراً يدعى اليه ، فأنكره بقلبه فقد برئ وسلم ، ومن انكره بلسانه فقد اوجر وهو افضل من صاحبه ، ومن انكره بسيفه لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الظالمين هي السفلى فذلك الذي اصاب سبيل الهدى وقام على الطريق ونور قلبه اليقين "[5] . ويقول (ع) حول مراحل المعارضة ودرجاتها : " فمنهم المنكر للمنكر بيده ولسانه وقلبه فذلك المستكمل لخصال الخير ومنهم المنكر بلسانه وقلبه والتارك بيده فذلك المستمسك

---

1 - الواسطي ، مصدر سابق ، ص542 ؛ صادق الموسوي ، مصدر سابق ، ص204 .

2 - الواسطي ، مصدر سابق ، ص463 ؛ الريشهري ، ميزان الحكمة ، ج3 ، ص1944 .

3- ينظر : مدير ، مصدر سابق ، ص180 .

4- لجنة الحديث ، سنن الامام علي ، مصدر سابق ، ص423 .

5 - صادق الموسوي ، مصدر سابق ، ص273 .

بخصلتين من خصال الخير ومضيع خصله ، ومنهم المنكر بقلبه والتارك بلسانه ويده فذلك مضيع اشرف الخصلتين من الثلاث فتمسك بواحدة ومنهم تارك لانكار المنكر بقلبه ولسانه ويده فذلك ميت الاحياء"[1] .

ولا يلغي الامام مسألة القوة في الانتقال من احدى مراحل المعارضة إلى اخرى ولكنه يركز على وجوب وجود المعارضة[2]

بحد ذاتها حيث يقول : "جاهدوا في سبيل الله بأيديكم ، فان لم تقدروا فجاهدوا بألسنتكم فان لم تقدروا فجاهدوا بقلوبكم" .

ويسمو الامام بالثوار لطلب الحق قائلاً : " من احبنا بقلبه وكان معنا بلسانه وقاتل عدونا بسيفه فهو معنا في الجنة في درجاتنا "[3].

ان ما تم ذكره من المحددات السابقة ستكون هي المدخل إلى معرفة انواع المعارضة عند الامام علي .

رابعاً. انواع المعارضة :

لقد اتسمت تجربة الامام العملية وعطاءه الفكري بالتمييز بين عدة انواع من المعارضة لعل من اهمها :

1 .المعارضة الواعية :

وهي المعارضة التي تسير في طول النظام القائم تنتقده وتوجهه وترشده وتحافظ عليه وتتحرك هي والسلطة القائمة إلى اهداف مشتركة هي مصلحة الدولة ورفاهية الامة وتطبيق النظام في ظل الحكومة الاسلامية العادلة والتي بايعتها الامة ، وتلتزم المعارضة بالثوابت الرئيسة ولاسيما الحفاظ على الاسلام والامة .

1- ينظر : مدير ، ج2 ، ص489 .

2 - ينظر : الريشهري ، ميزان الحكمة ، مصدر سابق ، ج1 ، ص447 .

3 - ينظر : صادق الموسوي ، مصدر سابق ، ص280 .

ولقد شكل الامام علي (ع) ومن اتبعه من مؤيديه ابان حكومة ابي بكر وعمر وعثمان معارضة سلمية واعية مع موقفه الاولي المعروف من البيعة فكان تسديده للحكومة وتوجيهه لها وابداء النصح حول سياستها الخارجية والعسكرية وتوقفه عن أي نشاط سياسي يضر بالاسلام وان ادى ذلك إلى تقويض الحكومة لذا يمكن عد ذلك نموذجاً للمعارضة الواعية[1] .

وهذه المعارضة يمكن ان تتطور إلى معارضة مسلحة اذا ما استشرى الظلم او لم يستجب إلى نصحها ولم تحقق مطالبها المشروعة واذا ما استكملت استعداداتها المادية .

2 . المعارضة الجاهلة :

وهو نوع اخر من المعارضة ينشأ مع غياب الرؤية السياسية الواضحة وفقدان العمق الفقهي للشريعة مع ضبابية الاهداف والاولويات ، وقد يكون اسلوبها شبيهاً بأساليب المعارضة الواعية ولكنها تجنح دائماً نحو التطرف ولا يعول عليها كثيراً في احداث التغيير المؤمل من شعاراتها ويمكن ان تجير لصالح ضرب الحكومات العادلة والشرعية ، ولكن يمكن الاستفادة من زخمها الثوري في انجاز المشاغلة للحكومات الجائرة ، وخير مثال على هذا النمط من المعارضة هو حركة الخوارج في عهد الامام علي الذي قيمها قائلاً : " لا تقتلوا الخوارج بعدي، فليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأدركه "[2] .

---

1 – وردت في التاريخ كثير من الامثلة حول مساندة الامام لمؤسسة الخلافة حفاظاً على الدولة الاسلامية ،راجع المبحث الاول في الفصل الاول .

2 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، خطبة 61 ، ص97 .

3 .المعارضة الانتهازية :

وهي على صنفين :

(أ) معارضة تظهر الولاء الشكلي للنظام القائم والحكومة المتصدية لكنها لا تعمل في طول النظام بل تخفي حركتها وتخطيطها وتدب في المجتمع لتنشر الشائعات والفساد وتتحالف مع اعداء المجتمع بهدف القضاء على الحكومة القائمة . وقد تنتهز أي فرصة لضعف الحكومة القائمة للانقضاض عليها ، ولعل بعض هذه الصفات تنطبق على حركة طلحة والزبير وماخلفته من حرب البصرة ضد حكومة الامام علي [1] .

(ب) الصنف الاخر للمعارضة الانتهازية :وهو الذي يناصب العداء علانية للحكومة الشرعية سواءً في رفض لاشخاصها ام في المبادئ والاسس التي تعمل بها وتمثلها . ويسعى هذا النمط إلى الاستحواذ على السلطة باستخدام القوة المسلحة واحداث عملية تغيير في قيم وانماط سلوك الامة بما يخدم اهدافه في الاستمرار بالحكم – بعد الاستيلاء عليه – والتسلط وتحقيق المنافع الدنيوية، وتعد حركة المعارضة التي قادها معاوية بن ابي سفيان بمثابة التجسيد الواضح على هذا النمط من المعارضة الذي واجهه الامام وتعامل معه [2] .

ان تحديد نوع المعارضة ومعرفة اهدافها الحقيقية هو المعيار الاساس الذي وضعه الامام للتعامل مع (المعارضة السياسية) . وقد اعطى (ع) المثال حول الكيفية التي يجب ان يتعامل فيها مع المعارضة والذي يكون مبنياً على

---

1 – حول هذه المعارضة وتعامل الامام معها ينظر : القرشي ، موسوعة امير المؤمنين ، مصدر سابق ،ج11 ، ص ص47 – 105.

2 – حول هذا النمط من المعارضة وتعامل الامام معه ، ينظر : المصدر السابق ، ج11 ، 107 –199 .

وظيفتها والاهداف التي تسعى إلى تحقيقها ولعل اهم الخطوات التي اتبعها الامام مع المعارضة ما يأتي :

1 .النصح والارشاد ، وذلك اذا كان في الاعتراض شبهة وسوء فهم للاحكام وقد اتبع الامام هذا الاسلوب عن طريق الحوار الهادئ والمنطقي فقد وضع (ع) "اسس بناء الحوار الفكري والسياسي بين القائد والمعارضة " [1] .

2 .اعادة التأهيل : لقد قامت حكومة الامام بتثقيف المعارضة التي برزت من جراء شبهة والسماح لها بالعمل داخل المجتمع الاسلامي ، مع مراقبتها خشية ان تقوم باعمال مخلة بالامن [2] . ويقول الامام عن الحرية النسبية التي يوفرها للمعارضة قائلاً

: "معاشر الخوارج اني جئتكم لاقدم الاعذار والانذار اليكم واسألكم ما تريدون وما تطلبون وتسمعون ما اقول واسمع ما تقولون " [3] . واعادة التأهيل هنا ترتكز على المسامحة والتفهم للرأي الاخر ومسوغاته ومنطلقاته بل انه غالباً ما يناديهم ويخاطبهم كمسلمين [4] . ويقول لطلحة والزبير يا " اخوتي " [5] بل ان الامام اتبع كل اساليب النصح والارشاد والتأهيل مع معاوية بن ابي سفيان من خلال جملة من الرسائل والوفود [6] .

3 .اجابة مطالب المعارضة : تبنى الامام اسلوب قبول تحقيق بعض المطالب المشروعة للمعارضة . وهذا الاتجاه في التعامل كان من متبينات الامام منذ ان طالب (ع) الخليفة الثالث بتحقيق مطالب المعارضة انذاك ، بل ان الامام

---

1 – باقر الموسوي ، مدخل إلى علوم نهج البلاغة ، مصدر سابق ، ص82 ؛ ينظر امثلة من حواراته مع المعارضة ؛ الصلابي ، مصدر سابق ، ص631 ؛ الطائي ، مصدر سابق ، ج6 ، ص147.

2– العجلي ، مصدر سابق ، ص26 .

3 – ينظر : ابو عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي ، الهداية الكبرى ، ط4 ، (بيروت ، مؤسسة البلاغ ، 1991) ، ص137 .

4– عبد الحميد ، مصدر سابق ، ص604 .

5 – جرداق ، مصدر سابق ، ص724 .

6 – عبد الرضا الزبيدي ، الرسائل السياسية بين الامام علي (ع) ومعاوية ، (ايران ، دار الكتاب الاسلامي ، 2000) ، ص ص 63 – 237 ؛كذلك ينظر:ابن منصور الطبرسي ، الاحتجاج ، مصدر سابق ، ج1،ص378 وما بعدها.

استجاب للرأي والحاح المعارضة في عهده حين قبل بمبدأ التحكيم ، مع قناعته بما هو مخبأ وراء الدعوة آنذاك ، طالما ان هذه المطالب لم تتعارض مع الشريعة الاسلامية [1] .

4 .استخدام القوة : في حالة فشل الاساليب السابقة في احتواء المعارضة او تنظيمها لتكون جزءاً من العملية السياسية من جهة او لجوء قوى المعارضة إلى الخيار العسكري او المؤامرات الخطرة التي قد تشق صفوف الامة وكيانها المادي والمعنوي من جهة ثانية فان الحكومة الشرعية ملزمة بالتصدي لهذا النمط من المعارضة بدرجة من القوة يكفي لرد شرورها عن المجتمع . يقول الامام في هذا الصدد : " سأمسك الامر ما استمسك واذا لم اجد بداً فآخر الدواء الكي " [2] . ويقول ايضاً : " ان هؤلاء قد تمالؤا على سخطة امارتي وساصبر ما لم اخف على جماعتكم " [3] هذه الجماعة التي كادت ان تتشرذم بحركات المعارضة التي واجهها الامام . ولذلك استخدم القوة المسلحة ضدها واصر على هذا الاسلوب من دون أي تردد إذ كان (ع) يقول : "والله لا اكون كالضبع تنام على طول اللدم ، حتى يصل اليها طالبها ، ويختلها راصدها ، ولكني اضرب بالمقبل إلى الحق المدبر عنه ، وبالسامع المطيع العاصي المريب ابداً" [4] ، بل ان الامام يدلل على قوة ادائه السياسي كحاكم

شوعي للامة حين يقول: " اني فقأت عين الفتنة ، ولولا انا

1- ينظر : الاسكافي ، مصدر سابق ، ص168 ، الخصيبي ، الهداية الكوى ،مصدر سابق،ص140 -141 .

2 - الشريف الرضي (الجامع)، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي،مصدر سابق، خطبة 168، ص299.

3- المصدر السابق ، خطبة 169 ، ص300 .

4- المصدر السابق ، خطبة 6 ، ص43 .

ما قتل اهل النهروان واهل الجمل "[1] . وهذه الاساليب في التعامل مع المعارضة لا تعني بتجريد المعارضة من حقوقها التي نص عليها الامام (ع)

خامساً. حقوق المعارضة :

بما ان الامام علي قد عد حق المعارضة السياسية الايجابية حقاً اصيلاً يمتلكه الافراد وتتمتع بكنفه الجماعات داخل كيان الدولة الاسلامية فليس بغريب ان نراه قد نص على لائحة لحقوق المعارضة السياسية فضلاً عن ما يتمتع به افرادها كبشر وبغض النظر عن نوع تلك المعارضة ، فاستحقاقهم لهذه الحقوق كونهم معارضة انما هو جزء مهم من نظام ووجود الدولة الاسلامية ، الا ان حقوق المعارضة السياسية تتفاوت " في نهج امير المؤمنين علي بن ابي طالب(ع) بين حالة السلم وحالة البغي واعلان الحرب،اذ تختلف تلك الحقوق في الاحوال الطبيعية عنها في ايام الصراع العسكري "[2][3] ولعل من اهم حقوق المعارضة عند الامام علي :

1 .الاعتراف بوجود المعارضة القانوني والسياسي :

لقد تطرقنا الى هذا الموضوع سابقاً ، فعلى طريق البصرة بعد تمرد طلحة والزبير سأل احدهم الامام : "يا امير المؤمنين أي شيء تريد واين تذهب بنا؟ فقال : اما الذي نريد ونوي فالاصلاح ان قبلوا منا واجابونا اليه ، قال : فان لم يجيبونا اليه؟ قال : ندعهم بعذرهم ونعطيهم الحق ونصبر ، قال : فان لم يرضوا؟ قال : ندعهم ما تركونا ، قال : فان لم يتركونا ؟ -

---

1 - ينظر : المحمودي ، مصدر سابق ،ج2 ، ص435 ، ويقول (ع) : "ايها الناس ان احق الناس بهذا الامر اقواهم عليه واعلمهم بأمر الله فيه فان شغب شاغب استعتب فان ابى قوتل" ، ابن ابي الحديد ، مصدر سابق، ج9 ، ص328.

2 - سنتطرق لحقوق الانسان في زمن الحرب عند الامام علي (ع) في الفصل الخامس ، المبحث الثالث .

3- محمد ، مصدر سابق ، ص182 .

قال الامام - امتنعنا عنهم "[1] فقنع السائل بهذه الاجوبة التي دلت بصراحة على قبول المعارضة السياسية وان كان مرغما

العسكري العدائي واضحاً كجزء من الحالة السياسية التي عاشها الامام .

2 .حفظ حياة المعارضين :

لقد شمل الامام المعارضين السياسيين بحق الحياة ، الذي سبق ان اشرنا اليه، بل انه(ع) اعطى للحفاظ على حياة المعارضين بعداً غاية في الاهمية حين رفض بشكلٍ قاطع ظاهرة الاغتيال السياسي ، وذلك حين اقترح عليه احد قواد جيشه بتصفية رؤوس الخوارج بعد ان تعاظم خطرهم وقد القي القبض على بعضهم فأجاب الامام :والله ما اظنك ورعاً ولا عاقلاً نافعاً والله لقد كان ينبغي لك لو اني اردت قتلهم ان تقول : اتق الله بما تستحل قتلهم ؟ ولم ينابذوك ولم يخرجوا من طاعتك"[2] .

وقد رفض الامام اسلوب استخدام القوة ولغة التهديد في مواجهة المعارضة، بل انه كان يؤكد : " لا ابتداؤكم بحرب حتى تبدءوا "[3] ويقول : " لا نهيجهم ما لم يسفكوا دماً وما لم ينالوا محرماً "[4] ، ويقدم الامام الحوار على اللجوء للسلاح قائلاً عن حق معارضيه : " ان تكلموا حججناهم وان خرجوا علينا قاتلناهم"[5] . ويستبعد الامام الحل العسكري لاختلاف

---

1 – محمد الطوي ، تاريخ الطوي ، ، مصدر سابق ، ج3 ، ص494 .

2– المحمودي ، مصدر سابق ، ج2 ، ص485 .

3 – القاضي عبد العزيز بن الحاج الطرابلسي ، المهذب ، (قم ، مؤسسة النشر الاسلامية ، د. ت) ، ص322.

4 – البلاذري ، انساب الاشراف ، مصدر سابق ، ص359 .يقول الامام : " من ائتمن رجلاً على دمه ثم خاس به فانا من القاتل وئن كان المقتول في النار "، محمد ، مصدر سابق ، ص209 .

5 – محمد الطوي ، تاخ الطوي ، مصدر سابق ، ج4،ص53 ؛ البلاذري ، انساب الاشراف ، مصدر سابق ، ص353.

وجهات النظر قائلاً للمعارضة مرة اخرى:" لانبدؤكم بحرب حتى تبدؤنا بها"[1] .

ويوفر الامام قدراً واسعاً من تنسيخ الشعور بالامن والامان للمعارضين فحين قال احدهم للامام : " في اصحابك رجال خشيت ان يفارقوك فما ترى فيهم ، فقال له الامام – اني لا اخذ على التهمة ولا اعاقب على الظن ولا اقاتل الا من خالفني وناصبني واظهر لي العداوة ولست مقاتله حتى ادعوه واعذر اليه فان تاب ورجع الينا قبلنا منه وهو اخونا وان ابى الا الاعتزام على حربنا استعنا عليه وناجزناه"[2] .

3 .حفظ الكيان المعنوي للمعارضة :

لقد اصر الامام على ان يعامل معارضيه بالعدل والانصاف الذي ميز حركته السياسية ، حيث لم يشكك (ع) بأي من جبهات المعارضة التي ناصبته العداء ،وحين سئل " عن اهل النهروان امشركون ؟ قال (ع) : من الشرك فروا فقيل يا امير المؤمنين فمنافقون ؟ قال : المنافقون لا يذكرون الله الا قليلا ، فقيل له: فما هم ؟ قال : قوم بغوا علينا "[3] وقد ورد هذا الرأي عن الامام في (اهل الجمل)[4] ، كذلك قيم الذين اعتزلوا القتال معه قائلاً : "خذلوا الحق ولم ينصروا الباطل "[5]

وحفظ الامام كذلك حق وحرية الممارسة الدينية للمعارضة إذ كان دائماً ما يعلن هذا الحق للمعارضين من خصومه قائلاً:"لا نمنعكم مساجد الله ان

---

1 – ينظر : المغربي ، مصدر سابق ، ج1 ، ص393 ؛ الشافعي ، الامة ، ج4 ، ص230 ؛ النوري ، مصدر سابق ، ج11 ، ص65 ؛ المحمودي ، مصدر سابق ، ج2 ، ص342 .

2– المحمودي ، مصدر سابق ، ج2، ص484–485 .

3 – ينظر : النوري ، مصدر سابق ، ج11 ، ص68 ؛ البيهقي ، مصدر سابق ، ج8 ، ص174 ؛ المتقي الهندي، مصدر سابق ، ج11 ، 335 ؛ الطائي ، مصدر سابق ، م3 ، ج6 ، ص161 .

4– البيهقي ، مصدر سابق ، ج8 ، ص173 .

5 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، حكمة 14 ، ص604؛ ويقول (ع) أما كل مفتون يعاتب" ، المصدر السابق ، حكمة 11 ، ص604 .

تصلوا فيها"[1] ويبدو ان هذا الموقف يتطلب وقفة تأمل وتوضيح فالامام كما يبدو كان يهدف إلى تركيز هذا الحق على وفق الاتي:

أ – السمو ببيوت الله عن أي تعارض اورأي سياسي في سبيل ان تبقى للجوامع والمساجد قدسيتها .

ب– السعي الى لم شمل الوحدة الاسلامية حيث ان اصطفاف المسلمين لاداء فريضة واحدة ولقبلة واحدة قد تكون فرصة مناسبة لوقفة مع الذات في البحث في الاسباب الحقيقية للخلافات مع بقية الاخوة من المسلمين ، وكون الاحتكاك المباشر بين المسلمين في بيت الله حتى مع تباين آرائهم واختلافهم سوف يقلل او يلغي كثيراً من سوء الفهم الذي قد ينشأ نتيجة تسيس بيوت العبادة من أكثر الفرق والاحزاب الاسلامية .

جـ–رفض الامام اعطاء أي حق لاي حاكم بان يجرد فرد ما او مجموعة من ممارسة حقوقهما كمسلمين او يفرض هيمنته على بيوت الله ، أي تحرير الكيان المعنوي (ايمان الانسان) والكيان المادي (المساجد والجوامع) من هيمنة السلطة .

د– محاولة الامام القضاء على فكرة التكفير داخل المجتمع الاسلامي كونها فكرة " جداً خطرة في وحدة المسلمين لانه اذا وصف المسلم بأنه كافر فان ذلك سيؤدي الى استباحة دمه وما له وعرضه "[2] . لذلك كان الامام يقول عن معارضيه : " انا لم نقاتلهم على التكفير لهم ولم نقاتلهم على التكفير لنا ولكنارأينا انا على حق ورأوا انهم على حق ...– ويقول عنهم –هم اخواننا بغوا علينا "[3] ويوضح (ع) هذا الموقف بشكل اعمق قائلاً : " انما اصبحنا

---

1 – الطرابلسي،مصدر سابق،ص322 وبألفاظ مقاربة ورد في البلاذري،انساب الاشراف، مصدر سابق ،ص353

2 – عمارة ، علي بن ابي طالب ، مصدر سابق ، ص150 .

3 – ينظر : محمد كاظم القزويني ، مصدر سابق ،ج9 ، ص649 .

نقاتل اخواننا في الاسلام على ما دخل فيه من الزيغ والاعوجاج والشبهة والتأويل فان طمعنا في خصلة يلم الله بها شعثاً ونتدانى بها الى البقية بيننا رغبنا فيها وامسكنا عما سواها "[1] .

4 . الحقوق المالية والقانونية :

لقد ضمن الامام كامل الحقوق المالية للمعارضة السياسية وذلك باسلوبين:

الاسلوب اول : اعطاء الحقوق والمستحقات المالية للمعارضين كمواطنين مسلمين في ضمن الدولة الاسلامية ، وبغض النظر عن توجهاتهم وارائهم ازاء السلطة الحاكمة إذ قال لمجموعة معارضة : " اشهد الله انكم تبغضونني وابغضكم فخذوا عطاءكم واخرجوا إلى الديلم "[2] ويقول (ع) ايضاً : " من كره منكم ان يقاتل معنا معاوية فليأخذ عطاءه وليخرج إلى الديلم "[3] .

الاسلوب الثاني : عدم منع المعارضة من المشاركة في الجهاد مع باقي قوى المجتمع ولاسيما الحكومة،حيث كان الامام يقول للخوارج : " لا نمنعكم الفئ ما كانت ايديكم بأيدينا"[4] .

كما حفظ الامام الوجود القانوني للمعارضة فحين استشاره قضاته في "شهادة الخوارج بالبصرة فأمر بقبولها كما كانت تقبل قبل خروجهم عليه "[5]

---

1 – الشريف الرضي (الجامع) نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، خطبة 121 ، ص220 .

2 – المنقري ، مصدر سابق ، ص116 .

3 – البلاذري ، فتوح البلدان ، مصدر سابق ، ج2 ، ص395 .

4 – الطرابلسي ، المهذب ، مصدر سابق ، ج1 ، ص322 ؛ البلاذري، انساب الاشراف ، مصدر سابق ، ص359 . الطائي ، مصدر سابق ، م3 ، ج6 ، ص139 .

5– الجندي ، مصدر سابق ، ص312 .

. كذلك منح الامام للمعارضة حرية التنقل والحركة ، إذ بعث علي (ع) إلى الخوارج " ان سيروا الى حيث شئتم "[1] .

ان المسير مع الحقوق السياسية التي طالب الامام ان يعيش في ظلها الانسان ولاسيما حق المعارضة ، تعد خطوة مهمة ومتقدمة على زمانه وقد ظلت نواساً يضيء طريق الشعوب والثوار فيقول جوداق "وان انت احصيت الثائرين على المظالم في العهد الاموي والعباسي [لاحقاً كذلك خصوصاً في العراق] لقيت عليا إمامهم ...وان انت احصيت غايات هذه الثورات

التي زلزلت الشوق قروناً طوالاً وقضت مضاجع الطغاة الفيتها الغايات الاجتماعية التي من اجلها كافح علي واليها دعا وفي سبيلها استشهد "[2]، وهذه الغايات الاجتماعية والاقتصادية قد صاغها الامام عبر جملة من الحقوق اقوها (ع) لصالح الإنسان وسنتعرض لبحثها في الفصل القادم .

1- المحمودي ، مصدر سابق ، ج2 ، ص99 ، ص367 ؛ الطائي ، مصدر سابق ، م3 ، ج6 ، ص136 .

2 - جرداق ، مصدر سابق ، م2 ، ص921 ، وللمزيد حول ثورات وانتفاضات التي قادها اتباع مدرسة الامام علي (ع) ينظر : محمد جواد مغنية ،الشيعة والحاكمون ، ط5 ، (بيروت ، دار مكتبة الهلال ، 1981)، ص ص32 - 228 ، د. يوسف جعفر سعادة ، اثار اهل البيت في تطور المجتمع الانساني ، (بيروت ، مؤسسة ام القرى ، 1422هـ) ، ص ص389-419 ؛ احمد عباس صالح ، اليمين واليسار في الاسلام ، ط2 ، (بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، 1973) ، ص111 وما بعدها .

الفصل الرابع

الحقوق الاجتماعية والاقتصادية والثقافية

تعد الحقوق الاجتماعية والاقتصادية والثقافية من المواضيع المهمة في منظومة حقوق الانسان كونها اسلوباً لحياة الفرد وآلية لتنظيم المجتمع وسنتناول هذه الحقوق الحيوية عند الامام

علي(ع)
في
ضمن
خمسة
مباحث:

المبحث الاول : حقوق المرأة .

المبحث الثاني : حقوق الاسرة والطفولة .

المبحث الثالث : حق التعليم .

المبحث الرابع : حق العمل والتملك .

المبحث الخامس : حق الضمان الاجتماعي .

المبحث الاول

حقوق المرأة

ان البحث في الحقوق الاجتماعية على وفق رؤية الامام علي بن ابي طالب ، يقف عند نقطة غاية في الاهمية من حيث اثارها في المجتمع او ما تثيره من جدل واراء وتلك هي مسألة (حقوق المرأة) ؛ فالمرأة شريكة الرجل في المسيرة الانسانية بامتدادها المكاني من السماء الى الارض والزماني من نقطة الانطلاق في حياة البشرية الى ان يرث الله الارض وما عليها [1] ، ناهيك عن ماهية النظرة الى المرأة وحقوقها يعد سلاحاً بيد مناوئي الاسلام وبعض مدعي التطور لضرب الفكر الاسلامي والتجربة الاسلامية . يساعدهم في ذلك الخط المتشدد الذي انضوى تحت مظلة الاسلام من جهة والسلوك العام الذي امتهن المراة في مجتمعات المسلمين من جهة

---

1 – يقول الله تعالى ، {يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها} سورة النساء / جزء من الاية1 ؛ والله سبحانه وتعالى ، " عندما تحدث عن تجربة بداية الخلق، اكد ان الرجل والمراة عاشا التجربة معا ، وتعرضا للاغواء معا (اني لكما من الناصحين) سورة القصص : الاية20 (فاكلا منها) سورة طه : الاية 121 فلم تكن المشكلة مشكلة ادم الذي جر حواء الى الاستجابة للاغواء ، كما انها لم تكن مشكلة حواء التي اغوت ادم ، بل كانت مشكلتهما معا ، نتيجة الضعف الانساني الذي يلتقي عنده كلاهما ، (وخلق الانسان ضعيفا) سورة النساء / الاية 28 ينظر : محمد حسين فضل الله ، دنيا المراة ، ط4 ، (بيروت، دار الملاك ، 2000)، ص25 . اضف الى ذلك نصوص قرآنية اخرى مثل قوله تعالى { ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات

اعد الله لهم مغفرة واجرا عظيما } سورة الاحزاب / الاية 35 ، {وما كان لمؤمن ولامؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم } سورة الاحزاب / الاية 36 . قوله تعالى :{ اني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر أو انثى } سورة ال عمران / الاية 195 . -{ الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة } سورة النور / الاية2 .- { السارق والسارقة فاقطعوا ايديهما } سورة المائدة / الاية 38 . - { يا ايها الناس انا خلقنكم من ذكر وانثى وجلعناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم } سورة الحجرات / الاية 13 . اضافة الى المنظومة المتكاملة في سيرة الرسول (صلى الله عليه وآله) التي اعلت من شأن المرأة ؛ ينظر : عبد الرحمن بن محمد بن خلدون تاريخ ابن خلدون ، ج2 ، (بيروت ، مؤسسة الاعلمي ، 1971) ، ص58 ومواقع متفرقة ؛ محمد الطبري ، تاريخ الطبري ، مصدر سابق، ج2، ص376 ، ومواقع متفرقة .

اخرى ، مما يجعل من محاولة الكشف عن جوهر رؤية الاسلام للمراة وحقوقها ضرورة انسانية واسلامية وسياسية لاسيما في الوقت الحالي ، ويقينا ان كشف اللثام عن حقوق المرأة عند الامام هي جزء اساسي من الصورة الكلية لموقف الشريعة الاسلامية من المرأة.[1]

لقد وردت كثير من الاقوال التي نسبت الى الامام علي (ع) تنظر للمرأة من زاوية سلبية وتقلل من شانها وتعدها بمثابة محور للشر والخطيئة في الحياة ويمكن ذكر جملة من هذه الاقوال التي نسبت اليه اهمها :

" معاشر الناس : ان النساء نواقص الايمان ، نواقص الحظوظ نواقص العقول "[2] وهن كذلك : " ضعاف القوى والانفس والعقول "[3] وينسب اليه قوله: " المرأة شر كلها وشر منها انه لابد منها"[4] وهي " بذر الشر "[5] وان المراة عقوب "[6] .

ويصور بعضهم الامام بانه لا يؤمن بالامكانية الفكرية عند المرأة إذ ينقل عنه قوله يذم بعض اصحابه وتشبيهه اياهم بـ " ربات الحجال "[7] وينسب اليه قوله: " ان في خلافهن بركة"[8] وغير ذلك ،وان " النساء همهن زينة الحياة الدنيا والفساد فيها"[9] و" كل امرئ تدوه امرأة فهو ملعون "[10] و"

---

1 – هناك كتب كثيرة تناولت موضوع نظرة الاسلام للمرأة كلياً او جزئياً ، ينظر : محمد رشيد رضا ، حقوق النساء في الاسلام ، ط1 ، (بيروت ، دار الاضواء ، 1989) مواقع متفرقة ؛ محسن عطوي ، المراة في التصور الاسلامي ، ط2، (لبنان ، الدار الاسلامية ، 1987) مواقع متفرقة .

2– بيضون ، مصدر سابق ، ص639 .

3 – المنقري ، مصدر سابق ، ص203 .

4– مدير ، مصدر سابق ،ج2، ص327 .

5– المصدر السابق ، ج2، ص327 .

6– المصدر السابق ، ج2 ، ص327 .

7– بيضون ، مصدر سابق ، ص639 .

8 – الصدوق ، من لا يحضره الفقيه ، مصدر سابق ، ج3، ص468.

9 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، خطبة 153 ، ص263.

10 – الصدوق ، من لا يحضره الفقيه ، مصدر سابق ، ج3، ص468 .

عقول النساء في جمالهن "[1] و قوله : " اياك مشاورة النساء فان رايهن الى افن وعزمهن الى وهن "[2] ، ونسب اليه ايضا قول ان : " خيار خصال النساء شرار خصال الرجال، الزهو والجبن والبخل ،فاذا كانت المراة مزهوة لم تمكن من نفسها واذا[3]

كانت بخيلة حفظت مالها ومال بعلها واذا كانت جبانة فوقت من كل شيء يعوض لها " .

ان هذه المجموعة من الاقوال تمتلك عناصر قوة ظاهوية لعل من اهمها تنوع المصادر التي وردت فيها ، ومن كثرة تكرارها لم يصبح من اليسير الانعتاق من هذه النظرة فحتى كبار المفكرين لم يناقشوا هذه الاراء ، فالعقاد مثلا يرى : " ان راء الامام في المراة هي خلاصة الحكمة القديمة كلها في شان النساء ... فهي شر لابد منه "[4] ولكننا من خلال فهمنا المتواضع لفكر الامام علي – نذهب الى ان مثل هذه الاقوال لاتمثل رؤية الامام (ع) للمراة ، وذلك اعتمادا على الاسس الآتية:

– عدم انسجام الخط العام لهذه الاقوال ومجمل الاراء الواردة فيها مع التوجه القرآني الذي سما بالمرأة الى حد كبير ولم يميزها عن الرجل إلا من بعض النواحي التنظيمية[5] وبالتالي فان هناك تعارض مع ما وضعه الامام من شرط حول قبول احاديثه بعد عرضها وانسجامها مع القرآن الكريم[6] .

1– المجلسي ، مصدر سابق ، ج1، ص82 .

2 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د.صبحي ، مصدر سابق ، كتاب 31، ص514.

3– المصدر السابق ، الحكمة 225 ، ص ص648–649 .

4 – عباس محمود العقاد ، عبقرية الامام علي ، (القاهرة ، مؤسسة دار الشعب ، د. ت) ، ص ص106–107 .

5 – سبق ان تطرقنا الى هذه الايات القرانية .

6 – تطرقنا الى هذه المسالة في الفصل الاول ، المبحث الاول .

– ان دراسة دقيقة لما ورد من اقوال منسوبة الى الامام بهذا الصدد تدفع الى الاعتقاد بانها لا ترتقي الى الرؤية الفكرية السامية للامام لراء المرأة ، ففي معرض رده على القول الذي نسب للامام بان (النساء ناقصات الايمان ناقصات الحظوظ ناقصات العقول) يذهب المفكر حسين فضل الله الى انه " لو فرضنا ثبوته فلابد ان يكون المراد به غير ظاهره ، منطلقا من خلال طبيعة الجانب التعبوي فبعض الاشياء في ذاك الوقت تمثل حالة نقصان مثلا ، او يعبر عنها على هذا النحو بشكل عام ، ... ، لكن تفسير نقصان العقل بانه شهادة امراتين في مقابل شهادةرجل واحد ، قابل للنفي ، ويمكن التعليق عليه بان عالم الشهادة لا دخل له بالعقل وقد يكون للعاطفة الانثوية دور في الانحراف ، لكن قوة العاطفة لاتعني نقصان العقل، عالم العقل هو

(1)

عالم يتصل بالتفكير وعالم الشهادة يتصل بالحس من قوة الشاهدة على الرؤية الصحيحة " .

---

1 – فضل الله ، دنيا المرأة ، مصدر سابق ، ص56 .

ويستمر فضل الله في مناقشه هذا القول " كذلك كلمة (ناقصات الحظوظ) بالنسبة لقوله تعالى : (للذكر مثل حظ الانثيين) النساء /11 ،فاننا نلاحظ ان التشويع هنا اخذ منها في مقابل ما أُعطيت ، وذلك ... ان المرأة ليس عليها جهادولا نفقة ... ولان المرأة اذا تزوجت اخذت والرجل يعطي ...ولان الانثى في عيال الذكر ان احتاجت ،وعليه ان يعولها وعليه نفقتها، وليس على المرأة ان تعول الرجل"[1] ، " اما عن كلمة " ناقصات الدين من جهة ترك الصلاة في ايام الدورة الشهرية ،فالمرآة تترك الصلاة طاعة لله والله كما يطاع في ما يوجب ، يطاع ايضا في ما يحرم ،فلو لم يكن محرما على المرأة الصلاة ايام الدورة الشهرية لصلت ، لكنها لاتصلي طاعة لله فكيف يكون هذا نقصان دين ؟ ... لذلك نقول : لابد من ان يرد علم هذا الحديث الى اهله لان الفكرة لاتتناسب مع طبيعة التعليل "[2] .

اما ما نسب الى الامام من وصف المرأة بالشر وما شابه ذلك فان محمد حسين فضل الله، وله الحق بذلك ،يقول : " نتحفظ في امر نسبته الى الامام(ع)... وذلك ان مفاهيمنا الاسلامية ترى في الانسان ،رجلا كان او امرأة ، كيانا يحمل في داخله قابلية الخير والشر ...وعلى هذا ، فكيف تكون المرأة كلها شرا؟وان كانت كذلك مطبوعة على الشر فكيف تحاسب على

---

1 – المصدر السابق ، ص ص56–57 . ولمزيد من التفسير بهذا الجانب، ينظر : محمد حسين فضل الله ، تاملات اسلامية حول المرأة ، ط1 ، (بيروت ، دار الملاك ، 1999) ، ص41وما يليها .

2 – فضل الله ، دنيا المرأة ، مصدر سابق ، ص58 .ولابد لنا من الاشارة الى ان البعض من مفسري نهج البلاغة ذهبوا الى مثل هذا الراي او تفسير اخر فابن ابي الحديد يرى ان هذه المقولة ترمز الى عائشة ينظر : " ابن ابي الحديد ، مصدر سابق ،ج16، ص214 . اما محمد الشيرازي فيذهب الى تفسير هذا القول بجانبه الاقتصادي وذلك بتخفيف الاعباء المادية على المرأة " ينظر: محمد الحسيني الشيرازي ، توضيح نهج البلاغة ، (طهران ، دار تراث الشيعة ، د. ت) ، ص302 ؛ بينما يقول الخوئي : " اعلم ان الغرض من هذا الكلام التعريض على عائشة وتوبيخها وذم من اتبعها " . ميرزا حبيب الهاشمي الخوئي ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، ج23، ط4 ، (طهران ، المكتبة الاسلامية ، 1405هـ) ، ص303 ، وينظر كذلك محمد جواد مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ، (محاولة لفهم جديد) ، ج3، ط1 ، (بيروت ، دار العلم للملايين ، 1973) ، ص373 .

فعل الشر ؟وهل ينسجم هذا مع خط العدل ؟واذا كان الشر من طبيعة تكوين المرأة ، فهل النساء الصالحات نوع اخر في

طبيعته عن بقية النساء ؟ ويفسر بعضهم هذه الكلمة بان الشر ليس من ذاتها ، ولكن في مظاهر الاغواء التي تثوها من حولها ، ولكن الاغواء لايختص بالمراة فقط ،بل يشمل الرجل ايضا، فضلاً عن انه لاينسجم مع طبيعة التعبير وبلاغته "[1] . ويستمر السيد فضل الله في اثارة الاسئلة : " ثم ما معنى " وشر ما فيها لابد منها " ؟ فاذا كان المراد منه حاجة الرجل في عملية التناسل اليها فالامر كذلك بالنسبة لحاجة المراة الى الرجل ،ولانوي اذا ما كان هناك معنى اخر لانفهمه "[2] .

وبالنسبة للروايات التي نسبت الى الامام ،ويفهم منها التقليل في مستوى وعي وادراك المراة، فانها تصطدم مع الاحترام العميق من الامام لعقل المراة في مراحل حياته المختلفة اذ يقول(ع) حول سابقته في الاسلام:"ولم يجمع بيت واحد يؤمئذ في الاسلام غير رسول الله (صلى الله عليه وآله) وخديجة وانا ثالثهما "[3] ويفخر الامام علي عدوه معاوية في مقارنة يراد منها توضيح حقه وما يسعى اليه من خير للمجتمع اذ يقول (ع) : " ومنا خير نساء العالمين[4] ومنكم حمالة الحطب "[5] .

و " اذا كنا نتهم بعض النساء بانهن قد يخضعن للعاطفة في القضايا التي تتصل بالعاطفة او انهن قد يخضعن للتخلف الذي يعيشن فيه فيتحرك التخلف في خدمة الرأي الذي يتخذنه ، الا اننا لا نستطيع ان نعد كل النساء يخضعن

---

1 – فضل الله ، دنيا المراة ، مصدر سابق ، ص ص54–55 .

2– المصدر السابق ، ص ص 54–55 .

3 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، خطبة 192ص376 .

4– فاطمة (ع)

5 – المصدر السابق ،رسالة 28 ، ص490 .

، في تقييمهن للقضايا الفكرية او الاجتماعية للعاطفة ،واننا لا نستطيع ان نعد الكل متخلفات وفي المقابل فاننا لا نستطيع ان نعد كل الرجال ينطلقون من موقع عقلي فهناك كثير من الرجال ينطلقون من موقع عاطفي وقد يكونون في بعض المجالات اكثر عاطفية من طريقة المراة في ادارة الامور "[1] ومن الامور التي تدل على ضرورة احترام عقل المرأة ورؤيتها اننا"نرى ان الاسلام عد المجتمع الاسلامي مجتمع الشورى ، عندما قال الله تعالى في كتابه (وامرهم شورى بينهم)[2] ، ومعنى ذلك ان يتشاور الناس في كل الامور التي تواجههم ..وعلى هذا الاساس تكون المرأة في ضمن دائرة الشورى ، لأنها جزء من المجتمع الاسلامي "[3] .

اما ما نسب الى الامام حول تفضيل بعض الصفات للمراة مثل الزهو والجبن والبخل فهو يتناقض مع نظرة الاسلام الذي هو مصدر نظرة الامام للانسان المتكامل المتواضع الشجاع والكريم وان الصفات الحميدة هي ملك للانسانية وليس لجنس دون اخر او لمجموعة دون غيرها[4] .

ولعل ان اهم ما يقوض هذه الرؤية السلبية التي نسبت للامام هو منظومة حقوق المراة التي رسخها الامام (ع) في تجربة

انسانية متميزة سواء على المستوى الفكري ام على الواقع العملي، وقبل التطرق الى مسألة حقوق المرأة عند الامام علي ، لابد لنا من الاشارة ، الى ان هذه الحقوق هي ليست الا امتداداً لرؤية الامام الكلية لحقوق الانسان التي يجب ان يتمتع بها بغض

1- فضل الله ، تاملات اسلامية ، مصدر سابق ، ص ص244-245.

2 - سورة الشورى / الآية 38 .

3- المصدر السابق ، ص248 .

4 - إذ يقول (ع) :" الجبن منقصة " ، بيضون ، مصدر سابق ، ص955 : "وان البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله "."والبخل جامع لمساوئ العيوب وهو زمام يقاد به الى كل سوء " ، المصدر السابق ، ص965 و"الحمد لله الذي لبس العز والكبرياء واختارهما لنفسه دون خلقه وجعلهما حمى وحرما على غيره ... وجعل اللعنة على من نازعه فيهما من عباده " المصدر السابق ، ص827.

النظر عن أي معطى او صفة اخرى ، إذ تأتي مسالة تأكيدها في اطار يتضمن تعزيز وضع المراة في هذا المضمار فضلاً عن وجود حقوق خاصة في رؤية الامام للمرأة تطرق إليها الامام بكل وضوح ودقة، ولعل اهم هذه الحقوق هي :

1 - حق صيانة حياة المرأة :

يكن الامام علي احتراماً عميقاً لحياة المراة إذ يسمو بها حتى انه يظهر ذلك في وصفه لعصر الجاهلية بقوله : " فالاحوال مضطربة ،والايدي مختلفة ،والكثرة متفرقة ،في بلاء زل واطباق جهل من بنات مؤودة واصنام معبودة "[1] .والملاحظ ان الامام في تعداده لسلبيات المجتمع الجاهلي يضع اولوية عملية وأد البنات وقتلهن قبل عبادة الاصنام والشرك بالله ،وهذا ان دل على شيء فإنما يدل على تقديس الحياة ولاسيما حياة المرأة .

ويعزز الامام اساليب حماية حياة المراة ، فينادي بقاعدة شرعية وقانونية وانسانية مهمة وهو يقول: " اذا قتل رجل امراة فان راد اوليؤها قتلوا صاحبهم ووفوا "[2] ، وينظر الامام الى حياة المراة وصحتها كاولوية يمكن ان تفوق بعض مسائل الشريعة وتتجاوز الحياء والاعراف الخاطئة ، محتسباً هذه المسألة هو حق للمرأة فمثلاً حين سئل الامام عن المرأة يموت في بطنها الولد ويتخوف عليها ، قال : " لا بأس ان يدخل الرجل يده فيقطعه فيخرجه اذا لم ترفق به النساء"[3] .

---

1 - الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، خطبة 192 ، ص373.

2 - القرطبي ، مصدر سابق ، ج2، ص247 ؛ ابن قدامة ، مصدر سابق ، ج9 ، ص377 ، حيث نقل عن الامام قوله: " ان الرجل يقتل بالمرأة " .

3 - الحموي ، مصدر سابق ، ص136 .

وفي اطار حفاظ الامام علي حياة المراة يرفض (ع) مسالة اخذ ثار الشرف العائلة او المجتمع بجسد المراة فكل امرء مسؤول من خطأه وصوابه بنفسه ، ولن يسمح الامام لأي شخص كائناً من يكون سواء الاب او الاخ او الزوج ان يكون القاضي والجلاد في آن واحد ، فحين سئل (ع) عن رجل وجد مع امراته رجلا فقتله وقتلها فحكم (ع) : " ان لم يات باربعة شهداء فليعط برمته "[1] ، أي ان الحكم ليس له انما هو للحاكم الشرعي وعلى وفق الضوابط الاسلامية التي تحكم المجتمع واذا ارتكبت جريمة القتل ضد المراة تحت غطاء الحفاظ على الشرف او تصحيح الخطأ فان المجرم يعاقب بالموت .

2-الحقوق المعنوية

الى جانب حرص الامام (ع) على حياة المراة ،فانه يؤكد الجانب المعنوي مؤسسا بذلك هيكلاً تام البناء يحفظ من خلاله المرأة ومشاعرها المرهفة ، وصيانة حقوقها المعنوية منذ لحظة ولادتها حيث يقول (ع):"انه سبحانه يختبرهم [أي عباده] بالاموال والاولاد ليتبين الساخط لرزقه والراضي بقسمه وان كان سبحانه اعلم بهم من انفسهم ولكن لتظهر الافعال التي بها يستحق الثواب والعقاب لان بعضهم يحب الذكور ويكره الاناث "[2] إذ يحارب (ع) واحدة من اسوأ العادات التي انتشرت في البيئة الاجتماعية وانغرست في الجوانب النفسية للمجتمع، ألا وهي تلك النظرة الدونية للمراة في مسيرة حياتها منذ ولادتها لغاية وفاتها ،بل ان الامام يرفع من شأن

1- الشافعي ، المسند ، مصدر سابق ، ص276 ؛ الشافعي ، الام ، مصدر سابق ، ج6، ص31 .

2 - الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، حكمة 88 ،ص619 .

المولودة إذ يقول : " البنات حسنات والبنون نعم ، الحسنات يثاب عليها والنعم مسؤول عنها "[1] .

ويقر الامام بحالة من الضعف تظهر غالباً عند المرأة في ذهنية عموم المجتمع، سواء ما تتصف به من رقة وعاطفة جياشة من جهة او بلحاظ الوضع الاجتماعي والقانوني في المجتمعات الانسانية -والذي استمر الى وقتنا الحالي - من جهة اخرى وان حالة الضعف هذه قد يستغلها بعضهم للحط من مكانة وشأن المرأة لذا يقرر (ع) تجاوز هذه الحالة قائلاً : " اتقوا الله في الضعيفين: اليتيم والنساء "[2] .

ويفعل الامام نظاماً قانونياً انسانياً يُقرر بموجبه حق احترام المراة بشكل مميز كونها انسانا أولاً وكونها امرأة ثانيا ، فنجده يقول :" لا تهيجن امراة باذى وان شتمن اعراضكم وسفهن امراءكم وصلحائكم .. ، ولقد كنا نؤمر بالكف عنهن وانهن لمشركات وان الرجل ليكافئ المراة يتناولها بالضرب فيعير بها عقبه من بعده فلا يبلغني من احد عرض لامراة فأنكل به كشرار الناس"[3] ، ونلاحظ انه (ع) قد عاقب من تعرض للنساء في اثناء حرب الجمل ،وان كن في صفوف اعدائه[4] . كما انه كان يأمر بعزل من لايراعي النساء اجتماعيا إذ يقول : " ستة لا ينبغي ان يسلم عليهم [منهم] الشاعر يقذف المحصنات[5]

والمتفكهون بسب الامهات " .

1- الجندي ، مصدر سابق ، ص338 .

2- ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي ، الامالي ، ط1 ، (قم ، دار الثقافة ، 1414هـ) ، ص370 .

3 - محمد الطوي ، تاريخ الطوي ، مصدر سابق ، ج3، ص534 .

4 - حيث احترام الامام النساء حتى ان شكلن جبهة مضادة له وهذا كان موقفه مع السيدة عائشة ، وصيانته لها ورفض ان تمس بسوء حول تفاصيل هذا الموقف ينظر : اليعقوبي ، مصدر سابق ، ج2، ص183 ؛ محمد الطوي ، تاريخ الطوي ، مصدر سابق ،ج3، ص543 ؛ البلاذري ، انساب الاشراف ، مصدر سابق ، ص248 ؛الشرقاوي ، مصدر سابق ، ص289 .

5- الحر العاملي ،وسائل الشيعة ، مصدر سابق ،ج 8 ، ص432.

ويؤكد الامام الجانب المعنوي غاية في الاهمية الاوهو تحقيق الشعور بالطمانينة والامن للمرأة ، بل ان الامام فرض التعويضات على كل من يروع المرأة حيث نلاحظ انه (ع) في قضية التعويضات [1] ، اعطى الامام جزءاً من التعويض ثمناً "لروعة نسائهم وفزع صبيانهم " [2] بل يقع تحت طائلة هذا النوع من دفع التعويضات حتى الحاكم الاسلامي مما يعكس احترام الامام لكرامة المرأةوامنها [3] ، وكان (ع) يعد الحفاظ على حق الامن للمرأةواحداً من واجبات الحكومة والامة بأسرها اذ يقول :" وقد بلغني ان الرجل منهم [أي من جيش معاوية] كان يدخل على المراة المسلمة ،والاخرى المعاهدة فينتزع حجلها وقلائدها... ما تمتنع منه الا بالاسترجاع والاسترحام ، ثم انصرفوا وافرين ما نال رجلا منهم كلم ولا اريق لهم دم فلو ان امرأً مسلما مات من بعد هذا اسفا ما كان به ملوماً، بل كان عندي جديراً" [4] .

ولعل من اهم ابعاد الحقوق المعنوية للمراة تاتي مسألة الحفاظ على شرف المرأة وسمعتها من أي تعد ، وينقل الامام عن الرسول (صلى الله عليه وآله) قوله :" ان الله يحب من عباده الغيور " [5] ويقول(ع): " قواعد الاسلام سبعة فأولها العقل وعليه بني الصبر ،والثاني صون العرض..." [6] ، بل ان الامام مارس دور الحفاظ على نساء المسلمين محتسباً ان عملية الحفاظ عليهن انما هو حق لهن على الامة بحكومتها وافرادها ، فلقد وردت حادثة لها دلالاتها المهمة حين: " كان عمر يطوف بالبيت وعلي يطوف امامه ،اذ عرض رجل لعمر فقال : يا

---

1 - تطرقنا لهذه الحادثة في الفصل الثاني ،المبحث الاول .

2 - صادق الشيرازي ، ، مصدر سابق ، ،ص32 .

3- المصدر السابق ، ص ص35-36 .

4 - الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، خطبة 27،ص65.

5- الهيثمي ، مصدر سابق ، ص328 .

6- المجلسي ، ج68 ، ص381 .

امير المؤمنين ،خذ حقي من علي بن ابي طالب ، قال : وما باله ؟ قال : لطم عيني ، فتوقف عمر حتى لحق به علي(ع) فقال الطمت عين هذا يا ابا الحسن ؟ قال (ع) : نعم ، قال عمر : ولم ؟ قال (ع) لانيرايته يتأمل حرم المؤمنين في الطواف فقال عمر احسنت يا ابا الحسن"[1] .

ويصف الامام شر الازمنة ذلك الذي تكون فيه النساء " كاشفات عاريات متبرجات خارجات من الدين "[2] ، ونعتقد ان الامام اعتبر هذا الوصف هو من سمات الازمان السيئة ليس باختفاء المعايير الاسلامية من ناحية مظهر المراة وسلوكها الخارجي فحسب ولكن لاخفاق المجتمع بكل قواه الدينية والسياسية في تقديم النموذج الامثل الذي تقتدي به المراة وتجسده من ثم في المجتمع ومن ناحية اخرى ان عملية قياس المجتمع جزئيا من خلال المراة يدل على استشعار الامام اهمية دور المراة في الحياة والمسيرة الانسانية .

ويحمل الامام الرجل مسؤولية تحقيق الكفاية الاقتصادية لعائلته ولاسيما من النساء ، وكذلك فان الحكومة تتحمل مسؤوليتها بالحفاظ على النظام الاخلاقي والوفرة الاقتصادية[3] حيث ان جزءاً من عزة المراة تكمن بازالة حاجتها الاقتصادية كي ينقطع احد سبل الانحراف والفساد الاخلاقي ، إذ يقول الامام (ع) ناقداً الوضع الذي كان قائماً في بعض المجتمعات : " بلغني ان نساءكم يزاحمن العلوج في الاسواق اما تغارون انه لاخير فيمن لا يغار "[4] .

ولحماية المراة وكرامتها ،فانه يمكننا القول ، ان الامام استحدث اول جهاز لحماية المراة من تعسف الاهل ولاسيما الزوج ، رافضا بذلك الآراء

---

1 - ايماني ، مصدر سابق ، ص129 ؛ احمد الطوي ، ذخائر العقبى ، مصدر سابق ، ص82 ؛ العسكري ، عبد الله بن سبأ ، مصدر سابق ، ج2 ، ص343 .

2 - الصدوق ، من لا يحضره الفقيه ، مصدر سابق ، ج3 ، ص390 ؛ الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، مصدر سابق، ج20 ، ص35 .

3 - سنتطرق لموضوع الضمان الاجتماعي لاحقا في المبحث الخامس من هذا الفصل .

4- ابن قدامة ، مصدر سابق ، ج8 ، ص137 .

التي طالبت بصمت المجتمع ازاء العنف الذي يمارس ضد المراة تحت مسوغات شتى[1] ،حيث ورد : " ان اتته امراة قد خُلع قلبها

لا تدري اين تاخذ من الدنيا حتى وقفت عليه [أي الامام] فقالت : يا امير المؤمنين ظلمني زوجي وتعدى عليَّ وحلف ليضربني فاذهب معي اليه ، فطأطأ رأسه ثم رفعه وهو يقول : لا والله حتى يؤخذ للمظلوم حقه غير متعتع واين منزلك ؟ قالت : في موضع كذا وكذا فانطلق معها حتى انتهت الى منزلها ، فقالت هذا منزلي ، قال : فسلم فخرج شاب عليه إزار ملونة ، فقال : اتق الله فقد اخفت زوجتك ، فقال : وما انت وذاك والله لاحرقنها بالنار لكلامك ... فلم يعلم الشاب الا وقد اصلت السيف وقال له : امرك بالمعروف وانهاك عن المنكر وترد المعروف تب وإلا قتلتك " [2] .

ويبدو ان موقف الامام هذا مبني على تهديد صريح بالقتل من الرجل لزوجته وكذلك رفضه لصوت العقل والشرع ، حتى انتهى الموقف بمعرفة الرجل بخطأه وعودة المرأة الى بيتها موفورة الكرامة . هذه الكرامة التي تجسدت ايضا في حق المساواة للمرأة والذي دعا اليه الامام(ع).

3 –حق المساواة .

انطلاقا من الشريعة الاسلامية وامتدادا لحق المساواة العادلة التي نادى بها الامام فانه آمن بالمساواة بين الرجل والمرأة ، ولكن هذه الدعوة يجب ان توضع في اطارها الصحيح و " تحافظ على التنوع في الخصوصيات الانسانية التي يتمايز فيها الطرفان مع اعطاء كل منهما فرصة التحرك في

---

1 – " عن عمر انه قال لاحدهم احفظ عني شيئا سمعته من رسول الله (صلى الله عليه وآله) : "لاتسالن رجلا فيم ضرب امراته ... لانه قد يضربها لاجل الفراش فان اخبر بذلك استحيا " ، المصدر السابق ، ج8، ص164 .

2 – لجنة الحديث ، سنن الامام علي ، مصدر سباق ، ص ص187–188 ، المجلسي ، مصدر سابق، ج14، ص56؛ الشرقاوي ، مصدر سابق ، ص ص352–353 .

دائرة خصوصيته بحرية فتنطلق المرأة لتكون حرة انسانيا كامرأة وتقوم القوانين التي توضع لمساحة التقائها بالرجل بحفظ التوازن بين خصوصيتها وخصوصيته ، بحيث يتكامل الانسان بالرجل والمرأة"[1] ، وينطلق محمد حسين فضل الله من قول الامام : " اجعل نفسك ميزانا فيما بينك وبين غيرك ، فاحب لغيرك ماتحب لنفسك واكره له ما تكره لها "[2] ليؤسس عليها " ضرورة ان ينطلق الرجل من غاية ايمانية وانسانية ليعطي للمرأة الحق في اغناء تجربتها الانسانية واغناء المجتمع بتجربتها بالتساوي مع الرجل "[3] وتتكامل مسالة المساواة مع حق الحرية للمرأة عند الامام .

4 – حق الحرية

لقد منح الامام المرأة قدراً حيوياً من الحرية في اطار الشريعة الاسلامية ، فقد وجه خطابه الى احدى النساء قائلا : " انطلقي حيث شئت وانكحي من احببت لاباس عليك "[4] ، ويعزز الامام حق التنقل وحرية الحركة للمرأة بحديث ينقله عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) حين جاء اليه نفر من المسافرين فقالوا له : " ان امرأة توفيت معنا وليس معها ذو محرم "[5]

فاجابهم الرسول(صلى الله عليه وآله) عن هذه المسألة الشرعية دون ان يستنكر(صلى الله عليه وآله) خروج هذه المرأة معهم .

ويعطي الامام المرأة حرية اختيار زوجها ،على ان يكون ذلك الاختيار مبني على اسس شرعية وعقلائية فقد كان يقول (ع) للمرأة المتوفى عنها

---

1 – فضل الله ، دنيا المرأة ، مصدر سابق ، ص ص47–48 .

2 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق، كتاب 31 ، ص296 .

3 – فضل الله ، دنيا المرأة ، مصدر سابق ، ص ص110–111 .

4 – ابن داوود الدينوري ، الاخبار الطوال ، مصدر سابق ، ص154 .

5 – نص الحديث " عن علي (ع) قال : اتى رسول الله (صلى الله عليه وآله) نفر فقالوا : ان امراة توفيت معنا وليس معها محرم فقال : كيف صنعتم بها ؟ فقالوا صببنا عليها الماء صبا فقال : اما وجدتم امراة من اهل الكتاب تغسلها فقالوا : لا فقال : افلا تيمموها " احمد الاردبيلي ، مصدر سابق ، ج1، ص181 .

زوجها : " لتنكح من احبت "[1] ،وحين جاء "رجل الى علي (ع) فقال : امرأة انا وليها تزوجت بغير اذني ، فقال علي (ع) ننظر فيما صنعت اذا كانت تزوجت كفؤ اجزنا ذلك لها وان كانت تزوجت من ليس لها كفؤ جعلنا ذلك اليك "[2] ،ولعل حق الحرية ستوضح اكثر مع ما اقره الامام من حق المشاركة السياسية للمرأة .

5 – حق المشاركة السياسية

لقد منح الامام علي (ع) المرأة دوراً سياسياً مهماً في تجربته السياسية ويمكن تحديد ابعاد ذلك الدور بالآتي :

أ– المشاركة في المعارضة السياسية ،ولاسيما تلك التي مارسها الامام[3] .

ب– حق التعبير عن الرأي ، سواء فيما يتعلق بالحاكم ام فيما يمكن ان نطلق عليه اليوم (بحق التصويت) ، حيث ان الامام فخر واستند في حواراته السياسية مع خصومه بان بيعته حازت رضا معظم الامة رجالا ونساءً[4] .

1– المجلسي ، مصدر سابق ، ج101 ، ص183 .

2 – علي بن عمر الدار قطني ، سنن الدار قطني ، علق عليه وخرج احاديثه مجدي بن منصور ، ج3 ، (بيروت ، دار الكتب ، 1996) ، ص166 ؛ القرطبي ، مصدر سابق ، ج3 ، ص75 .

3 – نذكر دور السيد فاطمة الزهراء (ع) ، حتى انها سجلت معارضتها السياسية باكثر من خطبة وموقف بل ان عملية دفنها كانت تجسيداً مهماً للمعارضة . وللتفصيل اكثر ينظر : خطبة السيدة فاطمة بعد البيعة للخليفة الاول. ابن طيفور ، مصدر سابق، ص12 وما بعدها . وحول موقف السيدة فاطمة(ع) السياسي بنظر : محمد بن جرير الطبري الامامي ، المسترشد في

امامة امير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) ، تحقيق الشيخ احمد المحمودي ،(قم، مؤسسة الثقافة الاسلامية ، 1415) ، ص381 ؛ ابو عبد الله محمد بن النعمان العكوي البغدادي (الشيخ المفيد) ، الاختصاص ، تصحيح وتعليق علي اكبر الغفاري، (قم ، جماعة المدرسين ، د. ت) ،= =ص185 ؛ مرتضى العسكري، عبد الله بن سبأ ، مصدر سابق ، ج1، ص ص132-138 ؛ابن قتيبة الدينوري، الامامة والسياسة ، مصدر سابق ، ج1 ، ص ص29-30 ؛ مسلم النيسابوري ، صحيح مسلم ، مصدر سابق ، ج5،ص153 ؛ وحول مسالة دفنها ينظر : اليعقوبي ، مصدر سابق ، ج2،ص115؛ ابن عساكر، مصدر سابق ، ج3،ص161.

4 - ينظر : محيي الدين ابو زكريا يحيى النووي ، شرح صحيح مسلم ، ج21 ، (بيروت ، دار الكتاب ، 1987) ، ص 77 ، ويصف الامام بيعته قائلاً : "وبلغ من سرور الناس ببيعتهم اياي ان ابتهج بها الصغير ،وهدج اليها الكبير وتحامل نحوها العليل وحسرت اليها الكاعب " ، بيضون ، مصدر سابق ، ص455 ، وفي نص اخر " وبايعني الناس غير مستكرهين ولا مجبرين بل طائعين مخيرين " ، المصدر السابق ، ص455 . ووصف احد عيون معاوية مقدم الامام للكوفة ، بانه قد ، "فرح الناس بمقدمه فحملوا اليه الصبي الصغير ودعت اليه العجوز وخرجت اليه العروس سرورا به " . الثرقلوي ، مصدر سابق ، ج1، ص309 ، عبد الحميد ، مصدر سابق ، ص476.

-فتح الباب امام مشاركة للمرأة في الجهد العسكري والاعلامي في اثناء حروب الامام [1] .

ج- توعية المرأة سياسياً ، حيث اسهمت مدرسة الامام الفكرية والعلمية بتوعية المراة من الناحية السياسية ، بل ان بعض النساء قد بلغن درجة عالية من النضج السياسي ،فقد واجهن معاوية بمظالمه امتزن بالدقة في تشخيص اخطائه وتلمس الاختلاف والتباين بين خط دولة الامام والخط الاموي [2] ،واعتقد ان ايمان الامام بحق المراة في المشاركة السياسية اظهر لنا انموذج السيدةزينب بنت علي بن ابي طالب ، التي تمكنت من الدفاع عن فلسفة ثورة الحسين بعد استشهاده (ع) ومن ثم القيام بهجوم فكري على قاتليه ادى الى انضاج روح الثورة في الامة الاسلامية سواء على الصعيدين النظري او العملي [3] .

---

1 - حول بعض مواقف النساء في حروبه ينظر : ابن طيفور ، مصدر سابق ، ص ص 33-38 ، ص75.

2 - حول تقييم المراة للواقع السياسي ينظر : المصدر السابق ، ص ص 27-29، ص38 ، ص ص72-75 ؛ البلاذري ، انساب الاشراف ، مصدر سابق ، ص507 .

3 - هنا لاباس من ذكر مقتطفات من خطبةزينب بنت علي للتدليل على مستوى النضج السياسي والفكري الذي بلغته المراة في عهد الامام ، فبعد معركة الطف اتي برأس الحسين ورؤوس اصحابه الى قصر الخلافة فابرز بطست فجعل يزيد بن معاوية ينكث ثناياه بقضيب في يده ،وانشد بضع ابيات يؤكد حقده على الرسالة الاسلامية ومبدأ الثأر من الرسول ، فقالت اليه زينب تسمعه وحشد الحاضرين من قواده وركان دولته : " صدق الله ورسوله يا يزيد (ثم كان عاقبة الذين اساؤوا السوأى ان

كذبوا بايات الله وكانوا بها يستهزئون) – سورة الروم/الآية 10 – اظننت يا يزيد انه حين اخذ علينا باطراف الارض واكناف السماء فاصبحنا نساق كما يساق الاسرى ان بنا هوانا على الله وبك عليه كرامة وان هذا لعظيم خطرك فشمخت بانفك ونظرت في عطفيك جذلان فرحا حين رايت الدنيا مستوثقة لك والامور متسقة عليك وقد امهلت ونسيت قول الله تبارك وتعالى (لا يحسبن الذين كفروا ان ما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين) –سورة ال عمران /الاية 178 –... فكد كيدك واسع سعيك وناصب جهدك فو الله لم تمحوا ذكرنا" ؛ ابن طاووس علي بن موسى الحسني ، اللهوف على قتلى الطفوف ، ترجمة عفيفي بخشاشي ، ط5 ، (قم ، دفتر نشر نويد اسلام ، د. ت) ، ص105 ؛ الميناجي ، مصدر سابق ، ج1، ص396 و ما بعدها ؛ وينظر كذلك ، محمد باقر الحكيم ، دور المرأة في النهضة الحسينية ، (قم ، دار الحكمة ، د. ت) ، مواقع مختلفة .

هـ– قبول الامام لتصدي المرأة للعمل السياسي المباشر وفتح باب الشكوى امام النساء والاستجابة لمطالب المرأة السياسية ،بل ان الامام أقال احد ولاته نتيجة لشكوى تقدمت بها احدى نساء المسلمين [1] . وروي عنه قوله : " امان المرأة جائز اذا هي اعطت القوم الامان " [2]

ولم يوضح التراث الاسلامي الموقف الصريح للامام علي حول تولي المرأة لمنصب الحاكم الاعلى للدولة ، ما عدا بعض المقولات [3] تتشابه مع ما تطرقنا اليه سابقا من ناحية القوة والدلالة ،ولكننا نعتقد ان موقفه (ع) لا يختلف عن التوجه الاسلامي العام الذي لا يحبذ اثقال كاهل المرأة بمهمات الحكم الصعبة [4] .

6 – الحقوق الاجتماعية والقانونية

دعا الامام الى ممارسة المرأة دوراً ايجابياً في بناء وترسيخ العلاقات الانسانية ،ولاسيما في مجال الاسرة ، إذ يروي الامام عن الرسول (صلى الله عليه وآله) رواية جاء فيها بانه " ذكر رسول الله(صلى الله عليه وآله) الجهاد فقالت امراة لرسول الله (صلى الله عليه وآله) : يارسول الله فما للنساء من هذا شيء ؟ فقال : بلى للمراة ما بين حملها الى وضعها الى فطامها من الاجر كمرابط في سبيل الله ،فان هلكت فيما بين ذلك كان لها مثل مرتقلة شهيد " [5] .

---

1 – وحول شكوى المراة تعامل الامام معها ينظر : ابن طيفور ، مصدر سابق ، ص31 ؛ وحول مشاركة المرأة السياسية في عصر الامام ينظر : لجنة الحديث ، سنن الامام علي ، مصدر سابق ، ص101 .

2 – حسن القبانجي ، مصدر سابق ، م4 ، ص357 ؛" قال الامام علي قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : " امان المراة جائز اذا هي اعطت القوم الامان " الهندي ، مصدر سابق ، ج4، ص528

3 – " لا تملك المرأة من امرها ما جاوز نفسها ، فان المراة ريحانة وليست قهرمانة "،والقهرمان هو الذي يحكم في الامور ويتصرف فيها بامره ، الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق، كتاب 31

، ص515 .

4 – فضل الله ، دنيا المراة ، مصدر سابق ، ص168 ؛ وكذلك ،فضل الله .تأملات اسلامية، مصدر سابق ، ص45 .

5 – الصدوق ، من لا يحضره الفقيه ، مصدر سابق ، ج3، ص561 .

والمشاركة الفاعلة للمراة لم يقصرها الامام علي الاسوة فحسب بل دعا الى مساهمتها في تشكيل التجربة الاسلامية إذ يقرر الامام ان للمراة الحق في ممارسة شعائرها والتفاعل مع جوانب الحياة في المسجد قائلاً : " كن النساء يصلين مع النبي (صلى الله عليه وآله)"[1] ،وكان (ع) "يأمر الناس بقيام رمضان ويامر الرجال اماما وللنساء اماما"[2] ، ويقول (ع) : " لا تحبسوا النساء عن الخروج في العيدين فهو عليهن واجب "[3] .

ومن الحقوق التي اوضحها الامام وانطلاقا من العقيدة الاسلامية التي لا تريد ان تسلب انوثة المراة ،وانما تؤطرها في ضمن دائرة العلاقة الزوجية ، فانه (ع) تعامل بشفافية وشعور انساني نبيل وواقعي في الوقت نفسه حين يقر بحق المراة بحياة جنسية طبيعية في اطار علاقتها الزوجية مخالفا بذلك راء بعض الفقهاء الذين يقصرون هذا الحق للرجال فقط[4] بل انه (ع) يصر على تنبيه المجتمع لهذه المسالة[5] ، وبلغ من تفاعل المجتمع مع دعوة الامام وتأثره بها ان شعرت المراة بالثقة والمشروعية للمطالبة بحقوقها في هذا الجانب واستجاب النظام القانوني في دولة الامام فقضى بتطليق الزوج الذي يثبت عجزه الجنسي[6] وشخص الامام الاثار السلبية لتجاهل هذا الحق على

1– الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، مصدر سابق ، ج5، ص413 .

2– ابن عساكر ، مصدر سابق ، ج5 ، ص127 والمبدأ نفسه ولكن بكلمات مختلفة . ينظر : البيهقي ، مصدر سابق، ج2، ص494 ؛ الهيثمي ، مصدر سابق ، ج2، ص94 .

3 – احمد بن محمد مهدي النراقي ، مستند الشيعة في احكام الشريعة ، تحقيق مؤسسة اهل البيت (عليهم السلام) ، ط2 ، (مشهد ، مؤسسة ال البيت ، 1415هـ) ، ص177 .

4 – فضل الله ، دنيا المراة ، مصدر سابق ، ص130 .

5 – حيث ورد عند قوله (ع) : " اذا اراد احدكم ان يأتي زوجته فلا يعجلها ففي النساء حوائج " الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، مصدر سابق ، ج41، ص83 . ويقول (ع) ايضا : " ان احدكم ليأتي اهله فتخرج من تحته فلو اصابت زنجيا تشبثت به فاذا اتى احدكم اهله فليكن بينهما مداعبة فانه اطيب للامر " ؛ النوري ، مصدر سابق، ج2، ص559 .

6 – وردت هذه الاحكام وحوادثها في : المجلسي ، مصدر سابق ، ج1، ص362 ؛ شمس الدين السرخسي ، المبسوط، مصدر سابق ، ج5 ، ص100 ؛ محمد كاظم القزويني ، مصدر سابق ، ج9 ، ص751 ؛ الصلابي ، مصدر سابق، ص354.

(1)

المجتمع حيث قال لاحدهم بعدما شكت زوجته عجزه: " هلكت واهلكت" ، وهذا يدل على تعامل الامام الايجابي مع حقوق المراة ورعايته لشؤونها المختلفة .

أما على صعيد الحقوق القانونية التي اشار اليها الامام (ع) ، فانه يعترف بالشخصية القانونية للمراة ومن ثم يحملها المسؤولية عن أي جريمة او خطأ على وفق الشريعة الاسلامية مثلها مثل الرجل في ذلك ، ويأخذ (ع) بنظر الاعتبار الخصوصية الانثوية في تقويم للعقوبة ، ففي عقوبة النفي مثلاً يرى الامام انه " لا نفي على النساء "[2] وذلك ينم على مراعاة الامام للنساء وادراكه العميق لكيفية التعامل مع المخالفات للشريعة منهن .

7-حق العمل[3]

يشوب عمل المرأة ، خارج اطار المنزل ، في وقتنا الحاضر كثير من الاراء والرؤى المتباينة حول الجوانب السلبية والايجابية لهذا العمل[4] ،ولكن الملاحظ ان الامام علي قد اشار الى حق المراة بالعمل واكتساب قوتها بنفسها مع ان الأحوال الاجتماعية والسياسية والراي العام الذي ساد في البيئة آنذاك كانت غير مؤاتية للنهوض بهذه الدعوة وتفعيلها ايجابيا لخدمة الرسالة الاسلامية، وفتح مساحات جديدة للتاثير بواقع الحياة من خلال اسهام المرأة في العمل المهني .

1- البيهقي ، مصدر سابق ، ج7، ص227 .

2 - النووي ، شرح صحيح مسلم ، مصدر سابق ، ج11 ، ص189 ؛ ابن حجر العسقلاني ، سبل السلام ، مصدر سابق ، ج4 ، ص50 ، حول بعض للاحكام الاخرى ينظر : ابن قدامة ، مصدر سابق ، ج1 ، ص383 .

3 - سنتطرق لاحقا لحق العمل عند الامام علي في المبحث الثالث من هذا الفصل .

4 - فضل الله ، دنيا المرأة ، مصدر سابق ، ص ص112-114 .

وقبل التطرق الى موقف الامام من عمل المرأة لابد من الاشارة الى انه(ع) قد شمل المراة بحق الضمان الاجتماعي[1] ، حيث كان (ع) يقول للسيدة فاطمة الزهراء : "رزقك مضمون، وكفيلك مامون "[2] ونرى من هذه العبارة ما هو اوسع من ما اوجبه الشرع على الزوج من نفقة[3] ، بل هو لبنة اساسية لنظام الضمان الاجتماعي الذي دعا اليه الامام كحق من حقوق الانسان ، ومع ذلك فان الامام قد اثنى وبارك عمل المرأة فعن :" ام الحسن النخعية قالت : مر بي امير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) فقال : أي شيء تصنعين يام الحسن ؟ قالت : اغزل ، فقال : اما انه لاحل الكسب "[4] ، وسئل الامام عن امراة مسلمة تمشط العرائس ليس لها معيشة غير ذلك،وقد دخلها ضيق؟ قال"لاباس"[5] وذلك مما يوضح شرعية عمل المرأة لدى الامام علي.

ان ما تم ذكره من حقوق للمرأة عند الامام علي تدفع الى عدم قبول ما نسب اليه من اقوال تقلل من شأن المرأة وقيمتها الانسانية ، او رفض تفسيرها كما فسرت به ، هذه القيمة العليا التي سعى الامام علي الى ترسيخها بالقول والفعل ايمانا منه

بدور المرأة الفاعل في المجتمع ولاسيما انها الشريك الاساسي في حق تكوين الاسرة وتربية الأطفال وصيانة حقوقهم ، وهذا ما سنتطرق اليه في المبحث الثاني .

---

1 – سنتطرق لاحقا لهذا الحق في المبحث الخامس من هذا الفصل .

2 – المحمودي ، مصدر سابق ، ج1، ص70 .

3 – حول موقف الشريعة من نفقة الزوجة ينظر : محمد بحر العلوم ، مصدر التشريع لنظام الحكم في الاسلام ، ط2، (بيروت ، دار الزهراء ، 1983) ، ص ص58–59 .

4 – الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، مصدر سابق ، ج1، ص236.

5 – الطوسي ، الخلاف ، مصدر سابق ، ج1، ص493

المبحث الثاني

حقوق الاسرة وحقوق الطفولة

ان من اهم الحقوق الاساسية ذات الاثر في الفرد والمجتمع هو حق تكوين الاسرة ، إذ عدها الاسلام اللبنة الاولى في البناء الحضاري للانسان ، فقد " وضع الاسلام اساسا متينا لتكوين الاسرة القوية وشرع لها الضمانات التي تؤدي الى انجاح عملية الزواج والانجاب والتربية حتى تكون الاسرة قادرة على مواجهة عملية التنمية والتغيير " [1] ، كما ان نظرية اهل البيت ، ولاسيما الامام علي(ع) في الاسرة والعلاقة الزوجية فيها خصوصيات وامتيازات تجعلها قادرة على مواجهة معظم المشكلات الاجتماعية ومواكبة التطورات الاجتماعية كذلك [2] . وانسجاما مع النظرة الاسلامية [3] ، فان الامام علياً (ع) عد مسالة الزواج هي المدخل الطبيعي والشرعي لتشكيل الاسرة ،اما المرحلة التالية فهي عملية الحفاظ على هذه الاسرة وصيانتها ، لذلك لابد لنا من التطرق الى مسالة الزواج عند الامام علي .

لقد نظر الامام للزواج كحق اساسي ومهم للانسان ،حيث يتعامل الامام بواقعية وشفافية مع المشكلة الجنسية " فالغريزة هي القوة الحيوية الدافعة التي تتلاشى من دونها الحركة ، أي انها عبارة عن الشرط الداخلي للسلوك الانساني وهي التي تسبغ على الحياة حركتها وتدفقها ... ومن هنا كان موقف الاسلام من الغرائز الانسانية موقفا ايجابيا فلم يحاربها وانما اعترف

---

1 – د. محسن عبد الحميد ، الاسلام والتنمية الاجتماعية ، ط1 ، (بغداد ، دار الانبار ، 1989) ، ص78.

2 – محمد باقر الحكيم ، دور اهل البيت في بناء الجماعة الصالحة ، مصدر سابق ، ج1، ص466 .

3 – مثل قوله تعالى : { يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا

ونساء } سورة النساء / الاية1 . قوله عز وجل : { يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير } سورة الحجرات / الاية 13 .

بها ... ولكن الاسلام اذ يعترف بالغرائز لايدعو الى مادية صماء ... بل يدعو المسلم الى ان يوازن بين الروحي والمادي في حياته"[1] ، وقد كان الامام علي يقول : " اياك وكثرة الولع بالنساء والاغراء باللذات فان الواله بالنساء والمغرى باللذات ممتهن "[2] ، وفي الوقت نفسه فان الامام تعامل مع حق الزواج على وفق خطة سياسية عملية وفاعلة لعلاج هذه المسالة ، اما اهم ابعاد التعامل فهي:

1 -حفظ المنهج الاسلامي والاخلاقي في المجتمع

وقف الامام بحزم وقوة ضد أي عمل يؤدي الى المس بمؤسسة الاسرة ،كونها هي اللبنة ، الاساسية للمجتمع والدولة ، إذ يربط (ع) بين الفساد الاجتماعي والسياسي وهو ما نتلمسه في قوله : " عظمت الطاغية وقلت الداعية وصال الدهر صيال السبع العقور ... وتواخى الناس على الفجور ، وتهاجروا على الدين ... وكان اهل ذلك الزمان ذئابا وسلاطينه سباعا واوساطه اكالا وفقرائه امواتا وغار الصدق ،وفاض الكذب واستعملت المودة باللسان وتشاجر الناس بالقلوب ، وصار الفسوق نسبا والعفاف عجبا"[3] وهنا يوضح الامام ان الفساد الاخلاقي ، داعم للطغيان والاستبداد السياسي ويقدم (ع) المشروع البديل لهذا الواقع مجسداً بما يرويه عن

---

1 - محمد باقر الصدر ،رسالتنا ،ط2 ، (طهران ن مكتبة النجاح ، 1982) ، ص ص82 -83 .

2 - الواسطي ، مصدر سابق ، ص99 . ويوضح الامام النمط الشهواني عند بعض الناس قائلا : " اقبلوا على جيفة قد افتضحوا بأكلها واصطلحوا على حبها ، ومن عشق شيئا اعشى بصره ومرض قلبه فهو ينظر بعين غير صحيحة، ويسمع باذن غير سمعية ،قد خرقت الشهوات عقله واماتت الدنيا قلبه ، وولهت عليها نفسه فهو عبد لها ،ولمن في يديه شيء منها حيثما زالت زال اليها وحيثما اقبلت اقبل عليها ، لا يزجر من الله زاجر ولا يتعظ منه بواعظ " . الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي، مصدر سابق ،خطبة 108 ، ص194 .

3- المصدر السابق ، خطبة 107 ، ص192.

الرسول (صلى الله عليه وآله): "ان دماءكم واموالكم واعراضكم عليكم حرام ... الابالحق "[1] .

وعد الامام عملية النهوض بالمستوى الاخلاقي للمجتمع مسؤولية الجميع وافضا تحميل المراة المسؤولية الاكبر في الانحراف والتحلل الاخلاقي والنظر اليها كمصدر للخطيئة ، إذ ينقل(ع) عن الرسول (صلى الله عليه وآله) قوله : " لا تزوجوا فيذهب الله لذة نسائكم من اجوافكم وعفوا تعف نسائكم "[2] ، ويرسم الامام فكرة امتزاج الاسلام بالاخلاق قائلا : " احسن

(3)

العبادة عفة البطن والفوج " .

ويحارب الامام اية ممارسة غير أخلاقية ، في المجتمع [4] ولاسيما الزنا والاباحية الجنسية، حيث عدها الامام واحدة من اهم عوامل تحطيم الاسوة وتردي المجتمع إذ يقول (ع): "اربعة لا تدخل منهن بيتا إلا خرب ولم يعمر الخيانة والسرقة وشرب الخمر والزنا " [5] ، ولكن مع الحكم على الانسان الزاني على وفق الشريعة الاسلامية ، الا انه (ع) تعامل مع هذه الخطيئة كحالة من الضعف الانساني يجب معالجتها وتجاوزها ، من داخل الانسان وليس عبر العقوبة فحسب فحين "اتى رجل امير المؤمنين (ع) فقال : انى زنيت فطهرني فاعرض علي عنه بوجهه ثم قال له اجلس ، فاقبل على القوم

---

1 – ابو العلا محمد بن عبد الرحمن المباركفوري ، تحفة الاحوذي بشرح جامع الترمذي ، ج8 ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1990) ، ص382 .

2 –رضي الدين ابي نصر الحسن بن فضل الطبرسي ، مكارم الاخلاق ، ط6 ،(د. م ، منشورات الشريف الرضي، 1972) ، ص238 .

3 – الواسطي ، مصدر سابق ، ص119 ؛ الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، مصدر سابق ، ج2 ، ص64.

4 – حول محاربة الامام للممارسات الخاطئة ينظر : ايماني ، مصدر سابق ، ص57 ؛ النوري ، مصدر سابق ، ج15، ص463 .

5 – الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، مصدر سابق ، ج91 ، ص77 ؛ الطوسي ، الاستبصار ، مصدر سابق ، ص141 ؛ وللتطرق إلى سلبيات الزنا على وفق رؤية الامام على الصعيدين الدنيوي والاخروي ينظر : حسن القبانجي ، مصدر سابق ، م9 ، ص362 وما يليها .

فقال : ايعجز احدكم اذا قارف هذه السيئة ان يستر على نفسه كما ستر الله ، فقام الرجل فقال: يا امير المؤمنين اني زنيت فطهرني فقال : وما دعاك الى ما قلت؟ قال : طلب الطهارة ، قال :واي طهارة افضل من التوبة " [1] .

ويعلن الامام ان واحدة من اهم موانع انتشار الرذيلة في المجتمع هو تاكيد حق الانسان بالزواج وانشاء الاسوة حيث يقول (ع) : " لو وجدت مؤمنا على فاحشة لسترته بثوبي " [2] ، ونحن نفهم ان من اهم مقومات عملية الستر هو ترويج من يرغب في ذلك من ابناء الامة في دعامة ثانية نحو تشجيع الزواج في المجتمع.

2 – تشجيع الزواج وديمومته

لقد رفض الامام النظرة الدونية للجنس واعتباره كاحد وجوه الرذيلة ، بل انه (ع) عده في الإطار الشرعي أي الزواج من صفات المتقين حين وصفهم (ع) قائلاً:"سكنوا الدنيا بافضل ما يسكنون.. وتزوجوا بافضل ما يتزوجون ...وهم غدا جيران الله تعالى " [3] .

ويعطي الامام للزواج اهمية قصوى ويعده لإرادة السماء واصلاح الارض حيث يقول(ع): " ان النكاح مما امر الله تعالى به واذن فيه "[4] و"تزوجوا فان التزويج سنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ،فانه كان يقول من يحب ان يتبع سنتي

---

1 – محمد التسترى ، مصدر سابق ، ص20 .

2 – النوري ، مصدر سابق ، ج12 ، ص424 ؛ الريشهري ، ميزان الحكمة ، مصدر سابق ، ج3 ، ص2330 ؛ هادي النجفي ، الف حديث في المؤمن ، (قم ، مؤسسة النشر الاسلامية ، 1416) ، ص204 .

3 – الطوسي ، الامالي ، مصدر سابق ، ص ص26–27 ؛ ويقول الامام (ع) :" ان الحسنة في الدنيا المراة الحسناء وفي الاخرة الحور العين " ؛ القرطبي ، مصدر سابق، ج2، ص432 . وينقل(ع) قول رسول الله (صلى الله عليه وآله) : " من اعطى اربع خصال فقد اعطى خير الدنيا الاخرة وفاز بحظه منهما [ومنها]زوجة صالحة تعينه على امر الدنيا والاخرة" ؛ المجلسي ، مصدر سابق ، ج1، ص238 . ويقول الامام(ع) العيش في ثلاث [منها]زوجة تسرك اذا دخلت عليها " مدير ، مصدر سابق ، ج1 ، ص53 .

4– المحمودي ، مصدر سابق ، ج1، ص23 .

فان سنتي التزويج "[1] ،ويعطي الامام للزواج بعده الاجتماعي والديني الايجابي حيث يقول (ع) : "ركعتان يصليهما المتزوج افضل من سبعين ركعة يصليهما اعزب "[2] .

ويفعل الامام (ع) وصية الرسول (صلى الله عليه وآله) له ولكل قيادات المجتمع التي نصت : " ثلاثة ياعلي لا تؤخرهن الصلاة اذا اتت والجنازة اذا حضرت والايم اذا وجدت كفؤا"[3] ، وذلك عن طريق تشجيع الامام على الزواج وبناء الاسرة من الناحية المعنوية وهو ما يمكن عده طرف المعادلة الاول ، اما الطرف الثاني فهو توفير الجانب المالي واستحضار الاسس المادية لعملية الزواج كونها تحتاج الى هذه المتطلبات على وفق نظرة الامام الواقعية .

ففي سبيل التشجيع في اطاره المادي على الزواج دعا الامام الى تقليل متطلبات الزواج المالية حيث يقول (ع) :" لاتغالوا بمهور النساء فتكون عداوة "[4] ، لقد رفض الإمام المعيار المادي لقياس من يتقدم لخطبة المراة ،وعد الاعتماد على هذا المقياس من بذور تحطم الاسرة مستقبلا ،واعطى الامام القدوة العملية بشأن اقامة الزواج بابسط المتطلبات المادية حيث تزوج السيدة فاطمة بابسط جهاز للعرس وباقل المهور[5] .

---

1 – الحواني ، مصدر سابق ، ص229 .

2 – الكليني ، مصدر سابق ، ج5 ، ص328 ؛ للمزيد ينظر : عبد الهادي تقي الحكيم ، الفتاوي الميسرة (وفق فتاوى سماحة اية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني ، (النجف ، مؤسسة الهادي ، د.ت) ، ص229 .

3 – ابن حنبل ، مسند الامام احمد ، مصدر سابق ، ج1، ص105 ؛ ابو عيسى محمد بن عيسى الترمذي ، سنن الترمذي ، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ، (بيروت ، دار الفكر ، 1403هـ)، ص111 . وفي سبيل تخفيف القيود المعنوية للزواج وفي سبيل التشجيع عليه ان الامام " سئل عن رجل ينظر الى محاسن امراة يريد ان يتزوجها قال : لاباس " .علي بن الحسين الكركي ، جامع المقاصد في شرح القواعد ، ج21 ، (قم ، مؤسسة ال بيت لاحياء التراث ، 1408هـ) ، ص28 .

4– الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، مصدر سابق ، ج51 ، ص11 .

5 – محمد كاظم القزويني ، مصدر سابق ، ج9 ، ص529 ؛ ابو بشر محمد بن احمد الدولابي ، الذرية الطاهرة النبوية ، تحقيق سعد المبارك الحسن ، (الكويت ، الدار السلفية ، 1407هـ) ، ص63 ، الطبراني ، المعجم الكبير ، مصدر سابق ، ج42 ، ص37 .وذكر لما زفت فاطمة الى علي بن ابي طالب : " لم تجد في بيته الا رملا مبسوطا ووسادة حشوة ليف وكوز " .

ويحمل الامام الدولة والحكومة مسؤولية ترويج افراد المجتمع نساء ورجالاً ، حيث عد الامام الزواج هو النوع الاقوى ضد الانحرافات في المجتمع ، إذ روي انه (ع) كان جالسا في اصحابه فمرت بهم امراة جميلة فرمقها القوم بابصارهم فقال(ع) :" اذ نظر احدكم الى امراة تعجبه فليلامس اهله فانما هي امرأة كامرأة"[1] ،أي ان النصيحة والوعظ تأتي اكلها مع سد مجال النقص والحاجة في الانسان ، اما مع صعوبة او استحالة الزواج في المجتمع فليس هذا الامر الايجابي المرجو لتلك النصيحة والدعوة للاخلاق الفاضلة .

ويستمر الامام في تقويم الاداء الحكومي ويعد الامام ان الحاكم الافضل هو ذلك الذي يهيئ اجواء تيسير الزواج إذ يقول (ع) : " افضل الشفاعات ان تشفع بين اثنين في نكاح حتى يجمع الله بينهما "[2] واذا كانت الشفاعة الفردية هي استخدام النفوذ المعنوي لتحقيق هدف الزواج ،فان الفهم الاوسع هو اتخاذ السلطة الحاكمة والقادة الدينيون ورجال الاقتصاد متكاتفين للقرارات الحكيمة لتيسير سبل انجاز هذا الهدف، ومما يعزز ماذهبنا اليه حول تاكيد الامام مسؤولية الحكومة والقوى الاجتماعية في ضمان حق الزواج لابناء المجتمع ما ورد في سيرته(ع) بأنه كان قد زوج ذوي فاقة من بيت المال فقد اتي الى الامام " برجل عبث بذكره فضرب يده حتى احمرت

---

1 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق، حكمة 412 ، ص692 .

2– الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، مصدر سابق ، ج2، ص323 .

ثم زوجه من بيت المال "[1] ، بل ان الامام وتأكيدا على هذا الحق ذكر في وصيته ان يكون جزءاً من وقفه لتيسير سبل الزواج ، معطيا نموذجاً عملياً لما دعى اليه من تشجيع الزواج ، اذ ورد عن الامام: " انه اوقف ارضه ان ينكح بها الايم ويفك الغارم ،فلا تباع ولا تشترى ولا توهب حتى يرثها الله الذي يرث الارض ومن عليها "[2] .

[3]

ان تشجيع الامام للزواج ورفضه (ع) لفلسفة العزوبية والتبتل ، وتهيأة المتطلبات المادية للزواج والمساعدة فيه يمكن عده الخطوة الاولى لسعيه (ع) لصيانة الاسوة ، أما المرحلة الثانية فيمكن القول ان الامام (ع) بذل قصارى جهده لديمومة واستمرار هذا الوجود وهذه المؤسسة ولعل اولى عوامل نجاح مشروع الزواج يحددها الامام بعقلانية لاختيار وتوفر صفات الزوجة الصالحة ،والتي رسم (ع) ملامحها قائلاً " ودودا ولودا شكورا قنوعا ... ان احسن شكرت وان اسأ غفرت وان ذكر الله تعالى اعانت وان نسي ذكرت وان خرج من عندها حفظت ،وان دخل عليها سرت "[4] . ناهيك عن ان هذه مواصفات تعكس على الزوج الصالح كذلك .

ويوصي الامام ، لمرحلة ما بعد الزواج ، بحسن المعاملة فيخاطب الرجال قائلا : "ان النساء عندكم عوان .اخذتموهن بامانة الله واستحللتم

---

1 – محمد التستري ، قضاء الامام علي ، مصدر سابق، ص171 ؛ ابن المطهر الحلي ، مصدر سابق ، ص499 .

2 – البلاذري ، انساب الاشراف ، مصدر سابق ، ص198 .

3 – كان علي (ع) " يتعوذ من عوار الايم " الصدوق ، من لايحضره الفقيه ، مصدر سابق ، ج3،ص181 . وسالت امراة احد فقهاء المسلمين فقالت : " اصلحك الله اني متبتلة ،قال لها : وما التبتل عندك ؟ قالت : لا اريد التزويج ابدا ،قال :ولم ؟ قالت : التمس في ذلك الفضل ، فقال : انصرفي فلو كان في ذلك فضل لكانت فاطمة(ع) احق به منك " أي ان زواج الامام اعطى وسائل الدفاع لكل من ينحرف عن الشريعة والطبيعة في دعواه او سلوكه . الطوسي ، الامالي ، مصدر سابق ، ص370 .

4– المجلسي ، مصدر سابق ، ج1، ص268 .

فزوجهن بكلمات الله فلكم عليهن حق ولهن عليكم حق "[1] ، ويامر باحترام الزوجة واعطائها كامل حقوقها ،ولاسيما الحقوق المالية منها إذ يقول (ع) : " من اقذر الذنوب حبس مهر المرأة "[2] ، و" من شرط لأمرأته شرطا فليف لها به فان المسلمين عند شروطهم الا شرطا حرم حلالا او احل حراما "[3] ، هذا فضلاً عن تاكيده (ع) حق النفقة اللائقة والمسامحة والغفران التي الزم بها الزوج ازاء زوجته[4] .

ولعل اظهار الحب للزوجة هو حق لها لتستمر مسيرة الحياة ، ولقد كان الامام يفخر بحبه للسيدة فاطمة (ع)[5] ، حتى انه وصف حاله بعد وفاتها بالقول :" اما حزني فسرمد واما ليلي فمسهد "[6] . ولم يغب عن توجه الامام ان يخاطب المراة معززا دورها الجهادي بتحمل اعباء صيانة الحياة الزوجية وديمومتها إذ يقول(ع) :" حسن التبعل جهاد المرأة "[7] ، ان تأكيد الامام الزواج وديمومته[8] والنظر اليه كحق يمكن ان يعد علاجاً لمشاكل المجتمع في هذا المجال .

ان تأكيد الامام مسالة الزواج يعد الشق الاول من حق الاسوة الذي نحن بصدده ، اما الشق الثاني فهو صيانة وحماية هذه

الاسوة ، إذ نظر الامام الى

1- المصدر السابق ، ج2، ص281 .

2 - الويشهوي ، ميزان الحكمة ، مصدر سابق ، ج2، ص989 ، وحول إراء الامام باداب الزواج وحقوق الزوجة، ينظر : حسن القبانجي ، مصدر سابق ، م5 ، ص ص 9-80.

3 - ابو يوسف البحراني ، الحدائق الناضرة ، مصدر سابق ، ج19، ص32 ؛الحر العاملي ، الفصول المهمة في معرفة الائمة ، مصدر سابق ، ج1، ص67.

4 - محمد بحر العلوم ، مصدر التشريع لنظام الحكم في الاسلام ، مصدر سابق ، ص ص58-59 .

5- المجلسي ، مصدر سابق ، ج10، ص87 .

6 - الشريف الرضي (الجامع) ،نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي،مصدر سابق ، خطبة 202 ،ص ص402-403 وعن الامام علي قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) خيركم خيركم لاهله وانا خيركم لاهلي ما اكرم النساء الا كريم وما اهانهن الا لئيم " ابن عساكر ، مصدر سابق ، ج31 ، ص312 .

7 - الكليني ، مصدر سابق ، ج5 ، ص9 ، الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، شرح محمد عبدة ، مصدر سابق ، ج4 ، ص34 .

8 - وليس بعيد عن تاكيد الامام بشأن ديمومة الزواج تشدده (ع) بشروط الطلاق ، إذ قال": لمن ساله عن الطلاق: استشهدت رجلين عدلين كما امر الله عن وجل ؟ قال : لا ، قال اذهب فليس طلاقك بطلاق " سيد سابق، مصدر سابق ، ج2 ، ص258 .

ان تماسك الاسوة هو الاساس لانشاء مجتمع قوي ومتجانس ، ويدعو الامام الى التعامل الانساني في اطار الاسوة رافضاً أي اضطهاد لها إذ يروى (ع) عن الرسول (صلى الله عليه وآله) قوله : " ان الرجل ليكتب جباراً وما يملك الا اهل بيته"[1] وكان الامام يأمر الفرد في ان "لايجحف بالعيال "[2] ، ويوصي (ع) : " لا يكن اهلك اشقى الخلق بك"[3] ، بل انه (ع) جعل من رب الاسوة حاميا وخادما لها إذ يقول(ع): "لا ينقص الرجل من كماله ما حمل من شيء الى عياله "[4] ، ويحمل الامام رب الاسوة مسؤولية العناية المادية والمعنوية لافراد اسوته اذ يقول (ع) :" كفى بالمرء اثما ان يضيع من يقوت"[5] .

ووقف الامام بالضد من أي شيء يضر بالاسوة ، حتى ان إرتدى هذا الشيء رداء الدين، حيث اشتكى احدهم عند الامام اخاه بسبب انه كان قد "لبس العباءة وتخلى عن الدنيا. قال : عليَّ به فلما جاء قال : ياعدي نفسه ! لقد استهام بك الخبيث ! اما رحمت اهلك وولدك "[6] .

واستناداً الى ما يكنه الامام من احترام واهتمام بمؤسسة الاسوة فانه ينطلق نحو تعزيز شتئ انواع العلاقات الاسوية ،

ولاسيما بين الوالدين وابنائهما والعكس كذلك ، حيث يقول (ع) : "ليس لولدولا والد حق في

1- الهيثمي ، مصدر سابق ، ج8، ص24 .

2 - النوري ، مصدر سابق ، ج61 ، ص240 .

3 - الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، كتاب 31 ، ص513 .

4- المجلسي ، مصدر سابق ، ج7، ص207 . واعطى الامام المثل العملي للمساعدة في شؤون المنزل حيث كان يستسقي ويكنس وكانت فاطمة تطحن وتعجن وتخبز ، ينظر : المصدر السابق ، ج14 ، ص54 . ويقول (ع) : " ان من اشترى لعياله لحما بدوهم كان كمن اعتق نسمة من ولدا اسماعيل " ، المصدر السابق، ج57، ص32.

5 - النوري ، مصدر سابق ، ج51 ، ص256 . يقول (ع) : " عليك بلزوم الحلال وحسن البر بالعيال وذكره الله في كل حال " الواسطي ، مصدر سابق ، ص334 .

6 - الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، خطبة 209 ، ص408 .

صدقة مفروضة ،ومن كان له ولد او والد فلم يصله فهو عاق "[1] ، وللوالدين مكانة مهمة عند الامام ويعدهما اساس الاسوة الصالحة إذ يقول :" مودة الاباء قرابة بين الابناء "[2] ويمكننا الفهم من هذه الحكمة ان اشاعة روح المحبة هي سبيل توطيد دعائم الاسوة والحفاظ عليها ، ويسمو الامام بالوالدين ومكانتهما حتى انه يقول :" لعن الله ولدا عق والديه ثلاثا"[3] ، وان عقوق الوالدين تعد من الكبائر عند الامام علي[4] ، ويفوض الامام على الابناء من الناحية الشرعية والقانونية ، لاسيما مع حالة التمكن ، وتحمل الاعباء المادية لاعالة الوالدين ، بل انه (ع) يخلق تداخلاً مشروعاً بين ملكية الابن وحاجة الاب معطيا الاولوية للثانية على الاولى، فحين سُأل (ع) " عن الرجل يحتاج الى مال ابنه ؟ قال: يأكل منه ما شاء بغير سرف - وفي احد كتب الامام - ان الولد لا يأخذ من مال والده شيئا الا باذنه ،والوالد ياخذ من مال ابنه ما شاء "[5] .

وينطلق الامام من احترام وحب الابوين الى دائرة اوسع أي العائلة الكبيرة والعشيرة حتى يصل الى النظرة الانسانية التي لمسناها في الفصل الثاني ، ويؤكد الامام مفهوم صلة الرحم ويصف فوائدها بانها :" مثراة في المال ومنسأة في الاجل"[6] .

ويصف الامام سمات الحالة الجاهلية بأن

1- البيهقي ، مصدر سابق ، ج7، ص28 .

2- بيضون ، مصدر سابق ، ص643 .

3 - جعفر الحلي ، المختصر النافع في فقه الامامية ، (طهران ، مؤسسة البعثة ، 1410هـ)، ص35 .حتى انه يقول: " من احزن والديه فقد عقهما " الحراني ، مصدر سابق، ص111 .

4 – الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، مصدر سابق ، ج11، ص254 ؛الصدوق ، علل الشرائع ، مصدر سابق ، ج2، ص475 .

5 – ابو يوسف البحراني ، مصدر سابق ، ج41 ، ص111 ،

6– بيضون ، مصدر سابق ، ص648 ؛وحول حث الامام على صلة الرحم . ينظر : حسن القبانجي ، مصدر سابق، م10 ، ص ص152–163 .

"الارحام المقطوعة والغرات مشنونة"[1] ، ويدعو لحالة من التكافل بين هذه الحلقة في المجتمع قائلا: " من اتاه الله مالا فليصل به القرابة"[2] وينصح الامام ابناء الامة ، عن طريق قوله للامام الحسن : " اكرم عشيرك فانهم جناحك الذي به تطير واصلك الذي اليه تصير ، ويدك التي بها تصول "[3] ، ويقول (ع) في اظهار الاحترام لكبار السن والرحمة بصغار السن إذ يقول (ع) : " ليتاس صغيركم بكبيركم ولرأف كبيركم بصغيركم ولاتكونوا كجفاة الجاهلية"[4] ، ولعل قوله (ع) يطلب الرأفة للاطفال هو المدخل الافضل لاستعراض حق اخر في منظومة الحقوق عند الامام علي الا وهو حق التربية والرعاية للاطفال ، ولاسيما انهم جزء مهم من الاسرة، بل والحياة برمتها .

لقد شغلت (مرحلة الطفولة) حيزاً مهماً في الشريعة الاسلامية ، سواء في القران الكريم[5] ام السنة النبوية[6] . ولقد اخذ الامام علي (ع) على عاتقه تعزيز حقوق الطفل ايمانا منه باهمية هذه المرحلة في حياة الانسان التي تتشكل فيها معالم الشخصية فهو يخضع لانماط سلوك وعادات وخبرات تعيش في عمق شخصيته وتساهم في بنائها وصياغتها مستقبلا ، إذ اشار (ع) الى تأثر الانسان العميق في هذه المرحلة وذلك من خلال تجربته الشخصية اذ يقول (ع):" وقد علمتم موضعي من رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة ، وضعني في حجره وانا وليد يضمني الى صدره

---

1 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ،خطبة 192،ص372 .

2– بيضون ، مصدر سابق ، ص648 .

3– المصدر السابق ، ص648 .

4– المصدر السابق ، ص648 .

5 – قوله تعالى " او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء"، سورة النور / الاية 13.

6 – ينظر : محمد بن ابي بكر بن قيم الجوزية ، تحفة الودود بأحكام المولود ، ج1 ، (دمشق ، مكتبة دار البيان ، 1971) ، ص ص224 – 229 ، ومواقع مختلفة .

ويكنفني في فراشه ... ولقد كنت اتبعه اتباع الفصيل[1] اثر امه يرفع لي في كل يوم علما من اخلاقه ويأمرني بالاقتداء به "[2] . وتبرز اهمية مرحلة الطفولة وتاثيرها المستقبلي على الانسان والمجتمع وفق رؤيته (ع) إذ يقول (ع) :"انما قلب الحدث كالارض الخالية مهما القي فيها من شيء قبلته "[3] .

ويمكننا تحديد مرحلة الطفولة عند الامام من خلال كلامه حول التطور الذهني والجسدي للانسان إذ يقول (ع) ان الانسان " يثغر في سبع سنين ويحتلم في اربع عشرة سنة ، يستكمل طوله في اربع وعشرين ،فما كان بعد ذلك فانما هو بالتجارب"[4] .

اذاً فمرحلة الطفولة تبدأ من تكون الانسان في رحم امه[5] الى ما قبل الخامسة عشرة من العمر ، مع مراعاة الفرق بين الذكور والاناث[6] ، ويقول (ع) :" ولدك ريحانتك سبعا وخادمك سبعا ،ثم هو عدوك او صديقك "[7] . ونحن نميل الى فهم هذه الكلمة باطار اوسع من محيط العائلة الضيق الى دائرة المجتمع الرحب الذي دعاه الامام للتعامل مع الاطفال باسلوب وماهية

1- ولد الناقة .

2 - الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، خطبة 192 ، ص376.

3 - الواسطي ، مصدر سابق ، ص179 ؛ الريشهري ، ميزان الحكمة،مصدر سابق ، ج3 ، ص1400 .

4 - لجنة الحديث في معهد باقر العلوم ، كلمات الامام الحسين ، ط3 ،(قم ، دار المعروف ، 1416هـ) ، ص111.

5- مدير ، مصدر سابق ، ج2، ص537 .

6 - حيث ان سن التكليف يتباين في الشريعة الاسلامية إذ يعد عمر 9 سنوات هو سن التكليف عند الاناث فان و15سنة هو سن التكليف للذكور.ينظر :عبد الهادي الحكيم ، مصدر سابق ، ص ص12-23 .

7 - حيث يقول (ع) عن هذه المرحلة في نظرته للانسان قائلاً : " هذا الذي انشاه في ظلمات الارحام وشغف الاستار نطفة دهاقا وعلقة محاقا وجنيناً رضاعا ووليدا يافعا ثم منحه قلبا حافظا ولسانا لافظا وبصرا لاحظا ليفهم معتبرا " . بيضون ، مصدر سابق ، ص671 .

خاصة تقوم على احترام حقوقهم الاساسية ليكونوا عناصر فاعلة وايجابية في اسرهم ومجتمعاتهم ، ولعل اهم تلك الحقوق فهي :

أولاً : الحفاظ على حياة الطفل

ان من الحقوق الاساسية لمرحلة الطفولة عند الامام علي هو احترام حياة الاطفال واحاطة الكيان المادي الرقيق لهم بحواجز من الحماية ، فضلاً عما ذكرناه تقديس الامام لحياة الانسان ، فانه(ع) يولي الاهمية ذاتها لحماية حياة الاطفال ، فمن الناحية القانونية حدد الامام دية الجنين على وفق مراحل تكوينه المختلفة اذ يقول (ع) :" في النطفة عشرون ديناراً وفي العلقة

اربعون ديناراً وفي المضغة ستون ديناراً وفي العظم قبل ان يسوي خلقا ثمانون دينارا وفي الصورة قبل ان تلجها الروح مائة دينار واذ ولجتها الروح كان فيه الف دينار " [1][2] .

اما من الناحية السياسية ،وكدليل على احترام الامام لحياة الاطفال فانه (ع) يلزم حتى الحكام بدفع ثمن اخطائهم اذا ما اودى ذلك الخطأ بحياة الجنين كما كان موقفه في قضية الخليفة الثاني [3] ، ومن فهمنا لهذا الموقف نجد ان الامام دعا لمحاسبة الحكام على عدم مبالاتهم بالاطفال وعدم النظر اليهم بعين الاعتبار .

لقد بلغ من اهتمام الامام بحياة الطفل ان دعا الى توفير الغذاء الجيد والمتوازن للطفل سابقا في ذلك العلم الحديث الذي يقول ان " للغذاء تاثيراً في الجسم والروح على حد سواء ، حيث انه مؤثر في ايجاد الخصائص الجسمية

---

1 – الالف دينار يعادل ثلاث الاف ومائتين وخمسين غراما تقريبيا من الذهب الخالص . صادق الشيرازي ، مصدر سابق ، ص31.

2– المجلسي ، مصدر سابق ، ج4، ص266 .

3 – حين استدعى الخليفة احدى النساء الحوامل فتملكها الخوف واسقط جنينها، لذا طالب الامام الخليفة الثاني بأن يأد الجنين، للمزيد حول هذه الحادثة ينظر : الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، مصدر سابق ، ج29 ، ص 267–268 ، النوري ، مصدر سابق ، ج18 ، ص327 ، المتقي الهندي ، مصدر سابق ، ج15 ، ص121 ؛ الجندي ، مصدر سابق ، ص25 وما بعدها .

كالنمو والجمال ... الخ كذلك في خلق الصفات النفسية والاخلاقية ، كالرذائل والفضائل ايضا" [1] ،ويقول الامام (ع) :" مامن لبن يرضع به الصبي اعظم بركة عليه من لبن امه" [2] . يبدو ان الامام اشار الى البركة تاكيدا منه على الجانب المعنوي فضلاً عن الجانب المادي لضمان صحة الطفل [3] ، وكذلك هي دعوة لضمان الامن الغذائي للاطفال واختيار الافضل لهم حيث يقول (ع) :" انظروا من يرضع لاولادكم فان الولد يشب عليه" [4] .

ان الحفاظ على حياة الاطفال هو مسؤولية الدولة والمجتمع والاسوة على حد سواء كونه صورة المستقبل واداته إذ يقول (ع) :" موت الولد قاصمة الظهر " [5] ، ومهمة الحفاظ على الكيان المادي للطفل على الرغم من حيوتها الا انها جزء من سلسلة الحقوق التي تكون الحقوق المعنوية الحلقة الثانية منها .

ثانياً : الحقوق المعنوية

نظر الامام علي للطفل ككتلة مشاعر واحاسيس يجب صيانتها واحاطتها ببيئة صالحة لتزدهر وتنمو حتى تترسخ قواعد الشخصية السوية ، حيث يقول (ع) عن الطفل : " ذو نية سليمة ونفس صافية " [6] .

ومن الحقوق المعنوية الرئيسة التي دعا الامام الى تحقيقها في المجتمع هو حق الامن للاطفال حيث يقول (ع) :"من اخاف [7]

طفلا فهو ضامن " ،بل

1 – د. علي القائمي ، الاسوة ومتطلبات الاطفال، ترجمة البيان للترجمة ،(بيروت ، دار النبلاء ، 1996) ، ص68.

2– بيضون ، مصدر سابق ، ص794 .

3 – تذهب" العلوم الطبية الصحيحة ان حليب الام هو افضل غذاء طبيعي للطفل وسبب لوقايته من الامراض ..وانها تشمل الجوانب العاطفية والنفسية ايضا وعندما يرقد الطفل في احضان والدته ويرضع حليبها يشعر ولا بالسكينة والامان وثانيا تتسبب العلائق والوشائج العاطفية فيما بينهما " د. القائمي ، مصدر سابق ، ص69 .

4– بيضون ، مصدر سابق ، ص794 .

5 – الواسطي ، مصدر سابق ، ص487 .

6– بيضون ، مصدر سابق ، ص673 .

7– الصلابي ، مصدر سابق ، ص370.

ان الامام فوض ومارس تعويضاً على اخافة الاطفال على وفق ما ذكرناه سابقا في نظام التعويضات الذي اسسه الامام في عهد الرسول (صلى الله عليه وآله) حيث كان جزءاً من تلك التعويضات هو لـ"وع صبيانهم"[1] . ان فقدان الامن عند الطفل يترك اثراً سلبية حيث يسلب الطفل القدرة على الانسجام مع المجتمع ويخلق له الاحقاد والعداوة في علاقاته الاجتماعية[2] .

اما المحور الثاني في الكيان المعنوي للطفل ، فهو ما يمكننا ان نطلق عليه (حق الحب) الذي يجب ان يمنح للطفل داخل اسرته حيث يقول (ع) :" من قبل ولده كان له حسنة ومن فرحه فرحه الله يوم القيامة "[3] ،وانه بالحب والمحبة يتم زرع الاحساس في الطفل الباحث " لا شعوريا عن الطمانينة والامن ، وبانه موضع المحبة والرعاية من قبل ابيه وامه بما تمثله القبلة والضمة واللفتة من معنى الاحتضان الروحي الذي يملؤه بالدفء والحرارة العاطفية والاحساس بالامان والفرح مما يترك تاثيره على نفسيته في المستقبل "[4] ، اما ما ذكره الامام بضرورة ادخال السعادة على الاطفال فانه دعوة للاهتمام بهذا الجانب من قبل ثالوث(الحكومة والمجتمع والاسرة) بشان كل ما يدخل البهجة الى نفس الطفل ، ويعطي الامام في تعامله الابوي مع اولاده مثالاً واضحاً في اظهار حبه لهم ، حيث يقول في رسالته الى ولده الحسن " من الوالد الفان ... الى المولود المؤمل ... وجدتك بعضي بل

1 – صادق الشيرازي ، مصدر سابق ، ص32 . اما اصل الرواية التاريخية فقد ذكرناها سابقا حيث "بعث رسول الله (صلى الله عليه وآله) خالد بن الوليد مع جماعة من المسلمين في مهمة الدعوة الى الاسلام الى بني جذيمة .. ولم يامرهم بقتال ، فاوقع بهم خالد، وقتل منهم جماعة لثره كانت بينه وبينهم ، فبلغ الخبر رسول الله فبكى ... ثم دعا النبي علي بن ابي طالب

فدفع اليه (صندقا) من الذهب وامره ان يذهب الى بني جذيمة ويدفع اليهم ديات الوقاب وما ذهب من اموالهم "، المصدر السابق ، ص ص31 – 33 .

2– قائمي ، مصدر سابق ، ص283 .

3– المجلسي ، مصدر سابق ، ج101 ، ص44 .

4– محمد حسين فضل الله ، دنيا الطفل ، ط2 ،(بيروت ، دار الملاك ، 2002) ، ص96.

وجدتك كلي ، حتى كان شيئا لو اصابك اصابني وكان الموت لو اتاك اتاني فعنا لي من امرك ما يعنيني من امر نفسي "[1] .

ودعا الامام الى استشعار الوحمة والوافة والاهتمام والاحترام للاطفال حيث يقول (ع) : " لوأف كبيركم بصغيركم ولاتكونوا كجفاة الجاهلية "[2] ويعطي الامام في سيرته العملية تطبيقياً حياً للدعوة الى الوحمة والاهتمام بالاطفال، بل واحترامهم فـ" الطفل بحاجة الى ان يحترم ويقدر ويعد هذا الامر من الاسباب الرئيسة للنمو وعاملا مهما لبناء الشخصية "[3] .

لذا فاننا نرى الامام حين دخل البصرة ، كما يقول الحسن البصري ، " مر بي وانا اتوضا فقال : يا غلام احسن وضوئك يحسن الله اليك ، ثم جاءني فاقبلت اقوا اثره فحانت منه التفاتة ، فنظر الي فقال : ياغلام الك حاجة؟ قلت : نعم علمني كلاما ينفعني الله به. فقال : يا غلام من صدق الله نجا ومن اشفق على دينه سلم من الردى ومن زهد في الدنيا قرت عينه بما يرى من ثواب الله عز وجل ...وعليك بالصدق في جميع امورك فان الله تعبدك وجميع خلقه بالصدق "[4] .

ويذهب السيد فضل الله الى ان قول الامام (ع): " من وعظ اخاه سرا فقد زانه ومن وعظ اخاه علانية فقد شانه"[5] الى انها تؤكد ، في جملة ما تؤكده ، على كرامة الطفل وذلك برفض ان ان ينتقد الانسان انسانا اخر امام شخص ثالث يعني ان يقدمه الى الاخر كفرد ناقص الاخلاق او العلم او

---

1 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، كتاب 31، ص ص 496–497 .

2– المصدر السابق ، خطبة 66، ص96 .

3– د. قائمي ، مصدر سابق ، ص191.

4– المجلسي ، مصدر سابق ، ج47 ، ص422 .

5–المصدر السابق ، ج71 ، ص166 ؛ الكراجي ، مصدر سابق ، ص34 .

الحكمة او العقل وما الى ذلك الامر الذي ينتقص من شعور الاخر بالكرامة ويخلق لديه مشاعر الالم والحزن والضعف وهو امر غير جائز بالنسبة للصغار والكبار فالاطفال لا يفترقون عن الكبار في ذلك لان هذا الامر يتصل باحساس الانسان

بالكرامة التي يدمر الانتقاص منها احترام الانسان لنفسه . ان هذه الحقوق المعنوية ستتعزز اكثر وتتجلى في الحق الذي اقره الامام للطفولة الا وهو حق التربية .

ثالثاً : حق التربية

يعد حق التربية من الحقوق الاساسية التي اشار اليها الامام علي (ع) فالتربية تأتي عنده(ع) انطلاقاً من الرؤية الاسلامية فهي وسيلة " من وسائل بناء الشخصية الانسانية لتحقيق اهداف الانسان الكبرى في اطار الفهم الاسلامي ،واعداد المسلم لتحقيق كل الاهداف الاسلامية التي وضعت بين يدي الانسان ،سواء على مستوى انفتاحه على الله ام انفتاحه على الناس ام على نفسه ... بالعبادة والمعرفة ، ان هدف التربية اعداد الانسان المسؤول عن الكون والحياة في علاقته بالله وبالانسان وبالحياة "[2] .

يلقي الامام على الاسرة مسؤولية التربية كونها اول محيط يحتضن الطفل ويروى عن الامام(ع) قوله : "رحم الله والداً اعان ولده على بره "[3] ، ويقول ايضاً (ع) :" حق الولد على الوالد ان يحسن اسمه ويحسن ادبه ويعلمه القرآن "[4] .

اذن يحدد الامام عملية التربية بثلاث مراحل هي : مرحلة ما بعد الولادة ، حيث يشكل اختيار الاسم محوراً مهماً لما يتركه من اثر في نفسية المسمى

---

1 – فضل الله ، دنيا المرأة ، مصدر سابق ، ص104 . ويروي الامام (ع) عن الرسول (صلى الله عليه وآله) قوله: اذا واعد احدكم صبيه فلينجز " ، النوري ، مصدر سابق،ج51 ، ص170 .

2– فضل الله ، دنيا الطفل ، مصدر سابق ، ص39 .

3– حسن القبانجي ، مصدر سابق ، م10 ، ص236 .

4– بيضون ، مصدر سابق ، ص741 .

وانطلاقته في المجتمع ، مما يوفر عنصر دعم في المرحلة الثانية ترتكز فيه التربية بتحسين ادبه وتقويمه ليكون عنصرا ايجابيا وفاعلا ، ومن ثم تعليمه القرآن ، الذي تطرقنا الى اهميته عند الامام سابقا ، لما يضم بين دفتيه من فلسفة وقيم مهمة لفهم الحياة ودور الانسان فيها مما ينبغي ان يستوعبها كل مسلم ويستفيد منها كل انسان.

ويحفز الامام الوالدين ،والمؤسسات التربوية الاخرى لجعل القرآن الكريم المدرسة الاولى التي ينهل منها الطفل حيث يقول (ع) عن الطفل "وان علمه القرآن دعي الابوان فكسيا حلتين يضيء نورهما وجوه اهل الجنة "[1] . ويعزز الامام دعوته بحق الطفل بتربية صحيحة بالاستناد الى قوله تعالى :{قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة }[2] ، حيث يفسره (ع) بقوله: "علموهم ادبوهم "[3] .

اما البعد الاخر في مبادئ التربية التي دعا اليها الامام علي فهو تاكيده عامل التطور والتغير كجزء من طبيعة الحياة [4]

وانعكاس ذلك على آلية التربية إذ يقول (ع) :" لا تقسروا اولادكم على ادابكم فانهم مخلوقون لزمان غير زمانكم" ، فالامام " لايؤمن بالاقتصار على التطبع بتراث السلف ومسايرته وتقليد الابناء للاباء في عرفهم وعاداتهم بل راى ان التطور لايسير الا بتباين المعرفة، وبتغير العادات ... ويطلب الامام اعداد الابناء لزمنهم حتى يكون كفوء للاستجابة لتحدياته ومتطلباته ويقاس الانسان بتطوره ومن يتخلف يسبقه الركب الانساني"[5] .

1- المجلسي ، مصدر سابق ، ج101 ، ص44 .

2 - سورة التحريم /الاية 6 .

3 - محمد الطوي ، جامع البيان ، مصدر سابق ، ج82 ، ص211 ؛ ابن قدامة ، مصدر سابق، ج8، ص164 .

4- ابن ابي الحديد ، مصدر سابق ، ج20 ، ص267 ؛ مدير ، مصدر سابق ، ج2 ، ص327 .

5- محبوبة ، مصدر سابق ، ص226 .

والبعد الثالث بالنسبة للتربية الصالحة عند الامام نجده في قوله(ع) :" علموا صبيانكم من علمنا ما ينفعهم الله به لئلا تغلب عليهم المرجئة ورأيها "[1] . ويذهب (ع) نحو الاستناد لحكم العلم والعقل في رسم ملامح ما يغنى به الانسان في اثناء تلقيه التربية ولاسيما العلوم النافعة ، ويدعو الى فتح باب الحوار كاسلوب امثل للتربية حيث تبادل الاراء والاسئلة والنقاش بروح منفتحة وصبر واستخدام لغة واضحة وجواة موضوعية في عرض افكار المدارس الاخرى، حيث ان الامام يتطرق الى مدرسة المرجئة الفكرية[2] كمقابل لمدرسة اهل البيت ومن ثم فهي دعوة لعرض اراء المخالفين حتى لا يكون هناك جمود فكري ، وتنوع واثراء للعقل الانساني حتى بالنسبة لمراحل الانسان الاولى .

ويرفض الامام اسلوب العنف والتوبيخ كاحدى آليات التربية إذ يقول (ع) : "ان العاقل يتعظ بالادب والبهائم لاتتعض الا بالضرب "[3] ، بل يؤكد الامام لمجموعة من الاطفال - مبينا لهم حقوقهم - قائلا : "ابلغوا معلمكم ان ضربكم فوق ثلاث ضربات في الادب اقتص منه "[4] ، ويعلق محمد حسين فضل الله على هذه المقولة بتحديد ملامح استخدام العنف في التربية قائلا : " انه ليس - للمعلم والمربي مهما كانت صفته - ان يبتعد عن التوازن في التاديب ويكون ذكر الضربات الثلاث من باب المثل لا من باب التحديد ...والضرب مرفوض كأسلوب للتعامل مع الطفل حيث يولد لديه احساسا بالقهر

1- الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، مصدر سابق ، ج51 ، ص197 .

2 - حول اراء هذه الفرقة ينظر مثلا : ابو الفتح الشهرستاني ، مصدر سابق ، ج1،ص186 وبعدها ؛ البغدادي ، الفرق بين الفرق ، مصدر سابق ، ص ص202-205 ؛ خليل اواهيم الكبيسي ،المرجئة نشاتها وعقائدها وفرقها وموقفها السياسي ورسالة ماجستير ، غير منشورة - كلية الاداب ، جامعة بغداد ،1975،ص48 ومواقع اخرى .

3- ابن سلامة ، مصدر سابق ، ص74 .

4- المصدر السابق ، ص171 .

والخوف من جهة وموقفارافضا من الشخص الذي يضربه من جهة اخرى"[1] ويستمر فضل الله بالقاء الضوء على ابعاد هذه المسالة قائلا ان " العنف لا يقنع لكنه يسكت دون ان يزيل ميول الانحراف وتأثراتها على الشخصية ، وربما يخلق موقفا عدائيا من الاهل –والمجتمع – بحيث يفقد حبه لهم بطريقة او باخرى "[2] ، بل " من الناحية الشرعية الفقهية الضرب محرم ... سواء كاسلوب تربوي ام كوسيلة من وسائل التنفيس عن عقد الاهل الشخصية لان الله لم يسلط المربي ايا كان ابا او اما او اخا او معلما على الطفل ولم يمنحه الحق في ان يعنفه، وربما كانت عقوبة العنف الموجه للطفل من الناحية الشرعية اكبر لان ظلم الضعيف افحش الظلم"[3] ويقول الامام علي (ع):"اياك وظلم من لايجد عليك ناصرا الا الله"[4] "[5] .

والبعد الرابع في الية التربية يحدده الامام ، في ضمن تجربته العملية ، بانتقاء الاجود والانفع من الموروث الفكري لعرضه على الابناء إذ يقول (ع) في رسالته لاحد ابنائه :" فاستخلصت لك من كل امرٍ نخيلته[6] ، وتوخيت لك جميله وصرفت عنك مجهوله ، ورايت حيث عناني من امرك ما يعني الوالد الشفيق واجمعت عليه من ادبك "[7] .

ان مهمة وواجب التربية هي مسؤولية شاقة للنهوض بالطفل في سبيل اعداد الانسان السوي والتي تتحقق مع الاخذ بنظر الاعتبار الحقوق الاخرى ولاسيما حق الحرية والمساواة للطفل.

1- فضل الله ، دنيا الطفل ، مصدر سابق ، ص51 .

2- المصدر السابق ، ص216 .

3 - الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، كتاب 31 ، ص510 - ص511

4- مصدر سابق ، ص14 .

5- فضل الله ، دنيا الطفل ، مصدر سابق ، ص217 .

6- المختار المصطفى .

7- بيضون ، مصدر سابق ، ص746 .

رابعاً : حق الحرية والمساواة

ان وجود الحرية للطفل امر ضروري ومهم ، اذ يجب ان يكون الاطفال احرارا ليتسنى لهم ان ينعموا بحركةٍ يتكامل من خلالها نموهم الجسمي والبدني . ويقدم الطفل على ازالة المعضلات والمشاكل التي يواجهها ، ويقوم بتأمين احتياجاته بنفسه

ويدافع عن نفسه وليقف بوجه الذين يريدون اخذ المبادرة من يده وليوسع محيط حياته ونموه اكثر فاكثر .

ومن ناحية النظرة الدينية ايضا ينبغي على الطفل التحرر من العبوديات والقيود المختلفة، وان لا يُدفع من الاخرين الى الاستسلام او العبودية الفكرية وان لايكون مربيه وكأنه يمتلكه او سيداً عليه حيث يقول الامام (ع) – كذلك – " ولدك ريحانتك سبعا"[1] أي انه يدعو الى ان تمنح الطفل " قدرا من الحرية خلال السنوات الاولى من عمره ولنمارس بعدها عملية التعليم والتاديب والرعاية وبمختلف ابعادها الجسدية والنفسية والذهنية "[2] .

ولم يترك الامام تربية الطفل خاضعة لمزاج الابوين ، على الرغم من انه جعلهما مسؤولين مباشرة عن هذه التربية ، بل جعل التربية متحركة ضمن خطة محكمة تقضي بان يعطي الاب طفله حرية اللعب واللهو والتعبير معرعايته وصيانة سلامته من الاخطار ، وتأتي مرحلة الطفولة الثانية التي يتحمل فيها الوالدان مسؤولية تعليمه وتاديبه بحيث يختزن الطفل المعلومات والخبرات والقيم والاداب والمهارات بالقدر الذي ينسجم مع مدركاته ومستواه الذهني بحيث يستطيع التكيف مع متطلبات مجتمعه[3] ، ولقد ابدى الامام احترامه لإرادة الاطفال وخياراتهم مع مراعاة الفرق بين مرحلتي الطفولة

1- مدير ، مصدر سابق ، ج2 ، ص537 .

2- فضل الله ، دنيا الطفل ، مصدر سابق ، ص19 .

3- فضل الله ، دنيا الطفل ، مصدر سابق ، ص20 .

الاولى والثانية ، حيث روي عن احدهم : " خيرني علي بن ابي طالب بين امي وعمي، وقال لاخ هو اصغر مني...وهذا لو بلغ مبلغ هذا لخيرته "[1] .

وفضلاً عما تم ذكره من موقف الامام (ع) ورؤيته لحق الانسان في (المساواة العادلة) فان هناك بعداً اخر فيها الا وهو المساواة بين الابناء في الحقوق المادية والمعنوية بغض النظر عن أي متغير مثل الجنس والذكاء والمظهر ، بل ان الامام يدعو الى تحري الدقة في هذه المسالة إذ يقول الامام " ان رسول الله (صلى الله عليه وآله) ابصر رجلا له ولدان ، فقبل احدهما وترك الاخر فقال له رسول(صلى الله عليه وآله):فهلا واسيت بينهما "[2] بل ان الامام ينقل هذه المساواة من اطار الاسرة الى حيز المؤسسات التربوية والمجتمع ككل مؤكداً ضرورة ان ينعم كل طفل بحقوقه ومنها حق المساواة فحين القى صبيان الكتاب الواحهم بين يديه ليخير بينهم قال:"اما انها حكومة والجور فيها كالجور في الحكم"[3] ،ان دعوة الامام للعدالة ستعزز مع حق اخر اقره الامام للطفل ألا وهو مجموعة الحقوق ذات الطبيعة القانونية .

خامساً : الحق القانوني

ان احترام الامام للطفولة تجسد بشكل جلي في ضمان مجموعة مهمة من الحقوق القانونية للطفل التي تجسدت بمبدأ (الحماية القانونية) فالامام يصر على عدم تجريم الفرد على اعماله في هذه المرحلة من عمره ، إذ يقول (ع) :" عمد الصبي[4]

والمجنون خطأ " بل ان تكويم الطفل يلقي

---

1 – ابن القيم ،زاد المعاد ، مصدر سابق ، ج5، ص466 .

2 – النوري ، مصدر سابق ، ج51 ، ص172.

3 – محمد التستري ، مصدر سابق ، ص171 .

4 – الزيعلي ، مصدر سابق، ج6، ص417 ؛ محمد صادق النجمي ، اضواء على الصحيحين ، ترجمة يحيى كمال البحراني ، (قم ، مؤسسة المعارف الاسلامية ، 1419هـ) ، ص118.

بظلال حمايته القانونية حتى على افراد اخرين ولاسيما والدته في سبيل الحفاظ على حقه في افضل بيئة ممكنة لنموه وتربيته ، إذ أخر الامام العقوبة على الام المذنبة من اجل تحقيق ذلك "فحين اتى عمر بن الخطاب بامرأة حبلى وقد زنت فأمر برجمها فمروا بها على علي بن ابي طالب فقال : يا هذا ان كان سبيلك عليها بذنبها فما سبيلك على الذي في بطنها فقال عمر فكيف اصنع؟ قال : تربص بها حتى تضع "[1] ،بل انه اصر على التربية الصالحة للطفل إذ قال لامرأة اعترفت بالزنا فقال لها : " انطلقي فضعي ما في بطنك ثم ائتيني اطهرك ...–فوضعت ثم أتت–فقال:فانطلقي وارضعيه حولين كاملين–فارضعته ثم عادت–فقال:انطلقي فاكفليه حتى يعقل ان ياكل ويشرب ولايتردى من سطح ولا يتهور في بئر"[2] وهذا ما يدل على الاهتمام البالغ الذي اظهره الامام بحقوق الطفل وحياته وتحقيق افضل حياة ممكنة وذلك بتهيأة المتطلبات المادية للطفل كحق اساسي له .

سادساً : الحقوق المادية للطفل

ويعني حق تهيأة المتطلبات المادية للطفل سواء من اسرته التي تتحمل بدورها المسؤولية المباشرة ، ام عن طريق المجتمع والدولة في مرحلة لاحقة في ضمن اطار (حق الضمان الاجتماعي)[3] .

لقد فرض الامام على اولياء الطفل ان يستعدوا ماديا لاستقبال عنصر جديد في الاسرة قبل ولادة الطفل والاستمرار باداء الحق المادي للطفل حتى يعتمد على نفسه إذ ينقل (ع) عن الرسول (صلى الله عليه وآله) قوله : "كفى بالمرء اثما ان

1– الفضل بن شاذان ، الايضاح ، تحقيق السيد جلال الدين الحسيني ، (د.م،د. ن ، د. ت) ، ص192 .

2 – محمد التستري ، قضاء الامام علي ، مصدر سابق ، ص21 .

3 – سنتطرق لاحقا لهذا الحق ، ونستعرض فيه بشكل خاص إلى حقوق الايتام عند الامام علي .

يضيع من يقوت "[1] ، ويشير الامام ان كثرة الاطفال في الاسرة قد تكون عبأ اضافياً على كاهل معيل الاسرة ،وانها[2]

مسؤولية ينبغي الاستعداد لها ، إذ يقول (ع) : " قلة العيال احد اليسارين " ، و " من اعظم البلاء ، كثرة العائلة ،وغلبة الدين ودوام المرض"[3]

ومن جانب اخر فان الامام رفض التعامل السلبي مع المتطلبات المادية للحياة حتى ان توشح برداء الدين ، فحين قال له احد اصحابه : " يا امير لمؤمنين اشكو اليك اخي عاصم بن زياد. قال : وما له . قال : لبس العباءة وتخلى عن الدنيا . قال عليَّ به .

فلما جاء قال الامام ، :يا عدي نفسه !لقد استهام بك الخبيث امارحمت اهلك وولدك اترى الله احل لك الطيبات وهو يكره ان تاخذها انت اهون على الله من ذلك"[4] .

وفي حادثة اخرى ان رجلا اراد ان يترك مواثه – وكان قليلاً – وقفا لبعض اعمال البر فقال له الامام : " دع مالك لبنيك "[5] ، فالامام سعى لتحقيق وتهيأة المتطلبات المادية للابناء بشكل عام والطفل بوجه خاص ،والزم الاهل بالسعي الحثيث في هذا المضمار والتوسع على العيال وفق الامكانية المتاحة ، بل ان هذا الحق المالي الذي سعى الامام لترسيخه شمل

---

1 – النوري ، مصدر سابق ، ج51، ص256 .

2 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، حكمة 130 ، ص632؛ مدير ، مصدر سابق ، ج2، ص99.

3 – النوري ، مصدر سابق ، ج13، ص388، حسن القبانجي ، مصدر سابق ، م9 ، ص220 .

4 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، خطبة 209 ، ص ص 407-408 .

5 – محمد الطوي ، جامع البيان ، مصدر سابق ، ج2، ص165 .

حتى الجنين في بطن امه اذ يقول (ع) : " ان نفقة الحامل المتوفى عنها زوجها من جميع المال حتى تضع"[1] .

وحفاظا على مال الغلام وكجزء من الرعاية المالية فقد كان الامام : " يحجر على الغلام المفسد حتى يصلح "[2] ويبدو ان هذا الاسلوب هو نوع من الاشراف الابوي يهدف للحفاظ على ثروات الشعب من جهة ورعاية ابناء المجتمع ممن لا يمتلكون القوة والدراية بعد لادارة شؤونهم المالية من جهة اخرى .

ورفض الامام عمل الاطفال وحمل من يستخدم الاطفال وان كان لمساعدته فحسب ، المسؤولية القانونية لضمان سلامتهم إذ يقول (ع) :"من استعمل طفلا فهو ضامن "[3] ، إلا ان الامام لم ينادِ بمنع عمل الاطفال الذي قد يكون ايجابياً سواء بالنسبة للاسرة ام للطفل نفسه ولاسيما في المرحلة الثانية من عمره ولكن بتحقيق وضمان الشروط الصحية المهنية السليمة للعمل ، إذ ان الجانب العملي لايقل اهمية عن الجانب النظري او العلمي الذي يقود العمل ويحدده لكل المجتمع ، بصغارها وكبارها ،

وهنا يبرز لنا حق التعليم عند الامام علي (ع)وهو ما سنتطرق اليه في المبحث التالي .

---

1 – الصدوق ، من لا يحضره الفقيه ، مصدر سابق ، ص510 . كذلك ؛ فضل الله ، دنيا الطفل ، مصدر سابق ، ص ص 178 – 179

2– الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، مصدر سابق ، ج2، ص272 ؛ محمد التستري ، مصدر سابق ، ص171.

3– الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، مصدر سابق ، ج2 ، ص274 .

المبحث الثالث

حق التعليم

لقد عد الامام (ع) نيل العلم والتعليم من اهم حقوق الانسان التي يجب ان يتم السعي الحثيث لتحقيقه ، ذلك ان من حق كل فرد ان يأخذ من التعليم ما ينير عقله ويرقى بوجوده ويعلو من شأنه حيث يخاطب (ع) الانسان قائلاً :" ان هذا العلم والادب ثمن نفسك فاجتهد في تعلمهما فما يزيد من علمك وادبك يزيد من ثمنك وقدرك "[1] ،ان هذا الموقف من العلم يتوافق تماما مع مؤثرين هما :

– الشريعة الاسلامية متجسدة بالقرآن الكريم[2] والسنة النبوية[3] .

– المكانة العلمية التي منزت الامام سواء في عهد الرسول (صلى الله عليه وآله) او بعده[4] حيث "ادرك علي العلم اذاك العالم الفاضل المجرب ، حتى جعله من اولويات رسالته وحث على طلبه حتى جعله نواسا لامته تهتدي بسوابغه وتقتدي بنوره "[5] ، بل ان اهتمام الامام بالعلم

---

1 – الريشهري ، ميزان الحكمة ، مصدر سابق ، ج3، ص2066 .

2 – يقول الله تعالى : { يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات } " سورة المجادلة/ الاية 11 . {وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون } سورة العنكبوت /الاية43 .{ هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون } سورة الزمر / الاية 9 . { انما يخشى الله من عباده العلماء } سورة فاطر / الاية 28 . ويقول احد الباحثين ان "في القرآن اكثر من الف وخمسمائة اية تتحدث عن المواد الآتية (العلم (المعرفة) (التعقل) (التذكر) (التدبر)" . ينظر : صادق الشيرازي ، مصدر سابق ، ص245 .

3 – حول بعض احاديث الرسول (صلى الله عليه وآله) في مدحه للعلم والعلماء انظر : الكراجي ، مصدر سابق ، ص239 ؛ عطاردي ، مصدر سابق ، ص165 ؛ الطوسي ، الامالي، مصدر سابق ، ص ص 288–521 .

4 – تطرقنا إلى هذه المكانة في الفصل الأول ، المبحث الأول .

5– محمد مهدي الصدر ، أخلاق أهل البيت ، مصدر سابق ، ص229 .

استمر حتى وهو على فواش الشهادة[1] ولعل من اهم الابعاد التي حددها الامام بشأن حق التعليم هي :

أولا : رفع شأن العلم

لقد اعطى الامام علي للعلم جملة من المحددات التي فوضها به ليسمو ويكون حقا للانسان ولعل من اهم ما سعى اليه (ع) هو رفع شأن العلم حتى وصفه بانه "حياة وشفاء "[2] و"افضل الكنوز "[3] وهو " كنز عظيم لايفنى "[4] و"افضل شرف "[5] ، ويقول (ع)رابطاً بين رضا الله والعلم " اذا احب الله عبدا الهمه العلم"[6] .

لقد احب الامام العلم واستوعبه وسبر غوره وعرف فوائده ونقل تجربته العملية ورؤيته النظرية بقوله (ع) " تعلموا العلم فان تعليمه حسنة وطلبه عبادة والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقه...[العلم] سبل منازل الجنة والانيس في الوحشة والصاحب في الغربة ...والدليل على السراء والضراء والسلاح على الاعداء والزينة عند الاخلاء ويرفع الله به اقواما فيجعلهم للخير قادة وائمة يقتفى اثارهم ويقتضى بفعالهم وينتهي الى رأيهم ورغب الملائكة في خلتهم"[7] ، ونلاحظ في هذا الجزء من كلام الامام

---

1 – قال الامام وهو على فواش الشهادة : " لاغنى اكبر من العقل ..ولا فقر مثل الجهل " المجلسي ، مصدر سابق ، ج75 ، ص111 ؛ الريشهري ، ميزان الحكمة ، مصدر سابق ، ج3 ، ص2033 ؛ الطائي ، مصدر سابق ، م3، ج7، ص94 .

2 – الواسطي ، مصدر سابق ، ص30 .

3– المصدر السابق ، ص25 .

4– المصدر السابق ، ص46 .

5– المصدر السابق ، ص35.

6– المصدر السابق ، ص133 .

7 – الكراجي ، مصدر سابق ، ص539 ؛ الحر العاملي ، الفصول المهمة في معرفة الائمة، مصدر سابق ، ج1، ص469 .

فلسفة ورؤية راقية للعلم واهميته وعده قيمة عليا سواء بمقياس الدين والدنيا والفرد والجماعة .

ويعد الامام العلم جزء من استمرارية الرسالة المحمدية إذ يقول : "وخلف فيكم [رسول الله(صلى الله عليه وآله)] ما خلفت الانبياء من اممها اذا لم يتركوهم هملاً بغير طريق واضح ولا علم قائم "[1] ، والعلم احد دعائم العدل عند الامام اذ اجاب (ع)

بعد ان سُئل عن دعائم العدل فقال : "والعدل منها على اربع شعب على غائص الفهم، وغور العلم وزهرة الحكم ورساخة الحلم "[2] .

ويستشعر الامام الصراع داخل النفس البشرية او في الواقع الاجتماعي بين قيمة كل من المال والعلم ، فيحسم الامام المفاضلة لصالح العلم قائلاً لاحد تلامذته – كميل بن زياد – :" العلم خير من المال ، العلم يحرسك وانت تحرس المال، المال تنقصه النفقة ،والعلم يزكو على الانفاق وصنيع المال يزول بزواله ..والعلم حاكم والمال محكوم عليه . ياكميل هلك خزان الاموال وهم احياء والعلماء باقون ما بقي الدهر "[3] . ويصير الامام من العلم معياراً لقياس قيمة الانسان اذ يقول (ع) : " اكثر الناس قيمة اكثرهم علما "[4] . ويقول (ع) : " انك موزون بعقلك فزكه بالعلم"[5] ، ويعلق باحث معاصر على هذا المعيار بان الامام " يبنى المجتمع على اسس رصينة ، بهذا

---

1 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، خطبة 1، ص31 .

2– بيضون ، مصدر سابق ، ص756 .

3– المصدر السابق ، ص759 ؛ ويقول (ع) :" الناس موتى واهل العلم احياء " ؛ ابن عابدين ، مصدر سابق ، ص43 .

4– المجلسي ، مصدر سابق ، ج47، ص112 .

5 – الواسطي ، مصدر سابق ، ص172

فقد ذهب بالعلم مذهبا رفيعا ساميا حتى جعله دينا يدان به ومبدأ تؤخذ الرحمة من معالمه"[1] .

وبالمقابل فان الامام يرفع شعار ابادة الجهل من داخل الانسان والمجتمع على حد سواء إذ يقول (ع) :" الجهل معدن الشر "[2] وهو " اصل كل شر "[3] ،والجاهل لن يلقى ابداً الامفوطا ومفوطا"[4] ويصف الامام الجاهل بانه: " صخرة لا ينفجر ماؤها وشجرة لايخضر عودها وارض لايظهر عشبها "[5] وانه "ابغض الخلائق عند الله تعالى "[6] وان " كل جاهل مفتون"[7] بل ان سبب اختلاف الاراء ومبدأ العداوات وتضارب التوجهات هم الجهال إذ يقول الامام : " لو سكت الجاهل ما اختلف الناس "[8] ، ويربط الامام بواقعية والمعية بين الفقر والجهل قائلاً (ع) :" لا فقر اشد من الجهل"[9] .

ان ما يكنه الامام من تقديس للعلم جعله يهذب (العلم) بجملة من المحددات المادية والمعنوية لعل من اهمها :

1– السعي لتحصيل العلم

عن سعي تحصيل العلم لوجه الله تعالى يقول (ع) :" تعلموا العلم فان تعلمه حسنة وطلبه عبادة "[10] ، وفي قول اخر : " خذوا من العلم ما بدا

1– محبوبة ، مصدر سابق ، ص17 .

2- الواسطي ، مصدر سابق ، ض19 .

3 - الريشهري ، ميزان الحكمة ، مصدر سابق ،ج1، ص 462 .

4- المصدر السابق ، ج1 ، ص463 .

5- المصدر السابق ، ج1 ، ص463 .

6- الواسطي ، مصدر سابق ، ص126 .

7- المصدر السابق ، ص377 .

8- المجلسي ، مصدر سابق ،ج57، ص 81 .

9- الطوسي ، الامالي ، مصدر سابق ، ص146 .

10- المجلسي ، مصدر سابق ، ج75 ، ص189 ؛ الريشهري ، ميزان الحكمة ، مصدر سابق ، ج3 ، ص2065 ؛ ويقول (ع) :" تعلموا العلم ولو لغير الله فانه سيصير الى الله "؛ابن ابي الحديد ، مصدر سابق ،ج2، ص267.

لكم واياكم ان تطلبوه لخصال اربع : لتباهوا به العلماء ، او تماروا به السفهاء ، او تؤثروا به في المجالس او تصرفوا وجوه الناس اليكم للترؤس... نفعنا الله واياكم بما علمنا وجعله لوجهه خالصا "[1] .

2- العمل بالعلم :

ان دعوة الامام علي (ع) لاحترام العلم واشاعته كان في جوهره يهدف لرسم منهجاً لحياة تكون خطواتها بوحي من العلم إذ يقول (ع) :" ما من حركة الا وانت محتاج فيها الى معرفة"[2] ، ويؤكد(ع) على اهمية الجانب العملي للعلوم قائلا : " لا خير في علم لاينفع ولاينتفع بعلم لا يحق تعلمه "[3] وان "انفع العلم ما عمل به "[4] و " اعملوا بالعلم تسعدوا به"[5] وهنا تبرز في رؤية الامام " علاقة العلم بالعمل ، فالعلم ليس نظريا صرفا ليس خيالا او تجريدات معزولة عن الواقع، بل هو دليل مرشد للعمل الانساني ، الذي يعول عليه في صنع الحياة "[6] .

ان الامام يدعو الى ان يكون العلم هو الحاكم والضابط الموجه لحركة الفرد والمجتمع رافضا اية معايير اخرى ، إذ يقول (ع) :" ان العامل بغير علم كسائر على غير طريق ، فلا يزيده بعده عن الطريق الواضح إلا بُعداً عن حاجته والعامل بالعلم كالسائر على الطريق الواضح فلينظر ناظر اسائر هو امراجع"[7] ،وان عملية الاصلاح هي بامس الحاجة الى العلم على وفق رؤيته(ع) اذ يقول "عشرة يفتون انفسهم

1- المحمودي ، مصدر سابق ، ج3، ص25 .

2 - الريشهري ، ميزان الحكمة ، مصدر سابق ، ج2، ص110 .

3- بيضون ، مصدر سابق ، ص761 .

4- الواسطي ، مصدر سابق ، ص118 .

5- المصدر السابق ، 89 .

6- جاسم ، مصدر سابق ، ص25 .

7- بيضون ، مصدر سابق ، ص758 .

وغيرهم [ومنهم] مريد للصلاح ليس بعالم"[1] ، اذاً هي دعوة للمجتمع وقادة الاصلاح لبناء المجتمع العلمي المبتعد عن الخرافات والخطوات الارتجالية والتي غالبا ما تبنى على فهم خاطئ ومواقف ورؤى شخصية وتنأى عن الاسس العقلانية والموضوعية التي يكون العلم فيها هو الدعامة الاساسية لاي حركة فردية او جماعية .

3- العلم غير النافع

لقد وقف الامام علي بالضد من بعض المعارف التي تخدع بعض الافراد وتساهم في تسويف وتعطيل القوى الحقيقية للمجتمع مثل التنجيم والسحر والكهانة[2] وبعض العلوم ذات الصبغة الدينية وهي ليست منه[3] .

ورفض الامام الانغماس في علم غير ذي جدوى ولا اثر ملموس ،فمثلا يقول(ع) : " لمن عاب خطأ احد اصحابه باعراب بعض الكلمات : " انما يراد باعراب الكلام تقويمه لتقويم الاعمال وتهذيبا ، ما ينفع [فلانا] اعرابه وتقويم كلامه اذا كانت افعاله ملحونة اقبح لحن"[4] ، و " انكم الى اعراب الاعمال احوج منكم الى اعراب الاقوال "[5] .

---

1 – محمد كاظم القزويني ، مصدر سابق ، ج9، ص767 للمزيد حول موقف الامام من ربط العلم بالعمل ينظر : الناصري ، مصدر سابق ، ص72 ؛المحمودي ، مصدر سابق ، ج7 ، ص10 ؛ البلاذري،انساب الاشراف ، مصدر سابق، ص114 .

2 – ينظر : القرطبي ، مصدر سابق ، ج91، ص29 . ويقول الامام علي عن التنجيم : " ايها الناس اياكم وتعلم النجوم إلا ما يهتدي به في بر وبحر ،فانها تدعو الى الكهانة والمنجم كالكاهن والكاهن كالساحر والساحر كالكافر والكافر في النار " الطائي ، مصدر سابق ، م2، ج2، ص55 ؛ كذلك : محمد الطوسي ، جامع البيان ، مصدر سابق ، ج5، ص447 ؛القرشي ، موسوعة امير المؤمنين ، مصدر سابق ، ج7، ص44 .

3 – يقول الامام (ع) : " ان كثيرا من الرقى والتمائم من الاشراك " . لجنة الحديث ، سنن الامام علي، مصدر سابق ، ص73 .

4 – الريشهري ، ميزان الحكمة ، مصدر سابق ، ج5 ، ص3267 .

5- المصدر السابق ، ج5 ، ص3266 .

4- حرية نيل العلم

فضلاً عما تم ذكره سابقا في مسألة حق الحرية عند الامام الا انه يمكننا ان نشير الى تاكيده(ع) حرية البحث العلمي وتنوع مصادره إذ يقول :" الحكمة ضالة المؤمن فاطلبوها ولو عند المشرك تكونوا احق بها واهلها "[1] ، ويشيع الامام روح الحرية العلمية داخل المجموعة الاسلامية إذ فتح بابا الحوار والاستفسار بشتى ومختلف المسائل[2] . وابدى الامام احترامه للعلوم النافعة التي اشتركت فيها الانسانية باطيافها الفكرية والعقائدية كافة ، إذ يقول(ع) :" اعلم الناس من جمع علم الناس الى علمه "[3] ان عملية تحصيل العلم ورعاية شؤونه هو حق للانسان يحبب العمل الجاد لانجازه .

ثانياً : الاهتمام بعملية التعليم ومسؤولية الحاكم في عملية التعليم

ان اهمية العلم وسموه عند الامام علي قد انعكست على اهتمامه (ع) بعملية التعليم حيث القى الامام بمسؤوليتها على عاتق الحكومة اولاً والمجتمع ثانيا والفرد ثالثاً ، وتمثل هذه الاطراف ككتلة لانجاز هذا الحق في المجتمع ، وهذه المسالة نراها شاخصة عند الامام سواء في المجال النظري او في الممارسة العملية .

لقد جعل الامام علي من الرسالة الاسلامية مسؤولية علمية ،ناهيك عن ابعادها الاخرى ، حيث يقول (ع) : " ان اولى الناس بالانبياء اعلمهم بما جاؤوا به "[4] ، ويروي الامام عن الرسول(صلى الله عليه وآله) قوله (ع) " خمسة لا يحل

1- المجلسي ، مصدر سابق ، ج57 ،ص34 .

2 - حول المسؤال عن تفسير بعض الايات القرانية ، انظر مثلا : محمد الطوسي ، جامع البيان ، مصدر سابق ، ج5، ص447 والاسئلة في شتى الشؤون ينظر: الهندي ، مصدر سابق ، ج1، ص47 وما بعدها . حيث سأله احدهم " متى كان الله ؟وغيرها من المسائل التي سبق ان تطرقنا اليها في الفصل الثاني ، المبحث الثالث.

3- المجلسي ، مصدر سابق ، ج47 ، ص112 .

4 - القرشي ، موسوعة امير المؤمنين ، مصدر سابق ، ج3، ص47 .

منعهن الماء والملح والكلأ والنار والعلم "[1] ، وهذه دعوة نبوية وجدت تطبيقها العملي في دولة الامام حيث اكد (ع) على مسؤولية الدولة من جهة وحق الفرد عليها من جهة اخرى اذ اكد نشر العلم واشاعته في المجتمع ويقول (ع) : "اما بعد فان لي عليكم حقا وان لكم علي حقا فاما حقكم علي فالنصيحة لكم ما صحبتكم وتوفير فيئكم عليكم وتعليمكم كيما لا تجهلوا وتاديبكم كي تعلموا "[2] .

وفي سبيل تعزيز العلم في قيادة المجتمع يجعل الامام من الشخصية العلمية الناضجة للحاكم احد الشروط والمواصفات التي سعى الى ايجادها في شخص الحاكم وسياسته حيث يصفه : " مذاكراً للعالم ، معلما للجاهل "[3] ، لذلك نرى انه حين تولى سدة الحكم مارس مما دعا اليه من احترام الحاكم للعلم واشاعته في المجتمع حيث روي عنه :" انه لما كان يفرغ من الجهاد يتفرغ لتعليم الناس والقضاء بينهم"[4] ، بل ان الامام يجعل نشر العلم احدى دعائم شرعية حكمه إذ يقول (ع) : مخاطباً الامة " قد[5]

دارستكم الكتاب ، وفاتحتكم الحجاج وعوفتكم ما انكرتم " ، ويعوب الامام عن خشيته من ان يسود الجهل والضلال قيادة المجتمع إذ يفسر (ع) قوله تعالى " فاوجس في نفسه خيفة موسى " [6] بقوله " لم يوجس موسى خيفة على نفسه ، بل اشفق من غلبة الجهال ودول الضلال " [7] .

---

1 – النوري ، مصدر سابق ، ج21،ص435.

2 – محمد الطوي ، تاريخ الطوي ، مصدر سابق ، ج4، ص68 ؛ابن قتيبة الدينوري ، الامامة والساسية ، مصدر سابق ، ج1، ص170 ؛البلاذي ، انساب الاشواف ، مصدر سابق ، ص380 .

3– لجنة الحديث ، سنن الامام علي ، مصدر سابق ، ص163 .

4– المصدر السابق ، ص73 .

5 – الريشهري ، ميزان الحكمة ، مصدر سابق ، ج2، ص862 .

6 – سورة طه / الاية 67 .

7 – القرشي ، موسوعة امير المؤمنين ، مصدر سابق ، ج3، ص128 .

ان تحميل الامام للحاكم مسؤولية النهوض بالعلم لم يجعلها حكرا عليه انما هي مسؤولية جماعية وفردية كذلك حيث يقول (ع) :" تزاوروا واكثروا مذاكرة الحديث فان لم تفعلوا يندرس الحديث " [1] أي قيام العلوم ، ومنها علم الحديث ، ينتعش ويزدهر اذا تبناه المجتمع وتحول الى ثقافة عامة ،فالعلم ملك للجميع ، كل حسب قدرته وليس حكرا على فئة معينة ،وهو ما نجده في قوله (ع) :" ان الله لم ياخذ على الجهال عهدا بطلب العلم حتى اخذ على العلماء عهدا ببذل العلم للجهال " [2] .

والامام يرسم الية وسياسة بذل العلم في المجتمع كحق له على الحاكم وقيادات المجتمع على وفق الابعاد الآتية :

1 –تعليم صغار السن ،لقد دعا الامام للشروع بتعليم الاطفال في الامة إذ يقول (ع) : " تعلموا العلم صغارا تسودوا كبارا " [3] .

2 –مجانية التعليم ، يمكننا القول ان الامام علي هو من اوائل الداعين الى مجانية التعليم ، بل انه مارس هذا النمط من التعليم اذ : " كان علي (ع) اذا صلى الفجر لم يزل معقبا الى ان تطلع الشمس فاذا طلعت اجتمع اليه الفقراء والمساكين وغيرهم من الناس فيعلمهم " [4] .

ورفض الامام التسخير المادي والمالي للعلم وعده خطأ وخيانة لشرف حمل العلم . ناهيك عن الاضرار بالشعب والامة اذا كان العلم حكرا لفئة معينة وهنا يقول الامام :" لو ان حملة العلم حملوه بحقه لاحبهم الله واهل

---

1 – ابن عساكر ، مصدر سابق ، ج5، ص344 ؛ ابو عبد الله محمد الحافظ النيسابوري ، معرفة علوم الحديث ، تحقيق

السيد معظم حسين ، ط4 ، (بيروت ، دار المعرفة ، د. ت) ، ص60 .

2- بيضون ، مصدر سابق ، ص762 .

3- محبوبة ، مصدر سابق ، ص15 .

4- المجلسي ، مصدر سابق،ج14،ص132 ؛لجنة البحوث ، سنن الامام علي ، مصدر سابق،ص73 .

طاعته من خلقه ولكنهم حملوه لطلب الدنيا فمقتهم الله وهانوا على الناس "[1] . ويشير محمد باقر الحكيم الى ان منهج مجانية التعليم " يفسر لنا استمرار الزخم الثقافي وبقاء مراكز العلم والثقافة ...وان مجانية التعليم في مدارس اهل البيت (عليهم السلام) العلمية يعد احد المعالم والميزات الواضحة التي تتصف بها هذه المدارس والتي تمكنت بها من الثبات امام جميع الضغوط والمشكلات "[2] .

3 -استمرارية التعليم ، حيث عد الامام التعليم هو حق لا يسقطه الظرف الطارئ الذي قد تمر به الامة ، حتى زمن الحروب فان من حق الجيوش تلقي العلم وتطوير المستوى الفكري لافرادها ويقول (ع) : " منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا"[3] ، ويوصي الامام احد قادة الجيش قائلا : " اتق الله فاني قد وليتك هذا الجند ،فلا تستطلين عليهم وان خيركم عند الله اتقاكم ، وتعلم من عالمهم وعلم جاهلهم "[4] .

4 -الاهتمام بالمؤسسات والمناهج العلمية ، إذ " اهتم ائمة اهل البيت (ع) ببناء المؤسسات الثقافية والعلمية والتشجيع على ايجادها وتاسيسها وتنشيطها لاسيما المؤسسات الثقافية التي كانت معروفة ومتداولة بين المسلمين ،مثل المسجد الذي يعد اول مؤسسة ثقافية عبادية عرفها المسلمون في مجتمعاتهم "[5] ، وقد اتخذ الامام من " جامع الكوفة معهدا يلقي فيه محاضراته الدينية

---

1 - الريشهري ، ميزان الحكمة ، مصدر سابق ، ج3 ، ص2079 ؛ الشرقاوي ، مصدر سابق ، ج1، ص353 .

2- محمد باقر الحكيم ، دور اهل البيت ، مصدر سابق ،ج1، ص127 .

3 - الشريف الرضي (الجامع) نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، حكمة 477 ، ص698 .

4 - المحمودي ، مصدر سابق ، ج8 ، ص327 ؛ ابن ابي الحديد ، مصدر سابق ، ج3 ، ص191 ؛ المجلسي ، بحار الانوار ، مصدر سابق ، ج33 ، ص465 .

5- محمد باقر الحكيم ، مصدر سابق ، ج1، ص133 .

والتوجيهية .. وكان الامام هو المعلم والباعث للروح العلمية ... لقد كان (ع) المؤسس الاعلى للعلوم والمعارف في بناء الاسلام "[1] .

اما منهجه العلمي فذو ملامح واضحة منها استمرارية البحث العلمي ،بل انه(ع) على فراش الشهادة يقول : " سلوني قبل ان تفقدوني "[2] ،كذلك الاعتماد على استيعاب التطور العلمي، إذ رفض (ع) مسالة عدم كتابه القرآن او السنة النبوية بل انه شرع بنفسه بجمع القرآن وتدوين معظم السنة بغض النظر عن التوجه السياسي والعلمي انذاك ومسوغاته حول هذه القضية[3] ، واثبت التاريخ والواقع الاسلامي ان منهج الامام كان هو الاصوب ، وكان (ع) يقول : " قيدوا العلم بالكتابة "[4] ،ويحدد الامام انواع العلوم من ناحية نشرها بقوله : " العلم علمان : مطبوع ومسموع ولاينفع المسموع اذا لم يكن مطبوعاً "[5] ان تاكيد الامام المطبوع يعد تطوراً مهماً في المنهجية العلمية انذاك .

وهناك مساحات مهمة لتطوير العلوم عند الامام منها لجوءه (ع) الى اسلوب التطبيق المباشر ولاسيما بصدد تعليم الشعائر الدينية[6] ، فضلاً عن

---

1 – القرشي ، حياة الامام الحسين ، مصدر سابق ، ص416 .

2– المجلسي،مصدر سابق، ج42 ، ص290 ؛القرشي ، موسوعة امير المؤمنين ، مصدر سابق ، ج11، ص262 .

3 – ينظر : الطباطبائي ، الميزان ، مصدر سابق ، ج81،ص118 ؛ علي الكوراني العاملي ، تدوين القرآن، (قم ، دار القرآن الكريم ، د. ت) ، ص20 ، ص214 ، ص215 ، ابو الفضل مير محمدي الزرندي ، بحوث في تاريخ القرآن وعلومه ، (قم ، مؤسسة النشر الاسلامي ، 1420هـ) ، ص127 . ويقول الباحث محمود ابو رية: ان اول من دون الحديث النبوي هو نفسه امير المؤمنين " محمود ابو رية ، اضواء على السنة المحمدية ، مصدر سابق ، ص272. الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، مصدر سابق ، ج1، ص6 .

4– ابو بكر البغدادي ، مصدر سابق ، ج8، ص ص3 .

5– المجلسي ، مصدر سابق ، ج75 ،ص80 .

6 – البلاذري ، انساب الاشراف ، مصدر سابق ، ص180 ؛ المنقري ، مصدر سابق ، ص146 .

تاكيده التجربة لتقييم القوانين العلمية حيث يقول (ع) : " في التجارب علم مستانف "[1] ، وقرر الامام ان البرهان والدليل هو طريق البحث العلمي وان الحق حق انكره الناس ام قبلوه اذ يقول (ع) "رأس الحكمة لزوم الحق"[2] ، ويقول ايضاً :" اعقلوا الخبر عقل رعاية لا عقل رواية ،فان رواة العلم كثير ورعاته قليل "[3] فهي دعوة منه(ع) للابداع العلمي والابتعاد عن الانماط التقليدية .

5 – حق التطور العلمي ، لقد اوجب الامام على الحكومة النهوض باعباء تحقيق حق التطور العلمي على وفق محورين :

أ– اقامة وتشجيع العلوم التي تحتاج اليها الامة في عملية تطورها او ما تفرضه الحاجة من الاستناد الى علوم تسهم في حل المشاكل الانية والمستقبلية حيث نلاحظ انه (ع) اول من بادر لوضع المناهج وابتكار العلوم ذات البعد المجتمعي المهم ومنها

علم النحو وعلم الفقه وعلم تفسير القرآن وعلم الفلك والحساب وعلم الحيوان وعلم الكلام والطبيعة والفيزياء والكهرباء وعلم الطب وعلم الجيولوجيا [4] .

---

1 – القرشي ، موسوعة امير المؤمنين ، مصدر سابق ، ج7، ص36 .

2 – الواسطي ، مصدر سابق ، ص263 ، الريشهري ، ميزان الحكمة ، ج1 ، ص673 ، وينظر كذلك : محمد حسين الطباطبائي ، علي والفلسفة الاسلامية ، (بيروت ، الدار الاسلامية ، د. ت) ، ص41 .

3– بيضون ، مصدر سابق ، ص755 .

4 – حول هذه المواقف العلمية وتطورها على يد الامام (ع) انظر : القرشي ، موسوعة امير المؤمنين ، مصدر سابق ،ج7، ص ص9–52 ؛ محمد باقر الحكيم ، دور اهل البيت ، مصدر سابق ، ص ص118–119 ؛ محبوبة ، مصدر سابق ، ص ص110–127 ؛ ابن المصباح مجاهد بن جبر التابعي ، تفسير مجاهد ، تحقيق عبد الرحمن الطاهر (اسلام اباد، مجمع البحوث الاسلامية ، د. ت) ، ص10 ؛ علي اكبر الكلانتوي ، الجزية واحكامها في الفقه الاسلامي، (قم ، مؤسسة النشر الاسلامي ، 1416 هـ) ، ص59 وما بعدها ؛ المجلسي، مصدر سابق، ج55 ، ص235 وما بعدها ؛ الهندي ، مصدر سابق ، ج61 ، ص268 ؛ محمد بن اسحاق (ابن النديم) ، الفهرست ، (بيروت ، دار المعرفة ، 1978) ، ص30 ؛ ابن حنبل ، مسند الامام احمد ، مصدر سابق، ج1، ص159 ؛ ابو عبد الله البخاري ، مصدر سابق ، ج1، ص190 ؛ الحر العاملي، الفصول المهمة في معرفة الائمة ، مصدر سابق ، ج1 ، ص684 .

ب– الاستعداد لمواجهة التحدي الحضاري العلمي للامم الاخرى وهو ما قام به الامام إذ كانت المواجهة على ناحيتين ، على وفق رؤية محمد باقر الصدر ، الذي يذهب الى ان الامة كانت " على ابواب توسع هائل ضخم يضم شعوبا لا تعرف شيئا اصلا عن النظرية الاسلامية للحياة ... انما تعرف الواقع الذي يتجسد خارجا والذي عاشته كواقع وهو ان فاتحا مسلما سيطر على بلادها" [1] . هذا من الناحية السياسية ، اما من الناحية الفكرية فان " الثقافات الموجودة في بلاد كسرى وقيصر واصول الجاهلية الفارسية والهندية والكردية والتركية فضلاً عن اجتثاث الجاهلية العربية... هذه الجاهليات التي كانت كل واحدة منها تحتوي على قدر كبير من الافكار والمفاهيم" [2] ، وكان موقف الامام علي (ع) من هذين التحديين وفق قول محمد باقر الصدر : " التخطيط لحماية الاسلام من ان يندرس وان يبث الوعي في المسلمين والشعوب الجديدة معاً " [3] .

وكان الاسلوب المتبع لهذا الوعي هو العلم والمحاججة العلمية فقد ذكر لنا التاريخ " العديد من الاسئلة التي تقدم بها علماء اهل الكتاب بهدف احراج المسلمين وانتزاع ثقتهم بانفسهم ورسالتهم" [4] ، و " لقد استطاع علي من خلال تصدياته لكل الاسئلة والاحراجات العلمية سواء ما تقدم بها علماء اهل الكتاب اوما خاض فيها المسلمون انفسهم ان يقنع الامة جميعا بانها تملك الحقيقة وتملك التفوق على كل الخصوم وان رسالتهم لا تنفذ ولا تعجز عن

1 – محمد باقر الصدر ، الامام علي سوة وجهاد ، مصدر سابق ، ص113 .

2– المصدر السابق ، ص112 .

3– المصدر السابق ، ص ص113–114 .

4– صدر الدين القبنجي ، مصدر سابق ، ص132 .

اجابتهم عند كل نداء"[1] . ويمكننا تطوير آلية القيام بالواجب والدور الذي اداه الامام في عصوه الى صيغة عمل المؤسسات واحتضان العلماء والمفكرين لانجاز حق التطور العلمي للامة .

6 –رقابة العلم والعلماء: ان المقصود من هذه المقولة ليس فوض نوع من الوقابة العسكرية للسلطة المركزية على نمط معين من العلوم او التضييق على العلم والعلماء لدرجة قتل الابداع ،وانما الغرض من هذه الوقابة هو متابعة المسوة العلمية حفاظاً عليها من الزلل والانحراف وما ينجم عن ذلك من خلل ينعكس سلباً على المجتمع والامة . فالدور الاساسي الذي رسمه الامام علي للعلم والعلماء في تطوير الامة وقيادتها ، قابله تشكيل نوع من السيطوة من قبل الحكومة الشوعية العادلة على مسوة التعليم سواء من ناحية مادة التعليم ، او الوقابة على العلماء ، إذ يشخص الامام الدور الخطير الذي تؤديه هذه الفئة في المجتمع إلى درجة عد فيها زلل العالم احد سبع مصائب عظام[2] .

ويحدد الامام الصفات السلبية التي قد تصيب بعض العلماء حيث حذر الامام من العالم المتجبر[3] او المفوط[4] او المنافق[5] او الفاجر[6] او الطماع[7] او محب الوئاسة[8] او الكذاب[9] او المحاسد[10] والمسوف[11] .

1– المصدر السابق ، ص136–137 .

2– يقول (ع) : سبع مصائب عظام 000 عالم زل " ، المحمودي ، مصدر سابق ، ج3، ص245 .

3 – اذ يقول : "ابغض العباد الى الله سبحانه العالم المتجبر" ، صادق الموسوي ، مصدر سابق ، ص188.

4 – اعظم الناس وزرا العلماء المفوطون "المصدر السابق ، ص188 .

5 – " اعلموا رحمكم الله انكم في زمان .. عالمهم منافق "، الشويف الوضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهوسة د. صبحي ، مصدر سابق ، خطبة 232 ، ص449.

6 – " افة العامة العالم الفاجر " ، صادق الموسوي ، مصدر سابق ، ص190 ويقول (ع) " قصم ظهوي اثنان عالم متهتك " ، حسن القبانجي ، مصدر سابق ، ج9 ، ص190 .

7– " كم عالم قد اهلكته الدنيا " ، المصدر السابق ، ج9 ، ص191.

8 – " افة العلماء حب الرياسة " ، المصدر السابق ، ج9 ، ص191 .

9– " لاخير في علوم الكذابين " ، المصدر السابق ، ج9 ، ص193 .

10 – " ان الله يعذب الامراء بالجور والعلماء بالحسد " ، المصدر السابق ، ج9 ، ص192 .

11 – " جاهلكم مزداد وعالمكم مسوف " ،الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي، مصدر سابق ، حكمة 274 ، ص664 .

اما النوع الاخر من الذين يفترض مراقبتهم فهم اشباه العلماء او من وصفهم الامام بقوله: "ابغض الناس الى الله عز وجل رجل قمش علماً في اغمار من الناس ... سماه الناس عالما وليس به " [1] واعتبر الامام هؤلاء او هذه الفئة من اكثر الفئات سلبية في المجتمع إذ يقول(ع): " عشوة يفتنون انفسهم وغيرهم : ذو العلم القليل يتكلف ان يعلم الناس كثيرا...مريداً للصلاح ليس بعالم " [2] .

ويحذر الامام من علماء الفتنة ومفتعلي الازمات الساعين بذلك افساد المجتمع برمته إذ يقول(ع) :" يأتي على الناس زمان لا يبقى من الاسلام الا اسمه و من القرآن إلارسمه ، يعمرون مساجدهم وهي من ذكر الله خراب ، شر اهل ذلك الزمان علماؤهم منهم تخرج الفتنة واليهم تعود " [3] .

وكان الامام يصر على معرفة المستوى العلمي ،ولاسيما للعلماء الذين يتصدون للاصلاح في المجتمع وفي مقدمتها مجالات العلوم والاصلاح الديني ، إذ قال الامام لمن جلس للناس يعظهم ويرشدهم : اعلمت الناسخ من المنسوخ ؟ فضلاً عن اسئلة اخرى ليعرف مدى قدرته العلمية فاذا اجاب

1– ابن عساكر ، مصدر سابق ، ج24 ، ص505 .

2– المجلسي ، مصدر سابق ، ج47 ، ص400 .

3 – القرطبي ، مصدر سابق ، ج21 ، ص280 .

بشكل صحيح سمح له الامام باداء دور الاصلاح [1] اما اذا اخطأ فانه يمنعه من ذلك حتى يتمكن من العلم ، بل انه قال لاحدهم : " هلكت واهلكت " [2] .

ان تاكيد الامام على البعد الشخصي والعلمي للعلماء هو جزء من اهتمامه البالغ بالعلم من ناحية وبحملته من العلماء من ناحية اخرى ، وما فرضه على الدولة والمجتمع من احترام لحقوق العلماء مؤكداً ان احترام هذه الحقوق جزء من الية انجاز حق التعليم في الامة .

ثالثاً : حقوق العلماء

يتعامل الامام (ع) مع العلماء بوصفهم قيمة عليا في الامة ، يجب ان تراعى حقوقها اما اهم تلك الحقوق وفق رؤية الامام (ع) فهي :

1 . حق الحياة والامن

ان هذا الحق لا يؤخذ بمعزل عن ما ذكرناه سابقا من حق الحياة ، إلا ان التأكيد على حفظ حياة العلماء هو جزء من اهتمام الامام بالعالم ، لذا فانه (ع) قد نظر الى حياة العالم بقدسية عالية إذ يقول (ع) :" اذا مات المؤمن العالم ، ثلم في الاسلام ثلمة لا يسدها شيء الى يوم القيامة"[3] .

وبالنسبة للامن فان الامام قد جعله حقا للعلماء سواء امنهم الشخصي ام الفكري ، حيث يقول الامام واصفا الحكومات الفاسدة : " اما والله ان ظهروا

---

1 – حول هذا الموقف ينظر : أحمد بن عمرو بن ابي عاصم الشيباني ، المذكر والتذكير والذكر ، تحقيق خالد قاسم، (الرياض ، دار المنار، 1413هـ) ، ص99 وما بعدها . وسأل احدهم : " ما ثبات الايمان وزواله ؟ " ينظر: الهندي ، مصدر سابق ، ج1، ص282 .

2 – ابو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن الجوزي ،زاد المسير في علم التفسير ، تحقيق محمد عبد الرحمن عبد الله ، ج2 ، (بيروت ، دار الفكر ، 1987) ، ص291 .

3– بيضون ، مصدر سابق ، ص762 .

عليكم بعدي لتجدونهم اهل سوء .. كأني انظر اليهم يقتلون صلحائكم ويخيفون علمائكم "[1] .

اما الجانب الثالث في حق توفير الامن لعلماء الامة فيتجسد في تهياة المتطلبات المادية لحياتهم ورفع العوز والحاجة المادية حتى لا تضطرهم الحاجة الى المتاجرة بعملهم مع من لا يقدر العلم وهذا ما يرفضه الامام ن حيث يقول : " لا يكون العالم عالما حتى ... لا يأخذ على علمه شيئا من حطام الدنيا "[2] ولا يفهم من قول الامام (ع) انه يرفض ان يكون العالم من الناحية المادية ، بل يمكن القول ان هدفه كان ذا بعدين :

أ–ان هناك علوماً اساسية يفترض ان تكون مجانية وتحت متناول الجميع ، وتساهم السلطة في ذلك، اما اهم تلك العلوم فيمكن تلمسها من خلال قوله (ع) : "العلوم اربعة : الفقه للاديان، والطب للابدان والنحو للسان ، والنجوم لمعرفة الزمان "[3] .

ب–هو ادانة الامام للمواقف التي يمكن ان تستغل من قبل بعض ضعاف النفوس والمبادئ من اصحاب العلم والعلماء ، حيث يخشى الامام من العالم الذي يضل الناس بتوظيف علمه في المنكر، إذ يقول (ع) : " كم من ضلالة زخرفت باية من كتاب الله كما يزخرف الوهم النحاس بالفضة الممومهة"[4] .

لذلك فان الامام يؤكد حق الناس بالاستفادة من العلوم دون ان يبخس الجهد العلمي للعالم، من هنا فأنه (ع) يدعو الى تحقيق الضمان الاقتصادي للعلماء كحق اساسي من حقوقهم إذ يوضح الامام لولاته وركان دولته هذا

---

1 – ابن قتيبة الدينوري ، الامامة والسياسة ، مصدر سابق ، ج1 ، ص172 .

2 – الواسطي ، مصدر سابق ، ص439 .

3 – بيضون ، مصدر سابق ، ص759 .

4 – الواسطي ، مصدر سابق ، ص381 .

الحق قائلا : " عليك بمداراة الناس واكرام العلماء"[1] ويقول ايضا: " اذا رايت عالما فكن له خادما "[2] وبالمقابل يصف الامام الحاكم السيء بقوله : "سيسلط عليكم سلطان صعب .. لايكرم عالمكم "[3] . ولعل من اهم ابعاد الاكرام هو تحقيق المستوى المعيشي اللائق وتحقيق الضمان الاقتصادي للعلماء بافضل الوسائل الممكنة .

وفي احدى مقولات الامام (ع) يمكننا ان نتلمس دلالة مهمة وهي ان من مقومات العمل العلمي والجهد الفكري ونجاح العلماء في اداء واجبهم بالنهوض العلمي والحضاري للامة ما يعتمد على توفير الأمن للعلماء وبشتى ابعاده إذ يقول (ع) وقد سأل عن سورة الفاتحة فأجاب: "نزلت من كنز تحت العرش ولو ثنيت لي وسادة لذكرت في فضلها حمل بعير "[4] ، ويبدو ان تعبير (تثنيت لي وسادة) يختزل كل ماذكرناه سابقا ويدل عليه .

2.الحقوق المعنوية

ان تجربة الامام علي (ع) كامام وكعالم وكحاكم قد انعكست في التقدير العميق الذي ميز رؤيته (ع) للعلماء حتى انه جعلهم نواسا يستضاء بنوره ومصباحا يجلي دياجير الظلام بسناء الفكر إذ يقول (ع) :" انما العلماء في الناس كالبدر في السماء يضيء نوره على سائر الكواكب"[5] و " العالم مصباح الله في الارض فمن اراد الله به خيرا اقتبس منه"[6] .

1- المجلسي ، مصدر سابق ، ج57 ، ص71 .

2- الواسطي ، مصدر سابق ، ص135 .

3 - ابو منصور الطبرسي ، الاحتجاج ، مصدر سابق ، ج1 ، ص414 .

4- لجنة الحديث ، سنن الامام علي ، مصدر سابق ، ص53

5- المحمودي ، مصدر سابق ، ج3 ، ص25 .

6- مدير ، مصدر سابق ، ج2، ص11 .

ويعطي الامام بعداً مهماً في رفع شأن العلماء من الناحية الدينية إذ يقول عن العالم الفاضل بانه يجيء " يوم القيامة على راسه تاج من نور يضيء لاهل جميع العرصات "[1] . ويوجب الامام على الجميع احترام العلماء قائلاً (ع) : "من وقر عالما فقد وقر ربه "[2] ، بل ان اهمية العالم تصل عند الامام بان يكون " افضل من الصائم القائم الغازي في سبيل الله"[3] .

وفي سيرته العملية كان الامام (ع) يكيل المدح العلمي على من يستحقه من اصحابه ورفاق دربه حتى يستغرب بعضهم من هذا التواضع الذي يمارسه الامام(ع) سواء كعالم او كحاكم إزاء علماء الامة[4] ويجعل من احترام العلماء وتوقيرهم قانونا تلزم دولة الامام به نفسها إذ يقول : " لاتوقرين العالم وان كان حقودا "[5] .

ويجعل الامام في انصاف العلماء ورفع شانهم أحد اهداف الرسالة الاسلامية ، حيث يصف الامام الجاهلية بقوله : " اشهد ان محمدا عبده ورسوله ونجيبه وصفوته ، لا يوازي فضله ،ولا يجبر فقده، فقد اضاءت به البلاد بعد الضلالة المظلة والجاهلية الغالبة والجفوة الجافية ،والناس يستحلون الحريم ويستذلون الحكيم "[6] .

---

1 -زين الدين العاملي (الشهيد الثاني) ،رسالة في العدالة ، (د. م ، د. ن ، د. ت) ، ص286 .

2- الواسطي ، مصدر سابق ، ص439 .

3- ابن سلامة ، مصدر سابق ، ص25 .

4 -وروي عن علي بن ابي طالب (ع) " انه ذكر جابر بن عبد الله ووصفه بالعالم ،فقال له رجل : جعلت فداك تصف جابرا بالعالم وانت انت " ؛ ابو القاسم الخوئي ، البيان في تفسير القرآن ، مصدر سابق ، ص30 .

5- مدير ، مصدر سابق ، ص171 .

6 – الشريف الرضي (الجامع)،نهج البلاغة،تعليق وفهرسة د. صبحي،مصدر سابق،خطبة 151،ص ص256–257 .

ومن الجدير بالذكر ان هذه المكانة التي رسمها الامام للعلماء ،وبغض النظر عن العلم الذي يختصون به او مجال ابداعهم العلمي ،هي القاعدة التي تنطلق منها مجمل الحقوق الاخرى وتلقى بظلالها عليها ولاسيما الاخذ برآئهم العلمية .

3 . حق الاخذ برائهم العلمية

ان تأكيد الامام البعد الاخلاقي والمستوى العلمي للعلماء كان يهدف الى تهيأتهم للدور الذي عده الا وهو قيادة المجتمع الذي جعله الامام حقا للعلماء وجعل مكانتهم العلمية فوق السلطة السياسية حيث يقول (ع) :" الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك "[1] وان "العلماء حكام على الناس"[2] .

واذا كانت ظروفا ما تمنع العلماء من التصدي المباشر لقيادة المجتمع ، او افتقاد اولئك العلماء الى باقي متطلبات هذا الموقع ، فان الامام يجعل من حقهم التاثير والاخذ برايهم العلمي في صنع القرار حيث يقول (ع) لاحدولاته : " اكثر من مدارسة العلماء ومناقشة الحكماء في تثبيت ما صلح عليه امر بلادك واقامة ما استقام به الناس قبلك "[3] واعتقد ان تاكيد الامام على الدور الفاعل للعلماء في المجتمع وعده حقاً لهم يهدف الى تحقيق جملة من الامور لعل من اهمها :

– النهوض بالمجتمع بصيغة علمية وعقلانية .

1– مدير ، مصدر سابق ، ج2، ص342 .

2– ابن حنبل ، مسند الامام احمد ، مصدر سابق ، ج5، ص89 .

3 – بيضون ، مصدر سابق ، ص762 ؛الريشهري ، ميزان الحكمة ، مصدر سابق ، ج2، ص862 ؛ ويروي(ع) عن الرسول (صلى الله عليه وآله) : " لا خير في العيش الا لرجلين : عالم مطاع او مستمع واعٍ" المجلسي ، مصدر سابق ، ج1، حسن القبانجي ، مصدر سابق ، م9، ص175 .

– القضاء على حالة الغربة الفكرية التي يعاني منها العلماء في المجتمعات الجاهلية[1] .

–رفع شأن العلم والسعي لتطويره وتطبيقه والاخذ برأي العلماء يشعل جذوة البحث العلمي في الامة ويدفعها الى الامام .

4. حق الحرية للعلماء

يدعو الامام الى منح الحرية للعلماء ورفع الحرج والضغط الفكري عنهم سواء ببعده الذاتي حيث يقول (ع) :" اذا سئلتم عما لا تعلمون فاهربوا ، قالوا : وكيف الهرب يا امير المؤمنين ؟ قال : تقولون الله اعلم "[2] و الضغط الخارجي من ناحية عداء المجتمع وبعض مؤسساته المتخلفة وهذا ما نجده في قوله (ع) :" لا تعادوا ما تجهلون فان اكثر العلم فيما لا تعرفون "[3] وكون الامام يقر بحقيقة ان " الناس اعداء ما جهلوا "[4] فانه يشجع المتنورين في المجتمع لمساعدة العلماء قائلا : " احق الناس

بالرحمة عالم يجري عليه حكم جاهل "[5] وهذا الجو العلمي الذي يسعى الامام الى تحقيقه ،والقائم على الحرية العلمية والحوار العلمي بين المؤهلين لاستيعاب العلم بنقله الامام الى حيز العلاقة بين طالب العلم والعالم ،في رسم دقيق يوضح فيه هذه الرابطة الوثيقة قائلا : " من حق العالم على المتعلم ان لا يكثر عليه السؤال ولا يعنته في الجواب ،ولا يلح عليه اذا كسل ولا يفشي له سواولا يغتاب عنده احداولا يطلب زلته واذا زل تانيت اوبته ، وقبلت معذرته وان

---

1 – حيث يشير الامام الى هذه الحالة بقوله : "العلماء غرباء لكثرة الجهال " . الواسطي ، مصدر سابق ، ص52 .

2 – عبد الله بن بهرام الدارمي ، سنن الدارمي ، ، ج1 ، (دمشق ، مطبعة الاعتدال ، د. ت) ، ص63 .

3– مدير ، مصدر سابق ، ج1، ص183 .

4– بيضون ، مصدر سابق ، ص756 .

5 – الواسطي ، مصدر سابق ، ص111 .

تعظمه وتوقره ما حفظ امر الله وعظمه والا تجلس امامه وان كنت له حاجة سبقت غيرك الى خدمته فيهاولا تضجر من صحبته ،فانما هو بمنزلة النخلة ، ينتظر متى يسقط عليك منها منفعة وتخصه بالتحية وليكن ذلك كله لله عز وجل"[1] .

5 . حق رعاية النتاج العلمي :

يضيف الامام حقاً اخر للعلماء الاوهو حق رعاية نتاج العلماء ، إذ يسعى الامام الى تحقيق التراكم العلمي والمعرفي للامة من جهة وذلك بصيانة ابداع علمائها،واظهار الاحترام للعلماء بحفظ موروثهم العلمي من جهة اخرى ، ويقول(ع) بهذا الصدد " هلك خزان الاموال وهم احياء ،والعلماء باقون ما بقي الدهر"[2] ، اذاً هناك حق للعلماء في صيانة اثارهم العلمية وذكراهم الشخصية حتى يكونوا اسوة للناس جميعا ومثالاً يحتذى به ولاسيما طلابهم الذين شملهم الامام باهتمامه في اطار حق التعليم ، بعناية واضحة المعالم واسعة الابعاد . كانوا حاضرين في رؤية الامام علي ونص لهم على جملة من الحقوق تكاملت مع حقوق العلماء لتدعيم حق العلم للانسان.

رابعاً : حقوق طالب العلم

إلى جانب ما دعا اليه الامام علي (ع) من احترام حقوق العلماء ،فانه ابرز واهتم كذلك بحقوق طلاب العلم وذلك بهدف اشاعة العلم وتيسير سبله كحق من حقوق الانسان ويمكننا تلمس هذه الحقوق وايجازها على النحو الاتي :

1– مدير ، مصدر سابق ، ج2، ص479 .

2– بيضون ، مصدر سابق ، ص759 .

1. حق الطالب في ان يكون استاذه عالم فاضل ،

فقد تطرقنا الى الصفات السلبية العلمية والشخصية التي قد تكمن في بعض العلماء ، وقد بينا آنفاً رفض الامام (ع) لها ، وهذا يمكننا من القول ان التعليم عند الامام (ع) رسالة لا يحملها الا المؤهلون لذلك ، فالمجتمع العلمي الذي يصبو الامام الى تحقيقه يرسم ملامحه بقوله " العالم والمتعلم شريكان في الاجر ولا خير فيما بين ذلك"[1] ، "وان هذه القلوب اوعية فخيرها اوعاها فاحفظ عني ما اقول لك الناس ثلاثة ،عالم رباني، ومتعلم على سبيل النجاة وهمج رعاع اتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا الى ركن وثيق "[2] . ويشير الامام الى الاخلاقية العالية التي يجب ان تتوفر في العالم والمتعلم من جهة والفضل الذي ينالانه من جهة اخرى بقوله : " مجلس العلم روضة من الجنة "[3] .ولا يكون المجلس هكذا ما لم يحمل من يجلسه فيه الصفات الحميدة ويستحق الاحترام والتبجيل .

ويتطرق الامام الى مسالة مهمة وهي ان يكون الاستاذ الذي ينهل الطالب علمه مؤهلاً من الناحية العلمية لذلك يقول (ع) : " عشرة يفتنون انفسهم وغيرهم [منهم] ذو العلم القليل يتكلف ان يعلم الناس كثيراً "[4] .

2 . حق احترام طالب العلم

يواجه الامام النظرة الدونية من بعضهم الى طالب العلم بالرفض الشديد ،وهذه المواجهة تأتت على محورين .

أ- نظرة الازراء من بعض العلماء لطلاب العلم ، إذ يقول (ع):" لا يكون العالم عالما حتى لايحسد من فوقه ولايحتقر من دونه "[5] ويؤكد الامام

1- مدير ، مصدر سابق ، ج2، ص11 .

2- بيضون ، مصدر سابق ، ص763 .

3- مدير ، مصدر سابق ، ج2، ص323 .

4- المجلسي ، مصدر سابق ، ج47، ص400 .

5- الواسطي ، مصدر سابق ، ص 439 .

بالمقابل حقيقة هي ان " الجاهل المتعلم شبيه بالعالم وان العالم المتعسف شبيه بالجاهل "[1] .

ب- النظرة السلبية للمجتمع الجاهلي لطالب العلم ، لذلك نرى ان الامام (ع) يرفع من شأن طالب العلم إذ يقول : " طالب العلم يشيعه سبعون الف ملك "[2] ، ويؤكد (ع) حق احترام الطالب ولاسيما ان " لطالب العلم عز الدنيا وفوز الاخرة"[3] وفقاً لرؤيته (ع) .

3. حق تيسير سبل العلم

[4]

"العلم ضالة المؤمن " بهذه الفكرة التي تبناها الامام علي سعى (ع) الى انجاز حق تيسير سبل العلم لابناء المجتمع كافة ، ويقول الامام : " اعون الاشياء على تزكية العقل التعليم"[5] . ان هذا التسهيل اتخذ الصبغة العملية حيث اشرنا سابقا الى تاكيده على فاعلية المؤسسات والمناهج العملية ، فضلاً عن رفضه لاحتكار العلم إذ يقول " من المفروض على كل عالم ان يصون بالورع جانبه وان يبذل علمه لطالبه "[6] ويقول (ع) : " العلم يزكوا على

1- بيضون ، مصدر سابق ، ص757 .

2 - ابو جعفر محمد بن الحسن الصفار ، بصائر الدرجات الكوى في فضائل ال محمد(ع) ، تقديم وتعليق ميرزا محسن ، (طهران ، منشورات الاعلمي ، 1404هـ) ، ص272.

3- مدير ، مصدر سابق ، ج2 ، ص246 .

4 - العطاردي ، مصدر سابق ، ج1، ص6 .

5 - الواسطي ، مصدر سابق ، ص122 .

6- مدير ، مصدر سابق ، ج2، ص477 .

انفاقه وانفاقه بثه الى حفظته ورواته "[1] و"ان الله لم ياخذ على الجهال عهداً بطلب العلم حتى اخذ على العلماء عهدا ببذل العلم للجهال "[2] .

اما البعد الاخر لتيسير سبل العلم فهو تذليل العوائق المادية التي استشعرها الامام قائلا : "من لم يصبر على مضض التعليم بقي في ذل الجهل "[3] ،وان مسؤولية تيسير سبل العلم يلقيها الامام على عاتق الحاكم كما لاحظنا سابقا وكذلك في رسالته الى احدولاته التي يبين له فيها واجباته إذ يقول (ع): " اما بعد ... اجلس لهم العصرين فافت المستفتي وعلم الجاهل"[4] .

ولقد لاحظنا سابقا توجه الامام نحو مجانية التعليم التي يمكن ان تعززها دعوته للاستزار بالتعليم إذ يقول (ع)" اذا علوت فلا تفكر فيمن دونك من الجهال ولكن اقتد بمن فوقك من العلماء "[5] ويقول (ع) :" منهومان لا يشبعان : طالب علم وطالب دنيا "[6] .

ولا يخفى ان تعليم الصغار ، الذي اشرنا اليه سابقا ،واستمرارية التعليم بتطلب موارد مالية يجب ان تساهم الحكومة بها على نحو كبير ، ويذهب عزيز السيد جاسم الى القول : " يدعو علي بن ابي طالب الى اتحاد العلم بالناس والناس بالعلم .. ولابد – من اجل ذلك – من تحرير العلم من

1- المحمودي ، مصدر سابق ، ج7، ص11.

2 - القرشي ، موسوعة امير المؤمنين ، مصدر سابق ، ج7، ص16 . ويقول الامام : "تصدقوا على اولي العقول الزمنة –

[الزمانة العاهة] والالباب الحائزة بالعلوم التي هي افضل صدقاتكم "، مدير ، مصدر سابق ، ج2، ص279 .

3- الواسطي ، مصدر سابق ، ص428 .

4 - الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، شرح محمد عبدة ، مصدر سابق ، ج4، ص555 .

5- الواسطي ، مصدر سابق ، ص136 .

6 - الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق د. صبحي ، مصدر سابق ، حكمة 447 ، ص698.

اطره الارستقراطي اطار النخبة التي قد تلتصق بنخبة الماليين ، ذلك الالتصاق الذي حصل فعلا في البلدان الرأسمالية "[1]

ويبدو ان افضل سبل هذا التحرير هو اعلان مجانية التعليم ودعم طلبة العلم ،وان العوائق المادية ليست هي الوحيدة التي تواجه طالب العلم انما هناك عوائق اخرى يجب تذليلها بوجه طالب العلم كحق لهولاسيما حق الحرية لطالب العلم .

4- حق الحرية

بعد ان تطرقنا الى حق الحرية بشكل عام عند الامام وكذلك حرية العلماء ، فاننا نقف هنا عند تاكيد الامام لحق الحرية لطالب العلم إذ يقول (ع): "خذ الحكمة انى كانت "[2] "و خذوا من الحكمة ما بدى لكم "[3] ،وهذا يدل على الانفتاح العلمي والحضاري الذي دعاً اليه الامام وعده حقاً لطالب العلم في ان ينهل من شتى ينابيع المعرفة .

ويؤكد الامام حرية الطالب حتى في اختيار اساتذته إذ يقول : "العالم من علم ثم عمل بما علم ووافق علمه عمله وسيكون اقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم يخالف سريرتهم علانيتهم ويخالف عملهم علمهم يجلسون حلقا فيباهي بعضهم بعضا حتى ان الرجل يغضب على جليسه ان يجلس الى غيره ويدعه اولئك لاتصعد اعمالهم في مجالسهم تلك الى الله "[4] .

ويرفع الامام مسألة الخوف او الحياء الذي قد يشوب بعض النفوس التراقة للعلم وذلك لسبب اواخر ،حيث يقول (ع) "خمس لو شدت اليها المطايا حتى يظنيين لكان يسوا : لا يرجو العبد إلاربه ،ولايخاف إلا ذنبه

1- جاسم ، مصدر سابق ، ص204 .

2- ابن ابي الحديد ، مصدر سابق ، ج18 ، ص229 .

3- المحمودي ، مصدر سابق ، ج3، ص25 .

4- ابن عساكر ، مصدر سابق ، ج24 ، ص509 .

ولايستحي الجاهل ان يتعلم ..."[1] ويقول "الا لا يستحين من لا يعلم ان يتعلم فان قيمة كل امرئ ما يعلم "[2] .

ويمنح الامام (ع) حق اقالة العثرة لطالب المعرفة والعلم ، فحين "جاء اعرابي الى علي بن ابي طالب فقال السلام عليك يا امير المؤمنين كيف تقرأ هذا الحرف – من القرآن – "لا يأ كله الا الخاطون "وكل والله يخطو ؟ فتبسم علي وقال " يا اعرابي

(3) (4)

: " لا ياكله الا الخاطئون" قال صدقت والله يا امير المؤمنين " وبهذا يعطي الامام الاسوة الحسنة في اخلاقية العلم والتعليم .

5- حق تصنيف طالب العلم

يشير الامام الى حقيقة انسانية هي ان طلاب العلم على عدة اصناف بينهم (ع) قائلاً : "طلبة هذا العلم عن ثلاثة اصناف الا فاعرفوهم بصفاتهم : صنف منهم يتعلمون العلم للمراء والجدال . وصنف للاستطالة والحيل ، وصنف للفقه والعمل"[5] ويؤكد الامام وان نهوض الامة والمجتمع هو بالتركيز على النوع الثالث من طلبة العلم والمعرفة وهؤلاء هم الذين يجب ان تراعى حقوقهم إذ يقول (ع) : " لا تحدث بالعلم السفهاء فيكذبوك ، والجهال يستثقلوك ولكن حدث به من يتلقاه من اهله بقبولٍ وفهمٍ ويفهم

---

1 - النوري ، مستدرك الوسائل ، مصدر سابق ، ج8، ص467 ؛ الصلابي ، مصدر سابق ، ص233 .

2- الواسطي ، مصدر سابق ، ص109 .

3 - سورة الحاقة / الاية 37 .

4 - ابن عساكر،مصدر سابق،ج1، ص244 وفي باقي الحادثة ان الامام(ع)"التفت الى ابن الاسود فقال ان الاعراب قد دخلت في الدين كافة فضع للناس شيئا يستدلون به على صلاح السنتهم فوسم لهم الرفع والنصب والخفض .

5 - القرشي ، موسوعة امير المؤمنين ، مصدر سابق ، ج7، ص14 .

عنك ما تقول ويكتم عليك ما يسمع فان لعلمك عليك حقا كما ان عليك في مالك حقا بذله لمستحقه ومنعه عن غير مستحقه "[1] .

وكانت تجربة الامام العلمية منسجمة مع هذا التقييم الذي يهدف الى اعطاء كل ذي حق حقه من الطلاب وحتى يمكن استثمار الطاقات والقابليات الخاصة ، لذلك نرى الامام يمارس عملية تعليم خاصة لاصحاب الامكانات الخاصة من الطلاب ، حيث يقول احد تلامذته المقربين وهو ابن عباس : "اخذ بيدي الامام علي ليلة فخرج في الى البقيع وقال : اقرأ يابن عباس فقرأت بسم الله الرحمن الرحيم فتكلم في اسرار الباء الى بزوغ الفجر "[2] .وهذا ما يؤكد ماذهبنا اليه من احترام الامكانات المميزة لبعض الطلاب الذين سينهضون بالمجتمع ويعملون لخدمة الامة ، فبالعلم والعمل تنهض الامة لذا كان (حق العمل والملكية) للانسان من الحقوق البارزة في رؤية الامام علي (ع) وهذا ما سنتطرق اليه في المبحث الآتي .

1- مدير ، مصدر سابق ، ج2، ص164 .

2 - الشيخ علي النمازي ، مستدرك سفينة البحار ، ج1 (قم ، مؤسسة النشر الاسلامي ، 1419هـ) ، ص269 .

المبحث الرابع

حق العمل والملكية

يتطرق هذا المبحث الى حقين غاية من الاهمية عند الامام علي (ع) هما حق العمل وحق الملكية لذا فقد انتظم في مطلبين :

المطلب الاول : حق العمل

المطلب الثاني : حق الملكية

المطلب الاول : حق العمل

يعد العمل العنصر الاساسي والفعال في عملية الانتاج فبالجهد البشري سواء كان ذهنياً ام بدنياً يمكن الانسان من السيطرة على اجزاء من الطبيعة عبر مراحل تطوره الاجتماعي والاقتصادي، ومن ثم تمكن من سد حاجاته الضرورية في الماكل والملبس والمسكن وغيرها وكان العمل هو السمة البارزة لهذه المسيرة وتطورها والاساس الذي تقوم عليه مهمة عمارة الارض التي تطيب بها حياة الانسان فيحقق وعيه وحريته وحاجاته بل ويحقق ذاته الانسانية والحضارية ،وان استمرار العمل يعني استمرار الانتاج وديمومة التطور ولاسيما اذا ما كان العمل مخططا له ويسنده العلم ويسعى لخدمة البشر .

ولأهمية العمل في المسيرة البشرية ، اكد القرآن الكريم القيمة العليا للعمل ودوره في النشاط الاقتصادي " فالعمل بالمفهوم الاقتصادي الاسلامي الذي يؤكده القرآن الكريم هو (العمل الصالح) الذي يأتي قرين الايمان دائما والذي هو بجوهره (العمل

المنتج) ذلك ان كل (عمل صالح) يتضمن بالضرورة (عملاً منتجاً) ، الا انه ليس كل (عمل منتج) بالمفهوم الوضعي هو بالضرورة (عمل صالح)وهنا ينفرد الاقتصاد الاسلامي في مفهومه (للعمل المنتج) وذلك نابع من طبيعة الارتباط بين العمل – ليس كنشاط اقتصادي فقط وانما كفعل عبادي – وبين (عمارة الارض) التي ليست هي انجازاً دنيويا مجردا ،وانما انجاز مرتبط ببعد اخروي كذلك"[1] .

---

1 – جاسم محمد شهاب البجاري ، دراسات في الفكر الاقتصادي العربي الاسلامي ، (الموصل ، مطبعة الجمهور ، 1990) ، ص38 .

سنقتصر في دراستنا هنا على حق العمل ذو الناتج المادي المباشر في العملية الاقتصادية كونه احد حقوق الانسان عند الامام علي (ع)ولاسيما مع ما اولته الشريعة الاسلامية[1] من خصوصية استمد منها الامام رؤيته للعمل ومنهجه في توسيع وتعميق حقوق العمال .

يكن الامام علي (ع) للعمل المنتج الصالح احتراماً عميقاً ذلك الاحترام انعكس على عدة اوجه إذ يقول (ع) مبينا بعداً الهياً للعمل " ان الله يحب المحترف الامين "[2] وان الاسلام هو دعوة للعمل وفقا لقول الامام :"لانسبن الاسلام نسبة لم ينسبها احد قبلي : الاسلام هو التسليم والتسليم هو اليقين ،واليقين هو التصديق ،والتصديق هو الاقرار ،والاقرار هو الاداء

---

1 – يقول عز وجل : { من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة } سورة النحل / الاية 97 . {واما من امن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى } سورة الكهف / الاية 88 .

{من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها وماربك بظلام للعبيد } سورة فصلت / الاية 46.

{ الذين امنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب } سورة الرعد / الاية 29 .

{ فالذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم } سورة الحج / الاية 50

{وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنكم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم} سورة النور/ الاية 55

وحول الايات الاخرى التي وردت في العمل ينظر:صادق الموسوي ، مصدر سابق ، ص ص47–50 . وحول السنة النبوية للرسول(صلى الله عليه وآله) بشأن العمل ينظر: المصدر السابق ،

ص50 وما بعدها.فمثلاً يقول الرسول(صلى الله عليه وآله):"ثلاثة لا يغل عليهن قلب المؤمن:اخلاص العمل لله والنصيحة لاولي الامر ولزوم الجماعة "."اخلصوا اعمالكم فان الله لايقبل الا ما كان خالصاً له" المصدر السابق، ص50 .

2– الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، مصدر سابق ، ج17 ، ص23 ؛ جرداق ، مصدر سابق ، م1، ص156 .

(1) (2)

والاداء هو العمل " ، ويصف (ع) المؤمنون بأن " قلوبهم في الجنان وابدانهم في العمل" .

ويشير الامام كذلك الى البعد الاقتصادي في تنمية مقدرات الفرد والمجتمع من خلال العمل إذ يقول (ع) :"اطلبوا الرزق فانه مضمون لطالبه "[3] ، والمؤمن على وفق رؤية الامام علي لا يكون شاخصا الا في ثلاث : "مرمة لمعاش وخطوة لمعاد ولذة في غير محرم"[4] .

ويبرز البعد الفردي للعمل الذي يسهم في تنمية الذات الانسانية ، إذ يدفع الامام الانسان للاهتمام بعمله كون ان "قيمة كل امرئ ما يحسنه "[5] و "حرفه المرء كنزه "[6] ويخاطب الامام العامل قائلاً :" ان العمل شعار المؤمن "[7] و "الفقه مع الحرفة خير لك من سرور مع فجور"[8] والعاقل عند الامام هو " من يعتمد على عمله والجاهل يعتمد على امله"[9] و" طوبى لمن ذل في نفسه وطاب كسبه وصلحت سريرته "[10] على حد قول الامام(ع).

---

1 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، حكمة 120 ، ص627 .

2– المصدر السابق ، خطبة 192 ، ص379 .

3 – الطباطبائي ، الميزان ، مصدر سابق ، ج81 ، ص383 .

4– الطوسي ، مصدر سابق ، ج1، ص145 .

5 – القرشي ، موسوعة امير المؤمنين ، مصدر سابق ، ج6، ص85 ؛الريشهري ، ميزان الحكمة، مصدر سابق ، ج3، ص2066 .

6– مدير ، مصدر سابق ، ج1، ص422.

7 – صادق الموسوي ، مصدر سابق ، ص51 . ويقول (ع) عن صفات المؤمن " انك ترى له قوة في دين 000 وطلباً للحلال " ، المجلسي ، مصدر سابق ، ج57 ، ص74 .

8– ابن سلامة ، مصدر سابق، ص16 .

9– مدير ، مصدر سابق ، ج1، ص236 .

10 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، حكمة، 118، ص627.

والبعد الاجتماعي للعمل ، كان حاضرا عند الامام (ع) إذ سعى للرفع من شان العمل كقيمة اجتماعية عليا ، فان من عوامل الافتخار عند الامام "صناعة لايستحى منها "[1] . وعند ما سئل(ع) عن الصنعة قال هي : " اخت النبوة وعصمة المروءة"[2] ، ويرفض الامام المعيار الاموي الذي يتخذه بعضهم حائلاً دون العمل اذ يقول(ع) : " من ابطأ به عمله لم يسرع به حسبه "[3] .

ويمتدح الامام علي العاملين مذكرا اياهم ان الانبياء (عليهم السلام) كانوا من العاملين في المجتمع إذ يقول (ع) عن نبي الله

(4)

داود (ع) مثلاً : " كان يعمل سفائف الخوص بيده " . وحين سأل اهل الكتاب الامام بأن يصف لهم الرسول (صلى الله عليه وآله) قال : "كان حبيبي محمد يعقل البعير ويعلف الناضح ويحلب الشاة ويرقع الثوب ويخصف النعل"[5] وانطلق الامام كادحاً بيده حتى ورد انه اعتق " الف مملوك لوجه الله عز وجل دبرت فيهم يداه "[6] وبادر (ع) : "بالانخراط في العمل الزراعي حيث حفر ابارا في اطراف المدينة ..واقام مزارع زراعيا في ينبع "[7] وكذلك عمل(ع) في مجال البناء

---

1 – النوري ، مصدر سابق ، ج21،ص92 .

2 – محمد التستري ، مصدر سابق ، ص123 .

3 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، حكمة 29 ، ص605 .

4– المصدر السابق ، خطبة 159 ،ص277 .

5– المحمودي ، مصدر سابق ، ج1 ، ص84 .

6– الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، مصدر سابق ، ج61 ،ص3 .

7 – شريعتي ، الامام علي ، مصدر سابق ، ص ص138–139 . "وروى عن احدهم قائلاً : " جاءني علي بن ابي طالب (ع) وانا اقوم بالضيعتين .. ثم اخذ (ع) المعول وانحدر في العين فجعل يضرب وابطأ عليه الماء ،فخرج وقد تفضخ جبينه (ع) عرقا فانتكف العرق عن جبينه ثم اخذ المعول وعاد الى العين فاقبل يضرب وجعل يهمهم فانثالت كأنها عنق جزور فخرج مسرعا وقال : اشهد الله انها صدقة " . الريشهري ،ميزان الحكمة ، مصدر سابق ، ج4، ص3621 .

والتشييد[1] وهكذا جسد الامام ما كان يدعو اليه من ضرورة العمل واحترامه له.

لقد حمل الامام معوله بيدولائحة لحقوق العمال باليد الاخرى تضمنت ما يأتي :

أولاً : حق احترام العمال

فضلاً عما ذكرناه من احترام الامام علي (ع) للعمل ،فان العمال واهل الحرف كانوا محط اهتمام وتبجيل خاص من قبله إذ ينصحهم (ع) قائلا : " تعوضوا لما عند الله عز وجل فان فيه غنى عما في ايدي الناس ، الله يحب المحترف"[2] والتفت الطبقة العاملة حول الامام فجالسهم واكلهم وشعر بمعاناتهم واحاطهم برعايته وعدله حتى روى انه (ع)" كان يخطب يوم جمعة على المنبر فجاء الاشعث بن قيس يتخطى رقاب الناس [وهو من القيادات القبلية الثرية] فقال: يا امير المؤمنين الخملاء بيني وبين وجهك ، قال الامام : أ اطرد قوما اول النهار يطلبون رزق الله واخر النهار ذكروا الله .. افأطردهم فاكون كالظالمين "[3] .

ثانياً : خلق المجتمع المنتج

يضع الامام هذا المبدأ للتغلب على العوائق التي تقف ضد الارتقاء بالعمل بالنسبة للافراد إذ " ان الامة الاسلامية ليست مجرد تجميع عددي للمسلمين وانما تعني تحمل هذا العدد لمسؤوليته الربانية على الارض فالامة الاسلامية مسؤولة داخليا بان

تامر بالمعروف وتنهي عن المنكر أي بان تحول عقيدتها الى عملية بناء .. فالايمان ليس هو العقيدة المحنطة في القلب

---

1 – محمود يوسف الصالحي الشامي ، سبل الهدى والرشاد في سوة خير العباد ، تحقيق عادل احمد عبد الموجود ، ج3، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1993) ، ص337.

2 – الحواني ، مصدر سابق ، ص111 .

3– المجلسي ، مصدر سابق ، ج14،ص118 .

بل الشعلة التي تتقد وتشع بضوئها على الاخرين "[1] لذلك كان الامام يقول ان الاسلام هو العمل.

ان سعي الامام لتحقيق هذا المسعى كان باتجاهين :

1 . القضاء على سلبيات العمل والعمال في المجتمع ، إذ يقول (ع)" آفة الاعمال عجز العمال"[2] وان " العجز مهانة "[3] و" العجز افة "[4] ، ويرفض الامام كذلك قيم العجز والكسل سواء للفرد ام المجتمع فيقول (ع) : " الكسل يفسد الاخوة "[5] بل ان " افة النجاح الكسل"[6] و " من دام كسله خاب امله"[7] .

2 . ومن جهة ثانية فان الامام يؤكد القيم التي تصنع الامة المنتجة والفرد المنتج إذ يؤشر اهمية كل من

أ– الدقة والاخلاص في العمل ، فيقول (ع) :" اخلصوا اذا عملتم "[8] و"بالاخلاص يتفاضل العمال "[9] وان "بالاخلاص ترفع الاعمال "[10] .

ب– احترام الوقت ، إذ يقول (ع):" لا تؤخر عمل يوم الى غد وامضى لكل عمله"[11] ويقدم الامام نصيحته قائلا :"اغتنم وقتك بالعمل "[12] ، ويدعوا الى التبكير بالعمل في سبيل استغلال امثل للوقت إذ يقول (ع)

1– محمد باقر الصدر ، الاسلام يقود الحياة ، (د.م ، د.ن ، د. ت) ، ص97 .

2– مدير ، مصدر سابق ، ج1، ص29 .

3– ابن سلامة ، مصدر سابق ، ص14 .

4– المصدر السابق ، ص14 .

5 – النوري ، مصدر سابق ، ج31 ،ص45 .

6– المصدر السابق ، ج31 ، ص45 .

7– المصدر السابق ، ج31 ، ص45 .

8– مدير ، مصدر سابق ، ج1،ص71 .

9– المصدر السابق ، ج1، ص339 .

10- المصدر السابق ، ج1 ، ص339 .

11- الواسطي ، مصدر سابق ، ص136 .

12- المصدر السابق ، ص150 .

:"اطلبوا الرزق فيما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس"[1] "واياكم تاخير العمل "[2] .

جـ- قيادة العلم للعمل ، إذ يقول (ع) " اعمل بالعلم تترك غنما "[3] و" بحسن العمل تجنى ثمرة العلم "[4] .وان "اشد الناس ندما عند الموت العلماء غير العاملين"[5] .

د-العمل المدروس ، إذ يقول(ع):"اذا امضيت امرا فامضه بعد الروية ومراجعة ومشورة"[6] .

هـ- التخصص والاستمرارية ، اذ يقول الامام مؤكداً اهمية التخصص في العمل ، " من اوما الى متفاوت خذلته الحيل "[7] ويقول (ع) بشان استمرارية العمل والاصرار عليه "قليل تدوم عليه ارجى من كثير مملول منه "[8] .

و- تأكيد الروح الوثابة وتعزيز الشجاعة العملية اذ يقول الامام : " وركوب الاهوال تكسب الاموال "[9] و "ما ادرك المجد من فاته الجد "[10] "وان من قصر في العمل ابتلي بالهم"[11] .

1- مدير ، مصدر سابق ،ج1، ص133 .

2 - القرشي ، موسوعة امير المؤمنين ، مصدر سابق ، ج6 ، ص10 .

3- مدير ، مصدر سابق ، ج1، ص151 .

4- الواسطي ، مصدر سابق ، ص189 .

5- المصدر السابق ، ص121 .

6 - مدير ، مصدر سابق ، ج1، ص83 ؛ وللمزيد حول رؤية الامام للدقة والتخصص ينظر : د. محسن باقر الموسوي ، الادارة والنظام الاداري عند الامام (ع) ، ط1 ، (بيروت ، مركز الغدير للدراسات الاسلامية ، 1998) ، ص18 وما بعدها .

7- بيضون ، مصدر سابق ، ص736.

8- المصدر السابق ، ص733 .

9- الواسطي ، مصدر سابق ، ص185 .

10 - صادق الموسوي ، مصدر سابق ، ص52 .

11 - الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، حكمة 122، ص628.

ز- التاكيد على حكم الشرع والعمل بأخلاقيات الإسلام ، إذ هناك كثير من المواقف والكلمات للامام بهذا الشأن فيقول (ع)

:" اذا دخلتم الاسواق لحاجة فقولوا : اشهد ان لااله الا الله وحده لاشريك له وان محمداً عبد ورسوله (صلى الله عليه وآله) اللهم اني اعوذ بك من صفقة خاسرة ويمين فاجرة " [1] ،وهنا تبرز موازنة دقيقة بين المتطلبات الاقتصادية بالربح والحفاظ على المصداقية والاخلاق الاسلامية وهذا ما سعى (ع) الى تحقيقه في الامة ، إذ كان (ع) يقول : " من اتجر بغير فقه ارتطم في الربا " [2] ، بل ان التاجر الصادق وكذلك العامل الصادق في اعلى درجات التقدير والاحترام عند الامام فقد نسب اليه قوله : " ثلاثة يدخلهم الله الجنة بغير حساب، امام عادل وتاجر صدوق وشيخ افنى عمره في طاعة الله " [3] ، و" ان اعظم الحسرات يوم القيامة حسرة رجلا كسب مالا في غير طاعة الله فورثه رجلا انفقه في طاعة الله سبحانه فدخل به الجنة ودخل الاول به النار " [4] ، لذلك يمكننا القول ان الاخلاق الاسلامية هي السمة الغالبة ذات الاولوية على حساب الربح على وفق رؤية الامام الاقتصادية .

1- مدير ، مصدر سابق ، ج1،ص88 .

2 - الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، حكمة 437 ، ص697.

3 - الواسطي ، مصدر سابق ، ص212 .

4 - الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، حكمة 419، ص694 .

ثالثاً : حق توفير فرص العمل

من بين معالم الرؤية العملية للامام يبرز تأكيده (ع) حق توفير فرص العمل للقوى والطاقات المتوفرة في ابناء الامة العاطلين عن العمل ، فعن طريق العمل يتم تحقيق الابعاد الانسانية والمجتمعية التي دعى اليها الامام (ع) ، إذ ورد عنه وصفه للسمات السلبية التي قد تظهر في الامة " حيث تكون ضربة السيف على المؤمن اهون من الوهم من حله " [1] . ويقول الامام عن عهود الجاهلية والظلم وصعوبة الوضع الاقتصادي وشحة العمل،" تأملوا امرهم في حال تشتتهم وتوقهم ليالي كانت الاكاسرة والقياصرة اربابا لهم يحتازونهم [2] عن ريف الافاق وبحر العراق وخضرة الدنيا الى منابت الشيح ورياض الريح ونكد المعاش فتركوهم عالة مساكين اخوان دبر ووبر اذل الامم دارا واجدبهم قرارا " [3] .

ولقد دعا الامام علي الى تهيأة الأجواء المساعدة على انشاء فرص العمل واحتضان طاقات الامة فعلى الدولة الاسلامية ، "تنمية كل الطاقات الخيرة لدى الانسان وتوظيفها لخدمة الانسان ...واستئصال الدولة الاسلامية لكل علاقات الاستغلال التي تسود مجتمعات الجاهلية وبتحرير الانسان من استغلال اخيه الانسان في كل مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والفكرية ستوفر للمجتمع طاقتين للبناء احداهما طاقة الانسان المستغل الذي تم تحريره لان طاقته كانت تهدر لحساب المصالح الشخصية للاخرين ووقودا لعملية التكاثر في الاموال وزينة الحياة الدنيا بينما هي بعد التحرير طاقة بناءة لخير الجماعة البشرية، والاخرى طاقة المستغل الذي كان يبدد امكاناته في تشديد

1- المصدر السابق ، خطبة 187 ، ص343.

2 - يقبضونهم عن الاراضي الخصبة .

3- المصدر السابق ، خطبة 192 ، ص372 .

قبضته على مستغليه بينما تعود هذه الامكانات بعد التحرير الى وضعها الطبيعي وتتحول الى امكانات بناء وعمل"[1] .

اما الجانب العملي الذي دعا اليه الامام وجسده في سياسته العملية لتعزيز فرص العمل في المجتمع فأبرز ملامحه هي :

1 . الرقابة الاقتصادية

لغرض استقرار العلاقة بين المنتج والمستهلك على وفق معايير واضحة ومقبولة من كلا الطرفين ،فان الامام (ع) فرض على الدولة مراقبة العملية الاقتصادية برمتها لاسيما الوقوف بالضد من ظاهرة الغش ، حيث كان الامام " كحاكم للامة الاسلامية يقوم بالرقابة على السوق ويتجول بين الباعة ويوصيهم بتقوى الله تعالى وينهاهم عن معصيته ويأمرهم بالاستقامة في معاملاتهم "[2] ، وكان (ع) يراقب اعمال تجار وقصابين وخياطيين واطباء وغيرهم[3] ، و"يسأل عن الاسعار "[4] ويوصي بان يكون "البيع بيعا سمحا ،بموازين عدلٍ ،واسعار لاتجحف بالفريقين من البائع والمبتاع "[5] ، وكان (ع) يقول لاصحاب المهن والتجار : " احسنوا وارخصوا بيعكم على

1- محمد باقر الصدر ، الاسلام يقود الحياة ، مصدر سابق ، ص93 .

2 - القرشي ، موسوعة امير المؤمنين ، مصدر سابق ، ج11، ص ص43-44.

3- المجلسي ، مصدر سابق ، ج14 ، ص104 ؛الريشهري ، ميزان الحكمة ، مصدر سابق ، ج2، ص1727؛ الصلابي ، مصدر سابق ، ص135 ؛ هاشم البحراني ، مصدر سابق ،ج2، ص234 .

4 - احمد الطوي ، مصدر سابق ، ص109 .

5 - الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تحقيق د. صبحي ، مصدر سابق ، كتاب 53، ص562 .واستنادا الى هذه المقولة يذهب السيد محمد الشيرازي الى ان الدولة حق التسعير وحق الوقوف امام الاجحاف محمد الشيرازي ، الفقه السياسة ، مصدر سابق ، ص27 .

المسلمين فانه اعظم للبركة "[1] ، ان هذا النشاط والتفعيل الاقتصادي يسهم في تحقيق الكسب المادي وفتح ابواب العمل امام ابناء الامة .

2. القضاء الاقتصادي

ان العمل الاقتصادي يكتسب التنظيم والنجاح بوجود مظلة من (القضاء الاقتصادي العادل)[2] للفصل في النزاعات التي تحدث فتشيع الطمأنينة عند الناس على اعمالهم واموالهم ومن ثم تزدهر الحياة الاقتصادية وتتعزز فرص العمل ، ولتحقيق هذا المسعى نرى ان الامام قد قضى في الاشكالات ذات الطابع الاقتصادي وفقا للشريعة الاسلامية والتعامل المنصف[3] .

وفي عهد الامام تطور الواقع الاجتماعي والاقتصادي فقد " استحدثت مشكلات فوجب عليه ان يواجهها باجتهاده ، من ذلك انه امر تضمين الصناع ، فاذا تلف عند صانع... شيء ما عوض صاحبه .. فافتى [الامام] بان الصناع ضامنون لما تحت ايديهم وعلل ذلك بقوله :" فسد الزمان ولايصلح الناس الا بهذا "[4] وهذا ما يدلل على ضرورة مواكبة القضاء لتطورات الوضع الاقتصادي والاستجابة لمتطلبات المجتمع وان يكون القضاء عنصرا دافعا للحركة الى الامام وليس قيداً يعيق تلك الحركة الايجابية .

3 . تنظيم العمل والسلوك الاقتصادي في المجتمع

يلقي الامام على عاتق الحكومة في الامة الاسلامية تنظيم العمل وجعل النشاط الاقتصادي مقتصرا على ما هو مثمر وشرعي على وفق

---

1 – القرشي ، موسوعة امير المؤمنين ، مصدر سابق ، ج11، ص44 .

2 – سنتطرق لموضوع حق التقاضي في الفصل الخامس ، المبحث الثاني .

3– ينظر : لجنة الحديث، سنن الامام علي،مصدر سابق،ص432 ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية،مصدر سابق ، ج8، ص5.

4 – الشرقاوي ، مصدر سابق ،ج2، ص348 . وحول نفس الموضوع انظر كذلك ؛ الهندي ، مصدر سابق ، ج3، ص924 ؛ الصلابي ، مصدر سابق ، ص357 .

الشريعة الاسلامية ،لذلك فان حكومة الامام حرمت ممارسة عدة اعمال تضر الوجود السياسي للدولة من جهة والمجتمع والامة من جهة ثانية والفرد العامل بهذه المهنة ومحيطه الاسري من جهة ثالثة ، ومن جملة الاعمال التي رفض الامام ان تمارس في الامة:

أ– الاحتكار

يمكن تعريف الاحتكار من الناحية الفقهية بأنه " حبس السلعة والامتناع عن بيعها لانتظار زيادة القيمة مع حاجة المسلمين اليها وعدم وجود الباذل لها "[1] ، ويعد الاحتكار من الامراض الاقتصادية والاجتماعية الخطرة التي لها انعكاسات سيئة على المجتمع ولذلك شرع الاسلام تحريمه ومنعه وحاربه بشدة وعلى كافة الاصعدة النظرية والعملية الدنيوية والاخروية ، لذلك اتخذ الامام علي موقفاً مضاداً للاحتكار ، اذ يقول:" الاحتكار شيمة الفجار "[2] . بل ان " الاحتكار رذيلة"[3] وفق رؤيته (ع) .

اما الجانب العملي الذي يحذر منه الامام ولاته وأركان دولته فانه تجسد بقوله عن التجار في " كثير منهم ضيقا فاحشا

وشحا قبيحا واحتكارا للمنافع وتحكما في البياعات ، وذلك باب مضرة للعامة ،وعيب على الولاة فامنع من الاحتكار ، فان رسول الله (صلى الله عليه وآله) منع منه .. فمن قارف الحكرة بعد نهيك اياه فنكل وعاقب في غير اسراف "[4] .

---

1 – ابو القاسم الموسوي الخوئي ، منهاج الصالحين ، ط28،(قم ، د.ن ، 1410 هـ) ج2،ص13 .

2– مدير ، مصدر سابق ، ج1 ، ص49 .

3– المصدر السابق ، ج1 ، ص49 .

4 – الشريف الرضي(الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، كتاب 53،ص ص562–563.

ولابد لنا من الاشارة ان الامام حذر من الحكرة التي قد تمارسها السلطات الحاكمة وعد الامام هذا النوع هو من أسوء انواع الاحتكار حيث كان (ع) يوزع ما يأتيه من اموال الامة في اسوع واعدل طريقة ممكنة[1] .

ب– الربا

الربا في اللغة معناه الزيادة ،ربا المال : أي زاد ونما وربا الشيء ، أي زاد ونما وكثر[2] . اما في الاصطلاح الفقهي فهو على قسمين :

الاول : ما يكون في المعاملة .

الثاني : ما يكون في القرض .

اما الاول : " فهو ان يبيع احد المثلين مع زيادة عينية في احدهما "[3]

والثاني : " هو ان يدفع الانسان مالاً لشخص اخر قرضاً لمدة معلومة على ان يدفع له اكثر عند حلول الوقت "[4] .

ان تحريم الشريعة الاسلامية للربا[5] ،والاثار السلبية للنظام الربوي الذي يدني من قيمة العمل ويرفع من قيمة راس المال الحقيقية جعلت الامام علي يؤكد منع الربا حتى انه وجد في كتاب ينسب للامام (ع):"الكبائر خمسة الشرك وعقوق الوالدين واكل الربا بعد البينة.."[6] .

---

1 – حول التوزيع المتساوي للثروة ينظر : صادق الشيرازي، مصدر سابق ، ص ص124–125 .

2– ابن منظور ، مصدر سابق ، ج14 ، ص306 ؛ ابو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن ، ج2، ط1 ، (بيروت ، مؤسسة الاعلمي، 1995) ، ص204 .

3– ابو القاسم الخوئي ، منهاج الصالحين ، مصدر سابق ، ج2، ص51 .

4– المصدر السابق ،ج2، ص170 .

5 – مثل قوله تعالى : { الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بانهم قالوا انما

البيع مثل الربا واحل الله البيع وحرم الربا } سورة البقرة /اية 275 . وكذلك في سورة ال عمران/الايات 278-279. وفي السنة النبوية انظر مثلا : قوله (صلى الله عليه وآله) : " شر المكاسب كسب الربا " الحر العاملي، وسائل الشيعة ، مصدر سابق ، ج18، ص122 .

6- الشهيد ، مصدر سابق ،ج2، ص352 .

جـ- استغلال الدين لتحقيق المصالح الاقتصادية :

لقد دافع الامام علي (ع) على تنقية الاسلام بنفس الروح التي قاتل من اجلها لنشر وتثبت دعائم الاسلام ، لذا رفض (ع) أي استغلال اقتصادي او اعتبار الاسلام وسيلة ومهنة لتحقيق المنافع الاقتصادية فورد عنه انه قال :" من قرأ القرآن ياكل به الناس جاء يوم القيامة ووجهه عظم لا لحم فيه "[1] ،وجاءرجل فقال : للامام: " يا امير المؤمنين والله اني احبك لله فقال له – الامام – : لكني ابغضك لله ،قال : ولم ؟ قال لانك ... تاخذ على تعليم القرآن اجرا وسمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول من اخذ على تعليم القرآن اجر كان حظه يوم القيامة "[2] . أي ليس له من الاجر شيء طالما انه استوفى ثمن قرائته للقرآن ، ويقول (ع) : "رأس السحت... اجر الكاهن"[3]

د- الاعمال المساندة للحكومات الظالمة

انسجاما مع رفض الامام للظلم والحكومات المستبدة ، فانه (ع) يرفض الركون الى الظالمين ، كما انه يرفض العمل في خدمة الحكومات الظالمة بما يعينها على الظلم حيث ورد عن احد اصحاب الامام – نوف البكالي – قال : "رايت امير المؤمنين ذات ليلة ، وقد خرج من فراشه، فنظر في النجوم فقال : " يا نوف ، أراقد انت امرامق ؟ فقلت : بل رامق يا امير المؤمنين ... – قال الامام – يا نوف ان داود (ع) قام في مثل هذه الساعة من الليل فقال : انها ساعة لا يدعو فيها عبد إلا استجيب له الا ان يكون عشارا[4] او عريفا[5] او شرطيا "[6] .

---

1 – ابو يوسف البحراني ، مصدر سابق ،ج71 ، ص350 .

2 – المحقق الاردبيلي ، مصدر سابق ،ج8، ص17 .

3- الهندي ، مصدر سابق ، ج2 ، ص402 .

4- من يتولى اخذ اعشار المال .

5 – من يتجسس على احوال الناس واسرارهم .

6 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، حكمة 99 ، ص622 .

هـ- الاعمال العبثية

في سبيل تركيز العمل لصالح الفرد والمجتمع ، فان الامام علي (ع) رفض بشكل قاطع أي عمل غير مثمر في هدفه او عبثي في وسيلته مثل اعمال ادعاء معرفة الغيب وكشف الطالع حيث يقول (ع) : " من اتى كاهناً او عرافاً فصدقه بما يقول فقد كفر بما انزل على محمد(صلى الله عليه وآله)" [1] ، وكذلك وقف الامام بشدة ضد اعمال اللهو والفجور والميسر الذي عرفه بان "كل ما الهى عن ذكر الله فهو ميسر " [2] لذلك رفض بعض الاعمال اللهوية كالمراهنة والغناء الفاحش ...وغيرها من الاعمال المحرمة وذات الطابع العبثي [3] موضحا ان عمر الانسان وجهده اثمن واسمى من ان تضيع سدى . ناصحا الانسان بقوله (ع) :" احذر كل عمل اذا سئل عنه صاحبه انكره واعتذر منه" [4] .

ويمكن تحديد موقف من الاعمال المحرمة بقوله (ع) :

" من السحت : ثمن الميتة .. ومهر البغي وكسب الحجام واجر الكاهن واجر القفيز [5] ،واجر الفرطون [6] ،... وثمن الكلب واجر الشرطي الذي لا

---

1 – الهندي ، مصدر سابق ، ج6، ص752 . وبنفس المعنى ولكن كلمات مختلفة ينظر : ابو بكر احمد بن علي الرازي الجصاص ، احكام القرآن ، ضبط نصه عبد السلام محمد علي شاهين ، ج1 ، ط1 ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1994) ، ص60 .

2 – الراقي ، مصدر سابق ،ج41، ص88 .

3 – حول هذه المواقف ينظر : القرطبي ، مصدر سابق ، ج7، ص338 ؛ البيهقي ، مصدر سابق ، ج1، ص212؛ الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، حكمة 99، ص622.

4 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، كتاب 69 ، ص591 .

5 – هو المكيال والمساحة أي الغش فيهما . ابن منظور ، مصدر سابق ، ج5، ص395 .

6 – السباق على الابل وجلود السباع ، المصدر السابق ،ج7، ص367 .

يعديك الا باجر واجر صاحب السجن ...واجر الساحر ..واجر القارئ الذي لايقرأ القرآن الا باجر ولاباس ان يجرى له من بيت المال والهدية يلتمس افضل منها والرشوة في الحكم" [1] .

ويتضح مما ذكر ان الامام يمنع الاعمال التي تهدم المجتمع وتؤدي الى التخلف والانحطاط الحضاري او الاستغلال الاقتصادي .

4 – تشجيع العمران

في ضمن سعي الامام (ع) الى توفير العمل كجزء من حقوق الانسان الذي يفترض ان يجد عملاً يوافق مؤهلاته ويسد

حاجاته المادية والنفسية دعى (ع) الى تشجيع القيام بمشاريع الاعمار والنهوض بالاقتصاد سواء على مستوى الافراد والدولة مؤكداً مسؤولية الحكومة في هذا الشأن جاعلا العمران من واجباتها الاساسية إذ يقول في عهده إلى الاشتر : " هذا ما امر به عبد الله امير المؤمنين ، مالك بن الحارث الاشتر في عهده اليه حين ولاه مصر : جبوة خراجها وجهاد عدوها واستصلاح اهلها وعمارة بلادها"[2] .

ويوضح الامام خطة العمل الحكومي فترة حكمه (ع) ، وفي عهد الاشتر ايضاً قائلاً : "وليكن نظرك في عمارة الارض ابلغ من نظرك في استجلاب الخراج لان ذلك لايدرك الا بالعمارة ومن طلب الخراج بغير

---

1 – النوري ، مصدر سابق ،ج31، ص69 .

وينسب للامام علي قوله : " طرق طائفة من بني اسرائيل ليلا عذاب واصبحوا وقد فقدوا اربعة اصناف الطبالين والمغنين والمحتكرين الطعام والصيارفة اكله الوبا منهم " ؛ المصدر السابق ،ج31، ص96 .

2 – الشريف الرضي(الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، كتاب 53 ، ص546.

عمارة اخرب البلاد واهلك العباد ولم يستقم امره الا قليلا"[1] ، ويعلق باحث معاصر على هذه الفقرة قائلا: " هذه التفاتة رائعة فيها دقة متناهية في النظرة العامة لمستقبل البلاد ،فعمارة الارض هي شاملة هنا للارض الزراعية وتطوير الحياة المدنية في البلاد فالوالي .. يجب ان يهتم وينظر الى عمران البلد والمحافظة على اهله "[2] .

ويجعل الامام من تنشيط العمران وتفعيل النشاط الاقتصادي من اهم مزايا الحاكم الصالح حيث يقول (ع) : " فضيلة السلطان عمارة البلدان "[3] ويربط (ع) بين التطور الاقتصادي والعمراني وحق الحرية الذي دعى اليه الامام لاسيما في جانبه السياسي إذ يقول (ع) "لا يكون العمران حيث يجور السلطان "[4] ويدعم(ع) مشاريع العمران والتنمية والتطور الاقتصادي لكافة ابناء المجتمع سواء كانوا مسلمين ام من ديانات اخرى حيث كتب الى احدولاته: " اما بعد فان رجالا من اهل الذمة من عملك ذكروا نهرا في ارضهم قد عفا وادفن وفيه لهم عمارة والمسلمين ،فانظر انت وهم ثم اعمر واصلح النهر ،فلعمري لان يعمروا احب الينا من ان يخرجوا وان يعجزوا او يقصروا في واجب من صلاح البلاد والسلام"[5] .

ويؤكد الامام على ضرورة تيسير طرق وسبل النقل حتى تزدهر الحياة الاقتصادية ،وقد تطرقنا سابقا لحق حرية النقل عند الامام ،حيث يقول (ع) :"ليس في الغربة عار وانما العار في الوطن الافتقار "[6] "وليس بلد باحق

1– المصدر السابق ، كتاب 53 ، ص559 .

2 – عبد الرضا الزبيدي ، في الفكر الاجتماعي عند الامام علي ، مصدر سابق ، ص296.

3 – الواسطي ، مصدر سابق ، ص357 .

4- اليعقوبي ، مصدر سابق ، ج2، ص203 .

5- المصدر السابق ، ج2، ص203 .

6 - الواسطي ، مصدر سابق ،ص410.

بك من بلد خير البلاد ما حملك "[1] ، بل ويؤكد على شق الطرق وتيسير النقل حيث قال لبعض من تعدى على الطريق العام " لا اعفوا عنكم الا..وقد هدمتم هذه المجالس وسددتم كل كوة وقلعتم كل مزاب ... على الطريق ،فان هذا كله في طريق المسلمين وفيه اذى لهم "[2] .

5. تشجيع العمال

لقد ساعد الامام على تشجيع العمال وتسهيل سبل العمل حتى انه "كره ان ياخذ من سوق المسلمين اجرا "[3] وقال (ع) "سوق المسلمين كمسجدهم ،فمن سبق الى مكان فهو احق به الى الليل وكان لايأخذ على بيوت السوق كراء "[4] ، ويبدو ان الامام ربط بين سوق المسلمين بمسجدهم ليس للتأكيد على حق العمل فحسب بل كذلك ضرورة اشاعة الاخلاق والروح الاسلامية بين المكانين وضرورة البحث عن مرضاة الله ومنفعة الامة في كليهما .

ومن ناحية اخرى فان الامام شجع عمل العمال ، حيث كان امير المؤمنين يقول :"من احيا ارضا من المؤمنين فهي له "[5] ويعلق الباحث محمد شمس الدين على هذا المبدأ قائلا : " من الشروط الاساسية لنجاح العمل وازدهاره ان يقبل العامل عليه بهمة ونشاط وان يشعر نحوه بالحب والرغبة وان يحس حين زاوله انه ينمي شخصيته الانسانية ويؤكد قدرتها على الابداع ...ولايمكن ان يقف العامل هذا الموقف الا اذا شعر بان عمله يعود عليه بالنفع والفائدة ومن هنا اعتبرت الملكية الخاصة من اعظم الاسباب

---

1 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، حكمة 432،ص696 .

2– المجلسي ، مصدر سابق ، ج101 ،ص254 .

3– الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، مصدر سابق ، ج21، ص300 .

4– لجنة الحديث ، سنن الامام علي ، مصدر سابق ، ص438 .

5– المصدر السابق ، ص445 .

الدافعة الى ازدهار العمل "[1] ،فاذا امتلك العامل الارض كان ذلك دافعاً اضافياً لاعمار الارض وتفعيل النشاط الاقتصادي .

ويؤكد الامام ضرورة احترام العمل المنجز وكذلك المساواة على وفق المعايير الموضوعية للحكم على الانسان من خلال عمله دون أي اعتبار اخر ، حيث يقول في عهده للاشتر : " ثم اعرف لكل امرئ منهم ما ابلى ،ولا تضيفن بلاء امرئ الى غيره ولاتقصرن به دون غاية بلائه ،ولايدعونك شرف امرئ الى ان تعظم من بلائه ما كان صغيرا ولا ضعة امرئ الى ان تستصغر من بلائه ما كان عظيما "[2] ،وهذا ما يدفع العمال في مستويات المسؤولية كافة الى العمل والابداع .

6. التخطيط الاقتصادي

نتلمس توجه الامام علي (ع) نحو تخطيط المستقبل ومواجهة التحديات التي قد تواجه الامة ، إذ يقول (ع) :" فان من لم يحذر ما هو صائر اليه لم يقدم لنفسه ما يحرزها "[3] .

ويؤكد الامام (ع) ضرورة ادخار ما يمكن من الثروة العامة لضمان ديمومة عجلة المعيشة والتطور والعمل في المجتمع وان يكون الانفاق والادخار الشخصي والعام على قدر من المسؤولية والتخطيط الاقتصادي إذ يقول (ع): " الاقتصاد ينمي اليسير "[4] و" الاقتصاد نصف المؤونة"[5] و"اقتصد في امرك تحمد مغبة عملك"[6] ، ويدعو الامام الى العمل بالمشاريع ذات البعد المستقبلي حيث يقول : " شتان بين عملين ،عمل تذهب لذلته

---

1 – محمد مهدي شمس الدين ، دراسات في نهج البلاغة ، مصدر سابق ، ص89.

2 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، كتاب 53 ، ص556 .

3– محبوبة ، مصدر سابق ، ص86 .

4– ابن سلامة ، مصدر سابق ، ص14 .

5– مدير ، مصدر سابق ، ج1، ص168 .

6– المصدر السابق ، ج1 ، ص168 .

وتبقى تبعته ،وعمل تذهب مؤونته ويبقى اجره"[1] ويقول (ع) " لا يعدم الصبور الظفر وان طال به الزمان "[2] .

ويؤكد الامام (ع) مسالة تطوير الوسائل الاقتصادية لتعزيز ومواجهة المشاكل الاقتصادية التي قد تواجه الامة ،فعن "عمار بن ياسر ،قال : كنت وعلي بن ابي طالب رفيقين في غزوة ... ورأينا اناساً يعملون في عين لهم وفي نخل ، فقال لي علي بن ابي طالب ، يا ابا اليقظان، هل لك ان تاتي هؤلاء القوم ، فننظر كيف يعملون ؟ قلت : ان شئت ، فجئناهم فنظرنا الى عملهم ساعة"[3] وهذا يدل على اهتمام الامام بالعمل وسبل تطويره والاستفادة من تجارب الاخرين في هذا المضمار، ويقول كاتب معاصر عن توجيه الامام في هذا المضمار " هناك دليل اخر على سداد رايه وبعد نظره وهو نقل عاصمة الخلافة من الجزيرة الى العراق ، ان هذا العمل يدل على عبقرية البطل المجدد الذي لا يهاب التجديد ولا يخاف الانبعاث في حياة الامة ، وقد كان صنيعه تجديدا كليا ويكاد يكون ثورة على جفاف الجزيرة العربية وشحها المخيف وفقرها المهرب وخرابها البائس الى رفاهية العراق وعظمة موارده وسعة ثروته وجلال عمارته ،وكان صنيع الامام علي يدل على عبقرية فذة ، فهو يسبق الزمن ولا يجعل الزمن يسوقه الى التطور الحتمي "[4] ، وذلك حرصا واهتماما منه بتطور المجتمع وقواته وعمله في سبيل اعمار الارض وخدمة وفائدة الانسان.

---

1 – الشريف الرضي (الجامع) ،نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، حكمة 116 ، ص626.

2– بيضون ، مصدر سابق ، ص736 .

3 – ابن هشام الحموي ، مصدر سابق ،ج1، ص434 .

4 – روكس بنزائد العزيزي،الامام علي اسد الاسلام وقديسه،ط2 ،(بيروت،دار الكتاب العربي ،1979)،ص50 .

رابعاً : منع السخرة

لقد منع الامام من نظام السخرة ، أي استغلال جهد وعمل الانسان من غير مقابل وباستخدام القوة والاجبار ،فقد كان (ع) يقول : " وصى رسول الله لا سخرة على مسلم "[1] .

واصدر الامام في مدة حكمه ، امراً بمنع هذه الظاهرة السلبية فقد " كتب الى عماله : لاتسخروا المسلمين فتخلوهم ومن سألكم غير الفريضة فقد اعتدى فلا تعطوه"[2] ، ويعلق الاستاذ جرداق على هذا المبدأ قائلا : " فليس التسخير مما يجوز في شرع علي .. وبهذه النظرة العميقة لاحوال العمل والعمال ، استطاع علي ان يسبق مفكري الغرب بما نيف عن الف عام ... لان فكرة الاجبار بحد ذاتها انتقاص من القيمة الانسانية واساءة الى الحرية الخاصة ثم العمل نفسه الذي لاتكتمل شروطه بالاكراه "[3] والانسان اذا كان حرا اندفع للعمل ولاجل الاستقطاب والجذب لنتاجه وادائه في العمل سيقدم افضل ما يمكن واكثر ما يمكن ورخص ما يمكن فضلاً عن الدافع النفسي الذي يحدوه الى الابداع والتطور .[4]

خامساً– حق التمتع بأوقات الراحة

رفض الامام علي (ع) ان يفرغ الانسان من محتواه ويتحول إلى اداة للانتاج الاقتصادي فحسب ، لذلك اشار (ع) إلى حق العامل في ان يخلد إلى الراحة ، اذ يقول: " للمؤمن ثلاث ساعات ، فساعة يناجي فيها ربه ،

---

1 – الريشهري ، ميزان الحكمة ، مصدر سابق ، ج1، ص4 .

2– المجلسي ، مصدر سابق ، ج1، ص172؛لجنة الحديث،سنن الامام علي،مصدر سابق، ص99.

3 – جرداق ، مصدر سابق ، م1، ص156 .

4 – وحول هذه الفكرة بتفصيل اكثر ينظر : محمد الشيرازي ، الفقه السياسية ، مصدر سابق ، ص ص24–25 .

وساعة يرمم معاشه ، وساعة يخلي فيها بين نفسه وبين لذتها فيما يحل ويجمل "[1]

سادساً : حق الاجور العادلة

يعد الامام هذا الحق ، من اهم حقوق العمال اذ يجب ان لا تبخس جهودهم وتستغل حاجتهم للعمل حيث ورد عنه(ع)بان "[2]

اقذر الذنوب ثلاثة ، منع الاجير اجره..." . وتبرز اهمية موضوع الاجور العادلة عند الامام علي ، كما يروي احدهم " كنت جالسا عند امير المؤمنين علي بن ابي طالب في مسجد الكوفة ،فاتاه رجل من بجيلة ... ومعه ستون رجلا ... فسلم وسلموا ، ثم جلس وجلسوا ثم قال : يا امير المؤمنين اعندك سوا من رسول الله (صلى الله عليه وآله) تحدثنا به؟ قال : نعم ،يا قنوائتني بالكتابة ففضها .. وفيها "بسم الله الرحمن الرحيم .. ان لعنة الله وملائكته والناس اجمعين على من ظلم اجيرا " [3] .

ودعا الامام الى اهتمام الدولة بالرقابة والتدخل من اجل تحقيق الاجور العادلة للعمال حيث كان الامام يكتب الى ركان دولته قائلا : " انشدكم الله في فلاحي الارض ان يظلموا قبلكم" [4] ،وهنا يجب ان نقف لتوضيح مسألتين ،الاهما ان الامام ذكر الفلاحين كونهم يشكلون الاغلبية من الطبقة العاملة في البلاد ابان مدة حكمه [5] ، فالوصية اذاً هي لكل العاملين مهما تباينت

1- المجلسي ، مصدر سابق ، ج78 ، ص40 ، حسن القبانجي ، مصدر سابق ، ج9، ص241 .

2 - الريشهري ، ميزان الحكمة ، مصدر سابق ، ج2، ص989 .

3 - الميناجي ، مكاتيب الرسول ، مصدر سابق ، ج2، ص121 .

4- لجنة البحوث ، سنن الامام علي ، مصدر سابق ، ص99 .

5 - يقول د. محمد عمارة عن هذه الحقيقة : " لقد احتلت مكانة الطبقة التي تفلح الارض وتستزرعها مكانا بارزا وهاما في الفكر الاجتماعي لعلي بن ابي طالب .. بل انه جعل مكان هذه الطبقة ابرز مكان واهمه بالقياس الى باقي الطبقات ،فلقد كانت المجتمعات التي فتحت في العراق والشام ومصر مجتمعات زراعية بالدرجة الاولى ... وكان المرتبطون بالارض يمثلون الاغلبية العددية للسكان " . د . محمد عمارة ، الفكر الاجتماعي لعلي بن ابي طالب ، مصدر سابق ، ص50 .

مجالات عملهم ، اما الثانية فان اقسى انواع الظلم هو سرقة جهود العمال باعطاءهم اقل من استحقاقهم ويستشعر الامام الحالة النفسية للعامل وقلقه العميق حيال اجره إذ يدعو (ع) الى ضرورة تحديد اجر العامل كسباً لرضائه ومنعاً لاستغلاله فيقول : " نهى رسول الله ان يستعمل اجير حتى يعلم ما اجرته " [1] ،وبذلك يعطي الامام للعامل حق الرفض والقبول حتى يقتنع بالعمل.

وعموماً فقد اهتم الامام (ع) بالفئات المنتجة في المجتمع جميعاً حيث يقول الامام في عهده للاشتر : " ثم استوصى بالتجار وذوي الصناعات واوصى بهم خيرا: المقيم منهم والمضطرب بماله والمترفق ببدنه فانهم مواد المنافع واسباب المرافق" [2] .

وهذه الفئات المنتجة المحترم عملها ، لها حق الانتفاع من عائد تلك الاعمال،لاسيما ذلك الذي يصب في جانب الملكية حيث ان (حق الملكية) للانسان يعد من الحقوق المصانة عند الامام وهذا ما سنبحثه في المطلب الآتي .

---

1 - الريشهري ، ميزان الحكمة ، مصدر سابق ،ج1، ص26 .

2 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، كتاب 53 ، ص562 .

المطلب الثاني: حق الملكية

ان اغلب القوانين المدنية الوضعية تعد حق الملكية من اوسع الحقوق العينية نطاقا بل هو مركز هذه الحقوق العينية وعنه تتفرع جميعا فمن له حق الملكية على شيء كان له حق استعماله وحق استغلاله وحق التصرف فيه وبذلك يستجمع كل السلطات التي يعطيها القانون للمالك على الشيء المملوك [1] .

وقد اثير جدل واسع بشأن مسالة الملكية فهناك من يبيح الملكية الفردية بغير شروط واخرون يستنكرون وجود مثل هذا الحق ويرفضونه [2] . وقد عالج الاسلام موضوع الملكية في مبدأ (الملكية المزدوجة) كما اطلق عليها المفكر محمد باقر الصدر [3] في موازنة دقيقة وعميقة يشوبها التسامح بين الفرد والمجتمع فالملكية الخاصة " كل مال يتكون او يتكيف طبقا للعمل البشري الخاص المنفق عليه ...وان العمل البشري يتدخل .. في تكوين نفس المال كعمل الزراع الى الناتج الزراعي ،واما في تكييف وجوده أو اعداده بالصورة التي تسمح بالاستفادة منه ...وهذه الثروات التي يدخل العمل البشري في حسابها هي المجال المحدد في الاسلام للملكية الخاصة ، أي النطاق الذي سمح الاسلام بظهور الملكية الخاصة فيه ، لان العمل اساس الملكية وما دامت تلك الاموال ممتزجة بالعمل البشري فللعامل ان يتملكها ويستعمل حقوق التملك من استمتاع واتجار وغيرهما " [4] .

---

1 – د. خالد الزعبي ، الملكية ووظيفتها الاجتماعية في الفقه الاسلامي ، الشبكة الدولية ، 2004 .http www Yahoo com

2 – حول ادلة هذان الطرفان والفكر الخاص بكل منهما ينظر : محمد باقر الصدر ، اقتصادنا، (اوان ، دار الكتاب الاسلامي ،2002) ، ص ص155–292 .

3– المصدر السابق ، ص295 .

4– المصدر السابق ، ص360 .

اما الثروات العامة فهي " كل مال لم تتدخل اليد البشرية فيه كالارض ،فانه مال لم تصنعه اليد البشرية ،والانسان وان كان يتدخل احيانا في تكييف الارض بالكيفية التي تجعلها صالحة للزراعة والاستثمار ، غير ان هذا التكييف محدود مهما فرض امده ،فان عمر الارض اطول منه ،فهو لا يعدو ان يكون تكييفاً لمدة محدودة من عمر الارض وتشابه الارض في ذلك رقبة المعادن والثروات الطبيعية الكامنة فيها ..ولا يولج الارض في مجال الملكية الخاصة وانما يجعل للعامل حقا في الارض يسمح له بالانتفاع بها ، ومنع الاخرين من مزاحمته في ذلك لانه يمتاز عليهم بما انفق على الارض من طاقة " [1] وللقاعدة

(2)

بالرغم من ذلك استثناءاتها لاعتبارات تتعلق بمصلحة الدعوة الاسلامية .

وينطلق الامام علي (ع) من موقف ايجابي إزاء مبدأ وفكرة الملكية وذلك انسجاماً مع الشريعة الاسلامية ، إذ ورد عنه قوله (ع) :" المال والبنون حرث الدنيا والعمل الصالح حرث الاخرة وقد يجمعهما الله لاقوام "[3] ، ويفسر (ع) قوله تعالى " للذين احسنوا الحسنى وزيادة "[4] الحسنى هي الجنة والزيادة هي الدنيا "[5] .

ومع موقف الامام الداعي للزهد الذي جسده في سيرته العملية إلا انه لا يدعو الى الرهبانية اذ ان "الزهد الاسلامي شيء والرهبنة شيء اخر ،فالرهبنة : انقطاع عن الخلق لعباده الخالق ، على اساس التضاد بين عمل الدنيا والاخرة ... وتستلزم الانقطاع عن الحياة والمجتمع والمسؤولية وهذه

1- المصدر السابق ، ص361 .

2 - للاطلاع على تفاصيل هذا الموضوع ينظر ، المصدر السابق ، ص373 وما بعدها .

3 - الريشهري ، ميزان الحكمة ، مصدر سابق ، ج2، ص913 ؛ اليعقوبي ، مصدر سابق ، ج2 ، ص206 .

4 - سورة يونس / الاية 26

5 - الريشهري ، ميزان الحكمة ، مصدر سابق ، ج2، ص914 .

هي الرهبنة المقيتة ، اما الزهد الاسلامي فقد جسده الامام بقوله : "ايها الناس الزهادة قصر الامل والشكر عند النعم والورع عن المحارم "[1] ..وان الراهب يرى الحياة الدنيا والاخرة عالمين مستقلين لاعلاقة بينهما بل هما متضادان لا يجتمعان ... اما الزاهد فهو يرى ان الدنيا مزرعة الاخرة مرتبطان ويوجب السعادة لحياة الاخرة - الاتقان والعمل - في حياة الدنيا"[2] .

واكد الامام المبدأ الاسلامي الذي يمكننا ايجازه بانه لا يعني ان لايملك الانسان شيئاً وانما ان لا يملكه شيء وان المعيار الاساسي للحكم على الاشياء هو اثرها في المحصلة النهائية لمسيرة الانسان والهدف منها لذا يقول (ع) :" اللهم اعوذ بك من دنيا تحرمني الاخرة"[3] ، فالمال والثروة عند الامام هي اختبار اذ يفسر (ع) قوله تعالى : "واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة "[4] بقوله: ومعنى ذلك انه سبحانه يختبرهم بالاموال والاولاد ليتبين الساخط لرزقه والراضي بقسمه وان كان سبحانه اعلم بهم من انفسهم ولكن لتظهر الافعال التي بها يستحق الثواب والعقاب لان بعضهم يحب تثمير الاموال ويكره انثلام الحال "[5] وتتسع رؤية الامام (ع) لمسألة من يملك فيربط بين الدنيا والآخرة إذ يقول : " الغنى والفقر بعد العرض على الله "[6] .

---

1 - بيضون ، مصدر سابق ، ص872 . وللمزيد من مواقف وكلمات الامام حول الزهد واعتباره الطريقة الامثل للحياة. ينظر : المصدر السابق ، ص ص872-880 .

2 – مطهوي ، فيرحاب نهج البلاغة ، مصدر سابق ، ص ص145–148 .

3– مدير ، مصدر سابق ، ج1، ص153.

4 – سورة الانفال / الاية 28 .

5 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، حكمة 88 ، ص619 .

6– المصدر السابق ، حكمة 444 ، ص698 .

ويشير الامام (ع) الى ان الملكية والنزاع عليها هي احد اسباب العداء والنزاع في المجتمع اذ يقول :" قد اصبحتم في زمن لا يزداد الخير فيه الا ادباراً والشر الا اقبالا والشيطان في هلاك الناس الا طمعا ... اضرب بطرفك حيث شئت من الناس فهل تبصر الا فقيرا يكابد فقرا ، او غنيا بدل نعمة الله كفرا او بخيلا اتخذ البخل بحق الله وفرا او متمردا كأن باذنه عن سمع المواعظ وقراً اين خياركم وصلحاؤكم ؟واين احراركم وسمحاؤكم ؟واين المتورعون في مكاسبهم"[1] .

وقد تكون الملكية ذات اثر سلبي في سلوك الفرد وفقاً لرؤية الامام حيث يقول (ع) : "المال مادة الشهوات "[2] وان "شر الاموال ما لم يخرج منه حق الله سبحانه "[3] ،ولكن مع هذا التشخيص لبعض سلبيات الملكية فان الامام علي (ع) لم يجعلها سببا في القدح بحق الملكية للانسان كونه هو الاساس اما الظواهر السلبية التي قد تتوافق معها فهي تخص الانسان نفسه ولاتعود الى حق الملكية .

لقد اشاعت الاساليب التي مارسها الامام ثقافة (احترام حق الملكية) ، اما اهم تلك الاساليب وابعادها فهي :

اولاً – الابعاد المعنوية ، حيث اكد الامام علي ان حق الملكية هو جزء من النظرية الاسلامية في الحياة[4] ،إذ يروي عن الرسول (صلى الله عليه وآله) قوله :

1– المصدر السابق ، خطبة 129، ص230 .

2– المصدر السابق ، حكمة 53 ، ص613 . وقوله (ع) : " حب المال يفسد المآل " الواسطي ، مصدر سابق ، ص232 .

3 – الريشهري ، ميزان الحكمة ، مصدر سابق ، ج4، ص2999.

4 – يقول تعالى : { يا ايها الذين امنوا لاتاكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض} سورة النساء / الاية 28 . وقول تعالى : { من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق } سورة الاعراف /الاية 32 ، وقوله تعالى {واخذهم الربا وقد نهوا عنه واكلهم اموال الناس بالباطل واعتدنا للكافرين منهم عذاباً اليماً } سورة النساء / الاية 160–161 .

" ايها الناس اسمعوا قولي فاني لاادري لعلي لا القاكم بعد عامي هذا .. ايها الناس ان دماءكم واموالكم عليكم حرام الى ان تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا وحرمة شهركم هذا"[1] ويقول الامام علي (ع) :" حرمة مال المسلم كحرمة دمه"[2] . ويوجه

الامام المجتمع نحو احترام ملكية الافراد ،كون من لايحترم حق ملكية الافراد هو خارج عن خط الرسول والرسالة فيقول (ع) :"لا يرد على رسول الله (صلى الله عليه وآله)من اكل مالا حراما"[3] ، ويقول (ع) : " ليس بولي لنا من اكل مال مؤمن حرام "[4] .

ويرفع الامام من شأن حق الملكية للانسان إذ ان : " اعظم الخطايا اقتطاع مال امرءٍ مسلم بغير حق "[5] ويوصي (ع)" من استطاع منكم ان يلقي الله تعالى وهو نقي الراحة من دماء المسلمين واموالهم سليم اللسان من اعراضهم فليفعل "[6] وجسد الامام (ع) بسيرته العملية وبعطائه الفكري ايما تجسيد حتى انه قال : "والله لو اعطيت الاقاليم السبعة بما تحت افلاكها على ان اعصي الله في نملةٍ اسلبها جلب شعيرةٍ ما فعلته "[7] .

ويعطي الامام بعداً دينياً مهماً في الربط بين حق الملكية وضرورة صيانته من جهة وبعضا من فلسفة العبادات من جهة اخرى فيقول (ع) : "

---

1 – ابن خلدون ، مصدر سابق ، ج2، ص58 . ونقل الامام عن الرسول (ص) قوله " ان دماءكم واموالكم واعراضكم عليكم حرام " ، المبلركفوري ، مصدر سابق ، ص382 .

2 – نور الله التستري ، الصوارم المهرقة في جواب الصواعق المحرقة ، (طهران ، دار النهضة ، د. ت) ، ص31؛ مدير ، مصدر سابق ، ج1 ، ص513 .

3 – النعمان المغربي ، مصدر سابق ، ج2، ص349 ؛ النوري ، مصدر سابق ، ص442 .

4– لجنة الحديث ، سنن الامام علي ، مصدر سابق ، ص442 .

5– المجلسي ، مصدر سابق ، ج57 ، ص55 .

6– بيضون ، مصدر سابق ، ص632 .

7 – الشريف الرضي (الجامع)، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، خطبة 223 ، ص439 . ويقول(ع): "والله لان ابيت على حسك السعدان مسهدا ،او اجر في الاغلال مصفدا احب الي من ان القى الله ورسوله يوم القيامة ظالما لبعض العباد وغاصباً لشي من الحطام " . المصدر السابق ،خطبة 223، ص437.

ليس الشأن ان تصلي وتصوم وتتصدق بل الشأن ان تكون الصلاة بقلب نقي ،وعمل عند الله مرضي ،وخشوع سوي والنظر فيما تصلي وعلى ما تصلي "[1] ، ويقول (ع) ايضا في دعوة لمراجعة دائمة للذات من الانسان المؤمن : "انظر فيما تصلي وعلى ما تصلي ان لم يكن من وجهه وحله فلا قبول "[2] ويقول الامام عن الدعاء :" ان العبد ليرفع يده الى الله ومطعمه حرام ،فكيف يستجاب له وهذا حاله"[3] .

ثانياً – الابعاد المادية ، على الرغم من تاكيد الامام (ع) ضرورة الحفاظ على الملكية في بعدها المعنوي ، الا انه وفقاً

للواقعية التي طبعت جميع الوسائل التي تبناها (ع) للحفاظ على حقوق الانسان ومنها حق الملكية ، كان قد جسد احترامه (ع) للملكية بايجاد الية للدفاع عنها حيث يروي(ع) عن الرسول (صلى الله عليه وآله) قوله " من قتل دون ماله فهو شهيد "[4] .

ويؤكد (ع) شرعية الدفاع عن الملكية قائلا : " من اريد ماله بغير حق فقاتل فقتل فهو شهيد "[5] وان " من دخل عليه لص فليبدره بالضربة فما تبعه من اثم فانا شريكه فيه "[6] ، ويمكننا نقل هذا المبدأ من الطابع الفردي، الذي قد يتبادر الى الذهن للوهلة الاولى ، الى دائرة اوسع في الحفاظ على اموال ومصالح الامة وضرورة الدفاع عنها وصيانتها.

ويؤكد الامام ان للقضاء العادل وتطبيق الاحكام والعقوبات الشرعية دوراً مهماً في الحفاظ على حق الملكية بل ان هذه الاحكام تسمو على الحاكم

---

1 – الجواهري ، مصدر سابق ، ج8 ، ص143 ، ابن شعبة الحراني ، مصدر سابق ، ص174 ، الحر العاملي ، الفصول المهمة ، مصدر سابق ، ج2 ، ص80 .

2 – الريشهري ، ميزان الحكمة ، مصدر سابق ، ج3 ، ص1636 .

3– المصدر السابق ، ج2، ص874 .

4– ابن حنبل ، مسند الامام احمد ، مصدر سابق ، ج1، ص31 .

5 – الريشهري ، ميزان الحكمة ، مصدر سابق ، ج2، ص1516 . ويقول (ع) :" المقتول دون ماله شهيد " الحراني ، مصدر سابق ، ص111 .

6– لجنة الحديث ، سنن الامام علي ، مصدر سابق ، ص496 .

ذاته عنده(ع) ويروي الامام انه " اتي رسول الله (صلى الله عليه وآله) برجل قد سرق فامر بقطع يده ثم بكى فقلت : لم تبكي – يا رسول الله – قال : وكيف لا ابكي وامتي تقطع بين اظهركم – فقال احدهم، يارسول الله افلا عفوت عنه ؟ قال: ذاك سلطان سوء الذي يعفو عن الحدود"[1] ، لذلك اتسمت حكومة الامام بعدم التساهل مع السراق وكانت تعاقبهم بهدف الحفاظ على ملكية الافراد والمجتمع في اطار سيادة القانون[2] ، وكان "علي لايحبس في السجن الا ثلاثة ، الغاصب ومن اكل مال اليتيم ظلما ومن أأتمن على امانة فذهب بها "[3] ، وهذا الاهتمام بالملكية لم يجعله (ع) حكرا على الملكية الخاصة للافراد انما شمل الملكية العامة للامة كذلك .

لقد دافع الامام عن ملكية الامة بالعديد من الوسائل وعد الحفاظ عليها من واجبات الحكومة ازاء الشعب حيث ان " اعظم الخيانة خيانة الامة "[4] وفقاً لرؤيته (ع) ، وبرز الامام (ع) مفاهيم (مال الله) و(مال المسلمين) ذلك سعياً منه (ع) لترسيخ حقوق الامة المالية في وعي وضمير ابنائها ضد فلسفة بعض الحكام الذين يعدون المال العام حقاً لهم واذا اعطوا فبصيغة المن والتفضل على شعوبهم. ويفهم (ع)ولاته اهمية احترام المال العام قائلا لاحدهم :" في يدك مال الله عز وجل وانت من خزانه [5]

" ويهدد احد الولاة المتهمين بالخيانة قائلاً : " اني اقسم بالله قسما صادقا لئن بلغني انك خنت من فيء المسلمين شيئا صغيرا او كبيرا لاشدن عليك شدة تدعك قليل الوفر

1- الهندي، مصدر سابق ، ج5، ص548 .

2 - ينظر:الكلبايكاني،تقريرات الحدود التعزيرات، ج1 ، (د. م، د. ن ، د. ت) ،ص403 ؛ الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، خطبة 123 ، ص226 ، حكمة 262 ، ص662 .

3- الطوسي ، الاستبصار ، مصدر سابق ، ج3، ص47 .

4 - الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، كتاب 26 ، ص484.

5- المصدر السابق ، خطبة 244 ، ص446 .

ثقيل الظهر ضئيل الامر"[1] . ويقول (ع) لآخر : " ان هذا المال ليس لي ولا لك وانما هو فيء المسلمين وجلب اسيافهم فان شركتهم في حربهم كان لك مثل حظهم والا فجناة ايديهم لا تكون لغير افواههم "[2] .

وبعد توضيح الامام لمفهوم الملكية العامة وضرورة صيانتها فانه (ع) يحدد آلية ذلك على النحو الآتي :

1 . مصادرة الاموال المسروقة من الشعب ورفض الاثراء على حساب الصالح العام، حيث يقول (ع) في رده قطائع وهبات عثمان على المسلمين بقوله : "والله لو وجدته قد تزوج به النساء ، وملك به الاماء لرددته فان في العدل سعة ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه اضيق"[3] .

2 .رفض استخدام المال العام لتحقيق اغراض سياسية خاصة فحين اشار عليه بعضهم بتوزيع الاموال على اصحاب النفوذ رد عليهم الامام (ع) قائلا : " اتأمرونني ان اطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه!..لو كان المال لي لسويت بينهم فكيف وانما المال مال الله لهم"[4] .

3 . تولية امور المسلمين المالية من يملك المؤهلات العلمية والنفسية والايمانية لذلك يقول(ع) عن اموال المسلمين : " ولاتامنن عليها إلا من تثق بدينه ،رافقا بمال المسلمين حتى يوصله الى وليه فيقسمهم بينهم،

1- المصدر السابق ، خطبة 259 ، ص457 .

2- المصدر السابق ، خطبة 231 ، ص448.

3- المصدر السابق ، خطبة 15، ص48 ؛ بيضون ، مصدر سابق ، ص631 وللتفاصيل في هذه المسالة ينظر: القرشي ، موسوعة امير المؤمنين ، مصدر سابق ، ج11، ص261 وما بعدها .

4 - الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي، مصدر سابق ، خطبة 126 ، ص255.

ولاتوكل بها الا ناصحا شفيعا،واميناً حفيظا غير معنف ولا مجحف ولا ملغب [1] ولا متعب " [2] .

4 . الحفاظ على اصول الاموال والثروات للمسلمين ،وهذا الاسلوب قد اتبعه (ع) حيث قال في وصيته عن بعض ما تركه من صدقات " ويشترط على الذي يجعله اليه ان يترك المال على اصوله وينفق من ثمره حيث امر به وهدي له " [3] ، لذلك كان رأي الامام واضحاً في ذلك ، فحين اراد الخليفة الثاني " ان يقسم السواد بين المسلمين فامر ان يحصوا فوجد الرجل نصيبه ثلاثة من الفلاحين فتشاور في ذلك فقال له علي بن ابي طالب : " دعهم يكونوا مادة للمسلمين فتركهم " [4] .

وعلى الرغم من دعوة الامام وعمله للحفاظ على الملكية العامة للامة ، الا ان الاولوية دائماً للانسان ، بكلمة اخرى انه حتى في حالة استحصال حقوق الدولة ومع ما تملكه من قوة الا ان الصورة الانسانية التي رسمها الامام بتعليماته وكلماته تعكس حقيقتين :

الاولى : مكانة الانسان اسمى من حق الملكية .والثانية : احترام السلطة السياسية في عهد الامام ، لحق الملكية الخاصة ، اما تلك التوجيهات فهي قوله لمن كان يستعمله على الصدقات : " انطلق على تقوى الله وحده لاشريك له ،ولا تروعن مسلم ولا تجتزئن عليه كارها ولا تاخذ منه اكثر من حق الله في ماله . فاذا اقدمت على الحي فاترل بمائهم من غير ان

---

1 – متعباً لغوه .

2– المصدر السابق ، كتاب 25، ص482 .

3– المصدر السابق ، كتاب 24، ص480 .

4 – ابن عساكر ، مصدر سابق ، ج2، ص193 . ونقل الشوكاني هذه الحادثة قائلا ان " عمر ان اراد ان يقسم السواد فتشاور في ذلك فقال له علي دعه يكون مادة للمسلمين" . الشوكاني ، مصدر سابق ، ج8 ، ص162 .

تخالط ابياتهم ثم امض اليهم بالسكينة والوقار ، حتى تقوم بينهم فتسلم عليهم ... ثم تقول عباد الله ارسلني اليكم ولي الله وخليفته لاخذ منكم حق الله في اموالكم فهل لله في اموالكم من حق فتؤدوه الى وليه ؟ فان قال قائل : لا فلا تراجعه وان انعم لك منعم فانطلق معه من غير ان تخيفه او توعده او تعسفه او ترهقه فخذ ما اعطاك من ذهب او فضة فان كانت له ماشية او ابل فلا تدخلها الا باذنه فان اكثرها له ، فاذا اتيتها فلا تدخلها دخول متسلط عليه ولا عنيف به ولا تنهرن بهيمة ولا تفزعها " [1] .

ويأمر الامام عماله على الخراج بقوله : " انصفوا الناس من انفسكم ،واصبروا لحوائجهم فانكم خزان الرعية ، ووكلاء الامة وسفراء الائمة .ولاتحسموا [2] احداً عن حاجته ولا تحبسوه عن طلبته ولاتبيعن للناس في الخراج كسوة شتاءٍ ولاصيفٍ ، ولا دابة يعتملون عليها ولا عبدا ولاتضربن احدا سوطا لمكان درهم ولاتمسن مال احد من الناس مصل ولا معاهد " [3] . ان

البعد الانساني الجلي في اوامر الامام لعماله واركان دولته تؤكد ما ذهبنا اليه ان الانسان هو القيمة الاسمى عند الامام (ع) .

ورفض الامام علي (ع) مصادرة الاموال كنوع من العقوبة ولاسيما بحق المعارضة الدينية او السياسية فلقد جعل الامام : "مواث المرتد لورثته

---

1 - الشريف الرضي (الجامع)،نهج البلاغة،تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، كتاب25 ، ص ص480-481.

2- لا تقطعوا .

3 - المصدر السابق ، كتاب 51 ، ص ص543-544 . وينقل ابن الاثير رواية احدهم بقوله : " استعملني علي بن ابي طالب على مرج سابور فقال: لاتضربن رجلا سوطا في جباية درهم ولا تبيعن لهم رزق وكسوة شتاء ولا صيفا ولا دابة يعقلون عليها ولاتقيمن رجلا قائما في طلب درهم قلت : يا امير المؤمنين اذن ارجع اليك كما ذهبت من عندك قال وان رجعت ويحك انما امرنا ان ناخذ منهم العفو "، ابن الاثير ، اسد الغابة ، مصدر سابق، ج4، ص24 .

من المسلمين"[1] ، ورفض الامام حرمان الشخص من ملكيته حتى اذا ارتكب كبيرة اذ يقول (ع) : "وقد علمتم ان رسول الله(صلى الله عليه وآله)رجم الزاني ، ثم صلى عليه ثم ورثه اهله وقتل القاتل وورث مواثه اهله ،وقطع السارق وجلد الزاني غير المحصن ثم قسم عليهما من الفيء "[2] بل ذكر لنا اهل السير ان الامام حافظ على اموال المعارضين له بعد ان خرجوا عليه[3] وكذلك صان ملكية المحاربين له .[4] احتراما منه لحق الملكية .

ومن دلائل احترام الامام لحق الملكية انه وضع حداً فاصلا بين اصحاب النفوذ من قادة الدولة وحق الملكية ، ناصحا ارکان دولته بقوله: " افضل السخاء ان تكون بمالك متورعا وعن مال غيرك متورعا "[5] "وثلاث من كن فيه استكمل الايمان : من اذا رضي لم يخرجه رضاه الى باطل،واذا غضب لم يخرجه غضبه عن حق واذا قدر لم ياخذ ما ليس له "[6] .

وكان الامام يرفع مبدأ يوجب تطبيقه على جميع افراد جهاز الحكم بما فيهم رئيس الدولة يتجسد في قوله " لا تمس مال احد من الناس ، مصل ولا معاهد"[7] هذا المس نهى عنه الامام وعاقب عليه حتى ان اتخذ صيغاً غير مباشرة مثل الهدية[8] او الدعوة[9] او استخدام السلطة والنفوذ السياسي في

---

1 - الدارمي ، مصدر سابق،ج2، ص384 ؛ الشوكاني ، مصدر سابق،ج6، ص193 .

2 - الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، خطبة 127 ، ص226 .

3 - حيث رأى الامام نوع لطلحة بعد معركة الجمل فطالب بها ليردها الى اهله . حول هذه الحادثة ينظر : المجلسي، مصدر سابق ، ج101 ، ص299 .

4 - سنتطرق لهذا الموضوع لاحقا .

5- مدير ، مصدر سابق ، ج1، ص159 .

6- المصدر السابق ، ج1، ص388 .

7 - الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ،مصدر سابق ، كتاب 51 ، ص542 .

8 - روي الامام عن الرسول (صلى الله عليه وآله) قوله : " يا علي ان القوم سيفتنون بأموالهم ... ويستحلون حرامه بالشبهات الكاذبة والاهواء الساهية فيستحلون الى الخمر بالنبيذ والسحت بالهدية "، المصدر السابق ، خطبة 156 ، ص269 . ويقول (ع) : "واعجب من ذلك طارق طرقنا بملفوفه في وعائها .. كانما عجنت بريق حية " اوقيئها ، فقلت اصلة ام زكاة ام صدقة ؟ فذلك محرم علينا اهل البيت ! فقال : لاذا ولاذاك ولكنها هدية فقلت : هبلتك الهبول ! اعن دين الله اتيتني لتخدعني ؟ امتخبط انت ام ذو جنة" ، المصدر السابق ، خطبة 223 ، ص ص438 -439 .

9 - يقول : " اما بعد يا بن حنيف [وهو واليه على البصرة] فقد بلغني ان رجلا من فتية اهل البصرة دعاك الى مأدبة فاسرعت اليها..." ، المصدر السابق ،رسالة 45 ، ص530.

التجارة وتحقيق المكاسب الاقتصادية [1] فضلاً عن اساليب السرقة وخيانة الامانة المباشرة فقد بلغه ان احد عماله - ابن هرمة - قد خان سوق الاهواز فكتب الامام الى واليه : " اذا قرأت كتابي فنح ابن هرمة عن السوق ،واوقفه للناس واسجنه وناد عليه واكتب الى اهل عملك تعلمهم رأينا فيه ولاتأخذك فيه رافة ولاتفريط فتهلك عند الله " [2] .

ان تشديد الامام في الحفاظ على المال العام كان احد الأساليب التي يمكن من خلالها تنفيذ حق طالما دعا اليه الامام ودافع عنه كأحد اهم حقوق الانسان الا وهو حق الضمان الاجتماعي ،وهو ما سنتناوله في المبحث الآتي .

---

1 - لقد كان الامام يتورع حتى عن الشراء ممن يعرفه خشية من ان يجامله في السعر حبا او خوفا او طمعا حيث يروى انه (ع) ذهب الى السوق فأتى برجل فقال له : " يا هذا اعندك ثوبان بخمسة دراهم ؟ فوثب الرجل، فقال : يا امير المؤمنين عندي حاجتك فلما عرفه مضى عنه ، فوقف على غلام ، فقال : غلام عندك ثوبان بخمسة دراهم ؟ قال : نعم عندي فاخذ ثوبين ، احدهما بثلاثة دراهم والاخر بدرهمين " . لجنة الحديث، سنن الامام علي ، مصدر سابق ، ص431 . وفي اثناء مسيرة الامام بجيشه للقاء معاوية اهدى له بعض الدهاقين اشياءً وقالوا له : " اما الواذين فهدية لك وقد صنعنا لك وللمسلمين طعاما وهيأنا لدوابكم علفاً كثيرا .. فقال الامام ، اما دوابكم هذه فان احببتم ان ناخذها منكم فنحسبها من خراجكم اخذناها منكم ،واما طعامكم الذي صنعتم لنا فانا نكره ان ناكل من اموالكم شيئا الا بثمن . قالوا : يا امير المؤمنين ، نحن نقومه ثم نقبل ثمنه قال :اذا لاتقومون قيمته ، نحن نكتفي بما دونه " ، المنقوي ، مصدر سابق، ص145.

2 - النوري ، مصدر سابق ، ج17 ، ص379 ؛ المحمودي ، مصدر سابق ، ج5 ، ص34 .

حق الضمان الاجتماعي

يقتحم الامام علي ميداناً اخر في معركته للدفاع عن حقوق الانسان ، وينوي (ع) مؤكدا (حق الضمان الاجتماعي) ، شارحا ابعاده ومدافعا ومعززا لوجوده .

فالبحث في موضوع الضمان الاجتماعي وارتباطه بمسؤولية الدولة والمجتمع امر له علاقة بمواضيع مهمة تتداخل مع هذا الحق وتصب فيه ، مثل موضوع الملكية ، الذي تطرقنا اليه سابقا ، والحق الجماعي في ميراث الارض ومنابع الثروة العامة .

ومما لاريب فيه ان كل مواطن في البلاد الاسلامية سواء كان مسلما ام معاهدا يتمتع بحق شرعي منحه الله تعالى اياه على الدولة ، متمثلا في توفير حياة كريمة له ولعائلته بشكل يتلائم مع طبيعته الانسانية والتكوينية وتكريم الله سبحانه له [1] .

وينبع حق الضمان الاجتماعي عند الامام علي (ع) من نظرة الاسلام للانسان واحترامه له ، وفلسفته للحياة وسر وجود الانسان على هذه الارض ومهمته الاساسية التي تتمثل بالعبادة وما يتبع ذلك من اسس ووسائل تجعل الانسان مستعداً لتجسيد الهدف الالهي والحكمة الالهية في وجوده وحياته ، لذلك فقد فوض الامام (ع) على الحكام والولاة والموظفين مساعدة المجتمع وافراده لتحقيق الاهداف الالهية والاخذ بيده نحو الكمال والتحرر والرفاه ، ومن هذه المسؤولية تنطلق كل الاسس والقرارات التي تتخذ في جميع الاصعدة والتي تصب لصالح انجاز حق الضمان الاجتماعي [2] .

---

1 – للتفصيل اكثر حول فكرة التكريم الالهي للانسان ينظر : محمد باقر الصدر ، اقتصادنا ، مصدر سابق، ص ص700–705 .

2 – فاضل الموسوي الجاوي ، العدالة الاجتماعية في الاسلام ، (قم ، المركز العالمي للدراسات الاسلامية ، د. ت)، ص ص264–265 .

ويمكننا اعطاء تعريف للضمان الاجتماعي ،بانه عملية ذات ابعاد كثيرة تتضمن مرحلتين "الاولى : اشباع الحاجات الحياتية للافراد التي تصعب عليهم الحياة من دون اشباعها .

اما المرحلة الثانية ،فهي ضمان مستوى الكفاية من المعيشة لافراد المجتمع الاسلامي... فالكفاية من المفاهيم المرنة التي يتسع مضمونها كلما ازدادت الحياة العامة في المجتمع الاسلامي يسرا ورخاءً " [1] .

لقد عزز الامام علي حق الضمان الاجتماعي وذلك بتلمس اسسه في ضمن عدة ابعاد هي :

اولاً : البعد الشرعي الاسلامي [2] ، اذ يقول (ع) :" ادوا ما افترض الله عليكم من الحج والصيام والصلاة والزكاة ومعالم الايمان فان ثواب الله عظيم وخوه جسيم وامروا بالمعروف وانهوا عن المنكر واعينوا الضعيف وانصروا المظلوم " [3] .

[4]

وفي رؤيته (ع) ان " الخلق عيال الله ،واحب الناس الى الله اشفقهم على عياله " ويقول (ع) :" ما من عمل احب الى الله تعالى من كشف ضر يكشفه رجل عن رجل "[5] ، ونلاحظ في هذه المقولة مدى سعة حق الضمان الاجتماعي لكل انسان بغض النظر عن أي وصف اخر ،ولاسيما اذا ما كان تحت سلطة الدولة الاسلامية، ويقول (ع) : " من امن خائفا امنه الله من

1- محمد باقر الصدر ، اقتصادنا ، مصدر سابق ، ص ص700-701 .

2 - هناك ايات قرانية تحارب الفقر وتدعو الى تحقيق الضمان الاجتماعي ، سورة البقرة/الاية 261،177، 2730 . سورة الحشر /14 . سورة المعارج /24 . ينظر: فاضل الجاوي ، مصدر سابق ، مواقع متفرقة .

3- المحمودي ، مصدر سابق ، ج1، ص535 .

4- مدير ، مصدر سابق ، ج1، ص448 .

5- الواسطي ، مصدر سابق ، ص478 .

عقابه "[1] ونعتقد ان الخوف من الفقر والجوع وغيرها من المشاكل التي يعالجها الضمان هو من اخطر المخاوف واكثرها سلبية على الفرد والمجتمع.

وعد الامام الاموال التي تصرف في سبيل انجاز حق الضمان الاجتماعي جزء من الاموال التي فرضها الله تعالى لصالح بعض فئات الأمة، فهي ليست هبة او منحة من احد ، انما هي حقوق يجب ان يُعطوها ، وكانت اوامر الامام (ع) لولاته تكرس هذه الحقيقة اذ يقول – لاحدهم مثلا –: " انظر الى ما اجتمع عندك من مال الله فاصرفه الى من قبلك من ذوي العيال والمجاعة مصيبا به مواضع المفاقر والخلات[2] وما فضل من ذلك فاحمله الينا لنقسمه فيمن قبلنا "[3] . ويقول لاخر : " ان لك في هذه الصدقة نصيبا مفروضا وحقا معلوما وشركاء اهل مسكنة وضعفاء ذوي فاقة ،وانا موفوك حقك ،وفهم حقوقهم والا تفعل فانك من اكثر الناس خصوما يوم القيامة ، وبؤسا لمن خصمه عند الله الفقراء والمساكين والسائلين والمدفوعون والغارم وابن السبيل ،ومن استهان بالامانة ورتع في الخيانة ولم يزه نفسه ودينه عنها فقد احل بنفسه في الدنيا الخزي وهو في الاخرة اذل واخزى وان اعظم الخيانة خيانة الامة "[4] .

ويذهب كاتب معاصر الى " ان وظيفة المال عند الامام تتمثل في سد حاجات الشعب فردا فردا ...وانه قيام بضرورات العيش وسد حاجات الناس "[5] ، لذلك يقول (ع) لمن خان امانته من الولاة : " كيف تسيغ شرابا وطعاما وانت تعلم انك تأكل حراما ... من مال اليتامى والمساكين والمؤمنين

1- المصدر السابق ، ص458 .

2- الحاجات .

3 – الشريف الرضي(الجامع)،نهج البلاغة،تعليق وفهرسة د. صبحي،مصدر سابق،كتاب 67،ص ص589–590 .

4– المصدر السابق ، كتاب 24، ص484 .

5– خالد ، مصدر سابق ، ص156 .

والمجاهدين الذين افاء الله عليهم هذه الاموال ... فاتق الله وارددالى هؤلاء القوم اموالهم ، فانك ان لم تفعل ثم امكنني الله منك لاعذرن الله فيك ولاضربنك بسيفي الذي ما ضربت به احد الا دخل النار "[1] . ان تاكيد الامام الجانب الشرعي لم يحجب الاساس الاخر الذي قام عليه حق الضمان الاجتماعي وهو البعد الانساني .

ثانياً : البعد الانساني ، يهدف الامام (ع) من السعي لتحقيق الضمان الاجتماعي الى تخفيف العبئ عن المحرومين والبؤساء من ابناء الاسرة البشرية كمعيار لتقييم الانسان وسموه النفسي ، اذ يقول(ع) : " خير الناس من نفع الناس "[2] ويرى (ع) ان " خير الناس من تحمل مؤنة الناس"[3] و " افضل الناس في الدنيا الاسخياء "[4] .

وينصح الامام اصحاب الاموال في كيفية التصرف بها ليحققوا انسانيتهم ويتجردوا من انانية الثروة وشهوة التملك اذ يقول (ع): " من اتاه مال ، فليصل به القرابة وليحسن به الضيافة وليفك به العاني والاسير وليعن به الغارمين وابن السبيل والفقراء والمهاجرين وليصبر نفسه على الثواب والحقوق فانه يحوز بهذه الخصال شرفا في الدنيا ودرك فضائل الاخرة "[5] .

ويجعل الامام من تحقيق الضمان الاجتماعي اسلوب لتفعيل التماسك بين فئات المجتمع بل هو السبيل لتحقيق العلاقة السامية بين ابناء الاسرة البشرية

---

1 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، كتاب 41، ص527 .

2– مدير ، مصدر سابق ، ج1، ص457 .

3 – الواسطي ، مصدر سابق ، ص229 .

4– المصدر السابق ،ص116 .

5– المجلسي ، مصدر سابق ، ج57 ، ص97 .

بأجمعها ، فيقول (ع):" الكرم اعطف من الرحم "[1] و"سبب المحبة السخاء"[2] وان "بالاحسان تملك القلوب "[3] و " من كثر احسانه احبه اخوانه "[4] فـ " الانسان عبد الاحسان "[5] وفق رويته (ع)وان " بالافضال تسوق الاعناق "[6] . فنظرة الاسلام الانسانية التي جسدها الامام علي تذهب الى انه " لا يجوز ان تشبع وجارك جائع او تكسي وجارك عارٍ ، ومن ثم فلا ينبغي ان تنعم باطياب الحياة من سكنى القصور وجارك المسلم يسكن العراء "[7] . ولعل خير من يجب ان يمتلك هذا الحس الانساني هم قادة المجتمع وحكامه وهنا سيظهر لنا البعد السياسي .

ثالثاً : البعد السياسي يذهب الامام الى ان القيام بحق الضمان الاجتماعي من واجبات الحاكم الاساسية ،اذ يقول في عهده للاشتر محدد اهم واجباته بـ " استصلاح اهلها"[8] ، ويقول (ع) : "حقا على الوالي الا يغيره على رعيته فضل ناله ولا طول خص به وان يزيده ما قسم الله له من نعمة دنواً من عباده وعطفا على اخوانه"[9] . ويجعل الامام من تعزيز حق الضمان الاجتماعي احد محاور حركته السياسية اذ يقول(ع) : " اللهم انك تعلم اني لم ارد الامرة ولا علو الملك والرئاسة وانما اردت القيام بحدودك والاداء

1- الواسطي ، مصدر سابق ، ص28 .

2 - الريشهري ، ميزان الحكمة ، مصدر سابق ، ج2، 1232.

3- المصدر السابق ، ج1، ص640 .

4- المصدر السابق ، ج1 ، ص640 .

5- الواسطي ، مصدر سابق ، ص61 .

6- المصدر السابق ، ص187 .

7- احمد عباس صالح ، مصدر سابق ، ص116 .

8 - الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، كتاب 53 ، ص546.

9- مدير ، مصدر سابق ، ج1، ص193 .

لشوعك ووضع الامور في مواضعها وتوفير الحقوق على اهلها والمضي على منهاج نبيك "[1] .

ويعد الامام ان من معايير الحكومة الصالحة هو معيار الالتزام والاداء الجيد لحق الضمان الاجتماعي وان القيادة لاتستقيم الا مع القيام بهذا الحق ، اذ يقول "السيد من تحمل المؤونة وجاد بالمعونة "[2] وان "احسن الملوك حالا من حسن عيش الناس في عيشه وعم رعيته بعدله "[3] "وما ساد من احتاج اخوانه الى غيره "[4] ويحذر الامام من سياسة افقار المجتمع ، اذ يقول (ع) : "احذروا الشح فانه يكسب المقت ويشين المحاسن ويشيع العيوب "[5] ،وعلى النقيض من ذلك فان "زين السياسة الافضال"[6] ،وان "بالجود تكون السيادة "[7] ووفق رؤيته(ع).

ويبين الامام الاثار والنتائج الايجابية ذات البعد السياسي والاجتماعي التي يمكن الحصول عليها من جراء تعزيز حق الضمان الاجتماعي ، حيث يقول (ع): "بالافضال تستر العيوب وبالاحسان تملك القلوب "[8] ، بل ان تعزيز حق الضمان يمكن ان يكون احد اساليب التعامل مع الرأي المخالف والقوة المعارضة للحكم اذ يقول (ع) "عاتب اخاك بالاحسان اليه واردد شره بالانعام عليه "[9] ، ويقول (ع): " فاستر العورة ما استطعت يستر الله منك ما تحب ستره...، اطلق عن الناس عقدة كل حقد واقطع عنك سبب كل وتر "[10]

1- المصدر السابق، ج1، ص261 .

2- الواسطي ، مصدر سابق ، ص48 .

3- المصدر السابق ، ص123 .

4 - الريشهري ، ميزان الحكمة ، مصدر سابق ، ج2، ص1381 .

5- الواسطي ، مصدر سابق ، ص105 .

6 - الريشهري ، ميزان الحكمة ، مصدر سابق ، ج2، ص1205 .

7- الواسطي ، مصدر سابق ، ص185 .

8- المصدر السابق ، ص190 . و " الاحسان يقطع اللسان " ، ابن ميثم البحراني ، مصدر سابق ، ص184 .

9- بيضون ، مصدر سابق ، ص651 .

10- مدير ، مصدر سابق ، ج1، ص261 .

. ويؤكد الامام ان ازدياد الحاجات وعدم تلبيتها ممكن ان تنتج عنها عواقب سياسة سلبية فيقول (ع) : " ان حوائج الناس اليكم نعمة من الله عليكم فاغتنموها ولا تملوها فتتحول نقما "[1] .

اما على الصعيد العملي ، فقد كان (ع) بعد وصوله الى سدة الحكم ، امينا لما دعا اليه من ضرورة صيانة حق الضمان الاجتماعي مجسدا لوصف الرسول (ع) لحكم وشخص الامام بانه " رافهم بالرعية "[2] ، إذ اصدر (ع) ما يمكن ان نطلق عليه وثيقة حق الضمان للطبقات الضعيفة في المجتمع قائلاً :" الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيله لهم والمساكين والمحتاجين واهل البؤسى والزمنى[3] فان في هذه الطبقة قانعا[4] ومعترا[5] واحفظ الله ما استحفظك من حقك فيهم ، واجعل لهم قسما من بيت مالك ، وقسما من غلات صوافي الاسلام في كل بلد ،فان للاقصى منهم مثل الذي للادنى ، وكل قد استرعيت حقه ، فلا يشغلنك عنهم بطر ، فانك لا تعذر بتضييع التافه لأحكامك الكثير المهم فلا تشخص همك ، عنهم ، ولاتصعر خدك لهم ، وتفقد امور من لا يصل اليك منهم ممن تقتحمه العيون ، وتحتقره الرجال ، ففرغ لاولئك ثقتك من اهل الخشية والتواضع ، فليرفع اليك امورهم ، ثم اعمل فيهم بالاعذار الى الله تعالى يوم تلقاه ، فان هؤلاء من بين الرعية احوج الى الانصاف من غيرهم ، وكل فاعذر الى الله تعالى في تادية حقه اليه.

---

1 - بيضون ، مصدر سابق ، ص614 . ويروى ان الامام قال : " ما من عبد انعم الله عليه بنعمة الا كثرة حوائج الناس اليه فمن قام فيها بما يحب الله عز وجل عرض نعمته للبقاء ومن قصر فيما يحب الله فقد عرض نعمته للزوال ". المحمودي ، مصدر سابق ، ج1، ص446 .

2- الهندي ، مصدر سابق ، ج31 ، ص117 .

3- العاهة .

4- سائلاً .

5 - المتعرض للعطاء بلا سؤال .

وتعهد اهل اليتم وذي الرقة في السن ممن لاحيله له ،ولا ينصب للمسالة نفسه، وذلك على الولاة ثقيل والحق كله ثقيل ... واجعل لذوي الحاجات منك قسما تفرغ لهم فيه شخصك وتجلس لهم مجلسا عاما ، فتتواضع فيه لله الذي خلقك وتقعد عنهم جندك واعوانك من احراسك وشرطك حتى يكلمك متكلمهم غير متعتع فاني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول في غير موطن : " لن تقدس امة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي غير متعتع " ثم احتمل الخرق منهم والعي ونح عنك الضيق والانف الاستكبار يبسط الله عليك بذلك اكناف رحمته ويوجب لك ثواب طاعته ،واعط ما اعطيت هنيئا وامنع في اجمال "واعذار "[1] .

ويعد هذا الجزء من العهد الذي كتبه الامام للاشتر من اوضح وادق ، ما امكننا العثور عليه في تراث الامام علي ، بشأن حق الضمان الاجتماعي ، ويمكن ان نتلمس من خلاله اكثر من اشارة مهمة ،وعلى النحو الآتي :

1 .رسم الية وصيغ تنفيذ حق الضمان الاجتماعي ونقله من النظرية المثالية الى الواقع العملي الملموس .

2 . تحديد الفئات الاجتماعية المستفيدة من حق الضمان الاجتماعي والمساحات التي يعمل فيها والاهداف التي يسعى لانجازها هذا الحق ،ولاهمية كل من الموضوعين في فهم حق الضمان الاجتماعي عند الامام سنستعرضهما بشيء من التفصيل يضاف اليها اقوال وافعال الامام(ع) بهذا الصدد .

---

1 - الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، كتاب 53 ، ص ص563 - 565 .

أولاً :الية تنفيذ حق الضمان الاجتماعي ، تتضمن جملة من الخطوات العملية تتجسد بالاتي :

1 - انشاء هيئة الضمان الاجتماعي ، انطلاقاً من اهمية موضوع الضمان الاجتماعي وشموله فئات رئيسة في المجتمع ناهيك عن اثاره الانسانية والشرعية والسياسية،فان الامام علي(ع)سعى الى انشاء "وزارة الشؤون الاجتماعية "[1] على وفق رؤية كاتب معاصر ولعل من اهم واجبات هذه الهيئة هي تنفيذ مبادئ الضمان الاجتماعي ، ويحدد الامام (ع) ملامح وصفات المسؤولين في هذه الهيئة بأن يكونوا : " من اهل الخشية والتواضع "[2] . إذ ان خشية الله يجب ان تكون حاضرة عند القائمين على هذه الهيئة ، على وفق رؤية الامام (ع) كونهم يتعاملون مع اكثر المسائل حيوية من جهة وفئات ذات متطلبات خاصة من

ابناء الامة من جهة اخرى ، ويؤكد ضرورة استشعار مرضاة الله في اداء هذا الواجب ، فان من صفات القائم على هذه الهيئة ان يتقي " الله في سرائر امره وخفيات اعماله حيث لاشهيد غيره ولا وكيل دونه"[3] ، فضلاً عن اشتراطه (ع) فيهم ان يكونوا من " ذوي الاصول الثابتة والفروع النابتة من اهل الرحمة والايثار والشفقة فانهم اقضى للحاجات وامضى لدفع الملمات"[4] .

---

1 – حمود ، مصدر سابق ، ص11 . ويقول محمد مهدي شمس الدين في حديثه من طبقات المحرومين في المجتمع : " لقد لحظ الامام هذه الفئات جميعا وامر بانشاء مرجعية خاصة لهم في الدولة ... ".محمد مهدي شمس الدين،عهد الاشتر ، مصدر سابق ، ص152.

2 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ،مصدر سابق ، كتاب 53 ، ص565 .

3– المصدر السابق ، كتاب 26، ص483 .

4– المحمودي ، مصدر سابق ، ج2، ص273 .

اما بشأن عمل هذه الهيئة ،فان الامام يجعلها مرتبطة مباشرة بالحاكم وذات واولوية خاصة لديه ، إذ يقول (ع)لولاته:" ليكن احضى الناس منك احوطهم على الضعفاء واعملهم بالحق "[1] .وهذا الاهتمام من الامام (ع) بنوعية العاملين وارتباطهم بالحكم واعطائهم الاولوية في هيئات الدولة سينعكس بصورة مباشرة على ادائهما التي حدد الامام اليات عملها في رؤية انسانية وسياسية غاية في الاهمية .

2 – الية العمل ،وهي خطة عمل رسم ملامحها الامام علي (ع) ، بهدف التطبيق الفاعل لحق الضمان الاجتماعي وتكمن ابرز معالمها الرئيسة في :

أ– التركيز على اعطاء الحقوق لمستحقيها إذ يقول (ع) :" افضل الجود ايصال الحقوق الى اهلها "[2] و " خير البر ما وصل الى المحتاج "[3] و "وافضل البر ما اصيب به الاوار"[4] و " خير البر ما وصل الى الاحرار "[5] .

ب – التاكيد على اعطاء الحق من دون مماطلة او تسويف من الجهة المانحة ، سواء كانت الدولة ام غيرها ، اذ يقول (ع) : " افضل الجود العطية قبل ذل السؤال "[6] ، " السخاء ما كان ابتداء فاما ما كان عن مسالة فحياء وتذمم "[7] [8] ان تاكيد الامام عدم التلكؤ في تنفيذ حق الضمان الاجتماعي يضع الحاكم

---

1 – الواسطي ، مصدر سابق ، ص406 .

2– مدير ، مصدر سابق ، ج1، ص158 ؛ الواسطي ، مصدر سابق ، ص111.

3– المصدر السابق ، ج1، ص454 .

4 – الواسطي ، مصدر سابق ، ص114 .

5 – الريشهري ، ميزان الحكمة ، مصدر سابق ، ج1، ص584 .

6– مدير ، مصدر سابق ، ج1، ص158 .

7 – أي الهروب من الذم .

8 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، حكمة 48 ، ص613 .

والمجتمع امام مسؤوليته في ملاحظة الحاجة والسعي الى سدها اذ ان " ابلغ الشكوى ما نطق به ظاهر البلوى" [1] في رؤيته (ع).

جـ–الاستمرارية والشمولية ، اذ ان الامام يدعو الى استمرارية العمل بهذا الحق وعدم التنصل منه اذ يقول (ع) :" افعلوا الخير ولا تحقروا منه شيئا ،فان صغره كبير وقليلة كثير ولا يقولن احدكم ان احدا اولى بفعل الخير مني فيكون والله كذلك" [2] ويقول (ع) :" لا تستح من اعطاء القليل فان الحرمان اقل منه " [3] .

اما من ناحية شمولية هذا الحق ، فان الامام سعى لان يغطي هذا الحق جميع مواطن الحاجة من جهة والارتقاء بواقع الحياة من جهة اخرى كما سنتعرض لاحقاً ، لذلك كان (ع) يقول : "اني لارفع نفسي ان تكون حاجة لا يسعها جودي وجهل لا يسعه حلمي " [4] .

د–الحفاظ على كرامة مستحقي الضمان الاجتماعي ، حيث يؤكد الامام(ع) كرامة الانسان ومجرد شمول الفرد بهذا الحق لا يعني ان يتنازل ولو بمقدار يسير عن كرامته ، إذ "بين الامام علي (ع) ان العناية بالمشمولين بحق الضمان الاجتماعي ليست احسانا اليهم وانما هي واجب تقوم به السلطة ولذا فلا يجوز ابدا ان يعاملوا باحتقار وازدراء وانما يجب ان تحفظ كرامتهم" [5] .

ولعل من اهم صيغ حفظ كرامتهم هو اعطائهم حقوقهم دون ان يستشعروا لاخرين بضعفهم وهنا تبرز فلسفة صدقه السر التي شجع عليها

---

1 – الواسطي ، مصدر سابق ، ص124 .

2 – القرشي ، موسوعة امير المؤمنين ، مصدر سابق ، ج6، ص123 .

3– بيضون ، مصدر سابق ، ص731 .

4 – الواسطي ، المصدر السابق ، ص169 .

5– محمد مهدي شمس الدين ، عهد الاشتر ، مصدر سابق ، ص153 .

الامام بوصفه لها " تطفئ الخطيئة وتطفئ غضب الرب " [1] ويعطي الامام المثال العملي لصيانة الكيان المعنوي للمحتاجين

للضمان الاجتماعي ، فحين قال لهرجل احتاج الى مساعدة اجابه الامام : " اكتب حاجتك على الارض ، اني اكره ان ارى ذل السؤال في وجهك "[2] . ويقول (ع) :" الموت اهون من ذل السؤال "[3] فـ " السؤال يضعف لسان المتكلم ويكسر قلب الشجاع ويوقف الحر الغزيز موقف العبد الذليل ويذهب بهاء الوجه "[4] .

ان فلسفة الضمان عند الامام علي(ع) هي لصيانة حياة الانسان المادية والمعنوية ، والرفع من شانه وليس الاساءة اليه او اهانة كرامته ،ويوجز الامام مفهومه لالية العمل في تحقيق الضمان الاجتماعي بقوله (ع) :" المعروف كنز من افضل الكنوز وزرع من ازكى الزروع ، فلا يزهدنكم في المعروف كفر من كفره وجحد من جحده .. ان المعروف لا يتم إلا بثلاث خصال: تصغيره ، وستره ، وتعجيله فاذا صغرته فقد عظمته واذا سترته فقد اتممته واذا عجلته فقد هنأته"[5] . وهذا العمل الضخم المراد انجازه في المجتمع يستدعي متطلبات مادية توظف لصالح هذا الهدف وهذا ما كان حاضرا عند الامام (ع) .

3 –توفير الموارد الضرورية لتنفيذ حق الضمان الاجتماعي،ان تاكيد الامام علي (ع) حق الضمان وانشاء هيئة خاصة تتكفل العمل لتجسيد هذا الحق على الصعيد العملي تكامل مع سعيه لتوفير الموارد المالية التي تغطي

1– الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، مصدر سابق ، ج11، ص523 .

2– المجلسي ، مصدر سابق ، ج17 ، ص407 .

3 – الواسطي ، مصدر سابق ، ص32 .

4– مدير ، مصدر سابق ،ج1، ص528 .

5 – اليعقوبي ، مصدر سابق ،ج2، ص210 ويقول (ع) ": لايستقيم قضاء الحوائج الابثلاث : باستصغارها لتعظم ،وباستكتامها لتظهر ،بتعجيلها لتهنأ " . الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، حكمة 95 ، ص621 .

الالتزامات المتعلقة بهذا الحق كالزكاة "والتي هي حق لازم تاخذه الدولة وتقاتل عليه وهي احد اركان الاسلام وقد جاء الامر بها مقرونة بالصلاة نحو ثلاثين موضعا"[1] .

و" ثبت عن الامام امير المؤمنين (ع) من انه وضع الزكاة على اموال غير الاموال التي وضعت عليها الزكاة في الصيغة التشريعية الثابتة[2] ...وهذا عنصر متحرك يكشف عن الزكاة كنظرة اسلامية لاتختص بمال دون مال وذلك من حق ولي الامر ان يطبق هذه النظرية في أي مجال يراه ضرورياً"[3] .

اما الرافد الثاني الذي دعا الامام الى تطبيقه وتفعيله تأكيداً للضمان الاجتماعي فهو الاعتماد على (خمس المكاسب) والذي يتضمن استنادا الى ادلة شرعية من القران والسنة النبوية"[4] خمس ارباح التجارات والصناعات والاجارات والعمل والوظائف والهدية والوصية وارباح مالك المنجم

---

1 – القرشي ، النظام السياسي في الاسلام ، مصدر سابق ،ص229 .

2 – حول موضوع الزكاة وتشريعاتها انظر : د. يوسف القرضاوي ، فقه الزكاة (دراسة مقارنة لاحكامها وفلسفتها في ضوء القرآن والسنة) ، (بيروت ، دار الارشاد ، 1969) مواقع مختلفة .

3 – محمد باقر الصدر ، الاسلام يقود الحياة ، مصدر سابق ، ص30 . وسئل احد تلامذة الامام واحفاده وهو الامام جعفر الصادق عن الزكاة فقال : " اما الظاهرة ففي كل الف خمسة وعشرون درهما واما الباطنة فلا تستاثر= =على اخيك بما هو احوج اليه منك ". مغنية ، فضائل الامام علي ، مصدر سابق ، ص95 وحول ارء الامام بشأن الزكاة بالتفصيل ينظر: حسن القبانجي ، مصدر سابق ، م4 ، ص ص41 – 61.

4 – حول الادلة الشرعية ومناقشتها لاسيما قوله تعالى "واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ان كنتم امنتم بالله " ، سورة الانفال /جزء من الاية 41 . ينظر : مرتضى العسكري ، معالم المدرستين ، (بيروت ، مؤسسة النعمان ، 1990) ، ص ص106–160 . وسئل الامام عن الذهب والفضة والمعادن ..قال :"عليهم فيها جميعا الخمس ".المجلسي،مصدر سابق ،ج29، ص43 .

والمدخرات من الكسب الحرام اذا اختلط بالحلال ولم يتميز ،فان تميز اخرج كله واللؤلؤ المستخرج والمواريث التي لم يؤد عنها الخمس ،وذلك بعد ان يستقل المكلف مؤنة الحفظ ومؤنة الذين يعولهم ومركبه ومسكنه ونفقات اضافية لمدة سنة كاملة وما زاد عن ذلك ففيه الخمس "[1] ، ويمكن القول ان مبدأ خمس المكاسب يمكن ان يكون احدى الوسائل المجدية لتحقيق الضمان الاجتماعي في مجتمعاتنا المعاصرة .

والرافد الثالث هو اشاعة فلسفة البذل والسخاء ، من الاغنياء ارء الفقراء اذ يقول (ع): " داووا الفقر بالصدقة والبذل "[2] .

اما الرافد الرابع في تغطية نفقات حق الضمان الاجتماعي فنجده في قوله(ع) لاحدولاته " اجعل لهم قسما من بيت مالك ، وقسما من غلات صوافي الاسلام في كل بلد"[3] ناهيك عن القاء الامام (ع) لمسؤولية الضمان الاجتماعي على عاتق المجتمع وبجميع افراده

ومؤسساته، مع تاكيده (ع) على الحفاظ على هذا الاموال ، إذ يقول (ع) : " كن سمحاًولاتكن مبذرا ، وكن مقتراولا تكن مقترا "[4] وتخصيصه للفئات والحالات المشمولة بحق الضمان حيث يقول (ع): " ان اعطاءك المال في غير وجهه تبذير واسراف "[5] .

---

1 – الجندي ، مصدر سابق ، ص363 ، وللمزيد في احكام الخمس ينظر : مرتضى الانصاري ، كتاب الخمس ، ط1، (قم ، مؤسسة الهادي ، 1415 هـ) ، ص20 وما بعدها ؛ ابو القاسم الموسوي الخوئي ، العروة الوثقى ، كتاب الخمس ، (قم ، المطبعة العلمية ، 1407هـ) ، ص9 وما بعدها .

2 – الواسطي ، مصدر سابق ، ص250 .

3 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، كتاب 53 ، ص563 .

4– المصدر السابق ، حكمة 29، ص ص608 –609 .

5 – الريشهري ، ميزان الحكمة ، مصدر سابق ، ج2 ، ص1294 .

ويرى محمد مهدي شمس الدين ان ممزات التشريع العلوي عن التشريعات (العمالية الحديثة) في بعض الدول بان " هذه التشريعات صدرت من فوق ، من طبقة الحاكمين... من دون ان يحدث من طبقة [الفقراءوالعمال] تحسس يلجئ الى هذا ، فهو يدل على ان الامام كان يفكر في هذه الطبقة ويعمل لخيرها .

وثانيا : ان ما تدفعه الدولة الى هؤلاء ليس احسانا منها اليهم ،وانما هو حق لهم عليها ، يجب ان تؤديه وعهد الامام صريح في هذا .. ومغزى هذه الملاحظة عظيم، فعندما ياخذ المعوز ما ياخذه على انه (احسان) يشعر بالدونية ، اما حين ياخذه على انه (حق) فانه لا يشعر بشيء من هذا ، وثالثا: ان التشريع الذي سنه الاسلام وذكره الامام يشمل كل حالة عجز "[1] .وهذا ما يجعلنا ننتقل الى تحديد الفئات والحالات المشمولة بحق الضمان الاجتماعي .

ثانياً : الفئات والحالات المشمولة بحق الضمان الاجتماعي .

من الجدير بالذكر ، ان حق الضمان الاجتماعي هو لجميع افراد الامة ولكن بوجود ظروف او متطلبات خاصةولاسيما في المرحلة الاولى منه وهو رفع الضرر ومن ثم الانطلاق نحو تحقيق الكفاية والرفاه اما اهم مجالات وساحات عمل الضمان الاجتماعي والفئات التي تعامل معها فهي :

1.

1 – محمد مهدي شمس الدين ،دراسات في نهج البلاغة ، مصدر سابق ، ص ص104–105 .

الضمان ضد الفقر

تعد مشكلة الفقر من اهم المشاكل التي تواجه الانسانية والتي اعيت رجال الاقتصاد والفكر الذين وضعوا في سبيل حلها النظريات والاراء والتي عجزت في القضاء عليها واستئصالها من خارطة الوجود الانساني [1] .

لقد كانت مشكلة الفقر شاخصة في رؤية وضمير الامام علي (ع) ، حيث استشعرها بنظرة ذات ابعاد انسانية [2] واسلامية وسياسية واقتصادية ، مؤكداً ضرورة القضاء على ظاهرة الفقر في المجتمع الاسلامي والانساني حيث يقول(ع): " لو تمثل لي الفقر رجلا لقتلته" [3] . ولقد كان حق الضمان الاجتماعي السلاح الذي استخدمه الامام (ع) في سعيه للقضاء على الفقر والغاء طبقة الفقراء من المجتمع .

ان اهم المعايير الاسلامية التي يمكن من خلالها معرفة ماذا نعني بالفقراء والمساكين – على الرغم من تباين الآراء في ذلك – يمكن اجمالها بالعناصر الاساسية الآتية :

أ–" يعد فقيرا

– من لا يمد يده للتسول مع انه في حاجة ،

– من لا يتوفر على النصاب (الحد الادنى للعيش) ،

– من لا يملك الوسائل لتغطية حاجيات عائلته في الماكل والملبس على الخصوص، من لا يملك وسائل العيش ولو كان لديه سكن واثاث ،

1 – " قدر عدد الفقراء في العالم الذين لايصل مدخولهم الفردي السنوي الى 370 دولار 1.6 مليار نسمة في 1985"، فاضل الموسوي ، مصدر سابق ، ص129 . ينظر : نوري حاتم ، مشكلة الفقر في ضوء الاسلام ، (قم ، د. ن ، 1424هـ) ، ص ص12–32 .

2 – روي ان الامام علي (ع) كان يبكى حين كان (ع) يدعو للاستقاء من اجل الضعفاء والفقراء من الفلاحين والرعاة ؛ ينظر : المحمودي ، مصدر سابق،ج7،ص240 .

3 – نقلاً عن القرشي ، النظام السياسي في الاسلام ، مصدر سابق ، ص217 ؛الشرقاوي ، مصدر سابق، ج1، ص26 .

ب– يعد مسكيناً :

– من كان في حالة فقر مدقع ،

– من دفعه البؤس للتسول ،

– باختصار من لايملك شيئا "[1] ، فالفقر هو " عجز انسان او جماعة من الناس في المجتمع عن وجدان ما يوفر مستوى الكفاية في العيش "[2] .

اما رؤيته (ع) للفقر ، فيمكن ان نتلمسها في عدائه الواضح لهذه الظاهرة ، حيث كان(ع) يقول : " نظرت الى كل ما يذل العزيز ويكسوه فلم ار شيئا اذل له ولا اكسر من الفاقة"[3] و "الفقر هو الموت الاكبر "[4] ، و"الفقر طوف من الكفر"[5] ويروي (ع)عن الرسول (صلى الله عليه وآله)قوله: "كاد الفقر ان يكون كفواً"[6] .فالحياة تكون في منتهى الصعوبة وقد تفقد جدواها بوجود حالة الفقر والبؤس والحرمان على وفق رؤية الامام علي الذي يقول:"القبر خير من الفقر"[7] .

اما من الناحية الاجتماعية فيحدد الامام (ع) الاثار السلبية للفقر إذ يقول " الفقر سواد الوجه في الدارين "[8] اي انه عامل قد يؤدي للانحراف، وان "

---

1 – فاضل الموسوي ، مصدر سابق ، ص112 ؛ ولقد وردت عدة تعاريف وتصانيف للفقراء والمساكين ينظر : الطبطبائي ، تفسير الميزان ، مصدر سابق ، ج9 ، ص310 ، يوسف البحراني ، الحدائق الناظرة ، مصدر سابق ، ج12 ، ص197 .

2 – محمد مهدي شمس الدين ، دراسات في نهج البلاغة ، مصدر سابق ، ص28 .

3– مدير ، مصدر سابق ، ج1، ص575 .

4– بيضون ، مصدر سابق ، ص727 ؛ القرشي ، موسوعة امير المؤمنين، مصدر سابق ، ج6 ، ص120 .

5 – علي بن ابراهيم الاحسائي،عوالي اللئالي العزيزية في الاحاديث الدينية،ج1،(قم،مطبعة سيد الشهداء،1983)،ص39 ، الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، مصدر سابق ، ج15 ، ص366 .

6– المجلسي ، مصدر سابق ، ج1، ص39 .

7 – الواسطي ، مصدر سابق ،ج1، ص39 .

8– الاحسائي ، مصدر سابق ، ج1، ص39 .

من قل ذل "[1] ويحدد الامام التاثير النفسي للفقر على الانسان فهو " مذهلة للنفس مدهشة للعقل جالب للهموم "[2] و"من ابتلي بالفقر فقد ابتلي بأربع خصال بالضعف في يقينه والنقصان في عقله والدقة في دينه وقلة الحياء في وجهه فنعوذ بالله من الفقر "[3] . ويقول (ع) " اهلك الناس اثنان خوف الفقر وطلب الفخر "[4] ، ولقد وعى (ع) ان الانسان الفقير " الجائع المستغل المحروم المصفد بالاغلال لا يستطيع ان يكون فاضلا وان من اللغو ان يوعظ بالوعد والوعيد والترغيب والترهيب وان انسانا كهذا ينقلب كافرا بالقيم والفضائل . وان معدته الخاوية وجسده المعذب ومجتمعه الكافر بانسانيته المتنكر له وشعوره بالاستغلال وميسم الضعة الذي يلاحقه انى كان ،هذه كلها تجعله لصا وسفاحا وعدوا للانسانية التي لم تعترف له بحقه في[5]

الحياة الكريمة " .

وعلى وفق هذه الرؤية فقد سعى الامام (ع) للتعامل مع مشكلة الفقر والعمل على علاجها، عبر حق الضمان الاجتماعي والذي من اهم واجباته هو استئصال الفقر من المجتمع الانساني إذ يقول (ع):"لربعة من قواصم الظهر ، فقر لايجد صاحبه له موادیا..." [6] ،اما صيغ التعامل والمعالجة لمشكلة الفقر فيمكن تلمس مفوداتها بأبعاد ندرجها على النحو الاتي:

1- مدير ، مصدر سابق ، ج1، ص331 ؛ الواسطي ، مصدر سابق ، ص423

2- الواسطي ، مصدر سابق ، ص149 .

3- المجلسي ، مصدر سابق ،ج72 ، ص47 ؛ حسن القبانجي ، مصدر سابق ، م9 ، ص308 .

4- المجلسي ، مصدر سابق ،ج57 ، ص54 .

5 - محمد مهدي شمس الدين ، دراسات في نهج البلاغة ، مصدر سابق ، ص390 .

6- المجلسي ، مصدر سابق ، ج96 ،ص39 ؛ مدير ، مصدر سابق ، ج1، ص107 .

أ- البعد الديني

يرفض الامام علي (ع) أي دعوة لتبرير الفقر استنادا الى قدر الله ، او كون الفقر الحال الاكثر انسجاما مع رؤية الاسلام وفلسفته للحياة ،بل ان الامام يؤكد ان تحقيق الضمان الاجتماعي لإزالة الفقر هو جزء مهم من اسباب الدعوة الاسلامية ككل اذ يقول(ع) : " فانظروا الى مواقع نعم الله سبحانه عليهم ، حيث بعث اليهم رسولا ،فعقد بملته طاعتهم وجمع على دعوته الفتهم ونشرت النعمة عليهم جناح كرامتها واسالت لهم جداول نعيمها ... فاصبحوا في نعمتها غرقين، وفي خضرة عيشها فكهين ،قد تربعت الامور بهم ، في ظل سلطان قاهر ،واوتهم الحال الى كنف عز غالب " [1] .

وقد اتبع الامام (ع) الدعاء كأحد الأساليب لإزالة أي شائبة في العقل الجمعي الاسلامي تجمع بين الاسلام والفقر ، إذ يدعوا (ع) قائلا : " اللهم انا نعوذ بك من الشوك وهواديه [2] والظلم وتواهيه والفقر وتواعيه " [3] ، ويدعو (ع) قائلا : " اللهم اني اسالك من الدنيا وما فيها ما اسدد به لساني واحصن به فوجي واودي به امانتي واصل به رحمي واتجر به لاخوتي " [4]

ويقول(ع) مناجياً الله عز وجل مصوراً العلاقة الممزة بين العبد والرب التي جسدها (ع) بقوة: " اللهم صن وجهي باليسار ولاتبذل جاهي بالاقتار فاسترزق طالبي رزقك واستعطف شرار خلقك وابتلى بحمد من اعطاني

---

1 - الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، خطبة 192، ص373.

2- مقدماته .

3- المحمودي ، مصدر سابق ، ج7، ص236 .

4- لجنة الحديث ، سنن الامام علي ، مصدر سابق ، ص131 .

وافتتن بذم من منعني وانت من وراء ذلك كله ولي الاعطاء والمنع انك على كل شيء قدير " [1] .

ويؤكد الامام (ع) ان الاختبار الحقيقي لمدى تمسك الفرد بمبادئ الاسلام هو اسهامه الفاعل في تحقيق الضمان ضد الفقر اذ يقول (ع) : " ان لاهل الدين علامات يعرفون بها [ومنها] صدق الحديث ورحمة الضعفاء " [2] ويقول (ع) : " اختبروا شيعتي بخصلتين : المحافظة على اوقات الصلاة والمواساة لاخوانهم بالمال" [3] ، ويفسر الامام فلسفة الاسلام لمن اراد ان يشهر اسلامه على يديه (ع) قائلاً : " ان تقر لله بالوحدانية ... وتشهد ان محمدا سيد الانام... وامرك [أي الاسلام] ان تواسي اخوانك ... تسد فاقتهم وتجبر كسرهم وخلتهم" [4] .

ويجعل الامام من سد حاجة الفقراء والمعوزين واجب ديني اذ " ان المسكين رسول الله فمن منعه فقد منع الله " [5] ويقول (ع) :" ارحموا ضعفاء كم واطلبوا الرحمة من الله بالرحمة لهم " [6] ولعل من اولى الناس بالقيام بهذا الواجب هو الحاكم وهذا هو البعد السياسي في علاجه لمشكلة الفقر .

---

1 - الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، خطبة 224، ص440 . ويروي دعاء اخر له بقوله : " هب اللهم لنا رضاك واعفنا عن مد الايدي الى سواك " ، المصدر السابق ، ص514 . وقال لاحد ابنائه : " يا بني اني اخاف عليك الفقر " فاستعذ بالله منه ، فان الفقر منقصة للدين مدهشة للعقل داعية للمقت " . المصدر السابق ، حكمة 310، ص670 .

2- مدير ، مصدر سابق ، ج1، ص267 .

3 - بيضون ، مصدر سابق ، ص626 . ان فرض المواساة بالمال وعيش حياة الفقراء كنوع من المواساة العملية من جهة ، ورؤية الامام للقهر السياسي الذي ستعانيه مثل هذه المبادئ ومن يحملونها من جهة اخرى دفعه الى تهيأة المؤمن يخاطبه قائلا : " من احبنا اهل البيت فليستعد للفقر جلبابا " الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، حكمة 107 ، ص624 .

4 - كاظم القزويني ، مصدر سابق ، ج9، ص ص448-449 .

5- بيضون ، مصدر سابق ، ص649 .

6- المجلسي ، مصدر سابق ، ج78 ، ص83 .

ب- البعد السياسي

يحمل الامام السلطة الحاكمة مسؤولية ازالة الفقر من المجتمع ، وجعل الامام من وجود الفقر في الامة معياراً على سلبية

السلطة الحاكمة التي حذر الامام منها بقوله (ع) : " اما انكم ستلقون بعدي ذلا شاملا وسيفا قاتلاً واثرة قبيحة يتخذها الظالمون عليكم سنة تفوق جموعكم وتبكي عيونكم وتدخل الفقر بيوتكم "[1] .

ان تحميل الامام للسلطة الحاكمة مسؤولية الفقر في الامة ذات شقين :

الاول ، الممارسة السلبية للحكام والتي تسهم في افقار المجتمع ، حيث شخص الامام الحالة السلبية في التوظيف السياسي للفقر واشار الى حقيقة لجوء بعض الساسة الى هذا الاسلوب لكسر إرادة الاحرار في الامة ،فقدرد على من اشار عليه بتوليه طلحة والزبير البصرة والكوفة قائلا : " ويحك ان العراقين بهما الرجال والاموال ومتى تملكا رقاب الناس يستميلا السفيه بالطمع ويضربا الضعيف بالبلاء ويقويا على القوي بالسلطان"[2] ،والحالة الثانية التي شخصها الامام، فهي حالة الاسراف للحاكم وبطانته والابتعاد عن الام وآمال فقراء المجتمع ،ومما يسببه ذلك من اهدار للمال العام وضعف في رؤية الحكام لحقيقة معاناة فقراء الامة ذلك بقوله (ع)لاحدولاته المسرفين : " دع الاسراف مقتصداً واذكر في اليوم غدا وامسك من المال بقدر ضرورتك وقدم الفضل ليوم حاجتك ، اتريد ان يعطيك الله اجر المتواضعين وانت عنده من المتكبرين وتطمح وانت متورغ في النعيم تمنعه الضعيف

1- اليعقوبي ، مصدر سابق ،ج2، ص193 ؛ البلاذري ، انساب الاشراف ، مصدر سابق ، ص381 .

2 - ابن قتيبة الدينوري ، الامامة والسياسة ، مصدر سابق ، ج1، ص71 .

والارملة ، ان يوجب لك ثواب المتصدقين وانما الوء مجزي بما سلف وقادم على ما قدم والسلام "[1] .

اما الشق الثاني من مسؤولية الحاكم إزاء الفقر في الامة فهو ايجابي ، يتمثل في ضرورة قيام السلطة الحاكمة بالقضاء على الفقر في المجتمع ، عبر اعادة توزيع الثروة أو الاهتمام بتقليل التفاوت الاقتصادي الصارخ في المجتمع حيث يقول (ع) : " اضرب بطرفك حيث شئت من الناس فهل تبصر الا فقيرا يكابد فقراً او غنياً بدل نعمة الله كفرا او بخيلا اتخذ البخل بحق الله وفرا او متمرداً كأن باذنه عن سمع المواعظ وقرا"[2] .

ويقول (ع) حول حقوق الفقراء ومسؤولية الحاكم إزائهم : " ثم الطبقة السفلى من اهل الحاجة والمسكنة الذي يحق رفدهم ومعونتهم وفي الله لكل سعة ولكل على الوالي حق بقدر ما يصلحه "[3] وفي وثيقة مهمة هي رسالة موجهة من الامام الى احد ولاته ، يبين فيها الامام جملة من الامور اذ يقول (ع) :" بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله علي امير المؤمنين الى عبد الله بن عباس ، اما بعد فانظر ما اجتمع عندك من غلات المسلمين وفيئهم فاقسمه من قبلك حتى تغنيهم وابعث الينا بما فضل نقسمه فيمن قبلنا والسلام "[4] ، ان احدى الدلالات الواضحة في هذه الرسالة ان الامام (ع) قد بدأ بالقضاء فعلياً على مشكلة الفقر في دولته : حتى انه ذهب الى احتمال وجود فائض في الموارد المالية للدولة ،ولاسيما ولاية البصرة التي كان ابن

---

1 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، كتاب 21، ص477 .

2– مدير ، مصدر سابق ،ج1، ص131.

3 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، كتاب 53 ، ص553 .

4 – المنقري ، مصدر سابق ، ص106 .

عباس والياً عليها ، ومن جهة اخرى ان الامام قد انطلق نحو مرحلة متقدمة فكريا وعمليا في الضمان الاجتماعي لعلاج مشكلة الفقر وهو مستوى الغنى والرفاه اذ يقول (ع) (حتى تغنيهم) . اما الدلالة الثالثة فهو تاكيد مبدأ ان صدقات وارباح أي منطقة يجب ان تخصص لفقرائها ولا يمنع(ع)احتكار العوائد المادية لصالح الرقعة الجغرافية للسلطة المركزية الحاكمة ، ولاسيما عواصمهم ومعاقلهم اما الدلالة الرابعة فهي ان الامام منع من حبس الاموال عن المحتاجين اليها ويجب ان تخصص الاموال للفقراءولا يدخر من المال ،الا ما هو ضروري جدا ، ما دام ان هناك فقراء ومساكين في الامة ، لذلك كان (ع) " ينضح بيت المال ثم يتنقل فيه ويقول اشهد لي يوم القيامة اني لم احبس فيك المال على المسلمين " [1] .

وتبرز عبقرية الامام وواقعيته في مبدأ غاية في الاهمية بمكن ايجازه بان الوطن الذي يعجز ان يوفر لابنائه الحياة الحرة الكريمة هو سجن كبير وليس جدير بالاحترام لانتماء له كونه اصبح مكانا لعبيد السلطة الحاكمة التي اخفقت في انتشالهم من الفقر او تعمدت ابقائهم فيه ، وفي كلتا الحالتين يجب ان لا تظل ممسكة بزمام القيادة اذ يقول (ع) : " الفقير في الوطن ممتهن" [2] و"الفقر في الوطن غربة " [3] و "ليس بلد احق بك من بلد ، خير البلاد ما حملك " [4] و " ليس في الغربة عار وانما العار في الوطن الافتقار " [5] ، ويعلق محمد عمارة على هذه الرؤية العلوية قائلا: " لقد بلغت عبقرية الامام

1– لجنة الحديث ، سنن الامام علي ، مصدر سابق ، ص105 .

2 – الواسطي ، مصدر سابق ، ص28 .

3 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، حكمة 51 ، ص613 .

4 – الواسطي ، مصدر سابق ، ص410 .

5– المصدر السابق ، ص410 .

في هذا المقام الى الحد الذي ادرك فيه العلاقة الوثيقة بين حب الانسان لوطنه وبين ما يكفله هذا الوطن لاهله من حقوق مادية تيسر لهم امور الحياة ..وهو ما نسميه الان بلغة عصرنا المضمون الاجتماعي والاقتصادي للوطنية" [1] . ان الشعور الانساني العميق في رؤية الامام لمشكلة الفقر وكيفية معالجتها وفضلاً عما ذكره من مسؤولية سياسية فانه (ع) اكد البعد الاقتصادي لهذه المشكلة .

ج- البعد الاقتصادي

وهو ما سبق ان ذكرنا جانب منه ولاسيما في تاكيد الامام (ع) توفير فرص العمل والاجور العادلة والقيم الايجابية المنتجة في المجتمع والالتزام بمبادئ الاسلام فقد "شرع الله تعالى احكاما تحول دون تكون الثروات بطريق غير عادل وغير مشروع ، وتحول بين اصحاب الثروات بعد ان تتكون لديهم الثروة بطريق غير مشروع وبين ان يستخدموها في استغلال الاخرين وشرع نظاما للضرائب (الزكاة والخمس) والمواريث يفتت هذه الثروات تدريجيا ويحول بينها وبين التراكم والتعاظم واعطى للحاكم حق وضع اليد على ما تقضى به المصلحة العامة من اموال الاغنياء اذا قضت بذلك حاجة طارئة"[2] .

ويعد الامام سوء التوزيع سواء داخل المجتمع ام خارجه ، هو سبب رئيس لوجود الفقر حيث يقول (ع) :" ان الله فرض على اغنياء الناس في اموالهم قدر الذي يسع فقرائهم فان ضاع الفقير او اجهد او عري في ما يمنع الغني وان الله عز وجل محاسب الاغنياء في ذلك يوم القيامة ومعذبهم

---

1 – عمارة ، الفكر الاجتماعي لعلي بن ابي طالب ،مصدر سابق ، ص46 .

2 – محمد مهدي شمس الدين ، دراسات في نهج البلاغة ، مصدر سابق ، ص37 .

عذابا اليما "[1] ، ويعلق كاتب معاصر على هذا المبدأ بانه يعطينا بدلالاته " حكماً فقهياً باهراً ، هو ان اموال الاغنياء ليست حقاً خالصا لهم ما دام في مجتمعهم فقراء .. بل هي حق لهم وللفقراء معاً الذين خلت منه ايديهم بقدر ما هي حق للاغنياء الذين تمتلئ به ايديهم "[2] .

ويدعو الامام (ع) جميع المسلمين للقضاء على الفقر ، اذ يخاطب كل مسلم قائلا : "اذا وجدت من اهل الفاقة من يحمل لك زادك الى يوم القيامة فيوافيك فيه غدا حيث تحتاج اليه فاغتنمه وحمله اياه واكثر من تزويده وانت قادر عليه فلعلك تطلبه فلا تجده "[3] ، وكان (ع) يقول : " من تكفل عددا من المؤمنين والمؤمنات انا ضمينه على الله تعالى من الكفر والفقر"[4] ويوصي (ع) : " ابذل لاخيك دمك ومالك"[5] " داووا الفقر بالصدقة والبذل"[6] وكان (ع) قد ترك عيون زراعية صدقة " على فقراء اهل المدينة وابن السبيل"[7] .

ان وجود مشكلة الفقر يعد من سلبيات المجتمع على وفق رؤية الامام (ع) ، اذ ان وجود الفقر المدقع بجانب الثراء الفاحش ، يدل على عدم قيام

---

1 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، حكمة 319، ص672؛ الريشهري ، ميزان الحكمة ، مصدر سابق ، ج2، ص1147 ؛ الهيثمي ، مصدر سابق ، ج3، ص62 ؛ البيهقي ، مصدر سابق ، ج7، ص23 .

2- خالد ، مصدر سابق ، ص157 .

3 - الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، كتاب 31، ص505 .

4- الحر العاملي ، وسائل الشيعة ،مصدر سابق ، ج71 ، ص239 .

5- المجلسي ، مصدر سابق ، ج75 ، ص50 .

6- الواسطي ، مصدر سابق ، ص250 .

7 - الهمداني ، مصدر سابق ، ص538 ، وبنص آخر قوله (صلى الله عليه وآله) انها صدقة " للفقواء والمساكنين وفي سبيل الله وابناء السبيل القريب والبعيد في السلم والحرب " ، النموي ، مصدر سابق ، ج1 ، ص220 وحول وصف لهذه الاراضي والعيون ينظر : النموي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص221.

المجتمع الاسلامي الحقيقي ، لذلك يقول(ع) : "انكم في زمان .. اهله معكفون على العصيان لا يعظم صغوهم كبوهم ولا يعول غنيهم فقوهم"[1] من هنا ننتقل الى البعد الاخر لعلاج مشكلة الفقر عند الامام علي وهو البعد الاجتماعي .

د- البعد الاجتماعي

يتعامل الامام بمنظور انساني اسلامي مع فئة الفقواء في الامة ،وينظر (ع) بعين الخبير الى بعض السلبيات التي قد تظهر بين افواد هذه الفئة او سلوكهم الجمعي اذ يعزو (ع) ذلك الى الفقر وليس الى الفقواء قائلاً:"العسر يشين الاخلاق ويوحش الوفاق "[2] ، ويدعو الامام للبحث بجدية عن جوهر الفقواء ، اذ يقول(ع):" اذا قبلت الدنيا على احدٍ اعلرته محاسن غيوه واذا ادبرت عنه سلبته محاسن نفسه"[3] .

ويوصي الامام لولاده وحكام الامة بالتعايش مع الفقواء والانفتاح عليهم ويجعل اهمية هذه الخطوات في سياق اهمية الصلاة ، حيث يقول : " اوصيك يابني بالصلاة والزكاة في اهلها وعند محلها ... ورحمة المجهود واصحاب البلاء وصلة الرحم وحب المساكين ومجالستهم "[4] ويقول(ع) : " جالس الفقواء تزداد شكرا "[5] . ويؤكد الامام مواساة الفقواء بسيرته العملية، التي تطرقنا الى شذرات منها سابقا ، حيث كان (ع) واصحابه امثال ابي ذر

1- مدير ، مصدر سابق ،ج1،ص284 .

2- الواسطي ، مصدر سابق ، ص49 .

3 - الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، حكمة 5، ص603 .

4- المحمودي ، مصدر سابق ، ج2، ص138 .

5- مدير ، مصدر سابق ، ج1، ص400 .

(1)

وعمار وغيرهم من الفقراء ، لقد سعى الامام الى منح الامام الفقراء ما يفخرون به كونه (ع) منهم ، وهذا الموقف ينسجم مع ما روي عن الرسول (صلى الله عليه وآله) بانه قال : " يا علي ان الله جعلك تحب المساكين وترضى بهم اتباعا ويرضون بك اماما "[2] .

ويحرر الامام (ع) النفس البشرية من الفقر حيث يقول : " شر الفقر فقر النفس "[3] ويسبر الامام اغوار النفس الانسانية قائلاً : " اربع هي مطلوبات الناس في الدنيا الغنى والدعة وقلة الاهتمام والعز . فاما الغنى : فموجود في القناعة فمن طلبه في كثرة المال لم يجده .

واما الدعة : فموجودة في خفة المحمل فمن طلبها في ثقله لم يجدها

واما قلة الاهتمام فموجودة في قلة الشغل فمن طلبها في كثرته لم يجدها .

واما العز فموجود في خدمة الخالق فمن طلبه في خدمة المخلوق لم يجده"[4] .

ويؤكد الامام سمو الفقراء بانفسهم وذلك تعزيزا لكرامتهم الانسانية إذ يقول(ع): " ما احسن تواضع الاغنياء للفقراء طلبا لما عند الله واحسن منه تيه الفقراء على الاغنياء اتكالا على الله "[5] ، ويرفض الامام ان يظهر التذلل والحاجة بوجوه فقراء الامة ، ان وجدوا كون ان عز الاسلام ، على وفق رؤية الامام ، يجب ان يطغى على ذل الفقر فان " المؤمن بشره في

---

1 – حول سيرة الامام وبعض اصحابه ووصفهم بانهم من الفقراء ينظر : صائب عبد الحميد ، مصدر سابق ، ص546 وما بعدها .

2– لجنة الحديث ، سنن الامام علي ، مصدر سابق ، ص281 .

3– مدير ، مصدر سابق ، ج1، ص535 .

4 – الواسطي ، مصدر سابق ، ص74 .

5– المجلسي ، مصدر سابق ،ج57 ، ص13 ؛ القرشي ، موسوعة امير المؤمنين، مصدر سابق ، ج6، ص124 .

وجهه وحزنه في قلبه ...شكور صبور مغمور بفكرته ضنين بخلته "[1] ويقول(ع) " لا تزين الناس افتقرك واضطرارك واصطبر عليه احتسابا تغنى وتستر "[2] ويقول (ع) : "رضي بالذل من كشف ضره"[3] . ويوجه الامام كلامه الى ابناء الامة ، ويبين لهم اعتزازه بكرامتهم الانسانية اذ يقول : " استغن عمن شئت فانت نظيره ، وافتقر الى من شئت فانت اسيره"[4] .

ان جملة هذا الموروث النظري والعملي جعل العلاقة ممزوجة بين الامام (ع) وفقراء الامة الذين كانوا يلقون اليه ما يثقل كاهلهم من الفقر وآلامه[5] وكان الامام يجيبهم معطيا ومعلما وواعظا لذلك" خف الناس مسرعين الى الجامع حينما اذيع مقتل الامام فوجدوه طريحا في محرابه وهو يلهج بذكر الله، قد تزف دمه .. ثم حمل الى داره والناس تهج بالبكاء وهم يهتفون بذوب الروح قتل الامام الحق والعدل قتل ابو الضعفاء واخو الغرباء "[6] ، ان بكاء الجماهير ،لم يكن لخسارة الامام فحسب وانما

لفقدانهم الامان والضمان في شتى المجالات الاخرى من حق الضمان ولاسيما حق ضمان الامن الغذائي .

---

1 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، حكمة 324 ، ص672.

2– المجلسي ، مصدر سابق ، ج74 ، ص269 .

3 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، حكمة 2، ص602.

4– المجلسي ، مصدر سابق ،ج7، ص169 .

5 – وردة عدة روايات واحداث حول تعامله (ع) مع الفقراء ينظر: البلاذري ، انساب الاشراف ، مصدر سابق، ص263 ؛ المجلسي ، مصدر سابق ، ج14 ، ص43؛ ابن طيفور، مصدر سابق،ص72 .

6 – القرشي ، حياة الامام الحسين ، مصدر سابق ، ج2، ص108 . ويصف احد الرعية الامام قائلاً : "كان مجالساً لاهل الفقر 000 عوناً للغريب اباً لليتيم 000 معنياً بأهل المسكنة " ، لجنة الحديث ، سنن الامام علي، مصدر سابق ، ص163 .

2– ضمان الامن الغذائي

لقد سعى الامام علي (ع) لتحقيق الامن الغذائي كجزء من حق الضمان الاجتماعي الذي دعا اليه (ع) ،ولاسيما هو صاحب التجربة المميزة في اطعام المحتاجين [1] زمن الرسول(صلى الله عليه وآله) .

ويبدو ان رؤية الامام لمسالة الامن الغذائي جاءت على محورين يكمل احدهما الاخر ، الاول ،يؤكد حق الضمان ضد الجوع إذ فوض الامام على الحاكم ان يحقق الامن الغذائي لشعبه ويبعد عنه شبح الجوع حيث يقول (ع):"من الفساد اضاعة الزاد [2] "ويوصي احدولاته قائلا : " انظر الى ما اجتمع عندك من مال الله فاصرفه الى من قبلك من ذوي العيال والمجاعة مصيبا به مواضع المفاقر والخلات وما فضل عن ذلك فاحمله الينا لنقسمه فيمن قبلنا " [3] .

ويحدد الامام بان المطلوب من الحاكم ليس توفير ما يسد الرمق او عيش الكفاف انما الكفاية الغذائية اذ يقول (ع) : "اذا اطعمت فاشبع " [4] وينبه الامام على ضرورة تحقيق الرفاه من ناحية الطعام مع توفير الامكانات الاقتصادية

---

1 – حيث ورد في القرأن الكريم ايات تمدح الامام علي (ع) وزوجته فاطمة (عليها السلام) وابنائه الحسن والحسين لاطعامهم (مسكينا ويتيما واسير) لثلاثة ايام متتالية ، {ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا انما نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاءولا شكورا } سورة الانسان : الايات 8–10 ، اصغر ناظمزادة القمي ، حياة أمير المؤمنين علي (ع) (بحوث في سيرته وفضائله وحكومته من طرق اهل السنة) ، ط2 ، (ايران ، دار الكوثر ، 1424هـ) ، ص96 وما بعدها، حيث يورد اثنى عشر تفسير لعلماء من اهل السنة قد عدوا ان هذه الاية نزلت في علي (ع) واهل بيته مع ذكر الطبعات والاجزاء والصفحات .

2 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، كتاب 31 ، ص511.

3– المصدر السابق ، كتاب 67 ، ص ص589–590 .

4 – الريشهري ، ميزان الحكمة ، مصدر سابق ، ج2، ص1730 ؛ مدير ، مصدر سابق ، ج1 ، ص82 .

والتطور المادي في الدولة ، حيث روي عنه قوله " اذا ضعف المسلم فليأكل اللحم باللبن فان الله جعل القوة فيهما"[1] . بل ان الامام مارس عملية التغذية العامة ، حيث اقام من مدة توليه الحكم الموائد لعامة الناس وفقرائهم بالوحبة في الكوفة[2] وكان يطعم "الناس الخبز واللحم "[3] .

ويحذر الامام من الجوع كونه سلاحاً خطراً قد يوجه ضد الانسان والمجتمع اذ ان " بطن الجوء عدوه "[4] ، ويقول ايضاً ان " ابن ادم اسير الجوع "[5] ويؤكد(ع) ضرورة ضمان الامن الغذائي للقضاء على الجوع كونه احد اسباب الانحراف حيث يقول (ع): "احفظ بطنك وفرجك فهما فتنتك "[6] ، وبالمقابل فانه (ع) يقول: " احسن العبادة عفة البطن والفرج "[7] .

ويسمو الامام بحق الامن الغذائي وضرورة انجازه كونه احد اسباب الرسالة المحمدية التي يقول الامام عن أحوال انطلاقها لرسل الله تعالى محمداً (صلى الله عليه وآله) " على حين فترة من الرسل وطول هجعة من الامم ...والدنيا كاسفة النور .. قد درست احلام الهدى وظهرت اعلام الردى، فهي متجهمة

---

1 – الحواني ، مصدر سابق ، ص107 .

2 – للتفصيل ينظر : البلاذري ، انساب الاشراف ، مصدر سابق ، ص187 ؛ الاسكافي ، مصدر سابق ، ص17 .

3– لجنة الحديث ، سنن الامام علي ، مصدر سابق ، ص92 ؛ الطبرسي ، مجمع البيان ، مصدر سابق ، ج9، ص146 .

4– مدير ، مصدر سابق ، ج1، ص353 .

5 – الواسطي ، مصدر سابق ، ص505 .

6– المصدر السابق ، ص78 .

7– المصدر السابق ، ص119 .

لاهلها عابسة في وجه طالبها ثمرها الفتنة وطعامها الجيفة "[1] ، ويروي الامام عن الرسول (صلى الله عليه وآله) قوله : " اعوذ بالله من الجوع ضجيعا "[2] .

وينطلق الامام نحو الامة المؤمنة للقضاء على شبح الجوع في الانسانية انطلاقا من ابسط علاقة بين المؤمن وجاره اذ يقول (ع) : " لايرد على الله من شبع وجاره المؤمن جائع "[3] . ويؤكد الامام علي (ع) حقيقة غاية في الاهمية وهي ان اعمال المعروف ذات البعد الاقتصادي يجب ان تخصص لسد جوع المعوزين يوصد الباب بوجه المتطفلين على الدين لسرقة جهد[4]

وقوت الامة حيث يقول (ع) ان الله تعالى حبى الامة الاسلامية بان جعل قوتها " في بطون فقرائها ومساكينها " .

وينتقد الامام لازدواجية بعض الحكام والولاة والاغنياء الذين يتمرغون بالنعيم واصناف الطعام ويفرضون سياسات الصبر والتقشف والحرمان على ابناء الامة حيث يقول (ع) لاحد هؤلاء : " يلغني انك تبخر وتكثر من الادهان والوان الطعام وتتكلم على المنبر بكلام الصديقيين وتفعل اذا خلت ، افعال المحليين ، ... كيف تجو وانت متمرغ في النعيم جمعته من الارملة واليتيم ، ان يوجب الله لك امر الصالحين ، بل ما عليك ثكلتك امك لو صمت لله اياما وتصدقت بطائفة من طعامك فانها سيرة الانبياء وادب الصالحين " [5] ،بل ان الامام (ع) فرض اضافة الى ضرورة ضمان الغذاء من السلطة الحاكمة المواساة لمن عز عليهم قوت يومهم فيجب ان يجوع الحاكم ما دام

---

1 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، كتاب 88 ، ص140.

2 – الحموي ، مصدر سابق ، ص325 .

3 – المحمودي ، مصدر سابق ، ج2، ص315 ويقول (ع) " لا يشبع المؤمن واخاه جائع " الواسطي ، مصدر سابق، ص539 .

4 – محمد كاظم القزويني ، مصدر سابق ، ج9،ص490 .

5 – اليعقوبي ، مصدر سابق ، ج2، ص202 .

هناك مواطن جائع في دولته وتحت ولايته ويبين (ع) ذلك في رسالة بعثها الى احد ولاته على البصرة قائلا : " بلغني ان رجلا من فتية اهل البصرة دعاك الى مأدبة فاسرعت اليها تستطاب لك الالوان وتنقل اليك الجفان وما ظننت انك تجيب الى طعام قوم عائلهم مجفو وغنيهم مدعو [1] فانظر الى ما تقضمه من هذا المقضم ، فما اشتبه عليك علمه فالفظه وما ايقنت بطيب وجوهه فنل منه " [2] ويعطي الامام القدوة العملية والاسوة الحسنة [3] ، اذ يقول(ع): " الا وان امامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه ومن طعمه بقرصيه الا وانكم لا تقدرون على ذلك ولكن اعينوني بورع واجتهاد وعفة وسداد .. ولو شئت لاهتديت الطريق الى مصفى هذا العسل ولباب هذا القمح ونسائج هذا القز ولكن هيهات ان يغلبني هواي ويقودني جشعي الى تخير الاطعمة ولعل بالحجاز او باليمامة من لا طمع له في القرص ولا عهد له بالشبع او ابيت مبطانا وحولي بطون غرثى [4] واكباد حرى [5] او اكون كما قال القائل:

وحسبك داء " ان تبيت ببطنة وحولك اكباد تحن الى القد

---

1 – ويعلق كاتب معاصر حول عبارة " عائلهم مجفو وغنيهم مدعو " ان مثل هؤلاء القوم "ليس للانسانية عندهم مكان فطعامهم على ذوي الاحساس الانساني المهذب حرام " . العزيزي ، مصدر سابق ، ص33 .

2 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، كتاب 45 ، ص ص530–531 .

3 –رأى بعض المسلمين الامام علي وهو "ياكل رغيفا يكسره بركبتيه ويلقيه في لبن حازر يجد ريحه من حموضته ". لجنة الحديث ، سنن الامام علي ، مصدر سابق ، ص93.

4– جائعة .

5– عطشى .

أاقنع نفسي بان يقال : امير المؤمنين ولا اشاركهم في مكاره الدهر او أكون اسوة لهم في جشوبة العيش ! فما خلقت ليشغلني اكل الطيبات كالبهيمة المربوطة همها علفها "[1] .

ومن الجدير بالذكر ان ضرورة الشعور بجوع الاخرين والسعي لازالته فضيلة كان الامام(ع) قد دعا اليها قبل وصوله الى سدة الحكم وبعده إذ كان (ع) يقول :" اني لاربط الحجر عن بطني من الجوع وان صدقتي لتبلغ اربعة الاف دينار"[2] .

وكان (ع) دائما ما يذكر مختلسي اموال الامة وسواق اقوات الشعوب بعظم جريمتهم وتاثيرها السلبي فيهم بالذات سعياً منه لايقاض ضميرهم فيتورعون عن هذا العمل فيقول : " بئس الطعام الحرام "[3] ويستغرب من احدهم قائلا: " كيف تسيغ شرابا وطعاما وانت تعلم انك تأكل حراما وتشرب حراما "[4] .

ويجعل الامام من حق توفير الطعام وتحقيق الامن الغذائي والقضاء على الجوع وما يمثله ذلك من عدالة واستقرار محورا لحركته السياسية بل يدعو الى ان يكون ذلك هدفا لكل حركة اصلاحية في المجتمع اذ يقول : " اما والذي فلق الحبة وبرا النسمة لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر وما اخذ الله على العلماء ان لا يقاروا على كظة ظالم وسغب مظلوم

---

1 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، كتاب 45 ، ص ص532–533 .

2– ابن عساكر ، مصدر سابق ، ج24، ص375 .

3 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، المصدر السابق ، كتاب 31، ص510 .

4– المصدر السابق ، كتاب 41، ص527 .

لالقيت حبلها على غاربها ولسقيت اخرها بكأس اولها ولالفيتم دنياكم هذه ازهد عندي من عفطة عنز"[1] .

ويحتوم الامام (ع) ثورة الاحوار لاعادة القوت للشعب والبسمة لوجوه المتعبين إذ يقول(ع) : " احذروا صولة الكريم اذا جاع واللئيم اذا شبع "[2] . ناهيك عن موقفه الايجابي من انتفاضة الصحابي الجليل ابو ذر الغفاري التي كانت من شعاراتها مقولة ابي ذر (رضي الله عنه) " عجبت لمن لايجد القوت في بيته كيف لا يخوج على الناس شاهرا سيفه "[3] .

ان تأكيد الامام (ع) اهمية الطعام وضرورة توفيره للفرد والمجتمع ،لاينبغي ان يصوف اذهاننا الى ان الامام جعل من الطعام اولوية في حياة الانسان وهذا ما يوصلنا الى المحور الثاني في رؤية الامام (ع) لمسالة ضمان الامن الغذائي ، حيث يقول (ع) : " امقت العباد الى الله من كان همه بطنه وفوجه"[4] ومن "كانت همته ما يدخل بطنه كانت قيمته ما يخوج منه"[5] .

بل ان الامام يفوض على الانسان المؤمن عدم الانحوار وراء شهوات الطعام فانما " ينظر المؤمن الى الدنيا بعين الاعتبار ويقتات منها ببطن الاضطوار "[6] ويرفض الامام ان يكسر الجوع إرادة المؤمنين او يذل

1- المصدر السابق ، خطبة ، 2، ص39 .

2- المصدر السابق ، حكمة 44، ص612 .

3 - القرشي ، النظام السياسي في الاسلام ، مصدر سابق ، ص217 . وحول حركة ابو ذر السياسية والفكرية ينظر: اليعقوبي ، مصدر سابق ، ج2، ص ص171-175 ؛ جاسم ، مصدر سابق ، ص ص 152 -155 .

4- الواسطي ، مصدر سابق ، ص124.

5- المصدر السابق ، ص436 .

6- بيضون ، مصدر سابق ، ص710 .

كبريائهم إذ يقول (ع) :" شيعتي ... من لم يسأل الناس ولومات جوعا"[1] و " الجوع خير من ذل الخضوع"[2] وينبه الامام على ان مسالة الغذاء اذا ما احتلت الاولية في فكر وسلوك الانسان ستؤدي الى عواقب سلبية حيث يقول (ع) :" اياكم والبطنة فانها مقساة للقلب مكسلة عن الصلاة مفسدة للجسد "[3] . وهنا نتبين ربط مهم بين الاسواف في الطعام والابتعاد عن مآسي الفقواء وضمير المحرومين ومن ثم البعد عن فلسفة الصلاة الحقيقية ناهيك عن الاثار الصحية السلبية للاكثار من الطعام وهو ما يوصلنا الى البعد الثالث من حق الضمان الاجتماعي الاوهو حق الضمان الصحي.

3- حق الضمان الصحي

لقد شغلت الصحة العامة حزاً مهماً من حق الضمان الاجتماعي الذي سعى الامام علي(ع) الى تحقيقه إذ يقول " بالصحة تستكمل اللذة "[4] و " بالعافية توجد لذة الحياة "[5] . وان " صحة الاجسام من اهنأ الاقسام "[6] كما نسب اليه قوله : "لا لباس اجمل من السلامة "[7] ويربط الامام بين ضرورة تحقيق الامن الغذائي والحفاظ على الصحة كجزء غاية في الاهمية لحفظ [8]

حياة الانسان ووجوده اذ يقول : " من اصبح امن في سربه ،معافى في بدنه ،له قوت يومه، فكانما حيزت له الدنيا " .

---

1 – الريشهري ، ميزان الحكمة ، مصدر سابق ،ج2، ص1222 .

2– الواسطي ، مصدر سابق ، ص53 .

3 – المصدر السابق ، ص101 . ويروى عن الامام كذلك قوله ايضا : " البطنة تذهب الفطنة والتخمة تفسد الحكمة ". المصدر السابق ، ص32 .

4– المصدر السابق ، ص186 .

5 – الريشهري ، ميزان الحكمة ، مصدر سابق ، ج3، ص2022.

6– المصدر السابق ، ج2، ص157 .

7 – كمال الدين البحراني ، مصدر سابق ، ص37 .

8– اليعقوبي ، مصدر سابق ، ج2، ص209 .

ويؤكد الامام (ع) مسالة اهمية العناية بالصحة ، حتى انه كان يدعو ربه بالقول: " نسأله المعافاة في الابدان كما نساله المعافاة في الاديان "[1] ، وكان (ع) كثيرا ما يدعو " الحمد لله الذي لم يصبح بي ميتا ولا سقيما"[2] .

لقد حمل الامام الحكام في المجتمع مسؤولية ضمان الصحة العامة ، حيث كان (ع) يوصي بـ"رحمة المجهود واصحاب البلاء "[3] . لذلك فقد وضع (ع) جملة من الواجبات التي يجب ان تقوم بها الحكومات للحفاظ على صحة الافراد والمجتمع منها :

أ–زيادة الوعي الصحي ، حيث " نجد في مجموع الاحاديث المأثورة عن الامام علي(ع) المئات مما خصصه لبيان الامور الصحية "[4] ،وهو ما يعني ضرورة ان تتحمل قيادات المجتمع مسؤوليتها بهذا الشان وبشتى الوسائل المتاحة .

ب– توفير العلاج للفقراء ، إذ فرض الامام على الحاكم والمجتمع كذلك توفير العلاج والخدمات الصحية الاخرى مجاناً لاسيما للفقراء من ابناء الامة ، اذ يربط الامام في رؤية غاية في الاهمية بين الفقر والمرض حيث يفسر قوله تعالى (نبلوكم بالشر والخير فتنة)[5] قائلاً : " الخير الصحة والغنى

---

1 – الريشهري ، ميزان الحكمة ، مصدر سابق ، ج3، ص2022 . وحول مختلف ادعية الامام علي (ع) في طلب العافية . ينظر : حسن القبانجي ، مصدر سابق ، م2 ، ص ص531 –564 .

2 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، خطبة 215 ، ص417. اضافة الى ماورد من دعاء له (صلى الله عليه وآله) ينظر : المحمودي ، مصدر سابق، ج6، ص45 .

3- المجلسي ، مصدر سابق ، ج75 ، ص98 .

4 - صادق الشيرازي ، مصدر سابق ، ص ص238-239 وكذلك ينظر المجلسي ، مصدر سابق ، ج59 ، ص120 وما بعدها ، الحر العاملي، وسائل الشيعة ، مصدر سابق ، ج52 ، ص ص 60-99 ؛ مدير ، مصدر سابق ، ج1، ص433 وما بعدها .

5 - جزء من سورة الانبياء / الاية 35

والشر المرض والفقر "[1] ويقول (ع):" ان من البلاء الفاقة واشد من ذلك مرض البدن واشد من ذلك مرض القلب "[2] ، وينبه الامام (ع) الامة بان تكون يقظة للتصدي للمرض والاوبئة في اسر الفقواء حيث يقول (ع) :" ايها الناس سبع مصائب عظام ، ونعوذ بالله منها فقير اعتل "[3] وثلاثة من اعظم البلاء ، "كثرة العائلة وغلبة الدين ودوام المرض "[4] .

جـ- التاكيد على تقديم مستوى عالٍ من الخدمات الصحية لابناء الامة ، سواء من ناحية الاطباء حيث ان (ع) ضمن الطبيب الذي يخطئ[5] ،أي الزمه تعويض للمريض اذا اخطأ في علاجه وسبب له ضرراً ، وكان (ع) يقول :" من تطبب فليتق الله ولينصح وليجتهد "[6] .

وكذلك من ناحية المستشفيات والمنشأت الصحية الاخرى ، بل يُعتقد ، انه (ع) فرض على الحاكم في الدولة الاسلامية توفير المختبرات ومراكز البحوث ،بلغة عصرنا وهو ما عبر عنه الامام (ع) بقوله : " لكل داء دواء "[7] ومما قد يعني ان الامام فرض على السلطة تهيأة الدواء عبر البحث العلمي وقهر المرض باستنفار عقل الانسان وقدرات المجتمع .

---

1 - القرشي ، موسوعة امير المؤمنين ، مصدر سابق ،ج3، ص130 .

2- المحمودي ، مصدر سابق ، ج2، ص166 .

3- المصدر السابق ،ج7 ، ص245 .

4- الواسطي ، مصدر سابق ، ص222 .

5- الصلابي ، ، مصدر سابق ، ص370 .

6 - الريشهري ، ميزان الحكمة ، مصدر سابق ، ج2، ص1727 .

7 - الريشهري ، ميزان الحكمة ، مصدر سابق ، ج2، ص940 . وينقل الامام (ع) عن الرسول (صلى الله عليه وآله) قوله : " ما انزل الله تعالى من داء الا وقد انزل معه دواء فتداووا "، اضافة الى منح الامام المرضى معاملة قانونية ممزة اذ يقول (ع) : " ان القلم رفع عن المجنون حتى يفيق 000" ، النجمي ، مصدر سابق ، ص111 ، ويقول الامام علي (ع):" لا يقام الحد على مريض " ، حسن القبانجي ، مصدر سابق، م6 ، ص212 .

4 – حق رعاية الضعفاء في المجتمع

لا يخلو مجتمع من فئة واسعة تعاني من ضعف القوة وقلة الحيلة في استحصال حقوقها، لذا لوجب الامام على الحاكم رعاية هؤلاء الضعفاء وصيانة حقوقهم على مختلف اصنافهم اذ يقول(ع) : " لرأفوا بضعفائكم "[1] ويوصي (ع) قائلا : " اعينوا الضعيف والمظلوم وتعاونوا على البر والتقوى "[2] ، ويحمل الامام الامة ككل مسؤولية رعاية الضعفاء وصيانة حقوقهم اذ يقول(ع) : " لاهل الدين علامات يعرفون بها ... صلة الرحم ورحمة الضعفاء..وبذل المعروف"[3] .

وتبرز لنا ثلاثة اصناف من ضعفاء الامة قد شغلوا اولوية عند الامام علي (ع) في لرساء حق الضمان الاجتماعي لهم ويمكن ان يأخذوا كنموذج لحق رعاية الضعفاء ،وهذه الاصناف هي :

أ– الايتام

اليتيم " هو الذي مات ابوه وهو يتيم حتى يبلغ الحلم "[4] فضلاً عما اولته الشريعة الاسلامية سواء في القرآن الكريم أم السنة النبوية[5] اهتماماً خاصاً باليتيم، فقد عاش الامام تجربة خاصة في العناية بالايتام ، سواء حين كفلت اسرة الامام – ولاسيما ابو طالب –الرسول(صلى الله عليه وآله)، أو كفالة الرسول(صلى الله عليه وآله) نفسه

---

1 – الواسطي ، مصدر سابق ، ص195 .

2– الاسكافي ، مصدر سابق ، ص283 .

3 – محمد بن علي بن بابويه القمي (الشيخ الصدوق)،صفات الشيعة ، (طهران ، مطبعة عبادي ، د. ت) ، ص46.

4 – عز الدين بحر العلوم ، اليتيم في القرآن والسنة ،ط2 ، (بيروت ،دار الزهراء ، 1985) ، ص11 .

5 – المصدر السابق ، ص13 وما بعدها ، وكذلك ينظر : ابو علي الفضل بن الحسن الطبرسي ، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج3 ، ط3 ، (بيروت ، مؤسسة الاعلمي ، 1995) ، ص26 .

للامام علي (ع)[1] لاحقاً هذه التجربة اسهمت في اثراء رؤية الامام (ع) للايتام وصيانة حقوقهم واحساسه العميق بمعاناتهم اذ نسب اليه قوله: "

ما ان تأوهت من شيء رزيت به كما تأوهت للاطفال في الصغر

قد مات والدهم من كان يكفلهم في النائبات وفي الاسفار والحضر "[2]

لقد شجع الامام المجتمع بجميع افراده ومؤسساته على رعاية الايتام كونه الطريق الامثل لنيل رضا الله تعالى وتحقيق الاستقرار الاجتماعي اذ يقول (ع) :" كافل اليتيم اثير عند الله "[3] و" من افضل البر تعهد الايتام "[4] ويقول (ع) : " الله الله

في الايتام فلا تغبوا افواههم ولايضيعوا بحضرتكم " . ويقول (ع) : " من لوى اليتيم ورحم الضعيف وادى امانته جعله الله في نوره الاعظم يوم القيامة"[7] ، ويستمر (ع) في حث المجتمع على ذلك بالقول : "بروا ايتامكم"[8] .

---

1 – حول كفالة اسوة الامام للرسول (صلى الله عليه وآله) ينظر . اليعقوبي ، مصدر سابق ،ج2، ص63 ، اما بالنسبة لكفالة الرسول للامام علي ينظر : محمد الطوي ، تاريخ الطوي ، مصدر سابق،ج2، ص ص57–58 .

2– الهمداني ، مصدر سابق ، ص810 .

3 – الواسطي ، مصدر سابق ، ص397 .

4– المصدر السابق ، ص417 . وينقل الامام (ع) عن الرسول (صلى الله عليه وآله) قوله : " اربع من كن فيه بنى الله له بيتا في الجنة : من لوى اليتيم ورحم الضعيف ... – ثم قال (صلى الله عليه وآله) – من كفل يتيما في نفقته بماله حتى يستغني وجبت له الجنة البتة " القرشي ، موسوعة امير المؤمنين ، مصدر سابق ، ج5، ص ص94 –95 .

5 – لا تقطعوا .

6 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، وصية 47 ، ص539 .

7 – النوري ، مصدر سابق ، ج41، ص5 .

8 – الواسطي ، مصدر سابق ، ص195 .

ويحمل الامام (ع) الحكام المسؤولية المباشرة في رعاية الايتام وصيانة حقوقهم ،فلقد وصف الامام الحاكم الفاضل كونه "ابا لليتيم "[1] ويوصي (ع) الحسنين (عليهما السلام) بقوله :

"اوصكيما بتقوى الله ..وارحما اليتيم واغيثا الملهوف "[2] [3] ، ويأمر (ع)ولاته بقوله: " ارحموا الارملة واليتيم "[4] ويقول:" ظلم اليتامى والايامى يقل النقم ويسلب النعم "[5] .

ولقد اكد الامام حفظ اموال الايتام ، ويبدو ان الفهم العلوي للحقوق المالية هذه الفئة ،أي الضعفاء بشكل عام والايتام بوجه خاص ، يشمل اموالهم الخاصة من موات او ما شابه والاموال العامة كون حقوقهم موجودة فيها ايضاً اذ يقول (ع) لاحد الولاة " فلما امكنتك الشدة في خيانة الامة ، اسرعت الكرة وعاجلت الوثبة واختطفت ما قدرت عليه من اموالهم المصونة لارامله وايتامهم "[6] ويقول (ع) :" بئس الوزر اكل مال اليتيم "[7] و " بئس القوت اكل مال اليتيم "[8] .

---

1 – النعمان المغربي ، مصدر سابق ، ص74 .

2– المحمودي ، مصدر سابق ، ج7، ص149 .

3 – من الجدير بالذكر ان الامام الحسن ، كحاكم للدولة الاسلامية ، بعد استشهاد والده كان امينا على وصية الامام علي ،

حيث ضمنت شروط قبوله الصلح مع معاوية بنداً جاء فيه "وان يفوق في اولاد من قتل مع امير المؤمنين يوم الجمل واولاد من قتل معه بصفين الف الف درهم " ينظر :راضي ال ياسين ، صلح الحسن ، ط2 ، (بغداد ، دار الارشاد ،1965) ، ص260 .

4- مدير ، مصدر سابق ، ج1، ص109 .

5- المصدر السابق ، ج1، ص587.

6 - الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، كتاب 41 ، ص526 .

7 - الواسطي ، مصدر سابق ، ص193 .

8- مدير ، مصدر سابق ، ج1، ص333 .

وعد الامام اكل اموال الايتام من الكبائر [1] ،وان اضاعة حقوق الايتام من مؤشرات المجتمعات الفاسدة اذ يقول (ع) : " يأتي على الناس زمان ترتفع فيه الفاحشة ... وتستحل اموال اليتامى " [2] ويقول(ع) ضمن الرؤية ذاتها " اذا كان زعيم القوم فاسقهم واكرم الرجل اتقاء شره واعظم لرباب الدنيا واستخف بحملة القرآن وكانت تجارتهم الربا ومأكلهم اموال اليتامى ورفعت الاصوات في المساجد ... وكثر القراء وقل الفقهاء " [3] وهنا نتلمس ان الامام على الرغم من تأكيده على الحكام في الامة الا ان رجال الدين ،واي قيادة اجتماعية اخرى، يجب ان يتحملوا مسؤوليتهم في الحفاظ على حقوق الضعفاء بدلا من أي جدل قد يكون عقيماً مهما كانت اسبابه ومظاهره.

وينبه الامام (ع) على مسالة الرعاية النفسية والتربوية للايتام ، حتى انه (ع) يقول : "ما من مؤمن ولا مؤمنة يضع يده على راس يتيم ترحما له الا كتب الله له بكل شعره مرت يده عليها حسنة " [4] وقد قدم الامام الاسوة على مثل هذا السلوك سواء كانسان او كحاكم فيروي التاريخ انه حين "وصل الى امير المؤمنين (ع) عسل ... امر الوفاء ان ياتوا باليتامى فامكنهم من رؤوس الارقاق يلعقونها .. وقال (ع) : ان الامام ابا اليتامى" [5] ،ويحدد المفكر علي الخامنئي طبيعة العلاقة بين الامام والايتام قائلا : " كان الامام (ع) السابق في رعاية الايتام فاليتيم اشد حاجة للعطف والحنان محروم من تلك البسمة الابوية العامرة بالمحبة ... فكان (ع) ملاطفاً للايتام يجلسهم في

1- ينظر : الشهيد ، مصدر سابق ، ج2، ص352 .

2 - احمد الاردبيلي ، مصدر سابق ، ج21 ، ص317 .

3- المجلسي ، مصدر سابق ، ج39 ، ص303 .

4 - محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (الشيخ الصدوق) ، ثواب الاعمال ، ط2 ، (قم ، منشورات الرضى، د. ت) ، ص199 ،ونفس المعنى ينظر : الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، مصدر سابق ، ج2، ص926 .

5- المجلسي ، مصدر سابق ،ج14 ، ص123 .

حضنه يلاعبهم كي لا يشعروا بالحزن والكآبة .. وفي تلك الليلة – ليلة وفاته – العشرين من شهر رمضان ، انتظر الاطفال ..الذين كان يجلسهم على ركبته ويمسح رؤوسهم بكل لطف يطعمهم بيده .. انتظروا ذلك الرجل .. لكنه لم يات .. وعندما طلب الطبيب المعالج للامام احضار الحليب لعله يدفع اثر السم ترى كيف ان عشرات الاطفال الايتام اتوا من كل انحاء الكوفة يحمل كل منهم اناء فيه حليب واندفعوا نحو منزل الامام يريدون رد الجميل وشكره على محبته ورعايته وحنانه "[1] .

ولقد كان الامام (ع) يولي الايتام اهمية خاصة إلا ان هذا لا يمنعه من الاهتمام بشريحة اخرى من المجتمع ألا وهي فئة (الارامل) .

ب :الارامل

الارملة هي المرأة التي توفي عنها زوجها ، وقد اولى الامام (ع) اهتماماً خاصاً بالارامل منبها إلى الحقوق التي تخص الايتام سواء من الناحية المالية ام الاجتماعية تشمل كذلك الارامل ، إذ طالما اكد الامام (ع) قائلاً : " ارحموا الارملة واليتيم "[2] و يقول(ع) : " ظلم اليتامى والايامى يثير النقم "[3] . ولقد كان الامام يرعى الارامل في مدة حكمه[4] ،واوصى وهو على فراش الشهادة، مذكراً بأهمية صيانة حقوق هذه الفئة من الامة ، قائلا : " جدوا في طلب حقوق الارامل والمساكين "[5]

1- الخامنئي ، مصدر سابق ، ص20 .

2- مدير ، مصدر سابق ،ج1، ص109؛ الاسكافي ، مصدر سابق ، ص283 .

3- مدير ، مصدر سابق ، ج1، ص587 .

4- ينظر : الهمداني ، مصدر سابق ، ص809 .

5- المحمودي ، مصدر سابق ، ج2، ص371 .

جـ- كبار السن

لقد شمل الامام كبار السن والعجزة في الامة بحق الضمان الاجتماعي فكان (ع) يقول: " يكرم ... الكبير لسنه "[1] ، ويروى الامام (ع) قول الرسول (ع) : "من وقر ذا شيبة لشيبته امنه الله عز وجل من فزع يوم القيامة "[2] ويؤكد الامام ان من سمات المؤمن" ترك الاذى وتوقير الشيوخ"[3] .

وينقل الامام (ع) احترام كبار السن وضرورة توفير العيش الكريم لهم، كجزء من ذلك الاحترام والتوقير ، من حيز البعد المعنوي الى الواقع العملي ، حيث كان (ع) يوصي ابناء الامةولاسيما اصحاب السلطة منهم قائلاً " كن لله ذاكراً على كل حال وارحم من اهلك الصغير ووقر منهم الكبير "[4] ، ويذهب الامام الى ان أي اهانة توجه لكبار السن ما هي الا دليل على وجود قيادة فاسدة في الامة اذ يقول (ع) :" سيسلط عليكم سلطان صعب لا يوقر كبيركمولايرحم صغيركم .. وليضربنكم وليذلكم والمجتمعات غير الصالحة عند الامام علي (ع) هي تلك التي" لايعظم صغيرهم كبيرهم "[5] [6] .

اما في الواقع العملي فان الامام كان يجل كبار السن ويعظمهم وينفق عليهم من مال المسلمين [7] ، حتى اذا "مر شيخ مكفوف كبير يسأل ، قال امير المؤمنين : من هذا؟ قالوا يا امير المؤمنين نصراني فقال امير المؤمنين

1- الواسطي ، مصدر سابق ، ص551 .

2 - النوري ، مصدر سابق ، ج8 ، ص467 .

3- المجلسي ، مصدر سابق ، ج37 ، ص309 .

4- المحمودي ، المصدر السابق ، ج2، ص142 .

5- المصدر السابق ، ج2، ص573 .

6 - الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، خطبة 232، ص449.

7 - حول ضمان واحترام الامام لكبار السن ينظر : النمري ، مصدر سابق ، ج1، ص337.

استعملتموه حتى اذا كبر وعجز منعتموه انفقوا عليه من بيت المال"[1] .وهذا ما يؤشر انسانية الاسلام في التعامل مع كبار السن وان لم يكونوا من المسلمين وكذلك فقد امر الامام بالصرف على من يعجز عن العمل بسبب المرض او غيره. لذلك اوصى(ع) بـ"رحمة المجهود واصحاب البلاء "[2] ، اما بالنسبة للقادرين على العمل ولكنهم لم يجدوا فرصة للعمل فان الامام (ع) قد شملهم ايضا في ضمن بند آخر بحق الضمان الاجتماعي .

5- حق المعونات الاقتصادية

ويعد هذا الحق من ابداعات الفكر العلوي ، ويتضمن اصنافاً عدة لعل اهمها :

أ- العاطلون عن العمل

يشمل الامام علي (ع) القادرين على العمل من لم تتوفر لهم فرص العمل بنوع من الضمانات والمنح المالية وافضا (ع) ان تكون هذه المعونة نوعاً من التشجيع على الكسل والتطفل على جهود العاملين من ابناء الامة ، إذ يقول (ع) : " اني لابغض الرجل يكون كسلانا من امر دنياه "[3] و " ان الاشياء لما ازدوجت انتجت... فزوج الكسل والعجز فنتج منها الفقر "[4] .

ويحدد الامام (ع) اسلوب الاستفادة من هذا الحق بانه لأقوام " ليس لهم في الامارة نصيب ولا في العمارة حظولا في التجارة مال ولا في الاجارة معونة وقوة فوض الله في اموال الاغنياء ما يقوتهم ويقوم به اودهم "[5] ومن المنطلق ذاته يمكننا التوسع في فهم قول الامام(ع) " الرزق رزقان رزق

1- الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، مصدر سابق،ج11، ص49؛ الهمداني ، مصدر سابق ، ص686.

2- المصدر السابق ،ج75 ، ص98 .

3- لجنة الحديث ، سنن الامام علي ، مصدر سابق ، ص230 .

4- المجلسي ، مصدر سابق ، ج57 ، ص59 .

5 - الريشهري ، ميزان الحكمة ، مصدر سابق ، ج2، ص1150 .

تطلبه ورزق يطلبك فان انت لم تاته اتاك "[1] لنذهب الى انه اشارة الى الضمان الذي توفره الدولة لمن سُدت بوجهه ابواب العمل والرزق والعيش الكريم .

ب- الضمان ضد الكوارث والحوادث

قد تتعرض اجزاء من الدولة الى كوارث طبيعية او قد يصاب بعض الافراد بحوادث تؤدي الى التسبب بالم نفسي عميق وضرر مادي كبير وهنا يأتي دور (الضمان الاجتماعي) ،الذي دعا اليه الامام كبلسم لتخفيف الالام واغاثة المعوزين اذ يقول(ع): " باغاثة الملهوف يكون لك من عذاب الله حصن "[2] وان" من كفارات الذنوب العظام اغاثة الملهوف والتنفيس عن المكروب "[3] .

ويلقي الامام على الدولة واجب اغاثة المتضررين اذ يقول (ع) : "زكاة السلطان اغاثة الملهوف "[4] . ويشير (ع) الى اهمية التكافل الاجتماعي بين المجتمع والفرد والحاكم والمجتمع حين يقول : "اقيلوا ذوي المروءات عثراتهم فما يعثر منهم عاثر الا ويد الله توفعه "[5] . "وافضل الفضائل ... الاخذ بيد العاثر "[6] ويؤكد (ع) ان " من اغاث لهفانا من المؤمنين اغاثه الله يوم لا ظل الا ظله "[7] .

---

1 - الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، كتاب 31، ص513 ؛ ابن

سلامة ، مصدر سابق ، ص22 .

2 – الواسطي ، مصدر سابق ، ، ص186 ؛ مدير ، مصدر سابق ، ج1، ص338 .

3 – الواسطي ، مصدر سابق ، ص469 ؛ ابن سلامة ، مصدر سابق ، ص25 .

4 – الواسطي ، مصدر سابق ، ص127 .

5 – الشريف الرضي (الجامع) ، ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، حكمة 16 ، ص604 .

6 – الواسطي ، مصدر سابق ، ص126 .

7 – مرتضى الانصاري ، كتاب المكاسب ، ج2، (قم ، مجمع الفكر الاسلامي ، 1420هـ)، ص109 .

ويأمر الامام ولاته في التخفيف من الاعباء المالية والمادية المستحقة في ذمة المواطنين لصالح الدولة في حالة الازمات والكوارث اذ يقول (ع) :" فان شكوا ثقلا او علة او انقطاع شرب او بالة او احالة ارض اغتمرها غرق او اجحف بها عطش خففت عنهم ما توجو ان يصلح به امرهم ،ولا يثقلن عليك شيء خففت به المؤونة عنهم ، فانه ذخر يعودون به عليك في عمارة بلادك ، وتزيين ولايتك مع استجلابك حسن ثنائهم ، وبتبجحك باستفاضة العدل فيهم معتمدا فضل قوتهم بما ذخرت عندهم من اجمامك لهم [1] والثقة منهم بما عودتهم من عدلك عليهم من رفقتك بهم ، فربما حدث من الامور ما اذا عولت فيه عليهم من بعد احتملوه طيبة انفسهم به " [2] ويعلق محمد مهدي شمس الدين على هذا النص بان من لا يستطيع دفع ما فرض عليه من المال لاي سبب خارج عن ارادته يجب ان يسمع كلامه فيعفى عنه دفع ذلك المال بمقدار ما يصلحه مما يعود بفوائد عظيمة تزيد من ازدهار الدولة ورفاهيتها " [3] .

جـ– ضمان سداد الديون

يفرض الامام على الحاكم في الدولة الاسلامية سداد ديون افراد الامة والتي اقترضوها لمسوغ شرعي وعقلائي ، لكنهم عجزوا عن سدادها في وقت استحقاقها ،وهذا يشمل الحالات الأتية :

1 . الذي يستدين لسد حاجياته الاساسية او حاجيات عائلته من مطعم او ملبس او اثاث او بناء سكن خاص او تغطية أي نفقة اخرى ضرورية لاتدخل في باب الاسراف .

---

1 – ترفيههم وراحتهم .

2 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، كتاب 53 ، ص ص559–560 .

3 – محمد مهدي شمس الدين ، دراسات في نهج البلاغة ، مصدر سابق ، ص87 .

2 . حالة التاجر او الصناعي التوبه الذي يستدين لتمويل نشاطات مؤسسته ويعجز لاسباب خارجه عن إرادته عن تسديد ديونه .

3 .حالة المحسن الذي يمول من ماله الخاص مشروعا ذا طابع اجتماعي ، مثل دار للايتام او مدرسة او مسجد .. ويضطر للاستدانة لانهاء المشروع ، ثم لايقدر على مواجهة التزاماته المالية في الوقت المناسب "[1] .

تتجسد رؤية الامام (ع) للدَين بانه شيء سلبي قد يضطر الانسان اليه ،حيث يقول(ع): " الدين رق "[2] و " الفقر مع الدين الشقاء الاكبر "[3] ،بل ان الامام (ع) يقول ثلاثة من اعظم البلاء: " كثرة العائلة وغلبة الدين ودوام المرض "[4] . لذلك نرى المبدأ الذي عمل به (ع) يتجسد بقوله : " ان كل من يموت وعليه ديون فعلى امام المسلمين اداء ديونه ، وكل من يموت وله مال فالمال كله لورثته ليس لامام المسلمين منه شيء "[5] .

لقد اهتم الامام (ع) بتسديد ديون الغارمين ، حتى انه اوقف " ارضه القائمة بين الجبل والبحر ان ينكح منها الايم ويفك الغارم فلا تباع ولا تشترى ولا توهب حتى يرث الله ومن عليها"[6] وكان(ع) يقول : "اعينوا

---

1 – فاضل الموسوي ، مصدر سابق ، ص119 .

2 – الواسطي ، مصدر سابق ، ص35 .

3– المصدر السابق ، ص29 .

4– المصدر السابق ،ص 222

5 – صادق الشيرازي ، مصدر سابق ، ص266 . وحول هذا المبدأ واستناده الى سنة الرسول (صلى الله عليه وآله) ينظر : ابو بكر ابن عمرو الضحاك ابن ابي عاصم الشيباني ، الاحاد والمثاني ، تحقيق باسم فيصل احمد ، ج4 ، (الرياض ، دار الراية ، 1996) ، ص111 ؛ الهيثمي ، مصدر سابق ، ج8، ص239 . ولقد مارس الامام عملية سد الديون عن الغارمين حتى في زمن الرسول (صلى الله عليه وآله) ينظر البيهقي ، مصدر سابق ، ج6، ص73 ؛ احمد الطوسي، مصدر سابق ، ص103 ؛المجلسي ، مصدر سابق ، ج2، ص249 .

6 – البلاذري ، انساب الاشراف ،مصدر سابق ، ص504 .

الضعيف والمظلوم والغارمين "[1] ، "من صنع المعروف فيما اتاه الله فليصل به القرابة وليحسن به الضيافة و ليعن به الغارم "[2] ويوصي(ع) : " اعينوا الضعيف والمظلوم والغارمين"[3] ويقرر الامام ان من اسباب ادخال السرور على الفرد بان "يفرج عنه كرباً او يقضي عنه دينا او يكشف عنه فاقة "[4] ،ويذهب الامام الى ضرورة تسهيل الاقتراض سواء من الدولة للافراد ام بين الافراد انفسهم كنوع من انواع التكافل الاجتماعي حتى ان(ع) يقول:"استغنم من استقرضك في حال غناك ليجعل قضاءه لك يوم عسرتك "[5] . ومن الامور الجلية ان الامام(ع) دعا الى تيسير سبل لحياة لابناء الامة . بجميع الامكانات

المتاحة ،لذلك ليس من الغريب ان نجد الامام ينادي بحق الانسان ان يكون له مسكن .

د- حق ضمان السكن

يمكننا القول ان الامام (ع) قد دعا الى تحقيق الكفاية من الحاجات الانسانية الاساسيةولاسيما مسألة السكن والملبس واي شيء يتعلق بضرورة استمرار حياة الانسان وتيسرها ، اذ يقول(ع) :" ان الله ليحب الجمال وان يرى اثر نعمته على عبده "[6] .

ويذهب الامام الى ان من حق الانسان ان يأويه مسكن لائق ومريح ،اذ يقول (ع) : "الدار الضيقة العمى الاصغر "[7] وان اسباب الشقاء اربعة منها "

1- المحمودي ، مصدر سابق ، ص429 .

2- المصدر السابق ، ج2، ص452 .

3- مدير ، مصدر سابق ، ج1، ص153 .

4 - النوري ، مصدر سابق،ج1، ص199 ؛ الطوسي ، الامالي،مصدر سابق ، ص640.

5 - الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، كتاب 31، ص505 .

6- مدير ، مصدر سابق ،ج1، ص249 .

7- المصدر السابق ، ج1، ص460 .

المنزل الضيق .. "[1] في حين يقول(ع) :" المنزل البهي احد الجنتين "[2] . وكذلك فان المظهر اللائق هو من حقوق الانسان ويدخل في اطار الضمان الاجتماعي عند الامام (ع) إذ يقول " احسن الزي ما خلطك بالناس وجملك بينهم وكف السنتهم عنك "[3] ويقول (ع) مؤكدا لهذا الجانب من حق الانسان اذ يقول : " البس ما لا تشتهر بهولايزري بك "[4] .

ويضع الامام مبدأ جوهرياً في العلاقة بين المتطلبات المادية للحياة ،والتي استعرضنا جانبا منها في حق الضمان الاجتماعي ،والشريعة الاسلامية التي يعد الامام التمسك بها هو الهدف الاول للانسان في هذه الحياةواجداً عملية توازن وتكامل بينهما ، حيث يقول (ع) : "واعلموا عباد الله، ان المتقين ذهبوا بعاجل الدنيا واجل الاخرة ، فشاركوا اهل الدنيا في دنياهم ولم يشاركهم اهل الدنيا في اخرتهم ، سكنوا الدنيا بافضل ما سكنت واكلوها بافضل ما اكلت ، فحظوا من الدنيا بما حظى به المترفون واخذوا منها ما اخذه الجبابرة المتكبرون ثم انقلبوا عنها بالزاد المبلغ والمتجر الرابح .. لا ترد لهم دعوة ولا ينقص لهم نصيب من لذة "[5] . لقد اسهمت الرؤية الواسعة والعميقة بين الدين والدنيا في تعزيز حقوق الانسانية الاجتماعية والاقتصادية التي تتكامل مع منظومة اخرى من الحقوق عند الامام علي والتي سنتناولها في الفصل القادم .

1- المصدر السابق، ج1، ص107 .

2 - الواسطي ، مصدر سابق ، ص26 وحول رؤية الامام لشروط المساكن اللائقة بالانسان ينظر: حسن القبانجي ، مصدر سابق ، م10 ، ص ص55 - 63 .

3 - الريشهري ، ميزان الحكمة ، مصدر سابق، ج2، ص1026 ؛ مدير ، مصدر سابق ،ج1، ص225 .

4- الواسطي ، مصدر سابق ، ص75 .

5 - الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، كتاب 2، ص485 .

الفصل الخامس

حقوق إنسانية مهمة اخرى

يتضمن هذا الفصل حقوقاً انسانية مهمة اخرى ، تمتد وتتكامل مع مجموعات الحقوق الانسانية التي ذكرناها سابقاً ، التي آمن بها ودعا اليها الامام . فضلاً عن تجسيدها بصورة حية وفاعلة في سلوكه العملي

قبل
وابان
مدة
حكمه
.
وسيتم
التطرق
إلى
هذه
الحقوق
في
ثلاثة
مباحث
يعرض
المبحث
الاول
(حق
الكرامة
الانسانية)
،
ويعالج
المبحث
الثاني
(حق
التقاضي)
،
ويتناول
المبحث
الثالث
(حقوق
الانسان
في
زمن
الحرب)
.

المبحث الأول

حق الكرامة الإنسانية

ويتجسد هذا الحق بعدة ابعاد كان الامام (ع) قد ارسى دعائمها سعياً منه لصيانة الكيان المعنوي للانسان وكرامته ومشاعره ، اذ يتسم المفهوم الاسلامي للكرامة الانسانية "بخاصتي الشمول والعموم وعمقاً رحباً وامتداد في الزمان والمكان" [1] 00 فالانسان في الرؤية الاسلامية يمتاز بالتكريم الالهي بغض النظر عن عرقه او دينه وعقيدته ومركزه الاجتماعي [2] ، فالله خلقه " مكرماً ولا يملك احد ان يجرده من كرامته التي اودعها في جبلته وجعلها من فطرته وطبيعته ... فالكرامة البشرية حق مشاع يتمتع به الجميع دون استثناء وتلك ذروة التكريم وقمة التشريف " [3] .

ومن هذا المنطلق الاسلامي يبلغ اهتمام الامام (ع) ذروته بالانسان وحقوقه وذلك بصيانة حقه المعنوي ورعاية كرامته ومشاعره الانسانية ، ويبرز (ع) ابعاد النفس الانسانية ويروي احد اصحابه كميل بن زياد – قائلاً : "سألت مولانا امير المؤمنين فقلت له اريد ان تعرفني نفسي . فقال (ع) يا كميل واي الانفس تريد ان اعرفك ؟ قلت يامولاي هل هي الا نفس واحدة ؟ قال

(ع): يا كميل انما هي لربع، النامية النباتية ،والحسية الحيوانية ،والناطقة القدسية ،والكلية الالهية"[4] ويسبر (ع) غور النفس البشرية في

---

1 – الخواساني ، مصدر سابق ، ص294 . وفي القرآن الكريم العديد من الايات التي تؤكد هذا الحق مثل سورة السجدة / الايتان 30–31 ، سورة يونس / الايتان 63–64 ، سورة غافر /الاية 51 ، سورة الاسراء/ اية 7 ، سورة الفجر/ الاية 15، سور الحجرات / الايتان 11–12 .

2– المصدر السابق ، ص94 .

3– المصدر السابق ، ص95 .

4– بيضون ، مصدر سابق ، ص681 .

ضمن هذه الابعاد قائلاً : "ولكل واحدة من هذه خمس قوى وخاصيتان ، فالنامية النباتية لها خمس قوى جاذبة وماسكة وهاضمة ودافعة ومربية ولها خاصيتان الزيادة والنقصان . والحسية الحيوانية لها خمس قوى سمع وبصر وشم وذوق ولمس ، ولها خاصيتان الشهوة والغضب ..والناطقة القدسية لها خمس قوى فكر وذكر وعلم وحلم ونباهة ، ولها خاصيتان الزاهة والحكمة والكلية الالهية ولها خمس قوى ، بقاء في فناء ونعيم في شقاء وعز في ذل وغنى في فقر وصبر في بلاء ولها خاصيتان الرضا والتسليم ،وهذه هي التي مبدؤها من الله اليه تعود ، قال الله تعالى (ونفخت فيه من روحي)[1] وقال تعالى (يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية)[2] "[3] ، ان تصنيف الامام للنفس البشرية يمكن ان يعطينا عدة دلالات لعل من اهمها اهتمامه بالنفس الانسانية التي تعد مدخل للتربية الوجدانية من جهة ولرسمه سبل الارتقاء بهذه النفس الانسانية من جهة اخرى .

يقول الامام علي (ع) " ان الله تعالى فضل حرمة المسلم على الحرم كلها"[4] ويعلق المفكر فضل الله على هذا المبدأ العلوي قائلاً ان انسانية المسلم اعظم حرمة من كل المقدسات المكانية وقد ورد الحديث عن الامام جعفر الصادق (ع) انه كان جالساً في المسجد الحرام وكان إلى جانبه شخص من اصحابه فقال له : " اترى إلى حرمة هذه الكعبة ؟ قال : بلى ، قال: ان

---

1 – سورة الحجر / الآية 29 .

2 – سورة الفجر / الاية 27 .

3– المصدر السابق ، ص681 –482 .

4 – الشريف الرضي ، (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، خطبة 167 ، ص271 .

(1)

حرمة المسلم عند الله اعظم من حرمة الكعبة سبعين مرة " فما بالكم بمن يهين الكعبة او يهدمها ؟ ان من يهدم المسلم في نفسه وفي عرضه وفي حياته وان من يهينه ويذله ويحطم كرامته يقوم بعمل اعظم واشنع من تحطيم كرامة الكعبة "[2] .

ورفض الامام (ع) كل ما يبعث على الاستهانة بالمؤمن ويخدش كرامته ويلوث سمعته باغتيابه أو سبه أو السخرية منه بالتنابز بالالقاب واللمز والنميمة والتحقير الموجه ضده سعياً منه (ع) لاشاعة الغيرة والكرامة في نفوس ابناء الامة وفي ثنايا المجتمع[3] .

ويمكننا القول ان جميع حقوق الانسان التي دعا اليها الامام علي (ع) ما هي الا انعاكس لتقدير الامام للانسان واحد الاساليب المهمة لرفع شأنه والسمو بمقامه والذي يتكامل مع قوله (ع) : " ان الله عز وجل خلق المؤمن من نور عظمته وجلال كبريائه فمن طعن على المؤمن او رد عليه قوله فقد رد على الله في عرشه"[4] يوصي (ع) قائلاً : " لا تحقرن احداً من المسلمين فان صغير المسلمين عند الله كبير "[5] ويقول (ع) لولاته منبهاً اصحاب الحكم والنفوذ : "دار المؤمن ما استطعت فان ظهره حمى الله

1- المجلسي ، مصدر سابق ، ج13 ، ص300 .

2 – فضل الله ، علي ميزان الحق ، مصدر سابق ، ص ص127 – 128 .

3 – حول الاثار السلبية لمثل هذه الممارسات وموقف الاسلام منها ينظر : باقر شريف القرشي، النظام السياسي في الاسلام ، مصدر سابق ، ص ص167 – 206 .

4 – ابو جعفر احمد بن محمد بن خالد البرقي ، المحاسن ، تصحيح وتعليق جلال الدين الحسيني ، ج1 ، (د. م ، دار الكتب الاسلامية ، د. ت) ، ص100 ، ويروي الامام (ع) عن الرسول (صلى الله عليه وآله) قوله : " نزل جبرائيل فقال : يا محمد ان الله يقرئك السلام يقول : اشتقت للمؤمن اسماً من اسمائي سميته مؤمن ، فالمؤمن مني وانا منه فمن استهان بمؤمن فقد استقبلني بالمحاربة " ؛ حسن القبانجي ، مصدر سابق ، م1 ، ص213 .

5- الهندي ، مصدر سابق ، ج15 ، ص815 ؛ حسن القبانجي ، مصدر سابق ، ج9 ، ص269.

ونفسه كريمة على الله وله يكون ثواب الله وظالمه خصم الله فلا تكن خصمه "[1] . ويثار في هذا المضمار سؤالان، الاول هل اقتصر الامام لرفع شأن المسلم فحسب ؟والسؤال الثاني ، الا يؤدي هذا المدح ورفع الشأن إلى نوع من التكبر ؟ بالنسبة للتساؤل الأول فان رؤية وممارسة الامام في مجال ارساء دعائم حقوق الانسان ذات بعد انساني واضح لا يشذ عنه حق الكرامة الانسانية لعموم الناس حيث يروى عنه قوله (ع) : " اذل الناس من اهان الناس "[2] ، هذا من جهة ، ومن جهة اخرى نرى ان الامام رفع من شأن المسلم المؤمن كونه انموذجاً للانسان الصالح الذي يستحق هذا النمط من التقدير والاحترام ، اما التساؤل الثاني فان الامام (ع) رفض صفة التكبر في الانسان اذ يقول(ع) " اياكم والتكبر فانه رداء الله عز وجل فمن نازعه[3]

ردائه قصمه " ولكنه في الوقت نفسه وفي توازن دقيق يسعى إلى ترسيخ اعتزاز الانسان بنفسه وتقديره لذاته كون " الشخصية الاسلامية بحكم موقعها من السماء ونفض يدها عن الاخرين تتحسس قيمتها بنحو لا تسمح لنفسها بأي تعامل (مذل) يحط من قيمتها امام الاخرين . والفارق بمكان كبير بين شخصية ارضية متورمة الذات تبحث عن حب او (مكافئة اجتماعية) لاشباع دافع السيطرة والتفوق لديها، او اشباع ذاتها الباحثة عن مطلق الثناء ... وانما يفصل بين المطالبة بالعز والكبر ، بصفة ان (التكبر) مفصح عن الدافع إلى السيطرة والتفوق (وهو ظاهرة مرضية) ، و (العز) مفصحاً عن تقدير

1- المجلسي ، مصدر سابق ، ج74 ، ص230 ، النوري ، مصدر سابق ، ج9 ، ص39.

2 - الكواجي ، مصدر سابق ، ص138 .

3 - النوري ، مصدر سابق ، ج12 ، ص28 . وحول ذم الامام للتكبر في الانسان ينظر: حسن القبانجي ، مصدر سابق ، م1 ، 194-198.

الذات ليس بنحو مرضي بل بنحوها الصحي المرتبط بالله من جانب وبعدم السماح للذات بأن تقع في مهاوي الذل الاجتماعي من جانب اخر" [1] .

ووقف الامام علي (ع) بالضد من كل ما يمس الكيان المعنوي للانسان ويخدش كرامته اذ يقول: " لا تحقروا ضعفاء اخوانكم فانه من احتقر مؤمناً لم يجمع الله عز وجل بينهما في الجنة الا ان يتوب " [2] ونهى (ع) من الاستهزاء بالانسان والتقليل من شأنه قائلاً : " ان الله تبارك وتعالى اخفى اربعة في اربعة :

اخفى رضاه في طاعته فلا تستصغرن شيئاً من طاعته فربما وافق رضاه وانت لا تعلم، واخفى سخطه في معصيته فلا تستصغرن شيئاً من معصيته فربما وافق سخطه وانت لا تعلم واخفى اجابته في دعوته فلا تستصغرن شيئاً من دعائه فربما وافق اجابته وانت لا تعلم واخفى وليه في عباده فلا تستصغرن عبداً من عباد الله فربما يكون وليه وانت لا تعلم " [3] .

وقد نهى الامام (ع) عن نشر عيوب الافراد والجماعات قائلاً : " لا تخاذلوا ولا تنابزوا " [4] ويقول : " فكيف بالعائب الذي عاب اخاه وعيره ببلواه ! اما ذكر موضع ستر الله عليه " [5] . واكثر من ذلك يبين الامام ان "

---

1 - د. محمود البستاني،الاسلام وعلم النفس،(مشهد ،مجمع البحوث الاسلامية،1409هـ) ص188 .

2 - محمد كاظم القزويني ، مصدر سابق ، ج9 ، ، ص717 ؛ الريشهري ، ميزان الحكمة ، مصدر سابق ، ج3، ص2447 .

3 - محمد بن علي بن بابويه القمي (الشيخ الصدوق) ، معاني الاخبار ، تصحيح علي اكبر الغفاري ، (ايران ، دار النشر الاسلامي ، 1379هـ) ، ص112 ، ويقول (ع) : " يا بني لا تستخفن برجل تراه ابداً فان كان اكبر منك فاحسب انه اباك وان

كان مثلك فهو اخوك وان كان اصغر منك فاحسب انه ابنك" ؛ حسن القبانجي، مصدر سابق ، ج1 ، ص566 -567 .

4- المجلسي ، مصدر سابق ، ج78 ، ص39 .

5 - الشريف الرضي ، (الجامع) ، نهج البلاغة ، تحقيق : وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق، خطبة 140 ، ص242 .

من قال في مؤمن مارأت عيناه وسمعت اذناه ما يغيب ويهدم مروته فهو من الذين قال تعالى بشأنهم (ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين امنوا لهم عذاب اليم)[1] "[2] .

أما من ينتهك حرمة النفس الانسانية الكريمة فأن الإمام علي يفرض عليه عقوبة التعزير إذ يروي عنه (ع) انه قال "أنكم سألتموني في الرجل يقول للرجل : يا كافر يا فاسق يا حمار وليس فيه حد ،وإنما فيه عقوبة من السلطان"[3] وقضى (ع) أن "في الهجاء التعزير"[4] ،وإذا مست الإهانة عرض الإنسان وشرفه فقد روي عن الإمام أنه قرر وجوب الحد عليه ، فعن علي (ع) في الذي يقذف المرأة المسلمة قال : "يجلد الحد حية أو ميتة ، شاهدة كانت أو غائبة"[5] .

لقد كان الحفاظ على الكيان المعنوي للإنسان هو أحد الأهداف الرئيسة لحركة الإمام السياسية وفقاً لرؤية المفكر المعاصر عبد الرحمن عثمان محمد اذ يبين "أن الحقائق التاريخية تكشف بما لا يدعو إلى الشك أن تحولاً كبيراً قد جرى بعد غياب الرسول الخاتم (صلى الله عليه وآله) وهو ليس لصالح الإنسان ولا كرامته ولا أهدافه العليا ... وفي ظل هذه الاجواء انقادت الخلافة لعلي أمير

---

1 - سورة النور / الآية 19 .

2 - مرتضى الانصاري ، كتاب المكاسب ، مصدر سابق ، ج1 ، ص308 . المجلسي ، مصدر سابق ، ج27 ، ص365 .

3 - محمد ناصر الدين الالباني ، ارواء الغليل في تخريج احاديث منار السبيل ، ج8 ، ط2 ، (بيروت ، المكتب الاسلامي ، 1985) ، ص54 ؛ البيهقي ، مصدر سابق ، ج8 ، ص253 .

4- الكليني ، مصدر سابق ، ج7 ، ص243 .

5 - الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، مصدر سابق ، ج18 ، ص453 . لجنة الحديث ، سنن الإمام علي،مصدر سابق ، ص496 ؛ حسن القبانجي ، مصدر سابق ، م6، ص262 .

المؤمنين (ع) وكان من أولويات اهدافه أن يرسي قواعد الكرامة الإنسانية ، كما شاء الله عز وجل ويبذل وسعه في بلورة مفهوم الرعاية للمستضعفين والمحرومين من بني الإنسان"[1] ، ومما يدلل على صحة هذا المضمون ان الامام (ع) سعى جاهداً لتحقيق هذا الهدف ومن ذلك قوله : "بنا تخلع ربقة الذل عن اعناقكم"[2] . فضلاً عن ايجاده لمعيار اساسي للتعامل مع المستضعفين في صيانة كرامتهم ومشاعرهم الإنسانية إذ يقول : "الذليل عندي عزيز حتى أخذ الحق له ،والقوي عندي ضعيف[3]

حتى أخذ الحق منه" .

ويصر الامام (ع) على ضرورة أن تتعامل الحكومة بصيغة تراعي من خلالها مشاعر وكرامةرعاياها ، إذ يقول لواليه الأشتر "واشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم"[4] و "لا تصعر خدك لهم وتفقد امور من لا يصل إليك منهم ممن تقتحمه العيون[5] وتحقره الرجال"[6] و "أجعل لذوي الحاجات منك قسماً تفرغ لهم فيه شخصك ، وتجلس لهم مجلساً عاماً فتواضع فيه لله الذي خلقك ، وتقعد عنهم جندك وأعوانك من احراسك وشرطك حتى يكلمك متكلمهم غير متعتع فأني سمعت رسول الله(صلى الله عليه وآله) يقول في غير موطن : (لن تقدس أمة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي غير متعتع) ثم احتمل الخرق منهم والعي ، ونح عنك الضيق والأنف يبسط الله

1- محمد ، مصدر سابق ، ص69 .

2- المحمودي ، مصدر سابق ، ج1 ، ص195 .

3- بيضون ، مصدر سابق ، ص961 .

4 - الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تحقيق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، كتاب 53 ، ص547 .

5 - تكره ان تنظر اليه احتقاراً .

6- المصدر السابق ، كتاب 53 ، ص563-564 .

عليك بذلك أكناف رحمته ، ويوجب لك ثواب طاعته ،وإعط ما أعطيت هنيئاً ،وأمنع في إجمال وأعذار"[1] .

وركز الإمام على عملية التربية النفسية للأمة وتحقيق وتعزيز كرامتها قائلاً: "ساعة ذل لا تفي بعز الدهر"[2] وكانت سيرته العملية تؤكد هذا النهج فقد قال لمن أقبل يمشي معه والامامراكب : "ارجع فأن مشي مثلك مع مثلي فتنة للوالي ومذلة للمؤمن"[3] بل أنه (ع) قد تقبل الشكوى ضد من يقلل من شأن الإنسان - بغض النظر عن دينه وعرقه- أو يمس كرامته ومشاعره إذ أرسل إلى أحدولاته منبهاً ومستفسراً "أما بعد فان دهاقين أهل بلدك شكوا منك غلظة وقسوة واحتقاراً وجفوة"[4] .

وحذر الامام من نمط الحكم الذي يحطم نفسية الانسان ويذل كرامته اذ يقول (ع) : " اما انكم سلتقون بعدي ذلاً شاملاً ، وسيفاً قاطعاً واثره يتخذها الظالمون فيكم سنة تفرق جماعتكم وتبكي عيونكم "[5] وهذا النص يعطينا البعد الثاني في اطار صيانة الكرامة

1- المصدر السابق ، كتاب 53 ، ص564- 565 .

2 - الريشهري ميزان الحكمة مصدر سابق ، ج2 ، ص982 ، ومن الممكن تلمس التربية النفسية للامة وابنائها على الغرة واحترام الذات في موقف الامام الحسين بن علي ابي طالب في معركة كربلاء اذ قال (ع):" الا ان الدعي بن الدعي قدركز

بين اثنتين بين السلة والذلة هيهات منا الذلة يأبى الله ذلك ورسوله والمؤمنون"، الريشهري ، المصدر السابق ، ج2 ، ص982 ؛ محمد الطوي ، تاريخ الطوي ، مصدر سابق، ج5 ، ص403 . للاطلاع على تفاصيل اكثر حول هذه الموقعة ينظر : السيد محمد صادق الصدر ، أضواء على ثورة الحسين ، مصدر سابق ، ص12 وما بعدها ؛ مرتضى المطهري ، الملحمة الحسينية ، ج1، ط3 (قم ، المركز العالمي للدراسات الإسلامية ، 1992) ، ص87 ، ص259 ، ج2 ، ص29 ، ص245.

3 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، مصدر سابق ، حكمة 313 ، ص671 ، وحول العديد من مواقف تواضعه كحاكم وتعزيزه لكرامة المواطن . ينظر : النوري ، مصدر سابق ، ج61 ، ص327 وما بعدها .

4 – الشريف الرضي (الجامع) ،نهج البلاغة، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، كتاب 19 ، ص476 .

5 – ابن قتيبة الدينوري ، الامامة والسياسة ، مصدر سابق ، ج1 ، ص17 ، الطوسي ، الامالي ، مصدر سابق ، ص180 – 181 .

الانسانية وهو حق اشاعة السعادة في المجتمع كاستحقاق ينبغي تحقيقه اذ ان " كل نفس مهما كانت سمتها تتطلع في ذاتها إلى الكمال وتستهدف نحوه وان السعادة الانسانية مؤرب كل نفس سواء اكانت مؤمنة ام كافرة فهو الضالة المنشودة لجميع البشر ... [وهي] غاية البشرية في ذاتها الاولى المودعة في فطرتها الاولية سوى ان الطرق التي تسلكها كل نفس متشعبة ومختلفة لا تلتقي على صعيد واحد "[1] .

ومما اكده الامام في توسيخه لحق السعادة الانسانية قوله: " ما من احد اودع قلباً سروراً الا وخلق الله له من ذلك السرور لطفاً فاذا انزلت به نائبة جرى اليها كالماء في انحداره حتى يطردها عنه كما تطرد غريبة الابل "[2] و "ان من موجبات المغفرة ادخال السرور على اخيك المسلم"[3] بل ان " من ادخل على اخيه المسلم سروراً فقد ادخل على اهل البيت سروراً ومن ادخل على اهل البيت سروراً فقد ادخل على رسول الله (صلى الله عليه وآله) سروراً ومن ادخل على رسول الله(صلى الله عليه وآله) سروراً ، فقد سر الله ومن سر الله فحرياً ان يدخله الجنة "[4] وفي هذا الاتجاه روي عن الامام دعاؤه " نسأل الله منزل

---

1 – الشهيد الثاني ، شرح اللمعة ، مصدر سابق ، ج1 ، ص225 .

2 – الشريف الرضي (الجامع)،نهج البلاغة،تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، حكمة 248 ، ص652 .

3– الصلابي ، مصدر سابق ، ص308 .

4 – المجلسي ، مصدر سابق ، ج75 ، ص365 . حسن القبانجي ، مصدر سابق ، م7 ، ص214 ، وحول احاديث الامام بضرورة ادخال السعادة على واقع الانسان ينظر: المجلسي ، مصدر سابق ،ج7، ص319 ، ويقول (ع) : " من نفس عن مؤمن كربة نفس الله عنه اثنين وسبعين كربة عن كرب الدنيا واثنين وسبعين كربة ومن كرب الاخرة ؛ حسن القبانجي ، مصدر

سابق ، ج1 ، ص211 وقوله (ع) من كفارات الذنوب العظام 00 التنفيس عن المكروب "، الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، مصدر سابق، ج11 ، ص588.

الشهداء، ومعايشة السعداء ومرافقة الانبياء"[1] كما اثر عنه دعاؤه (ع): " اللهم لا تدع لي ذنباً الا غفرته ولا هماً الا فرجته ولا غماً الا كشفته"[2] .

ومما رواه الامام (ع) عن الرسول (صلى الله عليه وآله) ترد عدة احاديث لترسيخ حق السعادة في المجتمع منها قوله (صلى الله عليه وآله): " من افضل الاعمال عند الله ايراد الاكباد الحارة واشباع الاكباد الجائعة"[3] و " ما شيء افضل عند الله تبارك وتعالى من سرور تدخله على مؤمن، او تطرد عنه جوعاً او تكشف عنه كرباً "[4] .

وقد رفض الامام (ع) اشاعة الحزن غير المسوغ في المجتمع ، إذ يروى عن الرسول(صلى الله عليه وآله) قوله : " تعوذوا بالله من حب الحزن "[5] . ويقول (ع): " اطرح عنك واردات الهموم بوزائم الصبر "[6] ويستعرض الامام (ع) جملة من الاثار السلبية للحزن العارم والعميق اذا ترسخ في نفس الانسان اذ يقول (ع) : " الهم نصف الهرم "[7] و "الهم يذيب الجسد"[8] و " اشد خلق ربك الهم "[9] .

---

1 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، خطبة 23 ، ص58 .

2– المحمودي ، مصدر سابق ، ج6 ، ص179 .

3– حسن القبانجي ، مصدر سابق ، م10 ، ص263 .

4 – النوري ، مصدر سابق ، ج121 ، ص394 .

5– المجلسي ، مصدر سابق ، ح73 ، ص158 ، محمد بن علي بن بابويه القمي (الشيخ الصدوق) ، عيون اخبار الرضا ، تصحيح الشيخ حسين الاعلمي ، ج1 ، (بيروت ، مؤسسة الاعلمي ، 1984) ، ص66 .

6– بيضون ، مصدر سابق ، ص930 .

7– المصدر السابق ، ص724 .

8 – الريشهري ، ميزان الحكمة ، مصدر سابق ، ج1 ، ص610 . ويقول (ع) من كثر همه سقم جسده ؛ المجلسي ، مصدر سابق ، ج57 ، ص79.

9– الهندي ، مصدر سابق، ج6 ، ص177 .

وقد اقر الامام بما يمكن ان نطلق عليه (الحزن المشروع) وهو الشعور بالاسف والندم من الانسان حيال اخطائه بحق نفسه وحق الاخرين من جهة واضاعته فرص عمل الخير والمعروف والارتقاء بانسانيته من جهة اخرى ، على ان تتحول هذه

المشاعر إلى طاقة ايجابية خلاقة ، اذ يقول (ع) : " ان الزاهدين في الدنيا تبكي قلوبهم وان ضحكوا ويشتد حزنهم وان فرحوا"[1] .

وقد حذر الامام (ع) من الفرح الباطل الذي يبنى على اسس غير شرعية كاشباع لذة من حرام او تحقيق مكسب من غير وجه حق او اطفاء لنار الانتقام والغضب ،وعد (ع) هذا النمط من الفرح هو احد دعائم النفاق . فقد روي عن امير المؤمنين (ع) انه قال : " شعب الطمع اربع : الفرح ،والمرح ،واللجاجة ،والتكاثر ، فالفرح مكروه عند الله عز وجل والمرح خيلاء واللجاجة بلاء ، لمن اضطرته إلى حبائل الاثام ،والتكاثر لهو وشغل واستبدال الذي هو ادنى بالذي هو خير من ذلك النفاق ودعائمه وشعبه "[2] ، ويقول (ع) : " السعيد من وعظ بغيره والشقي من انخدع لهواه وغروره"[3] .

ويشجع الامام عملية اشاعة الفرح المشروع من الناحية العملية بين ابناء الامة اذ يقول(ع) : " المؤمن بشره في وجهه "[4] ويوصي (ع) " اذا لقيتم اخوانكم فتصافحوا واظهروا لهم البشاشة والبشر تتفرقوا وما عليكم

1- بيضون ، مصدر سابق ، ، ص678 . وحول هذا النمط من الحزن ينظر : المصدر السابق ، ص ص 679 - 680 .

2- حسن القبانجي ، مصدر سابق ، م9 ، ص321 -322 .

3- بيضون ، مصدر سابق ، ص328 .

4- المجلسي ، مصدر سابق ، ج67 ، ص305 ؛ حسن القبانجي ، مصدر سابق ، م1 ، ص210 .

من الاوزار قد ذهب "[1] ، وليس مستبعداً ان تكون سيرة الامام (ع) في اظهاره البشر واشاعته للسعادة بين المحيطين به سبباً لاتهامه بالدعابة من بعض مناوئيه[2] .

وفي بعد اخر في ضمن حق صيانة الوجود المعنوي للانسان يبرز لنا اهتمام الامام علي(ع) بايجاد الامل داخل وعي الفرد والامة وقبل التطرق إلى محاور الامل التي سعى الامام لتحقيقها لابد لنا من الاشارة إلى تحذيره (ع) من الانسياق نحو الامل الخداع الذي ينسى الاخرة[3] او يلغي فلسفة العمل[4] ، او يكون دافعاً لارتكاب الاخطاء[5] ، اما الامل الذي دعا اليه الامام

---

1 - الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، مصدر سابق ، ج8 ، ص559 . ويقول (ع) كذلك "وانكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بطلاقة الوجه من اللقاء " ؛ المجلسي ، مصدر سابق، ج71 ، ص382 . المحمودي، مصدر سابق ، ج7 ، ص363 . و"البشر شيمة كل حر"، و"حسن البشر من علائم النجاح " ، المصدر السابق، ج7 ، ص363 ، و " ان الله تعالى يبغض المعبس في وجوه اخوانه" ، حسن القبانجي ، مصدر سابق ، ج10 ، ص75 .

2 - حول هذه الخصوصية في سيرة الامام وما اثاره مناوئوه بهذا الشان ينظر : الشرقاوي ، مصدر سابق ، ج2، ص259 ، 357 ، هادي المدرسي ، اخلاقيات امير المؤمنين (ع) ، (بيروت ، مؤسسة دار علمي ، 1991) ، ص ص215 - 219؛

ويقول (ع) عن عمرو بن العاص : " عجباً لابن النابغة ازعم لاهل الشام ان في دعابة واني امرؤ تلعابة –كثير اللعب – اعافس – اعالج الناس اضلربهم مزاحاً –وامارس لقد قال باطلاً ونطق اثما اًما والله ليمنعني من اللعب ذكر الموت وانه ليمنعه من قول الحق نسيان الاخرة " الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، خطبة 83 ، ص131.

3 – يروي عن الامام (ع) قوله : " ايها الناس ، ان اخوف ما اخاف عليكم اثنان اتباع الهوى وطول الامل ، فاما اتباع الهوى فيصد عن الحق واما طول الامل فينسي الاخرة" ؛ بيضون ، مصدر سابق ، ص821 .

4 – يروي عن الامام (ع) قوله " اياك الاتكال على المنى فانها بضائع النوكى – أي الحمقى"، المصدر السابق، ص822 .

5 – يروى عن الامام (ع) قوله " انما هلك ، كان قبلكم بطول امالهم حتى نزل بهم الموعود"، المصدر السابق، ص822 . و"لا تغتر بالامال وتحتقر صغار الاعمال" ، حسن القبانجي ، مصدر سابق، ج10 ، ص221 . "واعملوا ان الامل يسهي العقل وينسي الذكر "، بيضون ، مصدر سابق ، ص821 .

فهو الامل في غد افضل في نطاق الواقع وان فقدان الامل قد يكون حالة مرضية من الناحية النفسية وليس علامة عافية هذا على الصعيد الفردي ، اما على الصعيد الجماعي في الامم والشعوب والجماعات فان الامل عامل مهم جداً واساسي في تنشيط حركة التاريخ وتسريعها وجعلها تتغلب بيسر على ما يعترضها من صعوبات وعوائق [1] .

والامل الموضوعي القائم على اعتبارات عملية تنبع من الجهد الانساني واعتبارات عقيدية وروحية يشغل حيزاً مهماً واساسياً في رؤية الامام (ع) اذ يروي عن الرسول(صلى الله عليه وآله) قوله : " الامل رحمة لامتي ولولا الامل ما ارضعت والدة ولدها وغرس غارس شجراً " [2] ويحذر الامام (ع) من انعدام الامل اذ يقول : "لقد علق بنياط هذا الانسان بضعة هي اعجب ما فيه وذلك القلب ان ملكه اليأس قتله الاسف " [3] . واجاب (ع) حين سئل ما اكبر الكبائر ؟ قال: " الامن من مكر الله والاياس من روح الله والقنوط من رحمة الله " [4] .

ويسعى الامام في ترسيخ الامل وخلق روح التحدي في ابناء الامة وذلك عبر فتح باب التوبة والمغفرة . اذا يتعامل (ع) مع الانسان المذنب من الناحية الشرعية بالتسامح والرحمة، فيقول: " لا تؤيس مذنباً فكم من عاكف على ذنبه ختم له بخير ..وكم من عاص نجا وكم من عاقل هوى" [5] .

---

1 – ينظر : محمد مهدي شمس الدين ، حركة التاريخ عند الامام علي ، مصدر سابق ، ص212 .

2 – الريشهري ، ميزان الحكمة ، مصدر سابق ، ج1 ، ص20 ، حول الامل في القرآن الكريم، ينظر : سورة يوسف / الاية 87 ، 109 – 11 . سورة المؤمن / الاية 51 . سورة الانبياء / الاية 105 . سورة الاعراف/ الاية 128 .

3– بيضون ، مصدر سابق ، ص689 .

4- الهندي ، مصدر سابق ، ج2 ، ص287 ؛ حسن القبانجي ، مصدر سابق، ج10 ، ص327 .

5- المحمودي ، مصدر سابق ، ج7 ، ص478 -479 .

ويوصي احد ابناءه قائلاً : " لا ترج الله رجاءً انك لو اتيته بسيئات اهل الارض غفرها لك " [1] .

ويؤكد الامام (ع) مبدأ الاستغفار ، كاحدى دعامات الامل في التعامل مع الخطأ اذ يقول : " العجب ممن يقنط ومعه النجاة قيل : وما هي ؟ قال: "الاستغفار" [2] . ويقول(ع): " ما من عبد اذنب ذنباً فقام فتطهر وصلى ركعتين ، واستغفر الله الا غفر له ، وكان حقاً على الله ان يقبله ، لانه سبحانه قال : (ومن يعمل سوءاً او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً) [3] " [4] .

اما الدعامة الاخرى للأمل فهي مسألة التوبة التي اكد الامام اهميتها للخاطئين، وان الابواب مشرعة امامهم لكي يتوبوا وان الامل اوسع من ذنوبهم مهما بلغت اذ يقول (ع): "من تاب تاب الله عليه ، واموت جوارحه ان تستر عليه وبقاع الارض ان تكتم عليه ، وانسيت الحفظة ما كانت كتبت عليه" [5] ويقول(ع) : " المؤمن تواب " [6] ويوضح الامام مسألة العلاقة الخاصة بين المذنب والله عز وجل رافضاً أية طقوس تحرى او جهة تملك

---

1 - حسن القبانجي ، مصدر سابق ، ج10 ، ص210 ويقول (ع) أفضل المسلمين اسلاماً من كان همه لاخرته واعتدل خوفه ورجاه " الواسطي ، مصدر سابق ، ص123 .الريشهري ، ميزان الحكمة ، مصدر سابق ، ج2 ، ص34.

2- المجلسي ، مصدر سابق ، ج93 ، ص282 ، حسن القبانجي ، مصدر سابق ، ج10 ، ص83 .

3 - سورة النساء /الآية 110 .

4 - الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، مصدر سابق ، ج11 ، ص363 . ولقد ورد عن الامام عشرات الاحاديث التي تعطي الامل للمذنبين عن طريق الاستغفار . ينظر : حسن القبانجي ، مصدر سابق ، م10، ص ص83 - 112 ، ويرد فيه اكثر من ثلاثين قولاً للامام (ع) وسبعين دعاء له في الاستغفار .

5- الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، مصدر سابق ، ج11 ، ص359

6- المجلسي ، مصدر سابق ، ج6 ، ص21

اعلان قبول التوبة او رفضها اذ يقول ان : " التوبة فيما بين المؤمن وبين الله " [1] .

وورد ان الامام علي (ع) في سبيل تأكيده مبدأ الامل في ظل الشريعة الاسلامية ان " اقبل على الناس فقال لهم : أي آية في كتاب الله ارجى عندكم؟ فانبرى جمع من الصحابة ، فقالوا له : ان ارجى اية قوله تعالى : (ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) [2] . فقال الامام : حسنة وليست اياها وطفق جماعة قائلين : {قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا [3]

تقنطوا من رحمة الله} . قال : حسنة وليست اياها وقام جماعة فقالوا له: {والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم}[4] قال: حسنة وليست اياها، فاحجم الناس ولم يدل احد منهم بشيء وقالوا للامام : لا والله ما عندنا شيء، فانوى الامام مبيناً لهم قائلاً : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول : " لرجى اية في كتاب الله {واقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل}[5] وقال (صلى الله عليه وآله) والذي بعثني بالحق بشيراً ونذيراً ان احدكم ليقوم إلى وضوئه فتساقط من جوارحه الذنوب ، فاذا استقبل بوجهه وقلبه لم ينفتل عن صلاته وعليه من ذنوبه شيء كما ولدته امه "[6] .

ولم يقتصر توسيخ الامل عند الامام علي على الامور الدينية وانما شغل الامل في حياة افضل للانسان كان قد شغل حيزاً مهماً في الموروث الفكري والعملي للامام علي إذ يقول : "اذا تمنى احدكم فليكن مناه في الخير وليكثر

1- حسن القبانجي ، مصدر سابق ، م10 ، ص111 .

2 - سورة النساء / الاية 48 .

3 - سورة الزمر / الاية 53 .

4 - سورة ال عمران / الاية 135 .

5 - سورة هود / الاية 114 .

6 - القرشي ، موسوعة امير المؤمنين ، مصدر سابق ، ج3 ، ص104 - 105 .

فأن الله واسع كريم "[1] ويقول (ع) : " كن لما لا ترجو لرجى منك لما ترجو فان موسى بن عمران (ع) خرج يقتبس لاهله ناراً فكلمه الله عز وجل ورجع نبياً وخرجت ملكه سبأ فاسلمت مع سليمان (ع) وخرجت سحرة فرعون يطلبون الغزة لفرعون فرجعوا مؤمنين "[2] .

وكانت رؤية الامام " دقيقة ، ومحددة مضيئة واضحة المعالم في غرس الامل بغد افضل بقيام ثورة عالمية تصحح وضع عالم الاسلام ومن ثم يقودها رجل من اهل البيت هو الامام المهدي "[3] لقد بشر الامام (ع) بفكرة المهدي المنتظر في عدة نصوص ، شحذ من خلالها الطاقات واعطى الامل للانسانية بغد افضل اذ يقول (ع) : " الا وفي غد وسيأتي غد بما لا تعرفون... تخرج له الارض افاليذ اكبادها وتلقي اليه سلماً مقاليدها فيريكم كيف عدل السيرة ويحي ميت الكتاب والسنة "[4] ويبشر" لتعطفن الدنيا علينا بعد شماسها عطف الضروس[5] على ولدها وتلا عقيب ذلك {ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين}"[6][7] ويقول (ع) : "فلبثتم بعده [أي رسول الله (صلى الله عليه وآله)] ما شاء الله حتى يطلع الله من يجمعكم

---

1 - النوري ، مصدر سابق ، ج1 ، ص90 .

2- الكليني ، مصدر سابق ، ج5 ، ص83 .الصدوق،من لا يحضره الفقيه،مصدر سابق،ج3،ص165 .

3 - محمد مهدي شمس الدين حركة التاريخ ، مصدر سابق ، ص ص217 -218 . وحول فكرة المهدي التي تبعث الامل في نفوس البشر ، ينظر : محمد باقر الصدر ، بحث حول المهدي ، (د. م ، د. ن ، د. ت)، مواقع مختلفة ، علي الكوراني العاملي، معجم احاديث المهدي ، (قم ، مؤسسة المعارف الاسلامية ، 1411 هـ) مواقع مختلفة ،احمد محمود صبحي ، نظرية الامامة عند الشيعة الاثني عشرية ، (مصر ، دار المعارف د. ت) ، ص ص359 -428 ؛ سعد محمد حسن،المهدية في الاسلام ، (القاهرة، دار الكتاب العربي ، 1953) ، ص48 وما بعدها .

4 - الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، خطبة 138 ، 240 .

5- الناقة السيئة الخلق .

6 - سورة القصص/ الاية 5 .

7- المصدر السابق ، حكمة 199 ، ص644 .

ويضم نشوكم ...الا ان مثل ال محمد ((صلى الله عليه وآله) ، كمثل نجوم السماء اذا هوى نجم طلع نجم فكانكم قد تكاملت فيكم الصنائع واتاكم ما كنت تأملون "[1] وغيرها من النصوص[2] ويذهب المفكر محمد مهدي شمس الدين إلى ان " هذا الامل المضيء في الظلمات ليس املاً قريباً اذا نظرنا بمنظار امال الافراد كل واحد بخصوصه - فقد يمضي الموت بالافراد دون ان تكتحل عيونهم بفجر هذا الامل... انه بالنسبة اليهم - كافراد قد يكون - بعيد كذلك هو امل بعيد بالنسبة إلى كل مجتمع بمفرده وخصوصه ، فقد تمضي القرون على مجتمع دون ان يحقق في نظامه ومؤسساته هذا الامل العظيم ... ولكن هذا الامل على مستوى النوع البشري كله امل قريب "[3] .

وحتى تستمر الامال يتطرق الامام علي (ع) إلى مسؤولية الانسان على الارض والحيوان إذ يقول : " اتقوا الله في عباده وبلاده فانكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم"[4] . ويمكننا من خلال هذا النص تلمس بعدين في غاية الاهمية:

الاول - حق الانسان في بيئة نظيفة وصالحة للحياة .

الثاني - التأكيد على حقوق الحيوان ، اذ ان انسانية الامام (ع) شملت في ظلها ليس بني البشر كافة فحسب ،وانما الكائنات الاخرى كذلك[5] .

1- المصدر السابق ، خطبة 99، ص ص176- 177 .

2 - ينظر تلك النصوص في : بيضون ، مصدر سابق ، ص ص349 -350 .

3 - محمد مهدي شمس الدين ، حركة التاريخ عند الامام علي ، مصدر سابق ، ص219 .

4 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، خطبة 167 ، ص298 ؛ محمد الطوي ، تاريخ الطوي ، مصدر سابق ، ج3 ، ص457 .

5 – لقد اكد الامام علي (ع) على جملة من حقوق الحيوانات اذ يقول (ع) : " اتقوا الله فيما نولكم وفي العجم من اموالكم ، فقيل له وما العجم ؟ قال الشاة والبقر والحمام واشباه ذلك ". الشيخ الصدوق ، من لا يحضره الفقيه ، مصدر سابق ، ج3 ، ص349 . ويوصي(ع) في ضرورة المعاملة الانسانية الرحيمة للحيوان قائلاً :"لا يحول بين ناقة وفصيلها ولا يمطون لبنها فيضر ذلك بفصيلها ولا يجهد بها ركوباً= =وليعدل بينهن في ذلك وليوردهن كل ماء يمرون ولا يعدل بهن عن نبت الارض " . المحمودي ، مصدر سابق، ج2 ، ص114 –115 . ويقول (ع)" اقذر الذنوب قتل البهيمة". الريشهري ، ميزان الحكمة ، مصدر سابق، ج2 ، ص989 . "وان امير المؤمنين كان لا يذبح الشاة عند الشاة ". لجنة الحديث ، سنن الامام علي ، مصدر سابق ، ص447 . وحول اهتمام الامام العلمي والانساني بالحيوان ينظر : القريشي ، موسوعة امير المؤمنين ، مصدر سابق ، ج11 ، ص246 ، ص252 ، المجلسي ، مصدر سابق ، ج42 ، ص278 . الواسطي ، مصدر سابق ، ص80 .

ان احترام الامام للكرامة الانسانية ومشاعر افراد الامة انعكس بعمق على دفاعه على الصعيدين النظري والعملي على شتى حقوق الانسان ولاسيما حق الانسان بالتقاضي .

المبحث الثاني

حق التقاضي

يعد (حق التقاضي) من اهم الحقوق التي دعا الامام علي (ع) إلى ضرورة ان ينعم الانسان بها كون القضاء العادل هو انعكاس مهم لحق الانسان في المساواة العادلة من جهة واداة لرفع الظلم والحيف عن المظلومين واسترداد حقوق المستضعفين من جهة ثانية ،والية غاية في الاهمية لصيانة كافة حقوق الانسان الاخرى ، اذ ان القضاء العادل هو الضمانة الاجرائية المتينة في مواجهة أي انتهاك لتلك الحقوق من جهة ثالثة.

وقبل التطرق إلى رؤية الامام علي (ع) للتقاضي ينبغي الاشارة إلى ان القضاء في اللغة العربية يعني الحكم واصله قضاي مشتق من قضيت [1] . وعلى الرغم من القضاء يستعمل لغوياً في عدة معان [2] ، فانه في اصطلاح الفقهاء عبارة عن "الولاية على الحكم في الدعوى والمنازعات وفي الامور العامة" [3] .

ولقد عرفت المجتمعات الانسانية قبل الاسلام كثيراً من انواع واساليب التقاضي [4] ، إلا ان بزوغ الاسلام كشريعة ومنهج للحياة عد تطوراً مهماً لفلسفة القضاء في المجتمع ، " فالاسلام في اصوله وقواعده نظام واقعي يريد

1- ابن منظور ، مصدر سابق ، ج15 ، ص186 .

2 - ينظر : المصدر السابق ؛ كذلك القرشي ، موسوعة امير المؤمنين ، مصدر سابق ، ج9 ، ص15.

3 - شمس الدين محمد بن مكي العاملي (الشهيد الاول) ، الدروس الشرعية في فقه الامامية ، (قم مؤسسة النشر الاسلامي ، 1412هـ) ، ص66 .

4 - ينظر : د.رياض القيسي ، علم اصول القانون ، (بغداد ، بيت الحكمة ، 2002) ، ص ص191 - 214 .

تحقيق مصالح العباد ، فعلى الرغم من انه يخطط لتكوين المجتمع الصالح الفاضل الذي ينضبط فيه كل انسان انضباطاً ذاتياً فيعرف حدود حقوقه وواجباته ويحاول طوعاً ان يقوم بها ويدافع عنها طالبا ًفي كل ذلك رضى الله سبحانه وتعالى يضع من اجل ضبط سلوك الافراد والجماعة والوقوف الحاسم امام الانحراف فيه نظاماً قضائياً يقوم بدور مهم في ردع الانحراف والقضاء على الجريمة والفصل في الخصومات والمنازعات التي تظهر بين الافراد والمؤسسات الاجتماعية "[1] .

ومن هنا "اجمع المجتهدون في الاسلام على ان القضاء من فروض الكفايات، وهو من الوظائف الداخلة تحت الخلافة الشرعية التي يجب ان يقوم بها جمع من الناس للفصل بين الناس في خصوماتهم وتنفيذ احكام الاسلام من اجل احقاق الحق وابطال الباطل ونصرة المظلوم وقمع الظالم واداء الحقوق إلى مستحقيها والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وللضرب على ايدي العابثين كي يسود النظام في المجتمع فيأمن كل فرد على نفسه وماله وعرضه وحياته "[2] .

لقد اهتم الرسول (صلى الله عليه وآله) بالقضاء بشكل مميز سواء بمبادئه النظرية ام ممارسته العملية مقدماً بذلك انموذجاً قضائياً متكاملاً[3] ، مما اثرى ذلك رؤية الامام علي (ع) للقضاء والتقاضي حيث انه عايش النموذج النبوي وسبر

1- محسن عبد الحميد ، مصدر سابق ، ص112 .

2 - المصدر السابق ، ص ص112 - 113 . وقد وردت الاوامر الالهية في القرآن الكريم لاحقاق الحق بنصب القضاء العادل بقوله تعالى {اذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل } سورة النساء / الاية 57 ، { يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم } سورة النساء / جزء من الاية 13 . وحول تفاصيل اكثر ينظر : محمد رضا الموسوي الكلبايكاني ، كتاب القضاء ، ج8 ، (قم ، مطبعة الخيام ، 1401هـ) ص6 وما بعدها . .

3 - ينظر : شذرات من قضاء رسول الله (صلى الله عليه وآله) . الكيلني ، مصدر سابق ، ج7، ص37 وما بعدها. الشوكاني ، مصدر سابق ، ج7 ، ص23 .

اغواره واستوعب دقائق اموره حتى قال الرسول (صلى الله عليه وآله) " اقضى امتي علي بن ابي طالب"[1] .

لقد ابرز الامام على (ع) (التقاضي) كضرورة وحق مهم من حقوق الانسان ، وحمل(ع) الحاكم الشرعي مسؤولية صيانة

(حق التقاضي) بكل تفرعات هذا الحق ومتطلباته المادية والمعنوية ، اذ يقول الامام (ع) في احدى رسائله إلى الامة " من عبد الله علي امير المؤمنين ، اما بعد فأن الله جعلكم في الحق جميع سواء اسودكم واحمركم وجعلكم من الوالي، وجعل الوالي منكم بمنزلة الوالد من الولد ...وان حقكم عليه انصافكم والتعديل بينكم "[2] ويسمو الامام بهذا الحق اذ يقول (ع) : " ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر فان الايمان يقضي الحد في طاعة الله والاجتهاد في اقامة الاحكام "[3] . ويشير (ع) إلى ان القضاء العادل هو انعكاس غاية في الاهمية لحق المساواة العادلة ، فالقضاء " نظام الامرة "[4] وان " الرعية لا يصلحها الا العدل"[5] كما اكد الامام علي ان القضاء هو الاداة الانجع لمنع الظلم وتحقيق العدل اذ يقول(ع) : " داووا الجور بالعدل "[6] وفي سبيل توسيخ

---

1 – ابو القاسم سليمان بن محمد بن ايوب ، المعجم الصغير ، ج1 ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، د. ت) ، ص201 ، الهندي ، مصدر سابق ، ج11 ، ص641 . وروي ايضاً قوله (صلى الله عليه وآله) " ان علياً اقضاكم" ، الحر العاملي، وسائل الشيعة ، مصدر سابق، ج81 ، ص6 . وكذلك فقد شعر بعض الصحابة والخلفاء بهذا التميز للامام علي (ع) حتى قال الخليفة الثاني عمر بن الخطاب : " اقضانا علي " ، ايماني ، مصدر سابق، ص114 . وقال بن مسعود : " كنا نتحدث بأن اقضى اهل المدينة [وكان فيها جل الصحابة واصحاب العلم] علي بن ابي طالب " علي العلوي ،مصدر سابق ، ص16 .

2 – المنوي ، مصدر سابق ، ص126 .وكان الامام علي (ع) " لما يفرغ من الجهاد يتفرغ لتعليم الناس والقضاء بينهم"

الريشهري ، ميزان الحكمة ، مصدر سابق، ج2، ص1075 .

3– المجلسي ، مصدر سابق ، ج69 ، ص126 .

4 – الواسطي ، مصدر سابق ، ص48 .

5– المصدر السابق ، ص41.

6– المصدر السابق ، ص250 .

معالم العدل في المجتمع يؤكد(ع) ضرورة وجود القضاء قائلاً: "لابد من قاض ورزق للقاضي"[1] .

ان تأكيد الامام ضرورة وجود القاضي هو المدخل لمعرفة الشروط الدقيقية التي وضعها الامام لمن يتبوأ هذا المنصب ، فالسلطة القضائية" من اعظم سلطات الدولة ، بها يفرق بين الحق والباطل وبها ينتصف للمظلوم من الظالم ، وحيث تجنح الظروف بهذه السلطة إلى الاسفاف فانها لا تنزل إلى الحضيض وحدها وانما تجر معها المجتمع كله او بعضه ، حين تسف وتصير في عون الظالم وتعضد المجرم وحيث انها تنطق باسم العدالة فانها تسكت كل فم وتطفئ جذوة الحياة في كل انسان يتصدى لها ، وماذا يحدث حينئذ ؟ يستشري الفساد ويعظم الجور وتعم الفتنة ويكون المظلوم في الخيار بين ان يرفع امره إلى هذه السلطة فيسلب حق باسم العدل بعد ان سلبته اياه القوة وبين ان يسكت حتى تحين الفرصة فيستعيد حقه عن طريق العنف وفي بعض هذا شر عظيم "[2] وحتى لا يصل الافراد داخل المجتمع إلى هذه النتيجة وضع الامام نظاماً تصان من خلاله المؤسسة القضائية ومن ثم تحفظ حقوق الافراد ، وهذا النظام ذو بعدين:

البعد الاول : مواصفات القاضي .

على وفق رؤية الامام علي لا ينبغي النظر إلى منصب القضاء على انه مكسب او منزة بقدر ما هو مسؤولية جسيمة تثقل كاهل من يتولاها ، إذ يقول(ع) : " القضاة ثلاثة هالكان وناج ، فأما الهالكان فجائر جار متعمداً ومجتهداً اخطأ والناجي من عمل بما امر الله به "[3] . اما اهم الشروط التي

---

1 – النوري ، مصدر سابق ، ج71 ، ص407 .

2 – محمد مهدي شمس الدين ، دراسات في نهج البلاغة ، مصدر سابق ، ص60 .

3 – النوري ، مصدر سابق ، ج71 ، ص247 ؛ وايضاً: الميناجي، مواقف الشيعة ، مصدر سابق ، ج2 ، ص103 . المجلسي ، مصدر سابق، ج101 ، ص271 . وقال احدهم لراوي الحديث: ما بال هذا الذي اجتهدرأيه في الحق فأخطأ قال الراوي – لو شاء لم يجلس يقضي وهو لا يحسن يقضي000 الخبر فيمن اجتهدرأيه وهو من غير اهل الاجتهاد " ، البيهقي ، مصدر سابق ، ج1، ص117 .

وضعها الامام لمن يشغل منصب القضاء فضلاً عن الصفات العامة أي الذكورة[1] والبلوغ[2] والاسلام[3] فان هناك متطلبات خاصة للقاضي دعا اليها الامام حتى لا يصير القضاء إلى " غير اهله فينقلب إلى اداة للظلم ، ظلم الضعفاء ويصير مؤسسة ترعى مصالح الاقوياء فحسب وقد تحدث الامام كثيراً عن هؤلاء الذين يتسنمون مناصب القضاء وليسوا لها بأهل فيتحولون بهذا المنصب إلى اداة للشر والفساد "[4] لذلك اشترط الامام جملة من الشروط التي يجب ان تتوفر في القاضي لعل من اهمها :

1 .العدالة ، " من الشروط التي يجب ان تتوفر في القاضي العدالة "وهي صفة نفسية تقتضي اداء الواجبات الشرعية واجتناب المحرمات ، فاذا لم يتمتع القاضي بهذه الصفة فلا سبيل له لتولي القضاء "[5] ، يقول (ع) : " لا يحمل الناس على الحق الا ورعهم عن الباطل"[6] .

2 .العلم ،ولا يخفى ان مسالة القضاءوان كانت تستلزم الورع عن المحرمواداء الواجبات الدينية ، فانها تحتاج إلى العلم الكافيوالمعرفة التامة بالمسائل بحيث لو لم تحصل تلك العلوم لاستحال تحقيق القضاء الصحيح العادل على وفق رؤية الامام علي (ع)[7] الذي يقول :"ورجل قمش[8] جهلاً

1- ينظر : الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، مصدر سابق ، ج27 ، ص16 .

2 - ينظر : القرشي ، موسوعة امير المؤمنين ، مصدر سابق ، ج9 ، ص25 .

3 - ينظر : المصدر السابق ، ج9 ، ص26 . وللمزيد حول شروط القضاء في الاسلام ينظر:المصدر السابق ، ج9 ، ص26 ، وما بعدها .

4 - محمد مهدي شمس الدين ، دراسات في نهج البلاغة ، مصدر سابق ، ص61 .

5 - القرشي ، موسوعة امير المؤمنين ، مصدر سابق ، ج9 ، ص26 .

6 - النوري ، مصدر سابق ، ج17 ، ص359 ؛ حسن القبانجي ، مصدر سابق ، م6 ، ص479 .

7- النجمي ، مصدر سابق ، ص341 .

8- جمعه .

موضع في جهالة الامة ، غادر في اغباش[1] الفتنة حتى اذا ارتوى من ماء اجن واكثر من غير طائل ، جلس بين الناس قاضياً ضامناً لتخليص ما التبس على غيره . فاذا نزلت به احدى المبهمات هيأ لها حشواً رثاً من رأيه ثم قطع به ... لا يدري اصاب ام اخطأ ان اصاب خاف ان يكون قد اخطأ وان اخطأ رجا ان يكون قد اصاب 00 تصوخ من جور قضائه الدماء وتعج منه المواريث "[2] .

ويتحدث الامام عن الاثار السلبية للقاضي غير العالم وانعكاس ذلك على نهج استرداد الحق وتثبيت العدل في المجتمع إذ يقول : "وجلس بين الناس قاضياً ضامناً بتخليص ما التبس على غيره اذا قايس شيئاً بشيء لم يكذب نفسه واما التبس عليه كتمه لما يعلم من نفسه من الجهل لكي لا يقال انه لا يعلم يذروا الروايات ذرو الريح الهشيم تصوخ منه الدماء . وتبكي منه المواريث ويستحل بقضائه الفرج الحرام ويحرم بمرضاته الفرج الحلال"[3] .

ويحدد الامام (ع) العلم الذي يجب ان يتمكن منه الانسان قبل ان يكون مؤهلاً لشغل منصب القضاء في الاسلام اذ يقول : " العلم ثلاثة ايه

1- بقايا الظلمة .

2 - الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، خطبة 17 ، ص ص51-53. وعن انتفاء شرط العلم فيقول الامام علي: "واخر قد تسمى عالماً وليس به فاقتبس جهائل من جهال واضاليل من ضلال نصب للناس اشراكاً من حبائل غرور وقول زور قد حمل الكتاب على آرائه وعطف الحق على اهوائه يؤمن من العظائم ويهون كبير الجرائم ، ويقول اقف عند الشبهات وفيها وقع ويقول : اعتزل البدع وبينها اضطجع ، فالصورة صورة انسان والقلب قلب حيوان لا يعرف باب الهدى فيتبعه ولا باب العمى فيصد عنه "، المصدر السابق ، خطبة 86 ، ص137 .

3- المحمودي ، مصدر سابق ، ج1 ، ص ص544 - 545 .

محكمة وسنة متبعة وفريضة عادلة "[1] . وهكذا ينبغي ان تكون ملكة العدل حاضرة في ذهن وضمير القاضي والتي تتكامل مع الشرط الثالث للقاضي وهو الصفات النفسية اللازمة .

3 - الصفات النفسية ، فضلاً عن شرطي العدالة والعلم التي اوجب الامام توفرهما في القاضي فانه اشترط ايضاً جملة من المتطلبات التي يمكن ان يطلق عليها (الصفات النفسية) مما يجب اتصاف القاضي بها ، اذ يقول الامام (ع) لواليه الاشتر : " اختر للحكم بين الناس افضل رعيتك في نفسك ممن لا تضيق به الامور ولا تمحكه[2] الخصوم ،ولا يتمادى في الزلة ولا يحصر من الفيء إلى الحق اذا عرفه ولا تشرف نفسه على طمع ولا يكتفي بأدنى فهم دون اقصاه اوقفهم في الشبهات واخذهم بالحجج واقلهم تبرماً بمراجعة الخصم واصبرهم على تكشف الامور واصرمهم عند اتضاح الحكم ممن لا يزدهيه اطراء ولا يستميله اغراء ،واولئك قليل"[3] . ان هذه الصفات النفسية على وفق رؤية الامام تضفي مزيداً من القوة والمنعة للقاضي ، فافعل التفضيل ملازمة للقاضي في كلام امير المؤمنين فلابد من اختيار افضل الامة علماً واجودها فهماً وارفعها نفساً واشدها تورعاً وامضاها للحق احتضاناً ويجيب محمد مهدي شمس الدين عن تساؤل : " هل يكفي في صلاحية الرجل للقضاء ان يكون على معرفة بمواد القانون الذي يقضي به دون اعتبار لتوفر مزايا اخرى فيه ؟ ان الجواب السديد عن هذا السؤال هو

1 - النوري ، مصدر سابق ، ج5 ، ص73 ، وقصر الامام حضور مجالس القضاء للمتمكنين علمياً حصراً اذ يقول : " لا يجلس في مجالس القضاء غير فقيه "، المصدر السابق ، ج5 ، ص36 .

2- تجعله لجوجاً .

3 - الشريف الرضي (جامع)،نهج البلاغة ، تحقيق : د. صبحي ، مصدر سابق ،رسالة 53، ص556 - 557 .

النفي ...لأن منصب القضاء يتطلب من شاغله إلى جانب علمه بالشريعة صفات اخرى فصلها الامام في عهده للاشتر...

اذ يجب ان يكون القاضي واسع الصدر كريم الخلق... ويجب ان يكون من الورع وثبات الدين وتأصل العقيدة والوعي لخطورة مهمته وقيمة كلمته ، بحيث يرجع عن الباطل اذا تبين له انه حاد عن شريعة العدل في حكمه ... ويجب ان يكون من شرف النفس ونقاء الجيب وطهر الضمير بحيث لا تشرف نفسه على طمع في حظوة او كرامة او مال..وذلك لان القاضي يجب ان يجلس للحكم ضميراً نقياً وروحاً طاهراً وعقلا صافيا ونفسا متعالية عن الاغراض... ويجب ان يكون من الوعي لمهمته بحيث لا يعجل في الحكم ولا يسرع في اوامه انما عليه ان ينظر في قراءة القضية ويقتلها بحثاً ويستعرض وجوهها المختلفة فان ذلك احرى ان يهديه إلى وجهة الحق وسنة الصواب "[1] ، بقول (ع) في وصف ما يجب ان تكون عليه الصفات النفسية للقاضي وبشكل موجز وعميق : " لا ينبغي ان يكون القاضي قاضياً حتى تكون فيه خمس خصال : عفيف ، حليم ، عالم بما كان قبله ويستشير ذوي الالباب ولا يخاف في الله لومة لائمٍ "[2] .

البعد الثاني : نزاهة القضاء وحياديته:

دعا الامام علي (ع) إلى صيانة منصب القضاء واستقلاله فاذا لم يكن القاضي مستقلاً في حكمه لا يخضع لتأثير هذا وارادة ذاك لم تكن هناك سلطة قضائية مستقلة بالمعنى الصحيح ، لذلك بعد ان وضح الامام الشروط التي ينبغي توفرها في القاضي ، بين (ع) ضرورة توفير الوضع المتميز لمنصب القضاء حيث يوصي الاشتر قائلاً : " ثم اكثر تعاهد قضائه وافسح

---

1 – محمد مهدي شمس الدين ، دراسات في نهج البلاغة ، مصدر سابق ، ص64 .

2– ابن قدامة ، مصدر سابق ، ج11 ، ص384 .

له في البذل ما يزيل علته وتقل معه حاجته إلى الناس واعطه من المنزلة لديك مالا يطمع فيه غيره من خاصتك ليأمن بذلك اغتيال الرجال عندك "[1] وفي هذا النص يضع الامام ثلاثة ضمانات لمنصب القضاء وهي:

اولاً : ان يتعاهد الحاكم قضاء قاضيه ، وينظر فيما يصدره من الاحكام فان ذلك " كفيل ان يمسك القاضي عن الانحراف ويستقيم به على السنن الواضح لأنه حينئذ يعلم ان المراقبة ستكشف امر الحكم الجائر ووراء ذلك ما وراءه من عار الدنيا وعذاب الاخرة "[2] ، ومن الواضح ان الامام انشأ عملية توازن بين السلطة السياسية والسلطة القضائية من جهة فبين اهمية ان يخضع جميع ابناء الامة للسلطة القضائية بما فيهم الحاكم نفسه ، كما فعل الامام ذلك عملياً عندما وقف امام القضاء وهو الخليفة مع شخص من اهل الذمة – غير مسلم ولكنه مواطن – حول ملكية درع ومن ثم كان الحكم لغير صالحه بسبب انعدام البينة[3] ويذهب محمد شمس الدين الى " ان الامام اقر مبدأ فصل السلطة القضائية عن السلطة التنفيذية واعطى للقضاء شخصية مستقلة ومنفصلة عن شخصية الحاكم السياسي أو الحاكم الاداري ،وهذه خطوة متقدمة في تنظيم الدولة والاجتماع السياسي في الاسلام "[4] .

ولقد اكد الامام اهمية تحصين السلطة القضائية ضد ضغوط السلطة السياسية حينما بين بأنه ،"لا ينبغي للامام ان يعطل[5]

الحدود " . وحين قال "

---

1 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق،كتاب 53 ، ص557 .

2– محمد مهدي شمس الدين ، داسات في نهج البلاغة ، مصدر سابق ، ص64 .

3– طي ، مصدر سابق ، ص103 وسنتطرق لمصادر حادثة وع الامام لاحقاً .

4– محمد مهدي شمس الدين ، عهد الاشتر ، مصدر السابق ، ص120 .

5– حسن القبانجي ، مصدر سابق ، م6 ، ص200 ، الهندي ، مصدر سابق ، ج5 ، ص309 .

لا شفاعةولاكفالةولا يمين في حد"[1] ويسمو الامام بحكم السلطة القضائية اذ يروي(ع) في الرسول (صلى الله عليه وآله) قوله : " ذاك سلطان سوء الذي يعفو عن الحدود"[2] .

ومن جهة اخرى فان الامام قد اعطى للحاكم ان يراجع القضاء ويصحح الاحكام الخاطئة او الظالمةولاسيما تلك التي تمس المستضعفين والفقراء في المجتمع ممن لم ينصفهم القضاء مما يحدث عملية توازن ذات اثر ايجابي واضح في المجتمع والحد من تعسف أي من السلطات .

وقد مارس الامام (ع) نوعاً من الرقابة المستمرة للقضاء ، فحين "ولى امير المؤمنين(ع) شريحاً القضاء اشترط عليه ان لا ينفذ القضاء حتى يعرضه عليه "[3] ،وادخل الامام بعض القضاة اختبارات لقوى كفاءتهم العلمية اذ " ان علياً مر على قاضي فقال هل تعرف الناسخ من المنسوخ ؟ فقال لا ، فقال : هلكت واهلكت "[4] ، وسأل الامام قاضياً اخر : " هل اشرفت على مراد عز وجل في امثال القرآن ؟ قال لا ، قال (ع) اذا هلكت واهلكت ، فالمفتي يحتاج إلى معرفة معاني القرآن وحقائق السنن ومواطن الاشارات والاداب والاجماع والاختلاف والاطلاع على اصول ما اجتمعوا عليه وما

---

1 – الحر العاملي ، الفصول المهمة في معرفة الائمة ، مصدر سابق ، ج2 ، ص513 .

2– الهندي ، مصدر سابق ، ج5 ، ص548 .

3 – الكُليني ، مصدر سابق ، ج7 ، ص407 ؛ الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، مصدر سابق ، ج18 ، ص6 ؛ حسن القانجي ، مصدر سابق ، م6 ، ص447 . وكان الامام شديد الاهتمام بالقضاء في دولته فحين اقدم "رجلاً من اهل الشام000 وجد مع امرأتهرجلاً فقتله او قتلها فأشكل على معاوية بن ابي سفيان القضاء فيه فكتب معاوية الى ابي موسى الاشعري فسأل عن ذلك علي بن ابي طالب (ع) فقال له (ع) هذا الشيء ما هو بارضنا عزمت عليك لتخبرني" ، الطوسي ، الخلاف ، مصدر سابق ،ج5 ، ص173 .

4– الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، مصدر سابق ، ج18 ، ص149 ؛ حسن القبانجي ، مصدر سابق ، م6 ، ص477 .

اختلفوا فيه ، ثم إلى حسن الاختيار ثم إلى العمل الصالح ثم الحكمة ثم التقوى"[1] .

بل ان الامام علي (ع) نبه بسيرته العملية على المراقبة الوثيقة للموقف المالي والاجتماعي للقضاة ، حيث روي ان شريح بن الحارث – وكان قاضياً – اشترى على عهد الامام داراً بثمانين ديناراً . فقال له الامام : " بلغني انك ابتعت داراً بثمانين ديناراً ، فقال شريح قد كان ذلك يا امير المؤمنين ، فنظر اليه (ع) نظر مغضب ثم قال له : يا شريح اما انه سيأتيك من لا ينظر في كتابك ولا يسألك عن بينتك حتى يخرجك منها شاخصاً ويسلمك إلى قبرك خالصاً . فانظر يا شريح لا تكون ابتعت هذه الدار من غير مالك او نقدت الثمن من غير حلالك فاذا انت قد خسرت دار الدنيا ودار الاخرة "[2] ان كلام الامام فضلاً عن بعده التوجيهي فانه يثبت مبدأ الرقابة الدقيقة للوضع المالي للقضاة ، ومساءلتهم عن تصرفاتهم المالية التي قد تكون ذات علاقة بالمال العام او مصدر ذلك المال .

ثانياً : تحقيق الكفاية المادية والاقتصادية لمن يتولى مركز القضاء من جميع النواحي لينقطع الطمع من نفسه فيجلس للقضاء وليس في ذهنه شيء من احلام الثروة والمال او يلقي خوف الفقر بظلاله على فكر وسلوك القاضي ، لذلك فان الامام يقول: " لا بد قاضٍ ورزق للقاضي "[3] وقد اجزل الامام العطاء لولاته الذين يؤدون وظائف القضاء ورفع حاجتهم الاقتصادية[4] كما

---

1 – النوري ، مصدر سابق ، ج17 ، ص343 ؛ حسن القبانجي ، مصدر سابق ، م6 ، ص481–484 .

2 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، كتاب 3، ص460– 461 .

3– حسن القبانجي ، مصدر سابق ، م6 ، ص496 .

4 – ينظر : القرشي ، موسوعة امير المؤمنين ، مصدر سابق ، ج9 ، ص28 ، وما بعدها.

كان الامام سخياً مع القضاة اذ " ان شريحاً رحمه الله كان يأخذ كفايته من بيت المال على ما روى وان عمر (رضي الله عنه) كان يرزقه مائة درهم على القضاء فزاده علي (رضي الله عنه) وذلك لكثرة عياله حتى جعل له في كل شهر خمسمائة درهم "[1] ، واذا ما استذكرنا موقف الامام الحازم في حياته من اموال المسلمين ، والتي اشرنا إلى شذرات منها سابقاً ، فان هذا يعطينا دلالة واضحة على حق القضاة بالاكتفاء الاقتصادي التام .

وحمل الامام الدولة مسؤولية الكفاية الاقتصادية للقضاة وذلك ينسجم مع ما دعا اليه الامام علي (ع) من مجانية الترافع امام القضاء والحصول على الحكم القضائي فـ " لما كانت اقامة العدل بين الناس من اهداف الدولة الاسلامية ، فان الفقه الاسلامي ينص بأن لا يقام أي حائل بين صاحب الحق والحصول على حقه ، ولذلك فأن المتقاضيين لا يدفعان للقاضي ولا للدولة شيئاً من المال للحصول على الحكم الذي يفصل الخلاف بينهما"[2] .

ان تأكيد الامام على ضرورة تحقيق اكتفاء مادي ومستوى اقتصادي جيد للقضاة انما كان لازالة أي تبرير او تسويغ او دافع

لاخذرشوة في الحكم ، حيث عد الامام الرشوة باثارها السلبية اداة لتحطيم المجتمع وقيمه ،ولاسيما في مجال القضاء ، اذ يقول (ع) : " انما اهلك من كان قبلكم انهم منعوا الناس الحق فاشتروه [3] وحين سئل عن تفسير قوله تعالى {سماعون للكذب اكالون للسحت فان جاءوك فاحكم بينهم او اعرض عنهم} [4] . قال

---

1 – شمس الدين السرخسي ، مصدر سابق ، ج51 ، ص7 .

2– الصلابي ، مصدر سابق ، ص338 .

3 – الشريف الرضي (الجامع)،نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، كتاب 79 ، ص600 .

4 – سورة المائدة / جزء من الآية 42 .

(ع) : " السحت في الاية الرشا ، فقيل له في الحكم ؟ قال ذاك الكفر " [1] ، ويعد الامام انتشار الرشوة هي دلالة مهمة على فساد نظام الحكم السياسي حتى انه انتقد قادة الحكم الاموي بوصفه اياهم : " اكلة الرشا وعبيد الدنيا " [2] ان تحقيق الامن الاقتصادي للقاضي ليس كل ما طالب به الامام لمنصب القضاء انما هناك بعد ثالث وهو الحفاظ على المكانة المعنوية .

ثالثاً : تعزيز المكانة المعنوية للقاضي ، ان القاضي في رؤية الامام علي (ع) "انسان يخاف على ماله ان ينهب ويخاف على مكانته ان تذهب ، ويخاف على كرامته ان تنال ، ويخاف على حياته ان يتعدى عليها بعض من حكم عليهم من الاقوياء ، فاذا لم تكن لديه ضمانات تؤمنه من كل ذلك اضطره الخوف الى ان يصانع القوي لقوته والثري لثروه ، وحينئذ يطبق القانون من جهة واحدة يطبق على الفقراء والضعفاء الذين يؤمن جانبهم ، هذا الخوف ينشأ من عدم تأمين مركز القضاء وصيانته ضد الشفاعات وينشأ من زجه في المساومات السياسية وغيرها وحينئذ تكفي كلمة من قوي او غني لسلب القاضي مركزه ومكانته . هذه الناحية وعاها الامام (ع) واعد لها علاجاً فيجب ان يكون القاضي ، لكي يأمن ذلك كله، من الحاكم بمكانة لا يطمع فيها احد غيره ولا تتاح لاحد سواه ، وبذلك يأمن دس الرجال له عند الحاكم ويثق بمركزه وبنفسه وتكسبه منزلته هذه رهبة في قلوب الاشرار

---

1 – القرشي ، موسوعة امير المؤمنين ، مصدر سابق ج3 ، ص65 . وكذلك ينظر : النوري ، مصدر سابق، ج17 ، ص354 ؛ حسن القبانجي ، مصدر سابق ، م6 ، ص495 – 496 .

2– المحمودي ، مصدر سابق ، ج5 ، ص250 .

يقوى بها على حملهم على الحق وردهم اليه حين ينحرفون عنه ويتمردون عليه" [1] .

لقد اعلى الامام من شأن القاضي العادل في نظر المجتمع اذ يقول (ع) : "اعدل الخلق اقضاهم بالحق " [2] ، ومن علامات [3]

النبل العمل بسنة العدل " ، وهذا بعد اخر في صيانة منصب القضاء وفرض احترامه على كافة افراد الامة .

فضلاً عما دعا اليه الامام من اهمية حق التقاضي وشروط القاضي ومتطلبات صيانة منصب القضاء فأنه (ع) قد صاغ جملة من المبادئ التي يجب ان تحكم (التقاضي) لكي يستقيم وصفه كحق من حقوق الانسان ، ولعل من اهم تلك المبادئ :

اولاً – العدل :

طالب الامام بضرورة تحقيق وترسيخ العدالة في القضاء ، اذ يقول(ع) " اعدلوا اذا حكمتم "[4] ، ويوصي الامام قضاته قائلاً: " ليكن احب الامور اليك اعمها في العدل واقسطها بالحق "[5] ويقول ايضاً : "رحم الله امرءاً أحيا حقاً وأمات باطلاً ودحض الجور واقام العدل "[6] .

---

1 – محمد مهدي شمس الدين ، دراسات في نهج البلاغة ، مصدر سابق ، ص65 . وحول هذه الفكرة ينظر ايضاً : نوري جعفر ، فلسفة الحكم عند الامام ، مصدر سابق ، ص58 .

2 – الواسطي ، مصدر سابق ، ج2 ، ص119 .

3 – مدير ، مصدر سابق ، ج2 ، ص484 . وفي سبيل الاعلاء من شأن القاضي ومنصب القضاة، قال الامام حيث بلغه ان شريحاً يقضي في بيته فقال : " يا شريح اجلس في المسجد فانه اعدل بين الناس وانه وهن بالقاضي ان يجلس في بيته". النوري ، مصدر سابق ، ج17 ، ص349.

4– المجلسي ، مصدر سابق ، ج56 ، ص117 .

5– مدير ، مصدر سابق ، ج2 ، ص286 .

6 – الواسطي ، مصدر سابق ، ص261 .

اما صور المساواة في العدالة القضائية التي عكسها الامام سواء بموروثه النظري او لسلوكه العملي فهي :

1 . المساواة بين الخصمين في السلام ، " فلا يجوز للقاضي ان يخص احدهما بالسلام ويعرض عن الاخر ، وفي حال تأديتهما للسلام يجب عليه رد السلام عليهما "[1] .

2 . المساواة بين الخصمين في الكلام " فليس له ان ينطلق في كلامه مع احدهما ويسكت عن الاخر"[2] .

3 . المساواة في الاذن لدخول باحة القضاء:ف "ليس له ان يأذن لشخص ويحجب الاخر"[3] .

4 . المساواة بين الخصمين في التكريم " فاذا قابل احدهما بالقيام تكريماً لزمه ان يقوم للاخر"[4] .

5 . المساواة بين الخصمين في المجلس " فلا يجوز له ان يرفع احدهما في المجلس على صاحب بل يتساويان في الجلوس بين يديه"[5] .

6 . المساواة بين الخصمين " في طلاقة الوجه"[6] .

7 . " الانصات لكلا الخصمين ... وان يستعمل الانصاف والعدل بينهما كما يستحب للقاضي ان يسوي بينهما حتى في الميل القلبي " [7] . لقد دعا الامام

---

1 – القرشي ، النظام السياسي في الاسلام ، مصدر سابق ، ص185 .

2– المصدر السابق ، ص185 .

3– المصدر السابق ، ص185 .

4– المصدر السابق ، ص185 .

5– المصدر السابق ، ص185 .

6– المصدر السابق ، ص185 .

7 – المصدر السابق ، ص185 ، وللدلالة العملية على المساواة العلوية في العدالة القضائية نورد جملة من المواقف والاقوال منها ما استعدى رجل على علي بن ابي طالب عمر بن الخطاب وعلي جالس فالتفت عمر اليه فقال قم يا ابا الحسن ، فاجلس مع خصمك فقام فجلس معه وتناظرا ثم انصرف الرجل ورجع علي(ع) الى مجلسه فتبين عمر التغير في وجهه ، فقال يا ابا الحسن ما لي اراك متغيراً ؟ اكرهت ما كان قال : نعم وما ذاك ؟ قال كنيتني بحضرة خصمي هلا قلت ، قم يا علي فاجلس مع خصمك" ، الهمداني ، مصدر سابق ، ص678 ؛ وحين تخاصم الامام في مدة خلافته مع شخص من اهل الذمة" وذهب المتخاصمان إلى المحكمة وما ان رأى القاضي امير المؤمنين علياً (رضي الله عنه) حتى قام من مجلسه ، وقال : اهلا يا ابا الحسن ورحب به ترحيباً حاراً ولم يفعل مثل ذلك مع خصمه الذمي ، فوجه اليه امير المؤمنين ما هز كيانه واعاد اليه صوابه وذكره بواجبه قال هذا اول ظلمك" . الخراساني ، خصائص الاسلام ، مصدر سابق، ص377 ، ويقول لاحد قضاته" واس بين المسلمين بوجهك منطقك ومجلسك حتى لا يطمع قريبك في حيفك ولا ييأس عدوك من عدلك " الكليني ، مصدر سابق ، ج7 ، ص155 . وقد " نزل على علي بن ابي طالب ضيف فكان عنده اياما فاتى في خصومة فقال له علي اخصم انت ؟ قال : نعم، قال : فارتحل منا فانا نهينا ان ننزل خصماً الا مع خصمه وعن علي بن ابي طالب(ع) قال: " كان النبي (صلى الله عليه وآله) لا يضيف الخصم الا وخصمه معه" ، البيهقي ، مصدر سابق، ج1 ، ص184 .

إلى المساواة القضائية بين الخصوم بغض النظر عن منصبهم السياسي وقدم الامام(ع) المثال العملي لذلك في قضية الزرع والذمي [1] . وكان (ع) يقول : " من افضل الاختيار واحسن الاستظهار ، ان تعدل في القضاء وتجريه في الخاصة والعامة على السواء " [2] وروي انه لما صدر حكماً قضائياً ضد أحدزعماء القبائل غضب قومه لذلك فاجاب الامام المعترضين على هذه العدالة القضائية : "وانها لكبيرة الا على الخاشعين ... وهل هو الارجل من المسلمين انتهك حرمة من حرم الله ؟ فأقمنا عليه حداً كان كفارته ! ان الله تعالى يقول: {ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى} [3] " [4] ، وقد [5]

رفض الامام التوظيف السياسي للقضاء ، اذ يوصي (ع) كل قاض من قضاة الامة قائلاً: "عليك بالعدل في الصديق والعدو"

.

---

1 – للاطلاع على القصة الكاملة لهذه الحادثة ينظر : ابن كثير ، البداية والنهاية ، مصدر سابق ، ج8 ، البيهقي ، مصدر سابق ، ج1 ، ص136 .

2– مدير ، مصدر سابق ، ج2 ، ص471 .

3 – سورة المائدة / الآية 8 .

4 – الميناجي ، مواقف الشيعة ، مصدر سابق ، ج1 ، ص56 .

5 – مدير ، مصدر سابق ، ج2 ، ص42 . المحمودي ، مصدر سابق ، ج7 ، ص474 . واصر الامام علي على اقامة الحد على اخ عثمان لامه الوليد بن عقبة –زمن ولاية اخيه – فقام على فضوبه الحد الشرعي بعد ان صلى عقبة بالناس الغداة وهو سكران .ينظر : اليعقوبي ، مصدر سابق ، ج2 ، ص164 .طه حسين ، مصدر سابق ، ج2 ، ص ص67 – 95 .

ورفض ان يكون القضاء اداة للانتقام اذ ورد عنه (ع) قوله " اعدل الناس من انصف من ظلمه "[1] لذلك قال الامام الحسن " يرحم الله علياً ما استطاع عدوه ولا وليه ان ينقم عليه في حكم حكمه "[2] وقد حذر الامام في ان يؤثر البعد العاطفي رهبة او رغبة في نفس القاضي او جهاز القضاء نحو جهة محددة او شخص معين حتى " جاء احدهم إلى علي فقال: يا امير المؤمنين يأتيك الرجلان انت احب إلى احدهما من اهله وماله والاخر لو يستطيع ان يذبحك لذبحك ، فتقضي لهذا على هذا ؟ قال الامام : ان هذا شيء لو كان لي لفعلت ولكن انما ذا شيء لله "[3] وكان (ع) يقول: "المؤمن لا يحيف على من يبغض"[4] .

وقد نبه الامام القاضي من ان لا تكون أي علاقة او صلة قربى سبباً لتخفيف الحكم عن شخصاً ما او التشديد على آخر من غير وجه حق ، اذ يقول(ع) : " اقم الحدود في القريب يجتنبها البعيد "[5] و" لا تمنعكم رعاية الحق لاحد من اقامة الحق عليه "[6] .

ولقد اكد الامام علي ضرورة تحقيق العدل القضائي لاصحاب الديانات الاخرى في ظل الدولة الاسلامية ،وكان الامام (ع) يوصي: "واشعر قلبك الرحمة لجميع الناس والاحسان اليهم ولا تتلهم حيفاً ولا تكن عليهم سبعاً"[7] ، وقد لجأ الامام إلى القضاء حين كان خليفة معرعايا الدولة من

---

1 – الواسطي ، مصدر سابق ، ص116 .

2 – البلاذري ، انساب الاشراف ، مصدر سابق ، ص 153 . وقال ابن ملجم موجهاً كلامه للامام الحسن ، "ان كان ابوك ليقول الحق ويقضي به في حال الغضب والرضى" ؛ اليعقوبي ، مصدر سابق ، ج2 ، ص214 .

3 – ابن كثير ، البداية والنهاية ، مصدر سابق ، ص473 .

4– ابن سلامة ، مصدر سابق ، ص19 .

5– المصدر السابق ، ص68 .

6– مدير ، مصدر سابق ، ج2 ص197 .

7– المصدر السابق ، ج1 ، ص125 .

اصحاب الديانات الاخرى سواءً كانوا يهوداً او نصارى [1] . وكان النظام القضائي في عهد دولة الامام يساوي بين رعايا الدولة مع مراعاة الخصوصية الدينية لهم [2] حتى روي انه (ع) " كان يستحلف اليهود والنصارى في كنائسهم والمجوس في بيوت نيرانهم " [3] ، ولعل من اهم سبل تدعيم العدالة القضائية هو المبدأ الثاني الذي دعا اليه الامام (ع) وهو تقنين الجرائم والعقوبات .

ثانياً– تقنين الجرائم والعقوبات

يعد هذا المبدأ مطلباً مهماً للفئات الاجتماعية المضطهدة وقد رفع كشعار لمنع التحكم الكيفي وازال العقوبات الانتقامية بالناس ،ولاسيما ضد المعارضين منهم للانظمة الحاكمة . وقد قضى هذا المبدأ من جهة بعدم اعتبار تصرف ما جريمة يعاقب عليها الا بنص قانوني ، كما ويمنع ازال عقوبة باحد من الناس لم ينص عليها القانون ايضاً كجزاء على فعل ارتكبه . ومن جهة ثانية ، قضى بأن لا يعد تصرف ما جرماً او يسمح بازال عقوبة على اساس قانون لاحق، وذلك ليكون الانسان عندما يتصرف على بينة من قانونية او عدم قانونية تصرفه وليحظر على الحاكم ان يصدر قوانين تعاقب على افعال لم تكن تعد من الجرائم عند اتيانها او توقع عقوبات معينة على جرائم لم تكن توقع على مرتكبيها من قبل [4] .

---

1 – حول هذه المواقف والحوادث ينظر : النووي ، المجموع ، مصدر سابق ، ج2، ض129 . ابن عساكر ، مصدر سابق ، ج24 ، ص487 ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية، مصدر سابق ، ج8 ، ص5 .

2 – حول بعض تفاصيل الخصوصية القضائية ينظر : الكليني ، مصدر سابق ، ج7 ، ص215 .

3– لجنة الحديث ، سنن الامام علي ، مصدر سابق ، ص486 .

4– طي ، مصدر سابق ، ص117 .

ان هذا المبدأ نجده عند الامام علي غاية في الوضوح اذ ان الجرائم هي المحددة بالقانون الالهي وكذلك العقوبات ،ولا يمكن لاحد ان يستحدث جرائم من ذاته ليصور عليها عقوبات بهواه ، لان في ذلك تعدياً لحدود الله (ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون) [1] اذ يقول الامام(ع) : " من قضى في درهمين بغير ما انزل الله فقد كفر " [2] واستند الامام إلى القرآن في كل

حركاته وسكانته عموماً ، وفي القضاء خصوصاً ، وكذلك كان اعتماده (ع) على السنة النبوية حتى قيل : " لا تجد علياً (ع) يقضي بقضاء الا وجدت له اصلاً في السنة "[3] .

ويحدد الامام(ع) مبدأ ثبات القوانين وعلويتها كونها تستند إلى الشريعة الاسلامية مع مراعاة خصوصية الاجتهاد في ما يمكن الاجتهاد به ، اذ يقول(ع):"لو اختصم الي رجلان فقضيت بينهما ثم مكثا احولاً كثيرة ثم اتياني في ذلك الامر لقضيت بينهما قضاء واحداً لأن القضاء لا يحول ولا يزول ابداً "[4] ويروي ان الامام (ع) قال : " اوصيك بسبع هن من جوامع الاسلام [ويحدد الامر السابع قائلاً]...ولا تقض في امر واحد بقضاءين مختلفين فيختلف امرك وتزيغ عن الحق "[5] .

وانتقد الامام بشدة حالة الفوضى القضائية او التفاوت في اصدار الأحكام وضعف السلطة الحاكمة حينما قال : " ترد على احدهم القضية في حكم من الاحكام فيحكم فيها برأيه ، ثم ترد تلك القضية بعينها على غيره

---

1 – سورة البقرة / الاية 229 .

2– المجلسي ، مصدر سابق ، ج28 ، ص104 .

3 – محمد كاظم القزويني ، مصدر سابق ، ج9 ، ص512 ، وحول الحدود التي اوضحها الامام للقضاة وابناء الامة كاسلوب لنشر الوعي القانوني ينظر : لجنة الحديث ، سنن الامام علي ، مصدر سابق ، ص ص486 –500 .

4 – المفيد ، الارشاد ، مصدر سابق ، ص287 ؛ محمد كاظم القزويني ، مصدر سابق ، ج9 ، ص512 .

5– الطوسي ، الامالي ، مصدر سابق ، ص30 .

فيحكم فيها بخلاف قوله ، ثم يجتمع القضاة بذلك عند امامهم الذي استقضاهم ، فيصوب آراءهم جميعاً والههم واحد ونبيهم واحد وكتابهم واحد "[1] .رفض الامام ان تكون نظرة القاضي معيار الواءة والتجريم بل اكد علوية القانون الالهي في المجتمع الاسلامي وقد روي عن الامام (ع) قوله لاحد القضاة : " دع عنك ، اظن وحسب ورأى "[2] .

ثالثاً – تطوير القضاء :

اكد الامام ضرورة سعي الحكام والقضاة ومفكري المجتمع وفقهائه لتطوير القضاء كي يستجيب لمتطلبات المجتمع وردع الجريمة وتثبيت الحقوق وذلك استناداً إلى فهم صحيح للشريعة الاسلامية وتحقيق مقاصدها ، ويمكن عد هذه المسألة بمثابة المبدأ الثالث للقضاء الذي سعى الامام (ع) الى تطويره وترسيخه . ويمكن ان نجد هذا المبدأ بوضوح في السيرة العملية للامام ، اذ نلاحظ تطور القضاء في عهده اذ " كان الامام المجدد الامثل لمفاهيم المجتمع العربي والمطور الافضل للمجتمع الاسلامي والمفسر الاعظم لبواطن الشريعة ووضعها مواضعها مما يلائم الظروف على صعيد التطور ومسايرة الزمن على مدى التقدم"[3] فهو (ع) اول من فرق بين الشهود[4] .

---

1 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، خطبة 18 ، ص53–54 ، وتستمر الخطبة اذ يقول : " افأمرهم الله سبحانه وتعالى بالاختلاف فاطاعوه ام نهاهم عنه فعصوه ! ام انزل الله سبحانه ديناً ناقصاً فاستعان بهم على اتمامه ام كانوا شركاء له فلهم ان يقولوا وعليه ان يرضى ؟ ام انزل الله سبحانه ديناً تاماً فقصر الرسول (صلى الله عليه وآله) عن تبليغه وادائه ؟والله سبحانه يقول (ما فرطنا في الكتاب من شيء) وفيه تبيان لكل شيء وذكر ان الكتاب يصدق بعضه بعضا وانه لا اختلاف فيه فقال سبحانه (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) وان القرآن ظاهره انيق وباطنه عميق لا تفنى عجائبه ولا تنتهي غرائبه ولا تكشف الظلمات إلا به .

2 – النوري ، مصدر سابق ، ج17 ، ص347 .

3– محبوبة ، مصدر سابق ، ص429 .

4 – محمد التسترى ، مصدر سابق ، ص15 . الهمداني ، مصدر سابق ، ص ص680 –681 .

واثبت محاضر التسجيل [1] ناهيك عن وضع الامام بعض العلوم الاخرى مثل علم النفس والبايولوجي والرياضيات وغيرها من العلوم في خدمة العملية القضائية وتحقيقاً للعدالة في المجتمع [2] ، " فضلاً عن ذلك كان الامام اول من اسس ديوان "متابعة المظالم" [3] وكان هدفه " النظر في الشكاوى التي يرفعها المواطنون ضد الولاة والحكام اذا انحرفوا عن طريق الحق وجاروا على الرعية ، وسلبوهم حقوقهم المادية والمعنوية " [4] وفي ذلك كله تأكيد دعوة الامام ضرورة تطوير القضاء وتقديم أفضل اداء ممكن لازالة الظلم .

رابعاً – اداب القضاء :

بالرغم من رؤية الامام المليئة بالتقدير والاحترام للمؤسسة القضائية ودورها الحيوي في المجتمع والدولة ، إلا ان الاولوية ظلت لاحترام الانسان حتى ان كان ذلك الانسان متهماً في رؤيته (ع) او مذنب ، فقد روي ان امير المؤمنين(ع) ولى ابا الاسود الدؤلي القضاء ثم عزله فقال له : لم عزلتني وما خنت ولا جنيت ؟ فقال (ع) : انيرأيت كلامك يعلو كلام الخصم [5] " . ويقول معلماً القضاة – من خلال وصاياه للقاضي شريح – : "رد اليمين على المدعي مع بينة فأن ذلك اجلى للسعي واثبت في القضاء واعلم ان المسلمين عدول بعضهم على بعض الا مجلوداً في حد لم يتب منه او

---

1 – محمد التسترى ، مصدر سابق ، العزيزي ، مصدر سابق ، ص89 .

2 – ينظر : هذه التطورات من سيرة الامام العملية الواردة في التسترى ، مصدر سابق ، ص35،ص221 . حسن القبانجي ، مصدر سابق ، م6 ، ص ص505 – 535 .القرشي ، موسوعة امير المؤمنين ، مصدر سابق ، ج9 ، ص ص33 – 102 .

3– الطائي ، مصدر سابق ، م3 ، ج6 ، ص8 .

4– المصدر السابق، م3 ، ج6 ، ص80 .

5 – النوري ، مصدر السابق ، ج17 ، ص359 ؛ حسن القبانجي ، مصدر سابق ، م6 ، ص481 .

معروف بشهادة زور او ظنين واياك والتضجر والتأذي في مجلس القضاء الذي اوجب الله فيه الاجر ويحسن فيه الذخر لمن قضى بالحق" [1] ،واكد الامام ضرورة الرعاية الانسانية للمتقاضين اذ يقول (ع) لاحد القضاة : " لا تسار احد في مجلسك " [2] .

ويرفض الامام علي ان تكون حقوق الناس خاضعة لمؤثرات نفسية او ذاتية للقاضي ، فيجب ان لا يكون القاضي في حالة الحكم مشغول الفكر بأمور الدنيا،ولا بمرض يشغله عن الالتفات إلى الحكم وموازينه ،وان لا يقضي وهو غضبان او قلق وان يكون على سكينة ووقار [3] .

ويؤكد الامام علي (ع) على جملة من حقوق الانسان التي يجب ان تراعى من قبل المؤسسة القضائية في تعاملها مع الانسان لعل من اهمها :

1 .ان لا يحكم عليه الا بعد محاكمة عادلة تملك البينة ضده وكفلت له حق الدفاع عن نفسه ، اذ يقول (ع) : "ان الحدود لا تستقيم إلا على المحاجة والمقاضاة واحضار البينة " [4] . ويروي الامام عن الرسول (صلى الله عليه وآله) قوله – ذلك ما يؤكد حق الدفاع عن النفس – " اذا تقاضى اليك رجلان فلا تقضي للاول حتى تسمع كلام الاخر " [5] . لذلك نرى إن الامام ، اكد مسألة الشهادة

---

1 – الكليني ، مصدر سابق ، ج7 ، ص412 . الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، مصدر سابق ، ج18 ، ص155. حسن القبانجي ، مصدر سابق ، م6 ، ص ص479 –480.

2– الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، مصدر سابق،ج18،ص156؛حسن القبانجي ، مصدر سابق ، م6، ص480.

3 – القرشي ، موسوعة امير المؤمنين ، مصدر سابق ، ج9 ، ص27 . اذ يقول (ع) " ان غضبت فقم فلا تقضي وانت غضبان " . " لا تقضي وانت غضبان ولا من من النوم سكران " ؛ مدير ، مصدر سابق ، ج2ص190 . "لا تقعدن في مجلس القضاء حتى تطعم " وقوله لا يقضي القاضي "وهو غضبان مهموم ولا مصاب محزون ، [وان] لا يقضي الا وهو شبعان ريان " . الشهيد الثاني ، مسالك الافهام ، مصدر سابق، ج31 ، ص380 .

4 – ابن داوود الدينوري ، الاخبار الطوال ، مصدر سابق ، ص130 .

5– ابن حجر العسقلاني ، سبل السلام ، مصدر سابق ، ج4 ، ص120 .

ومحددات قبولها او ردها والتأكد من مصداقيتها ونوعية الشهود والتغليظ على عقوبة شهادة الزور سواء في الدنيا عن طريق القضاء العادل ام في اثارها الاخروية [1] .

[2]

وقدم الامام في تجربته القضائية نموذجاً للتريث والاستقصاء والاستكشاف قبل صدور الحكم . فيقول (ع) : " ادرؤا الحدود بالشبهات ولا شفاعة ولا كفالة ولا يمين في حد "[3] و" اذا كان في الحد لعل وعسى فالحد باطل "[4] ، وقد حدد الامام مبدأ غاية في الاهمية في عدم جواز القصاص قبل الجناية وعدم الاخذ على التهمة ، والعقوبة على الظن[5] .

وانسجاماً مع خط العدالة القضائية اكد الامام على مسألتين :

المسألة الاولى – منع اللجوء إلى وسائل غير مشروعة في التحقيق مع المتهمين ولاسيما التعذيب الجسدي والنفسي اذ يقول (ع) : " لا تعذبوا خلق الله "[6] و " من نظر إلى مؤمن نظره ليخيفه بها اخافه الله يوم لا ظل الا

---

1 – حول نظرة الامام للقيمة القانونية للشاهد والشهادة ، ينظر : لجنة الحديث ، سنن الامام علي ، مصدر سابق ، ص ص480 – 487 ؛ الشافعي ، المسند ، مصدر سابق ، ص276 . البيهقي ، مصدر سابق، ج1 ، ص184 ، ص251 .ومما يذكر في هذا الصدد ان القضاة في عهد الامام " استشاروه في شهادة الخوارج بالبصرة فأمر بقبولها كما كانت تقبل قبل خروجهم عليه "؛ الجندي ، مصدر سابق ، ص314 ، وحول شهادة الزور وتغليظ الامام على صاحبها ، ينظر : الحر العاملي، وسائل الشيعة ، مصدر سابق ، ج81 ، ص166. لجنة الحديث ، سنن الامام علي ، مصدر سابق، ص483 . وكذلك فان الامام فرض ان يبنى القضاة احكامهم على البينات والدلائل المادية الملموسة حول سمات هذا المبدأ ينظر : حسن القبانجي ، مصدر سابق ، م6، ص ص482– 486.

2 – محمد التستري ، مصدر سابق ، ص17 ، ص ص20 – 21 ، ص37 ، ص57 .

3– الحر العاملي ، الفصول المهمة ، ، مصدر سابق ، ج2 ، ص513 .

4 – النوري ، مصدر سابق ، ج18 ، ص25 .

5– حول هذا المبدأ ينظر: المحمودي ، مصدر سابق ، ج2 ، ص485 .

6 – المتقي ، مصدر سابق ، ص108 .يروى عن الامام (ع) قال : " ابغض الخلق الى الله عز وجل من جرد ظهر مسلم بغير حق" النوري ، مصدر سابق ، ج18 ، ص215 .ويقول عليه السلام : " من ضرب رجلاً ظلماً بسوط ضربه الله تعالى بسوط من نار" ، المصدر السابق ، ج18 ، ص216 .

ظله وحشره في صورة الذر"[1] . ويؤكد الامام النتيجة القضائية المهمة انه " من اقر عند تجريد او حبس او تخويف او تهديد فلا حد عليه "[2] .

اما المسألة الثانية: فتتضمن مبدأ شخصية العقوبة ، اذ اعلنها على الملأ صريحة بقوله (ع) : "لا يرجون عبد الا ربه ،ولا يخافن الا ذنبه "[3] ويأمر (ع) قضاته بالحفاظ على هذا المبدأ قائلاً : " لا تأخذوا احداً بأحد الا كفيلاً عمن كفل عنه "[4] وقد جسد الامام هذا المبدأ القضائي المهم وهو على فراش الشهادة اذ اوصى الامام الحسن (ع) قائلاً: " اياك ان تقتل بي غير[5]

قاتلي" .

2 –امكانية تجاوز اخطاء القضاء : على الرغم من دقة اختيار القضاة ورعاية المؤسسة القضائية التي دعا الامام إلى تحقيقها في المجتمع فان ذلك لم يمنعه (ع) من التطرق إلى احتمالية خطأ القضاء والذي عده الامام من الاخطاء الجسيمة، اذ تتحول السلطة القضائية من وسيلة لاقامة العدل إلى اداة لافشاء الظلم إذ يقول(ع) : "افضع شيء ظلم القضاة[6] بل ان "البهتان على الوزير

1– لجنة الحديث ، سنن الامام علي ، مصدر سابق ، ص274 .

2 – الحر العاملي ، الفصول المهمة ، مصدر سابق ، ج2 ، ص ص403 –404 . ويروى انه لما كان في ولاية عمر اتى اليه بأمرأة فسالها فاقرت بالفجور فأمر بها ان ترجم فلقيها علي(ع) فقال : ما بال هذه ؟ قيل له: امر بها عمر ان ترجم فردها علي (ع) فقال امرت بهذه ان ترجم ؟ فقال : نعم اعترفت عندي بالفجور000 قال علي (ع) فلعلك انتهرتها او اخفتها قال : قد كان ذلك قال : اما سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول:(لا حد على معترف بعد بلاء) فلعلها اعترفت لوعيدك اليها "؛ يحيى بن الحسين،مصدر سابق ، ج2،ص220 .

3– المجلسي ، مصدر سابق ، ج57 ، ص8 .

4 – المتقي ، مصدر سابق ، ص108 .

5– المحمودي ، مصدر سابق ، ج2 ، ص741 .

6– مدير ، مصدر سابق،ج1،ص164 .الواسطي ، مصدر سابق ، ص419 .

اعظم من السماء "[1] ، اما اهم الاساليب التي طرحها الامام لتجاوز اخطاء القضاء فهي:

أ– تنبيه القضاة إلى مراجعة احكامهم وعرضها على الشريعة الاسلامية وضرورة العودة للحق والتراجع عن الزلل الخاطئ اذ يجب على القاضي على وفق رؤية الامام ان " لا يتمادى في الزلة ولا يحصر من الفئ الى الحق اذا عرفه "[2] ويقول (ع) : " اجور الناس من عد جوره عدلاً منه "[3]

ب – لم يتسامح الامام مع اخطاء القضاة والظلم باسم القضاء لذلك ، وكأسلوب علاجي لمنع هذه النتيجة واثارها ، شكل (ع) ما يمكن عده اول محكمة تمييز للقرارات القضائية على وفق ما ذكره كاتب معاصر اذ يقول : "كان علي بن ابي طالب (ع) قبل توليه الخلافة يمثل ما تمثله اليوم محاكم التمييز التي تملك الحق في ارام الاحكام ونقضها "[4] . وعد الامام وجود اخطاء في القضاء دليل على سلبية الحكم[5] لذلك حين كان بعض الخلفاء " يصدر احكاماً في قضايا معينة وهو يظن انه فصل فيها وفقاً لكتاب الله وسنة نبيه محمد (صلى الله عليه وآله) كان علي (ع) يملك سلطة التدخل ووقف تنفيذ الحكم الصادر عن الخليفة ثم تعاد القضية إلى المناقشة ليدلي فيها علي برأيه وقضائه "[6] ويبدو ان ما كان يمارسه الامام (ع) هو تأكيد لحق

المحكوم عليهم بتمييز الاحكام الصادرة ضدهم امام جهة ذات امكانية علمية وقدرة قضائية اسمى

1- المجلسي ، مصدر سابق ، ج57 ، ص31 .

2 - الشريف الرضي (الجامع) ، تعليق وفهرسة ، د. صبحي ، مصدر سابق ، كتاب 53 ، ص556 - 557 .

3 - الريشهري ، ميزان الحكمة ، مصدر سابق ، ج2 ، ص1775 .

4- محمد باقر الحكيم ، مكانة اهل البيت ، مصدر سابق ، ج1 ، ص199 .

5- ينظر : اليعقوبي ، مصدر سابق ، ص173 .

6 - المصدر السابق ، ج1 ، ص215 ،والى هذا الرأي ذهب الكاتب عبد الرحمن الشرقاوي ، ينظر: الشرقاوي، مصدر سابق ، ج1 ، ص106 -107 . اما حول امثال هذه الحالات التي تدخل فيها الامام . ينظر : الصنعاني ، مصدر سابق ، ج7 ، ص350 ، النجمي ، مصدر سابق ، ص118 .

من الجهة المصدرة للاحكام ، فيقول الامام علي (ع): " لا عدل افضل من رد المظالم "[1] وان " احسن العدل نصرة المظلوم "[2]

جـ - ضمان اخطاء القضاة من الدولة : لقد وضع الامام قانوناً غاية في الاهمية يقضي بأنه على الدولة ضمان اخطاء القضاة بحيث تدفع ما يستحق للمظلوم او لاوليائه في الدم والقطع والعقوبات الاخرى ، فقد " قضى امير المؤمنين (ع) ان ما اخطأت القضاة في دم او قطع فعلى بيت مال المسلمين "[3] وهذا يدلل على ضرورة وجود هيئة ترفع الظلم وتقدر الضرر وتحكم به وذلك صيانة لحقوق الانسان من الضياع .

3 - احترام حقوق المحبوسين والمذنبين :

ان ارتكاب الخطأ او اقتراف الجريمة لا يجرد الشخص من كامل حقوقه ، على وفق رؤية الامام علي (ع) لذا نلاحظ انه وضع جملة من الحقوق التي يجب ان يتمتع بها المذنب سواء قبل او بعد ادانته من قبل القضاء العادل ، ولعل من اهم تلك الحقوق :

أ- التعجيل بمحاكمته ،والدقة في تنفيذ الاحكام الصادرة بحقه ، ذلك ان من اهم حقوق المتهم الاسراع في عملية محاكمته وادانته اذا ثبت عليه الجرم ،وان الامام(ع) " كان يعرض السجون في كل يوم جمعة فمن كان عليه حد اقامة ومن لم يكن عليه حد خلى سبيله "[4] ويقول(ع) : " الحبس بعد الحد ظلم "[5] و " "الحبس بعد معرفة الحق ظلم "[6]

---

1 - مدير ، مصدر سابق ، ج2 ، ص211 . ويقول (ع) "من لم ينصف المظلوم من المظالم عظمت اثامه" ، المصدر السابق ، ج2 ، ص459 .

2- الواسطي ، مصدر سابق ، ص113 .

3 - الكليني ، مصدر سابق ، ج7 ، ص354 ؛ الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، مصدر سابق ، ج19 ، ص111؛ حسن القبانجي ، مصدر سابق ، م6 ، ص487 .

4- حسن القبانجي ، مصدر سابق ، م6 ، ص487 .

5 - النوري ، مصدر سابق ، ج18 ، ص36 .

6 - الريشهري ، ميزان الحكمة ، مصدر سابق ، ج1 ، ص526 .

واكد الامام ضرورة عدم الجنوح نحو القسوة غير المبررة في اصدار العقوبات اذ يروي عنه قوله لبعض قضاته : " حصن عقوبتك من الافراط"[1] . ويجب ان لا يؤدي تنفيذ العقوبة إلى ضرر اكبر من الحد المطلوب او يسبب اضرار جانبية تلحق بالمذنب ،وان لا يكون هناك تعسف في تنفيذ العقوبة[2] .

ويؤكد الامام (ع) ضرورة تعميم فلسفة العفو وفتح باب التوبة امام المذنبين اذ يقول : " لا تندمن على عفوك ولا تتبجحن بعقوبة"[3] ،وحين كاتبه احدولاته بأن احد المجرمين اعلن توبته لكنه " حارب الله ورسوله وسعى في الارض فساداً فكتب اليه سيدنا علي (ع) ان حارثة [وهو اسم ذلك المجرم التائب] قد تاب قبل ان تقدر عليه فلا تعترض له الا بخير "[4] .

ب- حق المحبوس في حضور وتأدية بعض الشعائر الدينية ، إذ ان الرؤية العلوية للشخص المدان المتسمة بالانسانية والعدالة تتجسد في دعوة الامام الى احترام حق المحبوس في ممارسة الشعائر الدينية الجماعية مما يسهم بلا شك في اصلاح نفسية المدان ويساعد في ايجاد انسان جديد اكثر صلاحاً وصموداً امام صعوبات الحياة لذلك كان الامام (ع) " يخرج اهل السجون من احبس في دين او تهمة إلى الجمعة فيشهدونها ويضمنهم الاولياء حتى

1- مدير ، مصدر سابق ، ج2 ، ص32 .

2 - للاطلاع على امثلة في سيرة الامام في هذا المجال ينظر : ابن قدامة ، مصدر سابق ، ج1، ص140 ؛ الزيعلي ، مصدر سابق ، ج4 ، ص408؛ الكليني ، مصدر سابق، ج7 ، ص260 ؛ محمد التستري ، مصدر سابق ، ص57 ؛ البيهقي ، مصدر سابق ، ج8 ، ص322 . ان الامام كان يحترم جثث من يقام عليهم حد القتل ، بل وانه صلى على بعضهم ينظر : ابن قدامة ، مصدر سابق ، ج1 ، ص131 .

3 - الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، كتاب 53 ، ص547 .

4- الكاشاني ، مصدر سابق ، ج7 ، ص96 .

يردونهم "[1] و" كان يخرج الفساق إلى الجمعة"[2] وكان يوصي القائمين على السجن ويبين لهم الية التعامل مع السجين[3]

قائلاً: " اخوجه وقت الصلاة " .

جـ- توفير الضرورات الانسانية في الحبس ، لقد نظر الامام علي إلى الحبس بأنه وسيلة تهدف اولاً إلى اصلاح المعاقب بايداعه فيه واحترام ادمية المحبوس ، جزء مهم من عملية الاصلاح تلك عبر توفير وسائل العيش الضرورية واللائقة فقد كان الامام " يطعم من خلد في السجن من بيت مال المسلمين "[4] .

ورافقت نظرة الامام للعقوبة كرادع مهم للجريمة اهتمامه (ع) بالتربية النفسية والاخلاقية للمعاقبين . فيروي احدهم قائلاً : "انا اخذنا في سرقة ونحن ثمانية نفر ، فذهب بنا الى علي ابن ابي طالب (ع) فاقرنا بالسرقة فقال لنا : اتعرفون انها حرام ؟ فقلنا ؟ : نعم ، فأمر بنا فقطعت اصابعنا من الراحة وخليت الابهام ، ثم امر بنا فحبسنا في بيت فجلس يطعمنا من السمن والعسل حتى برئت ايدينا ثم امر بنا فأخرجنا وكسانا فأحسن كسوتنا ثم قال لنا 00 يا هؤلاء ان ايديكم سبقتكم إلى النار فان تبتم وعلم الله منكم صدق النية تاب عليكم وجررتم ايديكم إلى الجنة فان لم تتوبوا ولم تخلعوا عما انتم عليه جرتكم ايديكم إلى النار "[5] .

ولقد دعا الامام إلى احترام حق السجين في تسلم البريد وبعض الاشياء، والزيارات العائلية اذ كان (ع) يوصي ولاته قائلاً : " لا تحل بينه [أي

---

1 - النوري ، مصدر سابق ، ج6 ، ص27 . لجنة الحديث ، سنن الامام علي ، مصدر سابق ، ص479 .

2 - النوري ، مصدر سابق ، ج17 ، ص403 .

3- المحمودي ، مصدر سابق ، ج5 ، ص34 .

4- لجنة الحديث ، سنن الامام علي ، مصدر سابق ، ص479 . الطائي ، مصدر سابق ، م3، ج6 ، ص6 .

5 - الكلبايكاني ، تقدرات الحدود والتعزيرات ، مصدر سابق ، ج1 ، ص403 .

السجين] وبين من ياته بمطعم او مشرب او ملبس او مفرش"[1] . وكان (ع) يسمح لزوجة السجين بأن تزوره[2] . كما وجه الامام إلى ان يأخذ في نظر الاعتبار عند بناء السجون الاحتياجات الانسانية كافة ولاسيما من ناحية المساحة وما شابه حيث كان(ع) يأمر" بإخراج اهل السجن في الليل إلى صحن السجن"[3] وهكذا نلاحظ ان ما دعا اليه الامام من حقوق للسجين[4] وضرورة معاملته بانسانية انما استكمال لرؤيته الشاملة لحق التقاضي كأحد حقوق الانسان . وتتكامل منظومة حقوق الانسان مع ما سنتطرق اليه في المبحث التالي من حقوق الانسان زمن الحرب .

1- المحمودي ، مصدر سابق ، ج5 ، ص35 .

2 - نوري ، مصدر سابق ، ج13 ، ص432 .

3- المحمودي ، مصدر سابق ، ج5 ، ص35 .

4 - للمزيد حول نظرة الاسلام - ومن ضمنها نظرة الامام (ع) للسجون وموارد ها الشرعية وحقوق السجين فيها ينظر : نجم الدين الطبسي ، موارد السجن في النصوص والفتوى (دراسة تتناول موارد السجن وحقوق السجين) ، (ايران ، مكتب الاعلام الاسلامي ، 1411هـ) ، ص ص37 - 567 .

المبحث الثالث

حقوق الإنسان في زمن الحرب

تعد الحرب[1] من الوسائل التي لجأ أليها الإنسان لتسوية منازعاته وتحقيق مصالحه منذ القدم ، ومن اجل أن يتحقق النصر على الأعداء فقد كانت ومازالت قسوة المقاتلين لا تحدها حدود - ألا ما ندر - وللتعامل مع الآثار المدمرة التي تسببها الحروب على حقوق الانسان ، فقد برزت آراء المصلحين (أنبياء - مفكرين - سياسيين) للحد من هذه الاثار . إلى إن وصلت المسيرة الإنسانية إلى تطور اطار نظري مهم هو ما يعرف بـ (القانون الدولي الإنساني) المتعلق بالمنازعات المسلحة إذ يعرف بأنه " القواعد الدولية الموضوعة بمقتضى معاهدات أو أعراف والمخصصة بالتحديد لحل المشاكل ذات الصفة الإنسانية الناجمة مباشرة عن المنازعات المسلحة الدولية أو غير الدولية ،والتي تحد - لاعتبارات إنسانية - من حق أطراف النزاع في اللجوء إلى ما يحتاجون إليه من أساليب أو وسائل للقتال وتحمي الأشخاص والممتلكات التي تصاب بسبب النزاع"[2] ويحدد باحث قانوني معاصر مقاصد (القانون الانساني الدولي) بما يأتي:

- "الحد من شرور الحرب واستخدام السلاح .

---

1 - تعرف الحرب بأنها ،" القتال المسلح بين مجموعتين (سواء مجموعة اقل من الدولة ، الدول، تحالفات اكبر من الدول) يسعى إلى تحقيق اغراض ايديولوجية او سياسية او قانونية او اقتصادية او عسكرية " ، الشافعي محمد بشير ، القانون الدولي العام في السلم والحرب ، (الاسكندرية ، د. ن ، 1971) ص114.

2 - د. فيصل شطناوي ، حقوق الانسان والقانون الدولي الانساني ، ط2 ، (عمان ، دار الحامد، 2001) ، ص190 .

- إشاعة الرحمة الإنسانية بضحايا الحرب سواء من الجرحى والمرضى والأسرى والقتلى من الأعداء .

- الرحمة والتعامل الإنساني مع السكان المدنيين الذين لا يشتركون في قتال وكذا احترام وصيانة منازلهم ومعابدهم ومدارسهم وابنيتهم المدنية الأساسية "[1] .

وبناءً على ذلك فأن" القانون الإنساني الدولي غير منفصل عن قانون حقوق الإنسان ، بل هما جناحان لحقوق الانسان في

الحرب والسلم "[2] .

ويمكننا الدخول إلى بحث القانون الانساني للحرب عند الامام علي (ع) من بوابة ما امتاز به من سمات اتصفت بها شخصيته وانعكست سلوكاً وسياسة في ميدان الحروب التي خاضها ، وعلى وفق رؤية الكاتب عباس العقاد فان " اداب الفروسية هي مفتاح هذه الشخصية النبيلة الذي يفض منها كل مغلق ويفسر منها كل ما احتاج إلى تفسير "[3] . اما شجاعته فقد رسم

---

1 – الشافعي محمد بشير ، قانون حقوق الانسان – مصادره وتطبيقاته الوطنية والدولية – ، ط3 ، (الاسكندرية ، منشأة المعارف ، 2004) ، ص280 .

2– المصدر السابق ، ص281 .

3– العقاد ، مصدر سابق ، ص18 . ومما يستحق ذكره ما اوضحه الكاتب محمد جواد معنية عن السمات الشخصية للامام علي حين قال : " من تتبع سيرته ومحصها بروية ، وتاملها بعمق 00 يذهب إلى ان علياً فوق الناس اجمعين 00 تصوخ عائشة ، وهي على جملها تنادي محرضة على علي بن ابي طالب : من يأتيني برأس الاصلع فله هذه البدرة 00 حتى اذا ظفر بها الاصلع ، واصبحت حياتها بين شفتيه يجلها ويكرمها واعطاه بدر لا بدرة واحدة 00 ويضربه ابن ملجم ضربته القاتلة بتحريض فاجرة، فيطعمه الامام من طعامه ويسقيه من شرابه ، حتى اذا شعر بدنو اجله اوصى بقاتله خيراً وتصدى لقتله وغد من الاشرار ، فأخذ الامام بتلابيبه ، والقاه على ظهره ، وجلس على صدره وجهه إلى وجهه ، وحين رأى الوغد في لمعان السيف وايقن انه متدل لا محالة بصق في وجهه ، فقام عنه الامام واخلى سبيله ولما قيل له لم تركته ؟! قال : خشيت اذا انا قتلته يكون ذلك غضباً لنفسي لا لله000 وقصه ابن العاص و بسر بن ارطأة والكشف عن السيئات والسؤات 000 ان علياً قصد الله تعالى بقوى ذاتية تمنزه عن جميع الناس "، محمد جواد مغنية ، امامة علي والعقل ، (ايران ، دار السجدة ، 2003) ، ص ص97–102 .

بعض ملامحها الكاتب جورج جرداق قائلاً : " كان ينصب انصباب الموت الصاعق لا يضرب الا اورد النار ولا يطعن الا وتطعن الاقدار ... وكأن شجاعته الفائقة تتفجر فاذا هو الدرع والحصن والمجن... وكأني بيمناه ما ارتفعت بذي الفقار الا تمتد وتأخذ في الفضاء حتى تطال الافق البعيد فتحضر به بنور الحق اية وايات وكأني بعملاق القتال واخي غمرات الموت ما ضرب او طعن او كر الا ودوت في جنبات الارض الف صيحة هنا وهناك تنطق من حناجر وافواه ، وكلها تقول : الا انه علي بن ابي طالب بطل معركة الاسلام ومعركة الحق ومعركة العدالة الانسانية"[1] ان هذه السمات الشخصية قد اقترنت بالايمان الراسخ بالشريعة الاسلامية[2] لتسهم ابداعاً في ميدان القانون الانساني للحرب .

لقد حث الامام علي (ع) على ضرورة الاستعداد النفسي والمادي سواء للفرد المسلم ام الامة الاسلامية للحرب ، مؤمناً بأن

القوة هي اداةرئيسية لصون الحق والحفاظ عليه ، اذ يقول " الله الله في الجهاد بأموالكم وانفسكم

---

1 – جرداق ، مصدر سابق ، ج2 ، ص ص759 –760 .

2 – حول موقف الاسلام من موضوع الحرب والسلم ينظر : الشهيد الاول ، مصدر سابق ، ج2 ، ص32 ؛ محمد تقي المدرسي ، فقه الجهاد واحكام القتال ، (طهران ، دار محبي الحسين ، 1999) ، ص ص143 –210 ؛ د. مجيد قدوري ، الحرب والسلم في شرعة الاسلام ، (بيروت ، الدار المتحدة للنشر ، 1973) ، ص ص81 –219 ؛ مجموعة باحثين ، الجهاد – فكراً وممارسة – اعمال الندوة العربية ، (بغداد ، بيت الحكمة ، 2002)، ص ص24 – 126 و ص ص145 – 159 ؛ فاضل المالكي ، مبادئ الاسلام والرأة في القانون الدولي الاسلامي ، (ايران ، دائرة العلوم الاسلامية ، 1414 هـ) ، ص ص7–108 ؛ سيد سابق، مصدر سابق ، ج2 ، ص ص615 – 707 ؛ محمد صادق الصدر ، فقه الاخلاق ، ج2 ، ط1 ، (بيروت ، دار الاضواء ، 1998) ، ص ص173–239 .

والسنتكم "[1] ويقول : " ان الله فرض الجهاد وعظمه وجعله نصره وناصره والله ما صلحت دنيا ولا دين الابه "[2] .

ان تأكيد الامام اهمية الجهاد لم يكن يوازيه الا دعوة الامام بوجوب الالتزام بالقانون الانساني للحرب والذي يجسده بقوله : " ما يكافئ عدوك بشيء اشد عليه من ان تطيع الله فيه"[3] اما تفاصيل هذا القانون فتتحدد ملامحها الرئيسة وخطوطها العامة في الاوامر التي اصدرها الامام لقادة جيشه في كل معركة يخوضها او جيش يعقد لوائه ، ومن خلالهم للانسانية جمعاء اذ يقول(ع): "لا تقاتلوا القوم حتى يبدؤكم ، فانكم بحمد الله على حجة وتركهم اياهم حتى يبدؤكم حجة اخرى لكم عليهم فاذ قاتلتموهم فهزمتموهم فلا تقتلوا مدبراً ولا تجهزوا على جريح ولا تكشفوا عورة ولا تمثلوا بقتيل فاذا وصلتم إلى رحال القوم فلا تهتكوا ستراً ولا تدخلوا داراً الا بأذني ولا تأخذوا شيئاً من اموالهم الا ما وجدتم في معسكرهم ولا تهيجوا امرأة باذى "[4] .

ويوصي الامام احد القادة العسكريين في دولته قائلاً: " اوصيك بتقوى الله ، فانها جموع الخير ، وسر على عون الله ، فألق عدوك الذي وجهتك

---

1 – الشريف الرضي (الجامع) ،نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، كتاب 41 ، ص540.

2 – الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، مصدر سابق ، ج11 ، ص9 . وحول اعلاء شأن الجهاد عند الامام ينظر : الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي، مصدر سابق ، خطبة 27 ، ص64. المجلسي ، مصدر سابق ، ج79 ، ص12 . المحمودي ، مصدر سابق ، ص304 ؛ لجنة الحديث ، سنن الامام علي ، مصدر سابق ، ص403 ، مدير، مصدر سابق ، ج1 ، ص410 ، ج2 ، ص323 ، حمادة ، مصدر سابق ، ص21 .

3 – الريشهري ، ميزان الحكمة مصدر سابق ، ج2 ، ص1617 .

4 – المنقري ، مصدر سابق ، ص203 .

له ،ولا تقاتل إلا من قاتلك ،ولا تجهز على جريحولا تسخون دابة ،وان مشيت ومشى اصحابك ،ولا تستأثر على اهل المياه بمياههم ،ولا تشربن الا فضلهم عن طيب نفوسهم ،ولا تشتمن مسلماًولا مسلمة فتوجب على نفسك ما لعلك تؤدب غيرك عليه ،ولا تظلمن معاهداًولا معاهدةواذكر الله ،ولا تفتر ليلاًولا نهاراً ،واحملوارجالتكم، وتواسوا في ذات ايديكم واجدد السير،واجل العدو من حيث كان واقتله مقبلاًولردده بغيضه صاغراً ،واسفك الدم في الحق واحقنه في الحق ومن تاب فاقبل توبته ،واخبرك في كل حين بكل حال والصدق الصدق فلارأي لكذوب "[1] .

إن هذه الاوامر تجسد المحاور الرئيسة لرؤية الامام (ع) للقانون الانساني للحرب وهي كالآتي :

أولاً – في شرعية الحرب :

لقد امتاز الامام علي (ع) بخبرة عسكرية واسعة يشير إليها قائلاً –رداً على بعض منتقديه بأنه ليس رجل حرب –: " وهل احد منهم اشد لها مراساً ،واقدم فيها مقاماً مني ! لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين وها انذا قد ذرفت على الستين "[2] .

ان معايشة الامام للحرب جعلته قريباً من شرورها وآثارها السلبية ، مما اضاف حافزاً لسعيه (ع) إلى ارساء اسس السلام كقيمة عليا وحق للانسان حتى انه (ع) يقول : " لا عاقبة اسلم من عواقب السلم "[3] . وينطلق الامام من المنظومة الاسلامية والشخصية ، التي اشرنا سابقاً إلى شذرات منها ، في ارساء سبل السلام اذ يقول : " الاستصلاح للاعداء بحسن المقال وجميل الافعال اهون من ملاقاتهم بمضيض القتال "[4] وقد

1– اليعقوبي ، مصدر سابق ، ج2 ، ص200 .

2– بيضون ، مصدر سابق ، ص386 .

3– مدير ، مصدر سابق ، ج2 ، ص210 .

4– المصدر السابق ، ج1 ، ص115 . الواسطي ، مصدر سابق ، ص57 .

رفض الامام سياسة العدوان العسكري واللجوء للحرب من غير مبررات شرعية ، اذ نسب اليه قوله : " من سل سيف العدوان قتل به "[1] . وقد عد الامام اللجوء إلى السلاح هو الخيار السياسي الاخير بيد صانع القرار ، اذ يقول (ع) عن ظروف معركه التي خاضها بعد توليه سدة الحكم في الدولة الاسلامية[2] : " اني قد ضربت الامر ظهره وبطنه وانفه وعينه حتى لقد منعني من نوم الليل فما وجدت يسعني الا قتالهم او الكفر بما جاء به محمد"[3] .

ان الحرب بجانب كونها اعتداءً على الحياة –وهي حق مقدس – فهي تدمير لما تصلح به الحياة ، وقد منع الامام (ع) حرب التوسع وبسط النفوذ وسيادة القوي ، كذلك منع حرب الانتقام والعدوان . واذا كانت القاعدة هي السلام والحرب هي الاستثناء ، فلا مسوغ لهذه الحرب عند الامام علي الا في ضمن بعدين اساسين يحددهما بقوله : " القتال قتالان قتال اهل

الشوك لا ينفر عنهم حتى يسلموا او يؤتوا الجزية عن يد وهم صاغرون وقتال لاهل الزيغ لا ينفر حتى يفيؤا إلى امر الله او يقتلوا "[4] ،وهذان البعدان احتويا على عدة عناوين ثانوية اشار اليها الامام وهي :

1- مدير ، مصدر سابق ، ج2 ، ص408 .

2 - حول تفاصيل حروب الامام ، ينظر : القرشي ، موسوعة امير المؤمنين ، مصدر سابق ، ج11 ، ص ص49 - 464 ؛ د. نوري جعفر ، علي ومناوئه ، ط2 ، (بيروت ، مؤسسة الوفاء ، 1984) ، ص ص139-186 .

3 - الاسكافي ، مصدر سابق ، ص59 ؛ المحمودي ، مصدر سابق ، ج2 ، ص269 (مع اختلاف يسير) ؛ وحول عدم لجوء الامام للحرب الا كوسيلة اخيرة مع معاوية اذ راسله لفترة طويلة حاول من خلالها انهاء التمرد الذي قاده ضد دولة الامام وجيشه . ينظر : عبد الرضا الزبيدي ، الوسائل السياسية بين الامام علي(ع) ومعاوية ، مصدر سابق ، ص ص177 - 236 .

4- الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، مصدر سابق ، ج11 ، ص180 ؛ الكلانتري ، مصدر سابق ، ص83 .

1 رد العدوان والاعتداء والتحدي اذا ما مُس كيان الفرد والامة اذ يقول (ع) : "ردوا الحجر من حيث جاء فأن الشر لا يدفعه الا الشر "[1] . ويقول (ع) : " لا تدعون إلى مبارزة واذا دعيت اليها فأجب فان الداعي اليها باغ والباغي مصروع"[2] .

2 . الحفاظ على الاسلام وقيمه ودعائمه الاساسية ، اذ يقول (ع) ، محدداً قاعدة لشرعية الحرب غاية في الاهمية "وجدت المسالمة ما لم يكن وهن في الاسلام انجع من القتال "[3] . ويقول (ع) : " ان الله لم يرض لاهل القرآن ان يعمل الناس بمعاصي الله في اكناف الارض وهم سكوت ولا يأمرون ولا ينهون "[4] .

3 .القتال من اجل الحفاظ على السلطة الشرعية العادلة ،وهو مقاتلة (البغي) ،والذي يعرف في الفقه الاسلامي كونه " العصيان والتجاوز عن الحد المشروع وان الباغي في عرف الفقهاء هو المخالف للامام العادل الخارج عن طاعته بالامتناع عن اداء حقه "[5] ، وقد سماهم الامام اهل الزيغ اذ قال (ع) : "وقتال اهل الزيغ لا ينفر منهم حتى يفيؤا إلى أمر الله أو يقتلوا"[6] .

---

1 - الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، خطبة 305 ، ص669 .

2- مدير ، مصدر سابق ، ج2 ، ص168 .

3 - الريشهري ، ميزان الحكمة ، مصدر سابق ، ج2 ، ص162 .

4 - الاسكافي ، مصدر سابق ، ص147 .ومن الجدير بالذكر ان ، الرسول (صلى الله عليه وآله) قد أخبر الإمام بأنه (ع) سيحارب للدفاع عن مبادئ الإسلام الحقيقية ، إذ قال (صلى الله عليه وآله) : "أن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت

على تقويله" وكان يشير (صلى الله عليه وآله) بذلك الى الامام علي(ع)، ينظر أحمد الطوي ، مصدر سابق ، ص76 .

5 – علي هجواني التبريزي ، سيرة الإمام أمير المؤمنين (ع) في البغاة ، (قم ، مولود الكعبة ، 1422هـ) ، ص15 .

6 – الكلانتري ، مصدر سابق ، ص83 .

ولقد تعرض الإمام لموضوع مهم إذ رفض (ع) أن ينساق المجتمع وراء الأغراض السياسية أو الأطماع الشخصية للحكام والتي غالباً ما تغلف مسوغات شرعية ، لذلك فقد أشترط الإمام أن تتوفر في القيادة العليا التي تعلن الحرب الضوابط التي أشرنا إليها سابقاً[1] ، حتى يقاتل المسلم تحت رايتها وهو مطمئن على الأهداف الحقيقية لشن الحرب من الناحية الشرعية ، إذ يقول الإمام(ع) : "لا غزو إلا مع إمام عادل"[2] و "الجهاد في سبيل الله مع كل إمام عادل باب من أبواب الجنة"[3] ويقول (ع) : "لا يخرج المسلم في الجهاد مع من لا يؤمن على الحكم ولا ينفذ في الفيء أمر الله عز وجل فأن مات في ذلك كان معيناً لعدونا ... وميتته ميتة جاهلية"[4] .

ويؤكد الإمام الأداء الشرعي للحكومة كمعيار لشرعية دعوتها للقتال، إذ يقول (ع) : " حق على الامام ان يحكم بما انزل الله وان يعدل في الرعية، فاذا فعل ذلك فحق عليهم ان يسمعوا وان يطيعوا وان يجيبوا اذا دعوا وايما امام لم يحكم بما انزل الله فلا طاعة له "[5] .

ان تأكيد المسوغات الشرعية للحرب الاساس الذي ستبنى عليه مبادئ اخرى ذات صفة عامة دعا الامام علي (ع) لتطبيقها في اثناء الحروب ، مستنداً بذلك إلى العدالة حتى مع الاعداء ، بل هو حق يجب ان يتمتعوا به على وفق رؤيته(ع) الذي يقول موصياً ولده وخليفته الامام الحسن قائلاً : " يا بني اوصيك بتقوى الله في الغنى والفقر ... وبالعدل على الصديق والعدو

---

1 – تطرقنا إلى هذا الموضوع سابقاً في الفصل الثالث ، المبحث الثالث .

2– مدير ، مصدر سابق ، ج2 ، ص213 .

3 – ابن الواج ، مصدر سابق ، ص293 .

4 – محمد كاظم القزويني ، مصدر سابق ، ج9 ، ص734 ، مدير ، مصدر سابق ، ج2، ص213 .

5– حسن القبانجي ، مصدر سابق ، م4 ، ص289 .

"[1] . ويقول(ع): ايضاً " ابذل لصديقك نفسك وما لك ... ولعدوك عدلك وانصافك"[2] . ويوضح الكاتب هادي المدرسي رؤية الامام (ع) لهذا المبدأ بأن " اخلاق الرجال الحقيقية تظهر في التعامل مع العدو ، اكثر مما تظهر في التعامل مع الصديق 00 وكثيرون هم الذين يسمحون لأنفسهم في التعامل مع العدو ما لا يسمحون لها في التعامل مع الصديق ... ولو افترضنا ان العدو لا يلتزم بأصول العدل ، فأن علينا [وفق رؤية الامام] ان نلتزم بها حيث ان ذلك جزء من احترامنا لقيمنا وتقاليد ديننا

فلا تجاوز للعدل حتى مع العدو ولا تنزل عن الاخلاق حتى في مواجهة من يدوس عليها وكفى بنصر الله لك ان ترى عدوك يعمل بمعاصي الله فيك" [3] – على وفق قول الامام علي " [4] . اما اهم انعكاسات هذه العدالة التي طالب بها الامام في اطار الحرب فهي :

أ- الاعذار في الحرب

جعل الامام من عملية اعطاء التبليغ او الاعذار بالحرب من المبادئ القانونية الاساسية في ضمن رؤيته لاخلاقيات الحرب إذ " كان الامام علي(ع) يهتم بموضوع (الاعذار) والاعذار هو ايضاح الامر لدى الخصم ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة " [5] وكان (ع) يأمر قادته العسكريين قائلاً : "اياك ان تبدأ القوم بقتال الا ان يبدؤوك حتى تلقاهم وتسمع منهم ولا يجرمنك شنانهم على قتالهم قبل دعائهم والاعذار اليهم

1- المحمودي ، مصدر سابق ، ج7 ، ص474 .

2- المصدر السابق ، ج7 ، ص232 .

3 – ينقل السيد هادي المدرسي قول الامام من : المجلسي ، مصدر سابق ، ج78، ص176.

4 – هادي المدرسي ، مصدر سابق ، ص299 ، ص404 .

5 – الزبيدي ، الفكر الاجتماعي عند الامام علي ، مصدر سابق ، ص122 .

مرة بعد مرة " [1] . وكان احد القادة العسكريين من جيش الامام يقول : " كان يأمرنا في كل موطن لقينا معه عدوه يقول : لا تقاتلوا القوم حتى يبدؤكم " [2] ، ولقد كان الامام علي حريصاً على تطبيق هذا المبدأ في الحروب التي خاض غمارها [3] .

واذا ما اعترض من يقول ان عملية الاعذار هذه نوع من المثالية قد تضيع مكاسب عنصر المباغتة ،ولاسيما مع تطور وسائل الحرب واستراتيجية الضربة الاولى للخصم ، يمكن الرد على ذلك بالقول ان رؤية الامام للحرب هي ليست تحطيم الخصم او قهر إرادته بقدر ما هي تقويم لذلك الخصم ومنع شره من ان يطال الاخرين ومن ثم فان تحقيق الكسب العسكري لا يكون على حساب المبادئ الرسالية التي تسعى الحرب إلى تحقيقها وتكتسب شرعيتها منها هذا من جهة ، ومن جهة ثانية فان الامام اصر على معرفة الخصم كقيادة وافراد لماذا يقاتلون وعلى ماذا يستحل دماءهم حتى يجنبهم أي تضليل أو اختلاط في المواقف والرؤى لوجدته قياداتهم السياسية والدينية ، اذ يقول (ع) : " لا يغز قوم حتى يُدعوا ،وان بلغتهم الدعوة واكدت الحجة عليهم بالدعاء فحسن " [4] ومن جهة ثالثة فان تأكيد الامام مسألة الاعذار تأتي في سعيه (ع) نحو السلام إلى اخر لحظة فهو " يرجو اذا اذنهم بالقتال ان يثوبوا إلى الرشد ويرجعوا عن العصيان

1- المحمودي ، مصدر سابق ، ج2 ، ص146 . وباختلاف يسير ينظر: الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق

وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، كتاب 12 ، ص171 .

2- لجنة الحديث ، سنن الامام علي ، مصدر سابق ، ص404 .

3 - ينظر :المفيد ، الجمل ، مصدر سابق ، ص ص336 -341 ؛ المنقوي ، مصدر سابق ، ص202 ؛ حسن القبانجي ، مصدر سابق ، م4 ، ص318 .

4- حسن القبانجي ، مصدر سابق ، م4 ، ص291 .

" [1] . ويقول (ع) في هذا المجال "والله ما دفعت الحرب يوماً إلا وانا اطمع ان تلحق بي طائفة فتهتدي بي وتعشو إلى ضوئي وذلك احب الي من اقتلها على ضلالها وان كانت تبوء باثامها " [2] .

ب- العفو والتسامح:

سعى الامام حثيثاً نحو الحد من شرور الحرب واثارها السلبية رافضاً مبدأ استخدام القسوة والانتقام في الحروب اذ يقول (ع) : " اقبح افعال المقتدر الانتقام " [3] . ويحذر (ع) من العواقب النفسية والسياسية لهذا النمط من السلوك اذ يقول (ع) : "لا سؤدد مع انتقام " [4] . وبدلاً عن ذلك يقدم الامام العفو والتسامح في التعامل مع الخصوم اذ يقول (ع) : " اذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه " [5] ، وكذلك كان (ع) يوصي الحاكم المسلم قائلاً: " خذ عدوك بالفضل فانه احلى الظفرين " [6] . ويقول (ع) : " صافح عدوك وان كره فانه مما امر الله عز وجل به عباده " [7] .

ولم يتخل الامام علي عن مبدئه بتعزيز سياسة العفو مع الخصوم حتى حين كان (ع) على فراش الشهادة ، اذ قال عن قاتله : "ان ابق فأنا ولي دمي ،وان أفْنَ فالفناء ميعادي ،وان اعف فالعفو لي قربة وهو لكم حسنة فاعفوا (ألا تحبون ان يغفر الله لكم) " [8] [9] .

1- خالد ، مصدر سابق ، ص129 .

2- بيضون ، مصدر سابق ، ص466 .

3- مدير ، مصدر سابق ، ج1 ، ص166 .

4- المصدر السابق ، ج2 ، ص28 .

5 - الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، حكمة 7 ، ص603 .

6- المصدر السابق ، كتاب 31 ، ص512 .

7 - الريشهري ، ميزان الحكمة ، مصدر سابق ، ج2 ، ض1617 .

8 - سورة يوسف / الآية 92 .

9 - الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، وصية 23 ، ص478 .

ويذهب مفكر معاصر إلى ان سموه النفسي وحسه الانساني قد اثر بشكل جلي على تبنيه منهج العفو فالامام " بطبعه ومزاجه يصفح عن قاتله وقاتل اولاده دون أي تكلف "[1] ، لذلك فانه(ع) يجعل فضيلة العفو قيمة عليا في النفوس ولاسيما في زمن الحرب فالعفو عند الامام " احسن الاحسان ، ..وتاج المكارم ،... وزكاة الظفر ، ...والعفو من موجبات المجد،... والعفو انتصار "[2] .

وانسجاماً مع الواقعية التي امتاز بها الامام (ع) فكراً وسلوكاً فأنه يشير إلى نوع الخصم الذي يجب ان يمنح العفو ويتعامل معه على وفق هذا المبدأ اذ يقول(ع) " العفو يفسد من اللئيم بقدر ما يصلح من الكريم "[3] ، ويحدد الامام الية العفو الذي دعا اليه قائلاً: " العفو عن المقر لا عن المصر"[4] .

ولقد كانت حروب الامام مثالاً عملياً لما دعا اليه (ع) من العفو والتسامح[5] ، بل انه(ع) كان " لا يقاتل حتى تزول الشمس [مبرراً ذلك] بقوله تفتح ابواب السماء ، وتقبل التوبة ، ويزل النصر ، وهو اقرب إلى الليل ، واجدر ان يقل القتال ويرجع الطالب ويفلت المهزوم "[6] . ويبين الكاتب محمد الصغير في ان " هذه السنن الحربية التي خطط لها الامام تنطلق من مبدأ الدفاع عن النفس ، ولا تنجز إلى ارادة شهوة الحرب وتتبعث

1- محمد جواد مغنية ، المجالس الحسينية ، (قم ، دار السجدة ، 1424هـ) ، ص74 .

2- مدير ، مصدر سابق ، ج2 ، ص27 .

3- مدير ، مصدر سابق ، ج2 ، ص27 .

4- المصدر السابق ، ج2 ، ص27 .

5 - حول مواقفه في تلك الحروب ينظر : اليعقوبي ، مصدر سابق ، ج2 ، ص180 ؛ محمد الطوي ، تاريخ الطوي ، مصدر سابق ، ج3 ، ص596 .

6- لجنة الحديث،سنن الامام علي،مصدر سابق،ص396؛حسن القبانجي ، مصدر سابق،ص301.

من صميم تعاليم الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله) في العفو والتغاضي وتتسجم وطبيعة النظام الاسلامي في التوصل إلى معالي الامور"[1] .

جـ -الوفاء بالعهد :

دعا الامام الى ارساء معالم السلم والصلح في المجتمع الانساني كافة ، ويبدو ان هذا الموقف نابعاً من ثقة الامام بأن تعاليم الاسلام السمحة قادرة على الوصول إلى القلوب والعقول دون حاجة إلى فرضها بالقوة ، وان السيف هو اداة لحماية الدعوة وليس لنشرها ، لذلك يقول(ع) : " من افضل النصح الاشارة بالصلح"[2] . ويوصي (ع) في عهده الدستوري للاشتر قائلاً :" لا

تدفعن صلحاً دعاك اليه عدوك لله فيه رضى فان في الصلح دعة لجنودك وراحة من همومك وامناً لبلادك ولكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه، فأن العدو ربما قارب ليتغفل فخذ بالحزم واتهم في ذلك حسن الظن "[3] . ويعلق باحث معاصر على هذا المبدأ قائلاً ان " القبول بالدعوة إلى الصلح والسلم هي نابعة من حب علي (ع) إلى الحق والعدالة...0فهو محب للسلم كاره للقتال الا اذا كان القتال ضرورة اجتماعية وانسانية . وحبه للسلم انما كان نتيجة منطقية محترمة لمعنى المجتمع لديه ولما قاده اليه العقل والتجربة من اوائك هول الحروب ومقدار ما تسيء إلى الغالب والمغلوب من ابناء آدم وحواء"[4] .

1- الصغير ، مصدر سابق ، ص331 .

2- مدير ، مصدر سابق ، ج2 ، ص472 .

3 - الشريف الرضي (الجامع)، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، كتاب 53 ، ص568 .

4 - الزبيدي ، في الفكر الاجتماعي عند الامام علي ، مصدر سابق ، ص ص125 - 126 .

ويلج الامام إلى العلاقات التي تنشؤها المعاهدات ، سواء في زمن السلم او الحرب ، فكان : مبدئه (ع) : " اوفوا اذا عاهدتم "[1] وعد الامام المراحل السيئة في حياة الامة هي تلك التي تخان بها العهود [2] ويرفض الا مام اسلوب الكذب والخديعة والمراوغة ، اذ يقول(ع) : "ايها الناس ، ان الوفاء توأم الصدق ،ولا اعلم جنة اوقى منه ، وما يجدر من علم كيف المرجع ، ولقد اصبحنا في زمان قد اتخذ اكثر اهله الغدر كيساً ، ونسبهم اهل الجهل فيه إلى حسن الحيلة ، مالهم قاتلهم الله . قد يرى الحول القلب وجه الحيلة ودونهما مانع من امر الله ونهيه فيدعها رأي عين بعد القدرة عليها ، وينتهز فرصتها من لا حريجة له في الدين "[3] ، ويؤكد الامام على ضرورة الالتزام بمواثيق السلم ولاسيما تلك التي تضع نهاية للصراع العسكري ، اذ يقول (ع) : "من ائتمن رجلاً على دمه ثم خان به ، فأنا من القاتل بريئ ،وان كان المقتول في النار "[4]

ويحدد الامام موارد مهمة في وضع اسس احترام المعاهدات والاتفاقيات، في نص غاية في الاهمية والدقة معاً ، اذ يقول (ع) "ان عقدت بينك وبين

1- المجلسي ، مصدر سابق،ج57،ص9؛ حسن القبانجي، مصدر سابق ، م2، ص312 .

2 - حيث يقول الامام عن ذلك " تنتضي فيه السيوف وتخان فيه العهود" ؛ بيضون ، مصدر سابق ، ص332 .

3 - حسن القبانجي ، مصدر سابق ، م4 ، ص309 . ويعبر الامام علي عن رفضه لاسلوب الخديعة وخيانة العهود حين يقول (ع) (في مقارنة غاية في الاهمية) : "والله ما معاوية بأدهى مني ، ولكنه يغدر ويفجر ولولا كراهية الغدر لكنت من ادهى الناس، ولكن كل غدر فجرة وكل فجرة كفرة ، ولكل غادر لواء يعرف يوم القيامة ،والله ما استغفل بالمكيدة "، الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي، مصدر سابق ، خطبة 200 ، ص401 . وكان (ع) يدعوا الله

عز وجل بأن يمكنه من صيانة العهد ، ينظر : حسن القبانجي ، مصدر سابق ، م4 ، ص296 . وحول احترامه (ع) للعهود في سيرته العملية ، ينظر : القمي ، مصدر سابق ، ص391 وما بعدها .

4- حسن القبانجي ، مصدر سابق ، م4 ، ص310 ؛ الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، مصدر سابق ، ج15 ، ص69 .

عدوٍ لك عقدة او البسته منك ذمة ، فحط عهدك بالوفاء ،وارع ذمتك بالأمانة ،واجعل نفسك جنة[1] دون ما أعطيت ، ... فلا تغدرن بذمتك ،ولا تخيسن[2] بعهدكولا تختلف[3] عدوك ، فان لا يجترئ على الله الا جاهل شقي . وقد جعل الله عهده وذمته امناً افضاه بين العباد وحريماً[4] يسكنون إلى منعته ويستضيفون[5] إلى جواره ، فلا ادغالولا مدالسةولا خداع فيه، ولا تعقد عقداً تجوز فيه العللولا تعولن على لحن القول بعد التأكيد والتوثقةولا يدعونك ضيق امر لزمك فيه عهد الله إلى طلب انفساخه بغير الحق فان صبرك على ضيق ترجوا انفراجه وتضل عاقبته خير من غدر تخاف تبعته ،وان تحيط بك من الله فيه طلبة لا تستقيل فيها دنياكولا اخرتك"[6] ، ومما يلاحظ ان المضمون القانوني والاخلاقي[7] المميز في هذا النص بتكامل مع المحور الثاني في ضمن القانون الانساني للحرب ،وهو حماية المشاركين في الحرب .

ثانياً - حماية المشاركين في الحرب

في منظومة القانون الانساني للحرب عند الامام علي (ع) تبرز مسألةرعاية انسانية المشاركين في الحرب إلى جانب الحفاظ على حياتهم وذلك استناداً إلى رؤيته (ع) للحرب بأنها وسيلة لتطوير الحياة وليس لوقفها،وعليه فان هذا المحور يتشكل من فرعين :

1- وقاية .

2- تخون وتنقض .

3- تخون .

4- ما حرم عليك ان تمسه .

5 - أي يتوحون اليه بسرعة .

6 - الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، كتاب 53 ، ص ص568 - 570 .

7 - للاطلاع بصورة اوسع في الابعاد القانونية لهذا النص ينظر:الفكيكي ، مصدر سابق ، ص ص71 - 106 .

1. حماية جيش الامة :

لعل هذه المسألة ، تفردت بها تجربة الامام علي (ع) فانسجاماً مع اهتمامه واحترامه لافراد جيش الامة إذ يصفهم بـ " حصون الرعية وزين الولاة وعز الدين وسبل الامن وليس تقوم الرعية الا بهم "[1] فان الامام رفض سياسة اعداد الجيوش كأداة للقتل مفرغة من أي محتوى انساني او فكري سليم ، بل انه (ع) قدم نموذجاً خاصاً في تهيئة الجيش على اسس اخلاقية واستعداد نفسي غاية في الاهمية إذ يقول (ع) عن فلسفة المعركة التي يحتم عليهم خوضها: " انما الجهاد اجتناب المحارب ومجاهدة العدو "[2] وكان (ع) يذكر بأسلوب عملي على ان الغاية من الحرب هي حفظ الدين كمنهج للحياة وليس الدين في خدمة الحرب لذلك اوصى مقاتليه ، قبل معركة صفين قائلاً : " الا انكم ملاقوا العدو غداً ان شاء الله فاطيلوا الليلة القيام واكثروا تلاوة القرآن واسألوا الله الصبر والنصر "[3] . وكان علي ينصح قادة الجيش قائلاً: " لا تدخروا انفسكم نصيحة ولا الجند حسن سيرة "[4] .

فضلاً عن تأكيده (ع) القيم الشخصية المعنوية للمقاتل كالشجاعة والايثار اذ يقول: "واي امرئ منكم احس من نفسه رباط جاش عند اللقاء ورأى من احد اخوانه فشلاً فليذب عن اخيه بفضل نجدته 00 كما يذب عن نفسه

---

1 – الشريف الرضي (الجامع) نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ،رسالة 53، ص553 .

2 – النوري ، مصدر سابق ، ج11 ، ص18 ؛ حسن القبانجي ، مصدر سابق ، م4 ، ص337 .

3 – المنقري ، مصدر سابق ، ص225 . حسن القبانجي ، مصدر سابق ، م4 ، ص293 .

4 – الشريف الرضي (الجامع)، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ،كتاب 51 ، ص544 .

"[1] ، وكذلك فان كرامة المقاتل وحريته هما من حقوقه إزاء قيادته عند الامام(ع) اذ يوصي احد قادة جيشه قائلاً : " قد وليتك هذا الجند فلا تستذلنهم ولا تستطل عليهم فان خيركم اتقاكم "[2] . وكان الامام (ع) يؤكد في طرحه النظري وسيرته العملية حرية الانسان في القتال تحت راية القضية التي يؤمن بها اذ يقول(ع): " من احب ان يلحقنا فليلحقنا ، ومن احب ان يرجع فليرجع مأذوناً له غير حرج"[3] واكد (ع) هذا المبدأ حتى في اخر خطبة له اذ نادى (ع) بأعلى صوته : " الجهاد الجهاد عباد الله الا واني معسكر في يومي هذا ، فمن اراد الخروج إلى الله فليخرج "[4] .

وفي ضمن سعي الامام إلى الحفاظ على حياة وارواح المقاتلين يؤكد (ع) حق الجنود في قيادات عسكرية حكيمة معتوا ان قيادة ابناء الامة في المعركة مسؤولية لا يجب ان يحظى بها الا من وصفه الامام بقوله : " فول من جنودك انصحهم في نفسك لله ولرسوله ولامامك وانقاهم جيباً وافضلهم حلماً ، ممن يبطئ عن الغضب يستريح إلى العذر ويرأف بالضعفاء وينبو[5]

---

1 – حسن القبانجي ، مصدر سابق ، م4 ، ص299 ، وينظر : حول هذه المسألة كذلك الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، مصدر سابق ، ج11 ، ص73 ؛ المنقري ، مصدر سابق ص255 .

2- المحمودي ، مصدر سابق ، ج2 ، ص327 .

3- ابن عساكر ، مصدر سابق ، ج24 ، ص457 ؛ ويقول (ع) مخاطباً اهل الكوفة وغيرهم " من كره منكم ان يقاتل معنا معاوية فليأخذ عطاءه ويخرج إلى الديلم فليقاتلهم ، فقال الراوي فأخذنا اعطائيتنا وخرجنا إلى الديلم ونحن اربعة الاف أو خمسة الاف" ؛ البلاذري ، فتوح البلدان ، مصدر سابق ، ص395 .

4 - الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، خطبة 182 . ويؤكد الامام مسألة حرية المقاتلين وانعكاس ذلك ايجابياً على المعركة اذ يقول (ع) : " انهض بمن اطاعك إلى من عصاك واستغن بمن انقاد معك عمن تقاعس عنك فان المتكارة مغبية خير من شهوده وقعوده اغنى من نهوضه " ، المصدر السابق ، كتاب 4 ، ص462 .

5 - يقوى

على الاقوياء ، وممن لا يثنيه العنف ولا يقعد به الضعف ... [من] اهل النجدة و الشجاعة والسخاء والسماحة "[1] .

ورفض الامام (ع) اسلوب القيادة من خارج المعركة وبعيداً عن ميدانها المباشر وخطرها المحدق إذ طالب قادته بالاشتراك الفعلي في ميدان المعركة حتى يعرفوا مكاره القتال ومقدار الخطر واحتياجات المعركة اذا اوصى (ع) بعض ولاته قائلاً : " واحرسا عسكركما بأنفسكما ولا تنوقا نوماً الا غرارا ومضمضة وليكن عندي خبركما "[2] هذا من جهة ومن جهة، ثانية فان الامام طالب بتهيئة المستلزمات المادية للمعركة اذ يقول (ع) : " مجاهدة الاعداء في دولتهم ومناضلتهم مع قدرتهم ترك لامر الله وتعرض لبلاء الدنيا "[3] ويقول (ع) كذلك " من الخرق المعالجة قبل الامكان "[4] .

لقد اكد الامام تهيأة الخطط العسكرية لتحقيق النصر واجتناب الخسائر[5] ، مشدداً على الحفاظ على حياة ابناء الامة حتى في اثناء الحرب ذلك لأن الحياة هي القيمة الاسمى التي يجب ان تراعى وتعطى الاولوية على أي اعتبار لنصر جزئي او ما شابه[6] . اذ ان النصر عند الامام هو حالة

1- المصدر السابق ، كتاب 53 ، ص554 . وحول شرح فوائد هذه الشروط ينظر : محمد مهدي شمس الدين ، دراسات في نهج البلاغة ، مصدر سابق ، ص52-54 .

2 - ابن داوود الدينوري ، الاخبار الطوال ، مصدر سابق ، ص166 . وفي الحروب كان الامام (ع) مثالاً عملياً لما دعا اليه ينظر : البلاذري ، انساب الاشراف ، مصدر سابق ، ص298 .

3- مدير ، مصدر سابق ، ج2 ، ص332 . يقول الامام علي : " من فر من رجلين في القتال فر من الزحف ومن فر من ثلاثة رجال في القتال فلم يفر من الزحف ؛ حسن القبانجي ، مصدر سابق ، م4 ، ص340 . ويؤكد الامام (ع) على مسألة رباط الخيل كنوع من الاستعداد المادي للمعركة ، المصدر السابق ، م4 ، ص ص280 - 284 .

4 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، حكمة 353، ص678 .

5 – حول توجيهات الامام ولواءه العسكرية ينظر: حسن القبانجي ، مصدر سابق، م4 ، ص ص302 –303 .

6– ينظر : المصدر السابق ، م4 ، ص340 .

يجب ان تحكم بوسيلة تحقيقه من جهة ، ونتائجه من جهة ثانية وهذا ما ذهب اليه الامام علي في مبدأ مهم في ضمن القانون الانساني للحرب وهو (انصاف جيش الخصم) .

2– انصاف جيش الخصم :

لقد أنشأت البيئة العربية الجاهلية جملة من الاخلاق الحربية في التعامل مع الخصوم من ابرز سماتها :

1 . " تجريد القتيل من لباسه وكشف عورته .

2. التمثيل به .

3. بيع جثثه .

4 . الاجهاز على الجريح .

5 . قتل الفار من المعركة "[1] .

وقدر برز الاسهام الفكري والعملي للامام علي (ع) في تعزيز وتطوير التجربة الاسلامية في مضمار القانون الانساني للحرب في بعده الثاني وهو دعوة الامام لانصاف جيش الخصم[2] ، وكان الامام يبلور الية التعامل مع الخصم في اطارها العام عبر مدرسة الدعاء اولاً اذ يقول " اللهم ان اظهرتنا على عدونا فجنبنا البغي وسددنا للحق "[3] ، اما اهم ابعاد التعامل الانساني الذي دعا اليه الامام علي فهي :

1– الطائي ، مصدر سابق ، م1 ، ج1 ، ص365 .

2– ينظر : المحمودي ، مصدر سابق ، ج7 ، ص232 ، ص474 .

3 – محمد الطوي ، تاريخ الطوي ، مصدر سابق ، ج4 ، ص10 ، وينظر : دعاء اخر له؛ القوشي، موسوعة امير المؤمنين ، مصدر سابق ، ج2 ، ص262 .

أ – التمييز بين المقاتلين وغير المقاتلين :

لقد امتاز فكر وسلوك الامام (ع) بالتأكيد ان ليس كل عنصر في جيش العدو يجوز قتله ، حيث قصر الامام جواز القتل لمن يشهر السلاح بوجه المسلمين وجيش الامام العادل حصراً وعبر الامام عن ذلك بقوله: " لا تقاتلن الا من قاتلك "[1] ، بل ان " من القى السلاح فهو امن "[2] ، ويمكننا القول ان هذا المبدأ يضمن سلامة جميع العناصر المشاركة في المعركة من غير

المقاتلين امثال الفرق الطبية ومسؤولي الشؤون الدينية او الاعلامية وما شابه.

ويولي الامام (ع) الرسل والمبعوثين اهتماماً خاصاً إذ يدعوا إلى صيانة سلامتهم الشخصية بغض النظر عن ما يحملونه من رسائل او شروط من قبل العدو اذ يقول (ع) : " ان الرسل امنة لا تقتل "[3] .

ورفض الامام اسلوب الاغتيال حتى ورد انه " لا يستحب بيات احد من اهل البغي ولا قتاله غيلة ولا على غرة وقد اوصى امير المؤمنين (ع) الاشتر بذلك "[4] .

ويؤكد الامام سلامة قوات العدو اذا ما تم النصر للمسلمين وانهزمت قيادات العدو وبان عجزه عن لملمة شتات قواته لمحاولة الهجوم مرة اخرى،

---

1 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، كتاب 102 ، ص407 .

2– الجصاص ، مصدر سابق ، ص535 ؛ ابن داوود الدينوري ، الاخبار الطوال ، مصدر سابق ، ص156 .

3 – محمد الطوسي ، تاريخ الطوسي ، مصدر سابق ، ج3 ، ص464 . وينقل الامام علي (ع) قوله : " اذا ظفرتم برجل من اهل الحرب فانزعم انه رسول اليكم فان عرف ذلك وجاء بما يدل عليه فلا سبيل لكم عليه حتى يبلغ رسالته ويرجع إلى اصحابه وان لم تجدوا على قوله دليلاً فلا تقبلوا " ؛ محمد حسن النجفي ، جواهر الكلام في شرح شرائع الاسلام ، تحقيق وتعليق الشيخ عباس القوجاني ، ج12 ، ط3 ، (ايران ، دار الكتب الاسلامية ، د. ت) ، ص11 .

4 – الطوسي ، مصدر سابق ، ص44 .

لذلك اصدر الامام (ع) امره في معركة الجمل قائلاً: " ان ظهرتم على القوم فلا تتبعوا مدبراً ، ومن اغلق بابه فهو امن"[1]

ورفض الامام استخدام اسلوب القتل الجماعي لجيش الخصم مثل منع الماء عنه او غيرها من الاساليب ربما لوجود من لا يجب قتلهم او مغرر بهم وغيرهم من الفئات التي اقر الامام ان يحقن دمائهم ،وهذا ما اثبتته السيرة العملية للامام في معركة صفين[2] وقد ورد عنه قوله(ع): " لا يحل منع الماء"[3] .

ب –حماية الجرحى واسعافهم:

اكد الامام حماية الجرحى والمرضى من الاعداء ، وكانت وصيته واوامره في المعركة هي: " لا تذففوا على جريح "[4] و " لا تجهزوا عل جريح "[5] وكانت سيرته العملية مليئة بمواقف تدعو الى الحفاظ على حياة الجرحى وسلامتهم الشخصية فمثلاً بعد " انتصار الامام علي (ع) على

---

1 – البلاذري ، انساب الاشراف ، مصدر سابق ، ص262 ، الجصاص ، مصدر سابق ، ص535 ؛ الهندي ، مصدر سابق ، ج11 ، ص338 . وتذكر بعض المصادر ان الامام لم يصدر مثل هذا الامر اثناء معركة صفين لان " اهل صفين

كانوا يوجهون إلى فئة مستعدة وامام يجمع لهم السلاح والدروع والرماح والسيوف ويجزل لهم العطاء 000 ويردهم فيوجهون إلى محاربتهم وقتالهم " ، الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، مصدر سابق ، ج15 ، ص75 . التيوزي ، مصدر سابق ، ص25 .

2 – لقد منع جيش الامام من الماء من قبل جيش معاوية ورفض الامام اتباع الاسلوب نفسه عندما سيطر على الماء ، وحول التفصيل الكامل لهذا الموقف ينظر : محمد الطوي ، تاريخ الطوي ، مصدر سابق ، ج3 ، ص569 ؛ اليعقوبي ، مصدر سابق ، ج2 ، ص189 . ابن قتيبة الدينوري ، الاخبار الطوال ، مصدر سابق، ص168 .

3– الشهيد الاول ، مصدر سابق ، ج2 ، ص32 .

4– الجصاص ، مصدر سابق ، ص535 .

5– الهندي ، مصدر سابق ، ج11 ، ص338 .البلاذري ، انساب الاشواف ، مصدر سابق، ص262 .

الخوارج في حرب النهروان طلب الامام من بعض رمق منهم فوجدهم اربعمائة رجل فأمر بهم(ع) فدفعوا إلى عشائرهم قائلاً احملوهم معكم فداووهم"[1] .

ج –رعاية الاسرى :

دعا الامام إلى صيانة حقوق الاسير وعمل على ذلك ولاسيما حماية حياته وسلامته الشخصية من أي خطر او عمل انتقامي فكان (ع) يقول للاسير: "لن اقتلك صبراً اني اخاف الله رب العالمين ، وكان يأخذ سلاحه ويحلفه ان لا يقاتله ويعطيه اربعة دراهم"[2] ،واسلوب اطلاق سراح الاسير اختلف باختلاف المصلحة العامة كان تؤخذ فدية او يطلق من دونها ولكن ما هو ثابت هو الحفاظ على سلامته وكرامته الانسانية[3] .والاهم من ذلك ان الامام انشأ ما يمكن ان نسميه محكمة لمقاضاة القتلة ومجرمي الحرب من الاسرى حتى ان كان المذنب من المسلمين البغاة[4] .وان مثل هذا الاجراء لا يقصد به اهانة الاسير او المساس بحقوقه بل معاقبة المجرم على نحو يعطي الرد والردع المناسبين لمن يستهين بحقوق الانسان وحياته .

ويعد الامام مسألة اكرام الاسير والاحسان اليه من حقوقه الاساسية ، طوال مدة مكوثه في الاسر إذ يقول (ع) : " اطعام الاسير والاحسان اليه

---

1 – الطائي ، سيرة الامام علي ، مصدر سابق ، م3 ، ج6 ، ص158 ، وكذلك موقف الانساني حول عفوه عن رؤوس الفتنة في معركة الجمل حين كانوا جرحى ينظر : محمد الطوي ، تاريخ الطوي ، مصدر سابق ، ج3 ، ص521 .

2 – المنقري ، مصدر سابق ، ص467 .الريشهري ، ميزان الحكمة ، ج3 ، ص2500 .

3 – النوري ، مصدر سابق ، ج11 ، ص49 ، حسن القبانجي ، مصدر سابق ، م4 ، ص345 .وحول سيرة الرسول (صلى الله عليه وآله) في الاسرى والذي انسجم معه ما ذهب اليه الامام ينظر: ابن هشام ، مصدر سابق ، ج3 ، ص131 ؛

محمد الطوي ، تاريخ الطوي ، مصدر سابق ، ج2، ص131 .

4 – التوزي ، مصدر سابق ، ص25 ، النوري ، مصدر سابق ، ج11 ، ص50 ؛ حسن القبانجي ، مصدر سابق ، م4 ، ص346 . ويروي كذلك بان علي (ع) اذا اخذ اسواً من اهل الشام خلى سبيله الا ان يكون قد قتل من اصحابه احد فيقتله به فاذا خلى سبيله فان عاد ثانية قتله ولم يخل سبيله ، المجلسي ، مصدر سابق ، ج79 ، ص38 .

حق واجب وان قتلته من الغد "[1] . وكان موقف الامام مع ابن ملجم مصداقاً لما دعا اليه اذ قال (ع) : " انه اسير فأحسنوا نزله واكرموا مثواه "[2] ،واوصى(ع)وهو على فواش الشهادة الامام الحسن : " ارفق باولدي بأسيرك وارحمه او احسن اليه واشفق عليه –واخذته اغماءه – فلما افاق ناوله الحسن (ع) قعباً من لبن شرب منه قليلاً ثم نحاه من فمه وقال : احملوه إلى اسيركم "[3] .

فضلاً عن ذلك فقد اهتم الامام بالجانب الفكري ،ولاسيما السياسي منه للاسير، حيث ورد عنه (ع) انه كان يعرض على الاسير " البيعة والدخول في الطاعة فأن بايع خلى سبيله...وان ابى البيعة اخذ سلاحه ويحلفه ان الا يعود للقتال ويطلقه "[4] ، ان هدف الامام من هذا الاسلوب هو رفع الضلالة والغشاوة عن فكر ووعي الاسير إذ يمكن افتراض وجود اسلوب اقناع واجوبة عما يدور في ذهن الاسير قبل اعلانه البيعة بملء ارادته وهذه الحوارات السياسية[5] اذا ما وجدت عقولاً واعية ونفوس صاغية يمكن ان تسهم في صياغة انسان جديد في نظرته وسلوكه لذا لا يوجد داعٍ او مسوغ لمكوثه في الاسر فيطلق سراحه بعد انزال خطره .

1– الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، مصدر سابق ، ج11 ، ص69 ؛ حسن القبانجي ، مصدر سابق، م4 ، ص347 .

2– الهندي ، مصدر سابق ، ج31 ، ص196 .

3 – الطائي ، سيرة الامام علي ، مصدر سابق ، م3 ، ج7 ، ص99 ، وكذلك ينظر : خالد ، مصدر سابق ، ص150 .

4– الصلابي ، مصدر سابق ، ص567 .وفي نفس السياق ينظر : حسن القبانجي ، مصدر سابق ، م4 ، ص346 .

5 – ينظر : نموذجاً من حواراته السياسية ، البيهقي ، مصدر سابق ، ج8 ، ص180 .

د – احترام قتلى العدو :

ان ما ابداه الامام علي (ع) من احترام جثث القتلى من الاعداء يعكس سموه النفسي من جهة وحق الانسان المتوفى بأن يدفن بصورة لائقة وشرعية من جهة ثانية . لذلك فقدرفض الامام أي تشويه او تمثيل او سلب لجثث الخصوم تحت أي مبرر او مسوغ كان ، حتى انه اوصى بقاتله " لا يمثل بالرجل فاني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول : اياكم والمثلة ولو بالكلب العقور "[1] ، بل ان الامام عد ان العداء مهما كان عميقاً مع الخصم سينتهي في حالة مقتله او وفاته لذلك زاه بعد

معركة الجمل " ندب الناس إلى موتاهم فخرجوا اليهم فدفنوهم وصلى على قتلاهم من اهل البصرة وعلى قتلاهم من اهل الكوفة "[2] .

ومنع الامام أي توظيف سياسي او مالي لجثث الاعداء ، حيث يروي مثلاً انه حين قتل عبيد الله بن عمر بن الخطاب بصفين " كلم نساؤه معاوية في جثته فأمر، فبذلت لربيعة [حيث قتله رجلاً منهم] فيها عشرة الاف درهم ، فاستأمروا علي فقال : لا ولكن هبوها لأهله 00 "[3] .

هـ – حفظ الكيان المعنوي للاعداء :

ان مبدأ انصاف الخصم كان منطلق الامام علي (ع) في حفظ الكيان المعنوي للاعداء وعدم اللجوء إلى طعن الخصوم او تسقيطهم دينياً واخلاقياً ، لذلك منع الامام بعض افراد جيشه من شتم ولعن جيش معاوية في اثناء حرب صفين " فقالوا يا امير المؤمنين السنا محقين ؟ قال : بلى، قالوا او ليسوا مبطلين ؟ قال: بلى ، قالوا : فلم منعتنا من شتمهم ؟ قال : كرهت لكم

---

1 – الشريف الرضي (الجامع)،نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، كتاب 47 ، ص541 .

2 – محمد الطبري ، تاريخ الطبري ، مصدر سابق ، ج3 ، ص542 .

3 – البلاذري ، انساب الاشراف ، مصدر سابق ، ص326 .

ان تكونوا لعانين شتامين، تشتمون وتتبرؤون ولكن لو وصفتم مساوئ اعمالهم فقلتم من سيرتهم كذا وكذا ومن عملهم كذا وكذا كان اصوب في القول وابلغ في الفوز ولو قلتم مكان لعنكم اياهم وبرائتكم منهم اللهم احقن دمائنا ودماؤهم واصلح بيننا وبينهم واهدهم من ضلالتهم ، حتى يعرف الحق منهم من جهله ويرعوي عن الغي والعدوان من لهج به كان هذا احب الي وخير لكم "[1] .

لقد انصف الامام اعدائه ولم يسع إلى التقليل من شأنهم رافضاً اسلوب تحطيم الكيان المعنوي للخصم بغير وجه حق فحين" سأل عن اهل الجمل [المقاتلين له] امشركون هم ؟ قال : من الشرك فروا ، فقيل : امنافقون هم ؟ قال : ان المنافقين لا يذكرون الله الا قليلاً ، فقيل فما هم قال : اخواننا بغوا علينا "[2] . بل انه (ع) مدح حتى بعض ممن قاتله بما يستحقونه فحين نظر إلى سيف الزبير – بعد مقتله في احداث معركة الجمل – قال : " هذا السيف لطالما فرج به صاحبه الكرب عن وجه رسول الله (صلى الله عليه وآله) "[3] ويعلق الكاتب المعاصر عزيز السيد جاسم عن هذه السمة الانسانية عند الامام فيقول : " كان بطل الانتصار حزيناً ،رفيعاً في حزنه لم يحتقر الذين قاتلوه ، بل حزن من اجلهم ، وبكى احر البكاء ، وظل يرثي قتلاهم . وينشر من امجادهم على الناس ما اتاحه وقته القصير ... ولم يبخس حق قتلاه فلم يلجأ إلى التكفير

---

1 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي،مصدر سابق ، خطبة 206 ، ص46 .

2 – ينظر : الهندي ، مصدر سابق ، ج11 ، ص338 . البيهقي ، مصدر سابق ، ج8 ، ص173 محمد العلوي، مصدر سابق ، ص50 .

3 – ابن داوود الدينوري ، الاخبار الطوال ، مصدر سابق ، ص148 ؛ الحاكم النيسابوري ، مصدر سابق ، ج3، ص373 ؛ ابن كثير ، السيرة النبوية ، مصدر سابق ، ج4 ، ص680 ؛ ابي قتيبة الدينوري ، الامامة والسياسة، مصدر سابق ج1 ، ص98 .الهيثمي ، مجمع الزوائد ، مصدر سابق ، ج9 ، ص149 .

والشماتة بل كان منصفاً فوق حدود التصور. ان مسلك علي بن ابي طالب في رثائه قتلى معسكر الخصم ظاهرة فريدة 00ذات بعد عقائدي ثقافي اخلاقي متميز يصلح ان يكون منهج متبع "[1] .

وسعى الامام (ع) للحفاظ على المشاعر الانسانية للاعداء واحاسيسهم واخوانهم لاسيما بعد هزيمتهم امام جيشه حيث يصف كاتب معاصر هذا التعامل الانساني قائلاً : " دخل علي البصرة بعد المعركة بثلاثة ايام ، دخول الخاشعين لا دخول الفاتحين فأمن اهلها وأغضى عن مسيئها وتجاوز عن بقايا المتمردين واعرض عنهم صفحا "[2] . حيث شملت سماحة الامام جميع الناس ولاسيما المدنين وهذا ما سنتطرق اليه من المحور الثالث ، لمنظومة القانون الانساني للحرب عند الامام (ع) .

ثالثاً – حماية المدنيين :

عادة ما تتوسع دائرة شرور الحرب لتمتد باثارها السلبية على المدنيين العزل وقد كانت هذه الحقيقة ماثلة امام علي بن ابي طالب لذلك سعى (ع) للتقليل من الاثار السلبية التي تتركها الحرب على المدنيين ومن هنا اكد (ع) صيانة حياة السكان المدنيين من رعايا الاعداء وصيانة كرامتهم ، وجعل من هذه المسألة خطاً لا يمكن تجاوزه اذ كان (ع) يوصي قادته قائلاً : " لا تهتكن ستراً 00 ولا تهيجن امرأة باذى وان شتمن اعراضكم وسفهن امرائكم وصلحائكم ولقد كنا نؤمر بالكف عنهن وانهن لمشركات وان الرجل

1– جاسم ، مصدر سابق ، ص60 .

2 – الصغير ، مصدر سابق ، ص270 . وروي ان بعد معركة النهروان " اصبح اصحاب علي يبكون عليهم ، فقال (ع) تأسفون عليهم ؟ فقالوا لا انا ذكرنا الالفة ، التي كنا عليها والبلية التي اوقعتهم فلذلك رققنا ، قال لا بأس " الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، مصدر سابق ، ج2 ، ص9325 .

ليكافئ امرأة ويتناولها بالضرب فيعير بها عقبة من بعده فلا يبلغني عن احد عرض لامرأة فانكل به شوار الناس "[1] .

وكان (ع) يصر على احترام مشاعر المدنيين وعدم اثارة خوفهم اذ ورد عنه قوله : لا تخرجوا بالسيوف إلى الحرم "[2] وفي موقف انساني غاية في الاهمية ،ولاسيما في زماننا الحاضر مع تطور الاسلحة الفتاكة يقول الامام علي(ع) : " نهى

(3)

رسول الله (صلى الله عليه وآله) ان يلقى السم في بلاد المشركين" ويقول الامام " ان رسول الله نهى عن قطع الشجر المثمر واحراقه ، [يعني في دار الحرب] إلا ان يكون ذلك من صلاح المسلمين "[4] ، ويبدو ان هذا القول لا يحتاج الى المزيد من الاسهاب حيث تبرز من خلاله حماية المدنين والبيئة مما يظهر بما لا لبس فيه انسانية للامام (ع) حتى وهو يخوض حرباً ضد الاعداء .

وقد رفض الامام الاساليب العسكرية الانتقامية المفضية إلى العقوبات الجماعية التي لا تميز بين المقاتل والمدني ورفض الامام حتى اسلوب الوعيد والتهديد بالحرب (الحرب النفسية) احتراماً منه للجانب النفسي للمدنيين ، اذ كتب(ع) في احدى رسائله إلى بعض البغاة " لئن الجأتموني إلى المسير اليكم، لاوقعن بكم وقعة لا يكون يوم الجمل اليها إلا كلعقة لاعق ، مع اني

---

1 – تطرقنا إلى مصادر هذا القول سابقاً ينظر : محمد الطوي ، تاريخ الطوي ، مصدر سابق ، ج3 ، ص543 . وحول سيرته العملية في تعامله مع النساء لاسيما مع السيدة عائشة بعد حرب الجمل. ينظر : المصدر السابق، ج3 ، ص545 ؛ اليعقوبي ، مصدر سابق ، ج2 ، 183 ؛ ابن داوود الدينوري ، الاخبار الطوال، مصدر سابق ، ص154 ؛ الاسكافي ، مصدر سابق ، 60

2 – الحراني ، مصدر سابق ، ص106 .

3 – الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، مصدر سابق ، ص106 . الريشهري ، ميزان الحكمة ، مصدر سابق ، ج2، ص1167 ؛ حسن القبانجي ، مصدر سابق ، ج4 ، ص304 .

4 – النوري ، مصدر سابق ، ج11 ، ص127 ؛ حسن القبانجي ، مصدر سابق ، م4 ، ص339 .

عارف لذي الطاعة منكم فضله ولذي النصيحة حقه غير متجاوز متهماً إلى وزر ولا ناكثاً إلى وفي "[1] ، ومع انه (ع) في هذا النص يقدم الاعذار والانذار ، إلا انه في الوقت نفسه يميز الفئة المقصودة بالانذار ويحددها ويطمئن الفئة الصالحة . وكجزء حيوي من القانون الانساني للحرب الذي دعا اليه الامام علي ؛ اقر(ع) بحق المدنين بتعويض عادل اذا ما تعرضوا إلى ضرر من جراء اعمال عسكرية اذ ورد ان " علياً لما هزم طلحة والزبير اقبل الناس منهزمين فمروا بامرأة حامل على الطريق فزعت منهم فطرحت ما في بطنها حياً فاضطرب حتى مات ثم ماتت امه من بعده ، فمر بها علي (ع) واصحابه وهي مطروحة على الطريق وولدها على الطريق فسألهم عن امرها فقالوا: انها كانت حبلى فزعت حين رأت القتال والهزيمة ، فسألهم ايهما مات قبل صاحبه ؟ فقيل ان ابنها مات قبلها ... فدعا بزوجها ابي الغلام الميت فورثه ثلثي الدية وورثت امه ثلث الدية ...[ووزع باقي الدية على وفق الشريعة الاسلامية]"[2] . ويقول علي (ع) : " ان اصبتم احداً ففية الدية "[3] .

وحقيقة فلسفة الجهاد عند الامام هي الدفاع عن الانسان وليس اضطهاده او حرمانه من حقوقه لاسيما المدنيين العزل حتى انه كان يقول : " من ضيق طريقاً فلا جهاد له"[4] .

1 – الشريف الرضي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي ، مصدر سابق ، كتاب 29 ، ص494. وينظر : ابو القاسم سليمان محمد بن ايوب الطواني ، المعجم الاوسط ، تحقيق اواهيم الحسيني ، ج1 ، (د. م ، دار الحرمين ، د. ت) ، ص252 .

2– الهمداني ، مصدر سابق ، ص686 ، الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، مصدر سابق ، ج26 ، ص36 .

3 – النوري ، مصدر سابق ، ج11 ، 42 ؛ حسن القبانجي ، مصدر سابق ، م2 ، ص315 .

4– الهندي ، مصدر سابق ، ج4 ، ص360 ؛ حسن القبانجي ، مصدر سابق ، م4 ، ص337 .

ان طبيعة الحروب وما تحتاج اليه من مواد مالية ضخمة ، تدفع الحكومات الى توظيف الاموال العامة والخاصة للاغراض العسكرية ، إلا ان الامام (ع) رفض ان يكون تمويل الماكنة العسكرية على حساب الملكية الخاصة او قوت العامة ، بل ينبغي ان تأخذ نصيبها المتوازن من موازنية الدولة وبناءً على الظروف العامة للبلاد ، ويذكر انه (ع) ارسل كتاباً يبين فيه ضرورة احترام الملكية في ظل ظروف الحرب اذ يقول: " من عبد الله علي امير المؤمنين إلى من مر به الجيش من جباة الخراج وعمال البلاد .

اما بعد ، فأني قد سيرت جنوداً هي مارة بكم ان شاء الله وقد اوصيتهم بما يجب لله عليهم من كف الاذى وصرف الشذى[1] وانا اوأ اليكم وإلى ذمتكم من معرة[2] الجيش الا من جوعة المضطر لا يجد عنها مذهباً إلى شبعه ، فنكلوا من تناول منهم شيئاً ظلماً ، وانا بين اظهر الجيش فادفعوا الي مظالمكم وعواكم مما يغلبكم من امرهم ولا تطيقون دفعه الا بالله وبي"[3] . ويؤكد الامام بسيرته العملية حق الحفاظ على الملكية في اثناء الحرب ، فحين تحرك جيش الامام في احدى المعارك مر باحدى المناطق فاستقبله دهاقينها ، فقالوا ثم جاؤا " يشتدون معه فقال لهم الامام : ما هذه الدواب التي معكم وما اردتم بهذا الذي صنعتم . قالوا : اما هذا الذي صنعنا فهو خلق منا نعظم به الامراء ، واما هذه الواذين فهدية لك وقد صنعنا لك وللمسلمين طعاماً وهيأنا لدوابكم علفاً كثيراً . فقال (ع) : اما هذا الذي زعمتم انه منكم خلق تعظمون به الامراء فوالله ما ينفع هذا الامراء ، وانكم لتشقون به على انفسكم وابدانكم فلا تعودوا له ، واما دوابكم هذه فان

1 – الشذى : الشد والضرب .

2 – معرة الجيش : اذاه .

3 – الشريف الرضي(الجامع)،نهج البلاغة،تعليق وفهرسة د. صبحي،مصدر سابق،كتاب60،ص ص578–579.

احببتم ان نأخذها فنحسبها من خراجكم اخذناها منكم واما طعامكم الذي صنعتم لنا فان انكره ان نأكل من اموالكم شيئاً الا [1]

بثمن " .

وكان الامام (ع) يوصي قادته قائلاً : " سر على بركة الله حتى تلقى عدوك ولا تحتقر من خلق الله احدا،ولا تسخرن بعواً ولا حمراً ...ولا تستأثرن على اهل المياة بمياههم ولا تشربن مياههم الابطيب انفسهم ولا تسبي مسلماً ولا مسلمة و لاتظلم معاهداً ولا معاهدة وصل الصلاة لوقتها" [2] .

واظهر الامام (ع) احترامه لملكية الاعداء حيث كانت اوامره تقضي بأن: " لا تهتكوا الستر ولا تدخلوا داراً الا باذني " [3] .

وانه (ع) :" لم يقاتل اهل الجمل حتى نادى الناس ثلاثاً... ان ظهرتم على القوم فلا تتبعوا مدبراً ولا تجهزوا على جريح وانظروا ما حضرت به الحرب من انية فاقبضوه وما كان سوى ذلك فهو لورثته" [4] .

وبعد معركة الجمل رد الامام " على الناس اموالهم من اقام بينه اعطاه ومن لم يقم بينه احلفه " [5] ، ولكن حق الملكية للخصم يسقط اذا ما تحول إلى اداة تضر بالمسلمين وسلاحاً موجهاً ضدهم فلقد كان (ع) يوصي : " لا تمسن مال احدٍ من من الناس مصل ولا معاهد ، الا ان تجد فرساً او سلاحاً

---

1 – المحمودي ، مصدر سابق ، ج2 ، ص142 . وتستمر المحاورة بين الامام والدهاقين الذين قالوا : " يا امير المؤمنين نحن نقومه ثم نقبل ثمنه . قال : اذا لا تقومونه قيمته ونحن نكتفي بما دونه 000 قالوا : يا امير المؤمنين انا نحب ان تقبل هديتنا وكرامتنا . قال لهم : ويحكم نحن اغنى منكم واحق بأن نفيض عليكم فتركهم ثم سار " ، المصدر السابق ، ج2 ، ص142 – 143 .

2– المصدر السابق ، ج5 ، ص371 .

3 – المنقري ، مصدر سابق ، ص204 ؛ حسن القبانجي ، مصدر سابق ، م4 ، ص308 ، وباختلاف يسير ينظر : محمد الطبري، تاريخ الطبري ، مصدر سابق ، ج3 ، ص506 .

4– الهندي ، مصدر سابق ، ص338 .

5 – الحر العاملي ، وسائل الشيعة ، مصدر سابق ، ج11 ، ص58 ؛ وينظر كذلك : طه حسين ، مصدر سابق ج2 ، ص50 ؛ ابو منصور الطبرسي ، الاحتجاج ، مصدر سابق ، ج1 ، ص396 ، حسن القبانجي ، مصدر سابق ، م4 ، ص331 .

يعدى به على اهل الاسلام فانه لا ينبغي للمسلم ان يدع ذلك في ايدي اعداء الاسلام فيكون شوكة عليه" [1] .

لقد احاط الامام علي بن ابي طالب (ع) ، الانسان بشتى الحقوق التي تسهم في رفع شأن الانسان وسموه في الميادين الانسانية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية كافة ، وفي ظل السلم والحرب ، ليقدم لنا النموذج المتكامل الذي امتزجت به ارادة السماء بعمل الانسان الصالح في الارض .

1 – محمد الطوي ، تاريخ الطوي ، مصدر سابق ، ج3 ، ص524 .

الصفحة 477

الصفحة 478

الخاتمة

عبر ما تطرقنا اليه سابقاً يمكننا التوصل إلى جملة من الاستنتاجات :

1 . اتضح بكل جلاء ان الإمام علي بن أبي طالب (ع) يعد تجسيداً حياً للشريعة الإسلامية وافديها القران الكريم والسنة النبوية مضافاً إليهما ابداع الانسان المتميز في تطبيق النص على أرض الواقع ولاسيما في مجال حقوق الانسان حيث شملت رؤيته مساحة واسعة من تلك الحقوق دعا اليها وجسدها في ميدان التطبيق العملي .

2 . تعد الحياة قيمة عليا في الرؤية العلوية ينبغي ان تصان عبر زيادة الوعي بخطورة سلبها من الانسان وعظم هذه الجريمة وانعكاسها السلبي في الدنيا والآخرة من جهة وفرض العقوبة العادلة على منتهك حق الآخرين في الحياة من جهة أخرى ، إلا أن احترام حياة الانسان لا يلغي تشريع القصاص العادل الذي قد يصل الى القتل إذا ما أقدم الفرد على هدم وجود الإنسان .

3 . دعا الامام علي (ع) إلى أن ينعم الانسان بحق المساواة العادلة في ابعاده كافة سواء البعد الإنساني ، او الأجتماعي ، او الاقتصادي ، او السياسي ، او القضائي . إلا أن الدعوة النظرية والممارسة العملية للأمام لترسيخ هذا الحق لم تكن على حساب المعايير الموضوعية للتفاضل بين الناس والتي عمل بموجبها استناداً إلى الشريعة الإسلامية وذلك لتحقيق العدالة بين البشر من جهة والسعي لتطوير المجتمع والارتقاء بالوجود الإنساني من جهة أخرى ، إذ أن الايمان والتقوى والعلم والعمل المثمر هي من مقومات الإنسان الفاضل والمجتمع الصالح .

.4

الصفحة 479

يعد حق الحرية دعامة أساسية في هيكل حقوق الإنسان الذي شيده الإمام علي (ع)، لاسيما وأن هذا الحق يلقي بإشعاعه على شتى مناحي الحياة . فالحرية الشخصية والسياسية والاقتصادية والفكرية والدينية التي دعا اليها الامام وجسدها كممارسة عملية هي ثمار لهذا الحق وانعكاس له ، مع الأخذ بنظر الاعتبار كون هذه الحرية منضبطة بإحكام الشريعة الإسلامية ومبدأ عدم الأضرار بالاخرين .

5 . في اطار حقوق الانسان ذات البعد السياسي يبرز حق حرية الرأي والتعبير سواء في رؤية الإمام النظرية أو ممارسته

العملية ، مؤكداً (ع) جملة من الضمانات لهذا الحق بهدف تفعيله كونه مقصداً الهياً شرعياً وآلية مهمة لاطلاع الحكومة على سلبياتها وأخطائها ،وإنشاء وترسيخ الوعي السياسي ،والتخلص من سبات العقل والركود الفكري للوقوف بالضد من ظهور الاستبداد في الواقع السياسي الاسلامي و الانساني على حد سواء .

6 . لقد منح الامام علي (ع) الانسان حق المشاركة السياسية في شؤون وطنه واختيار حكامه وتقديم الشورى والنصيحة وتبادل الاراء بين الحاكم والمحكوم لايجاد أفضل الوسائل الممكنة وصياغتها عبر قرارات تخدم الانسان والمجتمع ، ناهيك عن حق الأمة في قبول أو رفض السياسات العامة والتي تتكامل مع حقها الاصيل بالرقابة الشعبية لعمل السلطة والقائمين عليها .

7 . امتازت الرؤية العلوية لحقوق الإنسان بابراز حق ضمانة ضبط الحكام وذلك لأهمية منصب الحاكم وتأثيره الواسع في المجتمع ، لاسيما مع عظم المهمات الملقاة على عاتقه والمتمثلة بالواجبات الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية . لذا دعا الامام الى ضرورة ان يشغل هذا

المنصب الانسان الذي يتميز بجملة من الصفات لعل من ابرزها معرفة الاسلام وحسن تطبيقه ،والعدالة ،والوعي السياسي ،والصفات الشخصية الحميدة .

8 . في حالة المساس بالشريعة الاسلامية أو ظهور حالة الاستبداد والظلم من قبل الحكام أزاء الأمة وتبديد حقوقها نتيجة ضعف الوعي والأداء السياسي والإداري ، فإن الامام يمنح الحق للامة بأفرادها ومجموعها بالتصدي للحكومة واخطائها تجسيداً لحق المعارضة وبصورة تدريجية حتى تصل الى الثورة المسلحة للقضاء على الظلم والطغيان وذلك استناداً الى مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي أولاه الامام أهمية متميزة على الصعيدين النظري والعملي .

9 . للمرأة مكانة مميزه في رؤية الامام علي (ع) وقد انعكس ذلك على ما دعا اليه وطبقه الامام في هذا الشأن ، مرسخاً حقوق المرأة في صيانة حياتها وحفظ كيانها المعنوي وتمتعها في بعض المجالات بحق المساواة مع الرجل ، إلا فيما نصت الشريعة خلافه ، وكذلك حق الحرية والمشاركة السياسية وجملة من الحقوق الاجتماعية والقانونية فضلاً عن حق المرأة في العمل . ان الاعتقاد بهذه الحقوق وما مارسه الامام في مجال واقعه يدحض ما أشيع حول وجود نظرة سلبية للمرأة نسبت اليه من غير وجه حق .

10 . تعد الأسرة الركيزة الاساسية في بناء المجتمع وترسيخ قيم الاسلام وفقاً لرؤية الامام علي (ع) . لذا فقد شغلت حقوق الاسرة حيزاً مهماً في تجربته عبر تشجيع الزواج وتعزيز سبل ديمومته ، وكذلك حفظ المنهج الاسلامي والاخلاقي في المجتمع عبر تعزيز الروابط الأسرية والأنسانية

،وأشاعة مفاهيم التسامح والمحبة والاحترام بين افراد الاسرة، وتعزيز هذه الاخلاقيات خلال نشرها في المجتمع الأنساني ككل .

11 . تتميز رؤية الامام علي (ع) باهتمام كبير بالاطفال وحقوقهم ، مؤكداً أن هذه المرحلة في حياة الانسان هي الاهم في صياغة شخصيته ورسم ملامح مستقبله . لذلك كان حق حفظ حياة الطفل ورعاية كيانه المعنوي وحقه في التربية الصالحة والتنشئة الحميدة ناهيك عن ضرورة تمتعه بحق الحرية والمساواة وجملة من الحقوق القانونية والمادية هي أبرز ما دعا اليه الامام ومارسه تعزيزاً منه لحقوق الطفل في المجتمع .

12 . لقد عد الامام علي (ع) نيل العلم والتعليم من اهم حقوق الانسان التي يجب السعي الحثيث لتحقيقها عبر احترام العلم والعمل به ، وتجنب العلم غير النافع ،والتأكيد على حرية نيل العلم من جهة ومسؤولية كل من الحاكم والمجتمع والفرد في الأهتمام بعملية التعليم من جهة ثانية ،واحترام حقوق العلماء وطلاب العلم من جهة ثالثة .

13 . العمل حق من حقوق الانسان على وفق رؤية الامام علي (ع) لذلك دعا الى احترام العمال ،وخلق المجتمع المنتج ، والسعي الجاد لتوفير فرص العمل عبر ضبط الحياة الاقتصادية ، وتعزيز دور القضاء الاقتصادي ، وتنظيم العمل في المجتمع

، وتشجيع العمران والتخطيط الاقتصادي ، ومنع السخرة ، وضرورة حصول العمال على حقوقهم بالاجور العادلة والحياة الكريمة .

14 . اتسمت رؤية الامام علي (ع) للملكية بالايجابية ، اذ عدها حقاً من حقوق الانسان سعى لصيانته عبر عدة آليات لعل من أهمها البعد المعنوي بتأكيده حرمة مس ملكية الاخرين ، بغير وجه حق ، والبعد

المادي عبر تأكيد مبدأ العقوبة على من يتعدى على ملكية الاخرين وصيانة الملكية العامة خدمة للفرد والمجتمع .

15 . لقد شغل حق الضمان الاجتماعي حيزاً مهماً من تجربة الامام علي (ع) في إرساء حقوق الانسان . فقد بين الامام الاساس الشرعي والإنساني والسياسي لهذا الحق إضافة لممارسته العملية له إذ شملت تجربته العملية الضمان ضد الفقر ، وتحقيق الأمن الغذائي، والضمان الصحي ، ورعاية المستضعفين في المجتمع من الايتام والارامل وكبار السن، ناهيك عن شمول الضمان الاجتماعي – على وفق الرؤية العلوية – تقديم المعونات الاقتصادية وضمان السكن والعيش الكريم للانسان .

16 . يؤكد الامام حق صيانة الكرامة الانسانية وذلك بمنع تعرض الانسان لأي نوع من الانتقاص او الاستهانة ورفضه (ع) كل ما يمس كرامة الإنسان ويلوث سمعته مهما كانت المبررات لذلك العمل. ودعا الامام كذلك لإشاعة السعادة والامل بين افراد ومجموع الامة عبر تأكيده التوبة ، والاستغفار ، وتبشيره بعقيدة المهدي المنتظر .

17 . يعد حق التقاضي من ابرز الحقوق التي دعا الامام علي (ع) الى ضرورة ان ينعم الانسان بها ، مؤكداً حتمية إيجاد القضاء العادل من خلال تحديد مواصفات ممزوة للقضاة تتمثل بالعدالة والعلم وجملة من السمات الشخصية النبيلة . ومن جهة اخرى فإن الامام أكد نزاهة القضاء وحياديته عبر الموازنة بين السلطة السياسية الحاكمة والسلطة القضائية، وتحقيق الكفاية المادية ، وتعزيز المكانة المعنوية لمن يتولى منصب القضاء مؤكداً (ع) على شروط العدالة ، وتقنين الجرائم والعقوبات وتطوير القضاء ومراعاة آدابه ، وكل ذلك صيانة للانسان ورعايته في شتى شؤون الحياة .

18.

لقد أسهم الامام علي (ع) بصياغة ممزوة لحقوق الانسان في زمن الحرب ساعياً للتقليل من شرورها وآثارها السلبية مؤكداً جملة من المبادئ منها التأكيد على شرعية الحرب ، وضرورة حماية المشاركين فيها سواء من جيش المسلمين أم جيش خصومهم، وذلك عبر إنصاف جيش الخصم ، وتمييز المقاتلين عن غيرهم ، وحماية الجرحى وإسعافهم ، ورعاية الاسرى ، وأحترام قتلى العدو ، وحفظ الكيان المعنوي للاعداء ، وحماية المدنيين وصيانة ملكيتهم.

19 . لقد أسهم الامام علي (ع) في ترسيخ مبادئ حقوق الانسان عبر تأكيده ان هذه الحقوق هي تشريعات ألهية لا تمتلك قوى على الارض ان تسلبها من الانسان .

20 . وأشاع الامام حالة من الوعي بحقوق الانسان . إذ على الرغم مما تعرض له الموروث الفكري للامام (ع) من

محاربة واقصاء ، الا أن ما وصلنا يؤكد اعتماده اسلوب نشر ثقافة حقوق الانسان سواء على الصعيد النظري ، وهذا ما يدل عليه غزارة وتعدد النصوص التي تطرقت الى شتى انواع حقوق الانسان ، أم على الصعيد العملي للتجربة العلوية حيث جعلت من حقوق الانسان منارة شامخة امام بصر وبصيرة الانسانية مجسدة في المجتمع الاسلامي آنذاك وليكون ذلك جزءاً من رسالته الحضارية للبشرية في كل زمان ومكان ولاسيما مع ما امتازت به الرؤية والتجربة العلوية لحقوق الانسان من شمولية وواقعية وبعد انساني مميز .

21 . إن اشاعة وتعميم تجربة الامام علي (ع) ورؤيته لحقوق الانسان ببعديها النظري والعملي ، عبر نشرها والأخذ بها كمنهج عمل في المؤسسات الرسمية والدينية والاجتماعية في مجتمعنا ستسهم بلا شك في تطور الوعي والممارسة لحقوق الانسان من اجل تقديم نموذج حضاري

متميز لا تنضوي تحت لوائه الامة الاسلامية فحسب وانما تنهل منه البشرية بأسرها .

المصادر

القرآن الكريم

أولاً : الكتب

- اواهيم ، حبيب جميل ، سيرة الامام الشهيد الحسين ، (بغداد ، مطبعة الحافظ ، 1990).
- ابن ابي الحديد ، عز الدين بن هبة الله بن محمد ، شرح نهج البلاغة ، تحقيق محمد ابو الفضل اواهيم ، ط2 ، (بيروت ، دار احياء الكتب العربية ، 1967) .
- ابن ابي شيبة ، عبد الله بن محمد ، المصنف ، (د. م ، د. ن ، د. ت) .
- ابن ابي طالب ، علي ، ديوان الامام علي ، (قم ، نداء الاسلام ، 1411هـ) .

ابن الاثير ، عز الدين علي بن ابي الكرم الشيباني ، اسد الغابة في معرفة الصحابة ، (طهران ، دار اسماعيليان ، د. ت) .

ابن الاثير ، عز الدين علي بن ابي الكرم الشيباني ، الكامل في التاريخ ، مراجعة د. محمد يوسف الدقاق ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، د. ت).

ابن البطريق ، يحيى بن الحسن الاسدي الحلي ، عمدة عيون صحاح الاخبار في مناقب امام الابرار ، (قم ، مؤسسة النشر الاسلامي ، 1407هـ).

ابن تيمية ، تقي الدين احمد الحراني ، اقتضاء الصراط ، ط2 ، (القاهرة ، مطبعة السنة المحمدية ، 1369هـ) .

ابن تيمية ، تقي الدين احمد الحراني ، الزهد والورع والعبادة ، تحقيق حماد سلامة، ط3 ، (الاردن ، مكتبة المنار ، د. ت) .

ابن تيمية ، تقي الدين احمد الحراني ، الفتاوى الكبرى (فتاوى بن تيمية) ، (بيروت ، دار الكتب العلمية، 1408هـ) .

ابن تيمية ، تقي الدين احمد الحراني ، بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، تحقيق محمد بن عبد الرحمن القاسم ، ط1 ، (مكة المكرمة ، مطبعة الحكومة ، 1392هـ).

ابن تيمية ، تقي الدين احمد الحراني ، دقائق التفسير ، تحقيق محمد السيد، ط2 ، (دمشق ، مؤسسة علوم القرآن ، 1404هـ) .

ابن تيمية ، تقي الدين احمد الحراني ، منهاج السنة النبوية ، تحقيق محمود رشاد سالم، (د. م ، مؤسسة قرطبة ، 1404هـ) .

ابن جبر ، ابن المصباح مجاهد التابعي ، تفسير مجاهد ، تحقيق عبد الرحمن الطاهر، (اسلام اباد ، مجمع البحوث الاسلامية ، د. ت) .

ابن الجوزي ، ابو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي ، الموضوعات ، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ، (د. م ، د. ن ، 1966) .

ابن الجوزي ، ابو الفوج جمال الدين عبد الرحمن بن علي ،زاد المسير في علم التفسير، تحقيق محمد عبد الرحمن عبد الله ، (بيروت ، دار الفكر ، 1987) .

ابن حزم ، ابو محمد علي بن احمد ، الفصل في الملل والاهواء والنحل ، ط2 ، (بيروت ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، 1975) .

ابن الحسين ، يحيى ، كتاب الاحكام في الحلال والحرام ، (د. م ، د. ن ، د. ت) .

ابن حمزة ، محمد بن علي الطوسي ، الثاقب في المناقب ، تحقيق الاستاذ نبيل رضا علوان ، ط2 ، (قم ، مؤسسة انصاريان ، 1412هـ) .

ابن حنبل ، احمد بن محمد ، فضائل الصحابة ،(بيروت ، دار الكتب العلمية ، د. ت).

ابن حنبل ، احمد بن محمد ، كتاب العلل ومعرفة الرجال ، تحقيق وتخريج د. وصي الله بن محمد بن عباس ، ط1 ، (بيروت ، المكتب الاسلامي ، 1988) .

ابن حنبل ، احمد بن محمد ، مسند الامام احمد ، (بيروت ، دار صادر ، د. ت) .

ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد ، تاريخ ابن خلدون المسمى بـ 0 كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر) ، (بيروت ، مؤسسة الاعلمي ، 1971) .

ابن سعد ، محمد ، الطبقات الكبرى ، (بيروت ، دار صادر ، د. ت) .

ابن سلامة ، ابو عبد الله محمد ، دستور معالم الحكم ومآثر مكارم الشيم ، (د. م ، المكتبة الازهرية ، د. ت) .

ابن شادان ، الفضل ، الايضاح ، تحقيق السيد جلال الدين الحسيني ، (د. م، د. ن ، د. ت) .

ابن شهراشوب ، محمد بن علي ، مناقب ال ابي طالب ، تصحيح وشرح لجنة من اساتذة النجف ، (النجف ، المكتبة الحيدرية ، 1956) .

ابن طاووس ،رضي الدين ابي القاسم علي بن موسى الحسني ، الطرائف، (قم ، مطبعة الخيام ، 1399هـ) .

ابن طاووس ،رضي الدين ابي القاسم علي بن موسى الحسني ، اللهوف على قتلى الطفوف ، ترجمة عفيفي بخشاشي ، ط5 ، (قم ، دفتر نشر نويد اسلام ، د. ت) .

ابن طيفور ، ابو الفضل بن ابي طاهر،بلاغات النساء،(قم ،مكتبة بصيرتي ، د. ت) .

ابن عابدين الحصفكي ، محمد بن امين ، الدر المختار (شرح تنوير الانصار) ، (بيروت، دار الفكر للطباعةوالنشر ، 1995) .

ابن عساكر ، علي بن الحسن الشافعي ، تاريخ مدينة دمشق ، دراسة وتحقيق علي الشيري ، (بيروت ، دار الفكر ، 1995) .

ابن عنبة ، جمال الدين بن احمد بن علي ، عمدة الطالب في انساب ال ابي طالب ، تصحيح محمد حسن ال الطالقاني ، ط2 ، (النجف ، المطبعة الحيدرية، 1962) .

ابن قدامة،ابو محمد عبد الله بن احمد،المغني،(بيروت ، دار الكتاب العربي ، د. ت) .

ابن قيم الجوزية ، محمد بن ابي بكر ، احكام اهل الذمة ، (بيروت ، دار ابن حزم ، 1997) .

ابن قيم الجوزية ، محمد بن ابي بكر ، اعلام الموقعين عن رب العالمين ، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ، (بيروت ، دار الجيل ، 1973) .

ابن قيم الجوزية ، محمد بن ابي بكر ، الصواعق المرسلة على الجهمية المعطلة ، ط2 ، (الرياض ، دار العاصمة ، 1998) .

ابن قيم الجوزية ، محمد بن ابي بكر ، تحفة المودود بأحكام المولود ، (دمشق ، مكتبة دار البيان ، 1971) .

ابن قيم الجوزية ، محمد بن ابي بكر ،زاد المعاد في هدى خير العباد ، تحقق شعيب الارناؤط ، ط14 ، (بيروت ، مؤسسة الرسالة ، 1986) .

ابن قيم الجوزية ، محمد بن ابي بكر ، نقد المنقول والمحك المميز بين المردود والمقبول ، تحقيق ، حسن السماعي سويدان ، (بيروت ، دار القلم، 1990) .

ابن كثير ، ابو الفدا اسماعيل ، البداية والنهاية ، تحقيق وتعليق علي الشوي، ط1 ، (بيروت ، دار احياء التراث العربي ، 1988) .

ابن كثير ، ابو الفداء اسماعيل ، السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى عبد الواحد، (بيروت ، دار المعرفة ، 1971) .

ابن كثير ، ابو الفداء اسماعيل ، تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) ، (بيروت ، دار المعرفة ، 1992) .

ابن المرتضى ، احمد بن يحيى ، المنية والامل في شرح الملل والنحل ، ط4 ، (بيروت، دار الندى ، 1990) .

ابن منظور ، ابو الفضل جمال الدين بن مكرم ، لسان العرب ، (قم ، منشورات الحوزة، 1405) .

ابن النديم ، محمد بن اسحاق ، الفهرست ، (بيروت ، دار المعرفة ، 1978) .

ابن هشام ، عبد الملك الحميري ، السيرة النبوية ، تحقيق وتعليق محمد محيي الدين عبد الحميد ، (مصر ، مكتبة محمد صبيح وولاده ، د. ت).

ابو رية ، محمود ، اضواء على السنة المحمدية ، ط5 ، (د. م ، د. ن ، د. ت) .

ابو رية ، محمود ، شيخ المضيرة ابو هريرة ، ط3 ، (مصر ، دار المعارف، د. ت) .

ابوزهرة ، محمد ، تاريخ المذاهب الاسلامية (في السياسة والعقائد) ، (القاهرة ، دار الفكر العربي ، د. ت) .

ابو عبيدة ، القاسم بن سلام ، كتاب الاموال ، تحقيق وتعليق محمد خليل هراس ، (بيروت ، داتر الكتب العلمية ، 1986) .

ابو يوسف ، يعقوب بن ابراهيم ، كتاب الخراج ، (بيروت ، دار المعرفة ، 1975) .

احد علماء الشيعة ، الروضة في المعجزات والفضائل ، (قم ، مؤسسة الامام المهدي (ع) ، د. ت) .

الاحسائي ، علي بن ابراهيم ، عوالي اللئالي العزيزية في الاحاديث الدينية، (قم ، مطبعة سيد الشهداء ، 1983) .

الاردبيلي ، أحمد ، مجمع الفائدة والبرهان في شرح ارشاد الاذهان ، تحقيق الحاج اقا مجتبى العراقي ، (قم ، منشورات جماعة المدرسين ، د. ت).

الاردبيلي ، علي بن عيسى ، كشف الغمة في معرفة الائمة ، (بيروت ، دار الاضواء ، د. ت) .

الاردوبادي ، محمد بن علي ، علي وليد الكعبة ، تحقيق مؤسسة البعثة – قسم الدراسات الاسلامية ، ط1 ، (طهران ، مؤسسة البعثة ، 1412هـ)

ارسطو ، السياسة ، (طهران ، دار الثورة الاسلامية ، د. ت) .

الاسفراييني ، ابو اسحاق ، نور العين في مشهد الحسين (رضي الله عنه) ، (تونس ، مطبعة المنار، د. ت) .

الاسكافي ، ابو جعفر محمد بن عبد الله المعتزلي ، المعيار والموازنة ، تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي ، (بيروت ، مكتبة الحياة ، د. ت) .

اسماعيل ، د. محمود ، الحركات السرية في الاسلام ، (بيروت ، دار القلم، 1973) .

الاشعري ، علي بن اسماعيل ، مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، (القاهرة ، مكتبة النهضة ، 1950) .

الاصفهاني ، ابو الفرج ، مقاتل الطالبيين ، تقديم واشراف كاظم المظفر ، (النجف ، المكتبة الحيدرية ، 1965) .

افلاطون ، الجمهورية ، (طهران ، مكتبة الترجمة ونشر الكتب ، د. ت).

الالباني ، محمد ناصر الدين ، ارواء الغليل في تخريج احاديث منار السبيل، ط2 ، (بيروت ، المكتب الاسلامي ، 1985) .

آل ياسين ،راضي ، صلح الحسن ، ط2 ، (بغداد ، دار الارشاد ، 1965).

الامدي ، عبد الواحد بن محمد بن تميم ، تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم ، تحقيق مصطفى الزاياني ، ط1 ، (قم ، مكتب الاعلام الاسلامي ، د. ت) .

الاميني ، عبد الحسين احمد ، الغدير (في الكتاب والسنة والادب) ، ط4 ، (بيروت ، دار الكتاب العربي ، 1977) .

الاندلسي ، احمد بن محمد بن عبدربه ، العقد الفريد ، تقديم الاستاذ خليل شرف الدين ، (بيروت ، دار ومكتبة الهلال ، 1986) .

الانصاري ، محمود ابي بكر ، الجوهرة في نسب الامام علي واله ، (سوريا ، مكتبة النوري ، د. ت) .

الانصاري،مرتضى،التقية،تحقيق فارس الحسون،(قم،مؤسسة قائم ال محمد،1412هـ) .

- الانصاري ، مرتضى ، كتاب الخمس ، ط1 ، (قم ، مؤسسة الهادي ، 1415هـ) .
- الانصاري ، مرتضى ، كتاب المكاسب ، (قم ، مجمع الفكر الاسلامي ، 1420هـ) .
- ايمار ، اندرية وجانين ابوايه ، تاريخ الحضارات العام ، ترجمة فريد داغر ، (بيروت، دار عويدات ، 2003هـ) .
- ايماني ، مهدي فقيه ، الامام علي (ع) في آراء الخلفاء ، ترجمة الشيخ يحيى البحراني ، ط1 ، (قم ، مؤسسة المعارف الاسلامية ، 1420هـ) .
- الباقلاني ، ابو بكر محمد ، اعجاز القرآن ، تحقيق احمد صقر ، ط3 ، (القاهرة ، دار المعارف ، د. ت) .
- البجاري ، جاسم محمد شهاب ، دراسات في الفكر الاقتصادي العربي الاسلامي ، (الموصل ، مطبعة الجمهور ، 1990) .
- البجنوردي ، محمد حسن ، القواعد الفقهية ، تحقيق مهدي المهريزي ، (ايران ، دار الهادي ، 1419هـ) .
- بحر العلوم ، عز الدين ، اليتيم في القرآن والسنة ، ط2 ، (بيروت ، دار الزهراء ، 1985) .
- بحر العلوم ، محمد ، مصدر التشريع لنظام الحكم في الاسلام ، ط2 ، (بيروت ، دار الزهراء ، 1983) .
- بحر العلوم ، محمد ، من مدرسة الامام علي ، ط3 ، (بيروت ، دار الزهراء ، 1983).
- البحراني ، ابو يوسف ، الحدائق الناضرة في احكام العترة الطاهرة ، تحقيق محمد تقي الايرواني ، (قم ، مؤسسة النشر الاسلامية ، د. ت) .

البحراني ، كمال الدين عبد الوهاب بن ميثم بن علي ، شرح كلمات امير المؤمنين ، تحقيق وتصليح مير جلال الدين الحسيني ، (د. م ، د. ن ، 1390هـ) .

البحراني ، هاشم ، حلية الابرار في احوال محمد واله الاطهار ، تحقيق الشيخ غلام رضا ، (ايران ، مؤسسة المعارف الاسلامية ، 1411هـ) .

البخاري ،ابو عبد الله بن اسماعيل ، صحيح البخاري ، (بيروت ، دار الفكر ، 1981).

البخاري ، سهل بن عبد الله ، سر السلسلة العلوية ، تحقيق محمد صادق بحر العلوم ، (النجف ، المكتبة الحيدرية ، 1962) .

البدري ، سامي ، شيعة العراق (التأسيس ، التاريخ ، المشروع السياسي) ، ط1 ، (د. م، دار الفقه ، 1424هـ) .

البرقي ، ابو جعفر احمد بن محمد بن خالد ، المحاسن ، تصحيح وتعليق ، السيد جلال الدين الحسيني ، (د. م ، دار الكتب الاسلامية ، د. ت) .

البستاني ، د. محمود ، الاسلام وعلم النفس ، (مشهد ، مجمع البحوث الاسلامية ، 1409هـ) .

بشير ، الشافعي محمد ، القانون الدولي العام في السلم والحرب ، (الاسكندرية ، د. ن، 1971) .

بشير ، الشافعي محمد ، قانون حقوق الانسان – مصادره وتطبيقاته الوطنية والدولية –، ط3 ، (الاسكندرية ، منشأة المعارف ، 2004) .

بطاينة ، د. محمد ضيف الله ، دراسات وبحوث في جوانب من التاريخ الاسلامي ، (الزرقاء ، مكتبة المنار ، 1986) .

البغدادي ، ابو بكر احمد بن علي الخطيب ، تاريخ بغداد ، تحقيق مصطفى عبد القادر، (بيروت ، مؤسسة الاعلمي ، 1974) .

البغدادي ، عبد القاهر بن طاهر ، اصول الدين ، ط3 ، (بيروت ، دار الكتب العلمية، 1981) .

البغدادي ، عبد القاهر بن طاهر ، الفرق بين الفرق ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، (بيروت ، دار المعرفة ، د. ت) .

البلاذري ، احمد بن يحيى بن جابر ، فتوح البلدان ، (بيروت ، دار الاعلمي ، د. ت) .

البلاذري ، احمد بن يحيى بن جابر ، انساب الاشراف ، تحقيق وتعليق الشيخ محمد باقر المحمودي ، ط1 ، (بيروت ، مؤسسة الاعلمي ، 1974) .

البهنساوي ، سالم ، الحكم وقضية تكفير المسلم ، ط3 ، (الكويت ، دار البحوث ، 1985) .

البهوتي ، منصور بن يونس ، كشف القناع ، تحقيق محمد حسن الشافعي ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، د. ت) .

بيضون ، لبيب ، تصنيف نهج البلاغة ، ط3 ، (قم ، مكتب الاعلام اسلامي، 1417هـ).

البيهقي ، ابو بكر احمد بن الحسن ، السنن الكبرى ، (بيروت ، دار الفكر ، د. ت) .

بيومي ، د. محمد ، السيدة فاطمة الزهراء ، ط2 ، (ايران ، د. ن ، 1418هـ) .

التبريزي ، سيرة الامام امير المؤمنين (ع) في البغاة ، (قم ، مولود الكعبة ، 1422هـ) .

الترمذي ، ابو عيسى محمد بن عيسى ، سنن الترمذي ، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، (بيروت ، دار الفكر ، 1403هـ) .

التستري ، محمد تقي ، قضاء الامام علي ، (د. م ، د. ن ، د. ت) .

التستري ، نور الله ، الصوارم المهرقة في جواب الصواعق المحرقة ، (طهران ، دار النهضة ، د. ت) .

التسخوي ، محمد علي ، حقوق الانسان بين الاعلانين الاسلامي والعالمي ، (طهران،رابطة الثقافة والعلاقات الاسلامية ، 1997) .

التميمي ، محمد بن حيان بن أحمد ، كتاب الثقات ، (حيدر اباد ، دائرة المعارف العثمانية، 1973) .

الثقفي ، ابو اسحاق ابراهيم بن محمد ، الغارات ، تحقيق جلال الدين المحدث ، (د. م، د. ن ، د. ت) .

الجاوي ، د. محمد عابد ، الديمقراطية وحقوق الإنسان ، (بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، 1994) .

جاسم ، عزيز السيد ، علي بن ابي طالب (سلطة الحق) ، ط2 ، (د. م ، دار سينا للنشر، د. ت) .

جامع ، د. حامد ، علي بن ابي طالب (رضي الله عنه) (حاكماً ... وفقيهاً) ، (القاهرة، د. ن ، 2003) .

الجحاف ، يحيى بن ابراهيم ، ارشاد المؤمنين إلى معرفة نهج البلاغة المبين (ويتضمن نقاشات كلامية مع ابن ابي الحديد في شرح نهج البلاغة) ، تحقيق السيد محمد حسين الجلالي ، ط1 ، (قم ، دليل ما ، 1422هـ) .

جرداق ، جورج ، علي صوت العدالة الانسانية ، ط2 ، (قم ، دار ذوي القربى، 1424هـ).

الجصاص ، ابو بكر احمد بن علي الرازي ، احكام القرآن ، ضبط نصه عبد السلام محمد علي شاهين ، ط1 ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1994).

جعفر ، صباح صادق ، حقوق الانسان (وثائق) ، ط1 ، (بغداد ، المكتبة القانونية ، 2003) .

جعفر ، د. علي محمد ، تاريخ القوانين ومراحل التشريع الاسلامي ، (بيروت ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، 1986) .

جعفر ، د. نوري ، علي ومناوئوه ، ط2 ، (بيروت ، مؤسسة الوفاء ، 1984).

جعفر ، د. نوري ، فلسفة الحكم عند الامام ، ط2 ، (القاهرة ، دار المعلم ، 1978) .

جماعة من العلماء ، التوفيق الرباني في الرد على ابن تيمية الحراني ، (د. م ، د. ن، د. ت) .

الجندي ، عبد الحليم ، الامام جعفر الصادق (ع) ، (القاهرة ، المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية ، 1977) .

الجوهري ، احمد بن عبد العزيز ، السقيفة وفدك ، تحقيق ، د. الشيخ محمد هادي الاميني ، ط1 ، (بيروت ، شركة الكتبي ، 1980) .

الجوهري ، علي بن الجعد بن عبيد ، مسند ابن الجعد ، رواية وجمع الحافظ ابي القاسم عبد الله بن محمد البغوي ، مراجعة وتعليق الشيخ عامر احمد حيدر ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، د. ت) .

حاتم ، نوري ، مشكلة الفقر في ضوء الاسلام ، (قم ، د. ن ، 1424هـ) .

الحراني ، ابو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة ، تحف العقول عن ال الرسول (صلى الله عليه وآله) ، تصحيح وتعليق علي اكبر الغفاري ، ط2 ، (قم ، مؤسسة النشر ، 1404هـ) .

حسن ، سعد محمد ، المهدية في الاسلام ، (القاهرة ، دار الكتاب العربي ، 1953) .

الحسني ، عبد الكريم بن طاووس ، فرحة الغري في تعيين قبر امير المؤمنين (ع)، تحقيق السيد حسين الموسوي ، (د. م ، مركز الغدير للدراسات الاسلامية ، 1998) .

حسين ، طه ، الفتنة الكبرى ، ط13 ، (القاهرة ، دار المعارف ، 2003).

الحسيني ، هاشم معروف ، دراسات في الحديث والمحدثين (دراسات في الكافي للكليني والصحيح للبخاري) ، ط2 ، (بيروت ، دار التعارف ، 1978).

■

حقيقت ، د. صادق ، مدخل إلى الفكر السياسي في الاسلام (مجموعة مقالات) ، ترجمة خليل العصمي ، ط1 ، (جمهورية ايران ، مؤسسة الصدى ، 2001) .

■

الحكيم ، عبد الهادي تقي ، الفتاوي الميسرة (من فتاوى سماحة اية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني) ، (النجف ، مؤسسة الهادي ، د. ت) .

■

الحكيم ، محمد باقر ، دور المرأة في النهضة الحسينية ، (قم ، دار الحكمة، د. ت) .

■

الحكيم ، محمد باقر ، دور اهل البيت في بناء الجماعة الصالحة ، (د. م ، دار العترة ، 1424هـ) .

■

الحكيم ، محمد باقر واخرون ، ،مكانة اهل البيت (عليهم السلام) في الاسلام والامة الاسلامية ، مجموعة من المقالات المختارة للمؤتمر الدولي الرابع عشر للوحدة الاسلامية 1422هـ ، اعداد محمد مهدي ، نجف ، ط1 ، (ايران ، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية ، 1422 هـ) .

■

الحكيم ، محمد تقي ، عبد الله بن عباس ، ط1 ، (قم ، مكتبة الصدر ، 1423هـ) .

■

الحلي ، ابو القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن ، شرائع الاسلام في مسائل الحلال والحرام ، تعليق صادق الشيرازي ، ط2 ، (قم ، دار الاستقلال ، 1409هـ) .

■

الحلي ، ابو طالب محمد بن الحسن بن المطهر ، ايضاح الفوائد ، (قم ، المطبعة العلمية، 1387هـ) .

■

الحلي ، جعفر ، المختصر النافع في فقه الامامية ، (طهران ، مؤسسة البعثة ، 1410هـ) .

■

الحلي ، جمال الدين ابي منصور الحسن بن يوسف ، منتهى المطلب ، (د. م ، د. ن، د. ت) .

حمادة ، عمار ، لقاء مع الامام علي (ع) في نهج البلاغة ، (بيروت ، مركز باء للابحاث ، 2001) .

حمود ، أ. د. خضير كاظم ، السياسة الادارية في فكر الامام علي بن ابي طالب (بين الاصالة والمعاصرة) ، (بيروت ، مؤسسة الباقر ، د. ت) .

الحموي ، ابو العباس عبد الله ، قرب الاسناد ، (قم ، مؤسسة ال البيت (عليهم السلام)، 1413هـ) .

الحيدري ، ليث ، الارتداد ،وحقوق الانسان ، ط1 ، (قم ، دار الغدير ، 2004) .

خالد ، خالد محمد ، فيرحاب الامام علي (ع) ، (القاهرة ، دار الاسلام ، د. ت).

الخامنئي ، علي ، العودة إلى نهج البلاغة ، ترجمة عباس نور الدين ، (بيروت ، بيروت ، مركز بقية الله الاعظم ، 2...) .

خدوري ، د. مجيد ، الحرب والسلم في شرعة الاسلام ، (بيروت، الدار المتحدة للنشر، 1973) .

الخراساني ، محمد واعظ ،واخرون ، الحكومة من وجهة نظر المذاهب الاسلامية ، مجموعة للمقالات المنزلة للمؤتمر العالمي العاشر للوحدة الاسلامية ، (طهران ، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب ، 1419هـ) .

الخصيبي ، ابو عبد الله الحسين بن حمدان ، الهداية الكبرى ، ط4 ، (بيروت ، مؤسسة البلاغ ، 1991) .

الخضري ، محمد ، محاضرات في تاريخ الدولة الاموية ، (بيروت ، مؤسسة الكتب الثقافية ، 1995) .

الخليلي د. جواد جعفر ، السقيفة ، (بيروت ، دار الارشاد للطباعة ، د. ت) .

الخوارزمي ، الموفق بن احمد بن محمد المكي الحنفي ، المناقب ، تحقيق الشيخ مالك المحمودي ، ط2 ، (قم ، مؤسسة النشر الاسلامي ، 1411هـ) .

الخوئي ، ابو القاسم الموسوي ، البيان في تفسير القرآن ، ط4 ، (بيروت ، دار الزهراء، 1975) .

الخوئي ، ابو القاسم الموسوي ، العروة الوثقى – كتاب الخمس – ،(قم ، المطبعة العلمية ، 1407هـ) .

الخوئي ، ابو القاسم الموسوي ، مصباح الفقاهة ، اعداد وتحقيق محمد علي التوحيدي، (النجف ، المطبعة الحيدرية ، 1954) .

الخوئي ، ابو القاسم الموسوي ، معجمرجال الحديث ، ط5 ، (د م ، د. ن، 1992) .

الخوئي ، ابوالقاسم الموسوي ، منهاج الصالحين ، (قم ، د. ن ، 1410هـ) .

الخوئي ، ميرزا حبيب الهاشمي ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، ط4 ، (طهران ، المكتبة الاسلامية ، 1405هـ) .

الدار قطني ، علي بن عمر ، سنن الدار قطني ، علق عليه وخرج احاديثه مجدي بن منصور ، (بيروت ، دار الكتب ، 1996) .

الدارمي ، عبد الله بن بهرام ، سنن الدارمي ، (دمشق ، مطبعة الاعتدال ، د. ت) .

الدمشقي ، شمس الدين ابي البركات بن احمد الشافعي ، جواهر المطالب في مناقب الامام علي (ع) ، تحقيق محمد باقر المحمودي ، ط1 ، (قم ، مجمع احياء التراث العلمي، 1415هـ) .

الدولابي ، ابو بشر محمد بن احمد ، الذرية الطاهرة النبوية ، تحقيق سعد المبارك الحسن، (الكويت ، الدار السلفية ، 1407هـ) .

الدينوري ،ابن ابي شيبة ، احمد بن داوود ، الاخبار الطوال ، (د. م ، د. ن ، د. ت) .

الدينوري ، عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، الامامة والسياسة (تاريخ الخلفاء) ، تحقيق علي الشوي ، ط1 ، (اوان ، مطبعة امير ، 1413هـ) .

■

الدينوري ، عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، غويب الحديث ، (بيروت ، دار الكتب العلمية، 1988) .

■

ديورانت ، ول ، الحضارة ، ترجمة محمد بدوان ، (القاهرة ، مطبعة لجنة التاليف ، 1968) .

■

الذهبي ، شمس الدين بن احمد بن عثمان ، سير اعلام النبلاء ، ط9 ، (بيروت ، مؤسسة الرسالة ، 1993) .

■

الرازي ، ابو محمد عبد الرحمن بن ابي حاتم ، الجرح والتعديل ، (بيروت، دار احياء التراث العربي ، د. ت) .

■

رضا ، محمدرشيد ، حقوق النساء في الاسلام ، ط1 ، (بيروت ، دار الاضواء ، 1989) .

■

الروحاني ،محمد صادق ، فقه الصادق ، ط3 ، (اوان ، المطبعة العلمية، 1412هـ) .

■

الريس ، محمد ضياء الدين ، النظريات السياسية الاسلامية ، ط4 ، (القاهرة، دار المعارف ، 1967) .

■

الريشهري محمد ، القيادة في الإسلام ، تعريب علي الاسدي ، ط1 ، (اوان ، دار الحديث ، د. ت) .

■

الريشهري ، محمد ، موسوعة الإمام علي بن ابي طالب في الكتاب والسنة والتاريخ (د. م ، د. ن ، د. ت) .

■

الريشهري ، محمد ، ميزان الحكمة ، ط1 ، (قم ، دار الحديث ، 1416هـ) .

■

الزبيدي ، عبد الرضا ، الرسائل السياسية بين الإمام علي (ع) ومعاوية، (إيران ، دار الكتاب الإسلامي، 2...) .

■

الزبيدي ، عبد الرضا ، في الفكر الاجتماعي عند الإمام علي (دراسة في ضوء نهج البلاغة) ، ط1 ، (د. م ، د. ن ، 1998) .

الزبيدي ، محيي الدين الفيض محمد مرتضى الحسيني ، تاج العروس في جواهر القاموس ، (بيروت ، مكتبة الحياة ، د. ت) .

الزحيلي ، د. محمد ، حقوق الإنسان في الإسلام ، ط2 ، (دمشق ، دار الكلم الطيب ، 1997) .

الزركلي ، خير الدين ، الاعلام ، ط5 ، (بيروت ، دار العلم للملايين ، 1980) .

الزرندي ، ابو الفضل مير محمدي ، بحوث في تاريخ القرآن وعلومه ، (قم ، مؤسسة النشر الإسلامي ، 1420هـ) .

الزمخشري ، جار الله ، الفايق في غريب الحديث ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1996) .

الزيعلي ، جمال الدين ، نصب الراية بتخريج احاديث الهداية ، (القاهرة ، دار الحديث ، د. ت) .

سابق ، السيد ، فقه السنة ، (بيروت ، دار الكتاب العربي ، د. ت) .

سباين ، جورج ، تطور الفكر السياسي ، ترجمة حسن جلال ، (القاهرة ، دار المعارف، 1954) .

سبحاني ، جعفر وآخرون ، خصائص الإسلام العامة (مجموعة مقالات مختارة) ، طهران ، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب ، 1999) .

سبحاني ، جعفر ، دور الشيعة في بناء الحضارة الإسلامية ، (د. م ، معاونية شؤون التعليم والبحوث الإسلامية ، 1413هـ) .

سبحاني ، جعفر ، محاضرات في الإلهيات ، ط9 ، (قم ، مؤسسة النشر الإسلامي ، 1413هـ) .

السبكي ، عبد الوهاب بن تقي الدين ، طبقات الشافعية الكبرى ، ط1 ، (مصر ، المطبعة الحسينية ، د. ت) .

السوخسي ، ابو بكر محمد بن أحمد بن ابي سهل ، اصول السوخسي ، تحقيق أبو الوفا الأفغاني ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1993) .

- السوخسي ، شمس الدين ، المبسوط ، (بيروت ، دار المعرفة ، د. ت) .
- سعادة ، د. يوسف جعفر ، اثار أهل البيت في تطور المجتمع الإنساني ، (بيروت ، مؤسسة أم القرى ، 1422هـ) .
- السقاف ، حسين بن علي ، البشارة والاتحاف ، (د. م ، د. ن ، د. ت).
- السلمي ، محمد بن مسعود بن عياش ، التفسير العياشي ، تحقيق السيد هاشم الرسولي، (طهران ، المكتبة العلمية لإسلامية ، د. ت) .
- سليمان ،د. عصام ، مدخل إلى علم السياسة ، ط2 ، (بيروت ، دار النضال ، 1989) .
- السوداني ، أبو علي ، الشهاب الثاقب ، (الإمامة بين الثابت والمتحول) ، (بيروت ، مكتبة العلمين ، د. ت) .
- السيد ،رضوان ، الأمة والجماعة والسلطة (دراسات في الفكر السياسي العربي الإسلامي) ، (بيروت ، دار اقرأ ، 1984) .
- السيد ، كمال ، الاعلي ، ط3 ، (قم ، مؤسسة انصاريان ، 2003) .
- السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن ابن ابي بكر ، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، (بيروت ، دار الفكر ، د. ت) .
- السيوطي ، جلال الدين بن عبد الرحمن بن ابي بكر ، شرح سنن النسائي ، (بيروت ، دار احياء التراث العربي ، د. ت) .
- الشافعي ، محمد بن علي بن ادريس ، الام ، ط2 ، (بيروت ، دار الفكر ، 1983) .

الشافعي ، محمد بن علي بن ادريس ، المسند ،(بيروت ، دار الكتب العلمية ، د. ت).

الشامي ، محمود يوسف الصالحي ، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1993) .

الشرقاوي ، عبد الرحمن ، علي إمام المتقين ، (مصر ، دار المعارف ، د.ت) .

شريعتي ، د. علي ، الإمام علي (ع) ، ترجمة علي الحسيني ، (إيران ، دار الكتاب الإسلامي ، 2...) .

شريعتي ، د. علي ، التشيع العلوي والتشيع الصفوي ، ترجمة حيدر مجيد ، ط1 ، (بيروت ، دار الأمير ، 2002) .

الشريف الرضي ، محمد بن الحسين الموسوي البغدادي ، المجازات النبوية، تحقيق طه محمد الزيني ، (قم ، مكتبة بصيرتي ، د. ت) .

الشريف الرضي ، محمد بن الحسين الموسوي البغدادي ، خصائص الأئمة (عليهم السلام) (خصائص أمير المؤمنين) ، تحقيق د. محمد هادي الأميني ، (مشهد ، مجمع البحوث الاسلامية ، 1406هـ) .

الشريف الرضي ، محمد بن الحسين الموسوي البغدادي (الجامع) ، نهج البلاغة ، تعليق وفهرسة د. صبحي الصالح ، تحقيق فارس تبريزيان ، (إيران، مؤسسة دار الهجرة، 1380هـ) .

الشريف الرضي ، محمد بن الحسين الموسوي البغدادي (الجامع) ، نهج البلاغة ، شرح محمد عبدة ، (بيروت ، دار المعرفة ، د. ت) .

شطناوي ، د. فيصل ، حقوق الإنسان والقانون الدولي الإنساني ، ط2 ، (عمان ، دار الحامد ، 2001) .

الشعراني ، عبد الوهاب ، لواقح الانوار القدسية في بيان العهود المحمدية ، ط2 ، (مصر ، الباب الحلبي ، 1973) .

شمس الدين ،محمد مهدي ، انصار الحسين ، ط2 ، (د. م ، الدار الإسلامية ، 1981) .

شمس الدين ، محمد مهدي ، حركة التاريخ عند الامام علي (دراسة في نهج البلاغة)، (بيروت ، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر ، 1997) .

شمس الدين ، محمد مهدي ، دراسات في نهج البلاغة ، ط2 ، (بيروت ، دار الزهراء، 1972) .

شمس الدين ،محمد مهدي ، عهد الاشتر ، ط2 ، (بيروت ، المؤسسة الدولية ، 2...).

الشهرستاني ، ابو الفتح بن عبد الكريم ، الملل والنحل ، مطبوع بهامش كتاب ابن حزم، الفصل في الملل والاهواء والنحل ، ط2 ، (بيروت ، دار المعرفة ، 1975) .

الشهرستاني ، علي ، وضوء النبي (صلى الله عليه وآله) (التشريعات وملابسات الاحكام عند المسلمين)، (قم ، د. ن ، 1415هـ) .

الشهيد الاول ، شمس الدين محمد بن مكي العاملي ، الدروس الشرعية في فقه الامامية، (قم ، مؤسسة النشر الاسلامي ، 1412هـ) .

الشهيد الثاني ،زين الدين بن علي العاملي ، الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية، تعليق محمد كلانتر ، ط2 ، (العراق ، جامعة النجف الدينية ، 1398هـ) .

الشهيد الثاني ،زين الدين بن علي العاملي ،رسائل الشهيد الثاني ، (قم ، مكتبة البصيرة ، د. ت) .

الشهيد الثاني ،زين الدين بن علي العاملي ،رسالة في العدالة ، (د. م ، د. ن ، د. ت).

الشهيد الثاني ،زين الدين بن علي العاملي ، مسالك الافهام إلى تنقيح شرائع الاسلام ، (اوان ، مؤسسة المعارف الاسلامية ، 1413هـ) .

الشهيد ، جمال الدين ابي المنصور الحسن بن زين الدين ، منتقى الجمان في الاحاديث الصحاح والحسان ، تصحيح وتعليق علي اكبر الغفاري ،(قم ، جامعة المدرسين ، د. ت).

الشوكاني ، محمد بن علي ، نيل الاوطار من احاديث سيد الاخيار ، (بيروت ، دار الجيل ، 1973) .

الشيباني ، احمد بن عمرو الضحاك بن ابي عاصم ، الاحاد والمثاني ، تحقيق باسم فيصل احمد ، (الرياض ، دار الراية ، 1996) .

الشيباني ، احمد بن عمرو بن الضحاك بن ابي عاصم ، المذكر والتذكير والذكر ، تحقيق خالد قاسم ، (الرياض ، دار المنار ، 1413هـ) .

الشيباني ، احمد بن عمرو بن الضحاك بن ابي عاصم ، كتاب الاوائل ، (د. م ، د. ن ، د. ت) .

الشيباني ، ابو بكر احمد بن عمرو بن الضحاك بن ابي عاصم ، كتاب السنة ، ط3 ، (بيروت ، المكتب الاسلامي ، 1993) .

الشيباني ، محمد بن الحسن ، السير الكبير ، (د. م ، د. ن ، د. ت) .

الشيرازي ، صادق الحسيني ، السياسة من واقع الاسلام ، ط3 ، (بيروت ، مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر ، 1421هـ) .

الشيرازي ، محمد الحسيني ، اثار الظلم في الدنيا والاخرى ، (بيروت ، مؤسسة المجتبى ، 2001) .

الشيرازي ، محمد الحسيني ، الفقه السياسة ، (اوان ، مطبعة رضائي ، 1403هـ).

الشوراي ، محمد الحسيني،توضيح نهج البلاغة،(طهران ، دار تراث الشيعة،د. ت) .

صالح ، احمد عباس ، اليمين واليسار في الاسلام ، ط2 ، (بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، 1973) .

صالح ، د. غانم محمد ، الفكر السياسي القديم والوسيط ، (بغداد ، مطبعة التعليم العالي، 1988) .

صبحي ، د. احمد محمود ، نظرية الامامة عند الشيعة الاثني عشرية ، (مصر ، دار المعارف ، د ت) .

الصدر ، محمد باقر ، اقتصادنا ، (ايران ، دار الكتاب الاسلامي ، 2002).

الصدر ، محمد باقر ، الاسلام يقود الحياة ، (د. م ، د. ن ، د. ت) .

الصدر ، محمد باقر ، الامام علي (ع) سيرة وجهاد ، ط2 ، (بيروت ، دار المرتضى ، 2003) .

الصدر ، محمد باقر ، اهل البيت (تنوع ادوار ووحدة هدف) ، تحقيق عبد الرزاق الصالحي ، ط1 ، (بيروت ، دار الهدى ، 2003) .

الصدر ، محمد باقر ، بحث حول المهدي ، (د. م ، د. ن ، د. ت) .

الصدر ، محمد باقر ،رسالتنا ، ط2 ، (طهران ، مكتبة النجاح ، 1982).

الصدر ، محمد صادق ، اضواء على ثورة الحسين ، (النجف ، د. ن ، 1997) .

الصدر ، محمد صادق ، فقه الاخلاق ، ط1 ، (بيروت ، دار الاضواء ، 1988) .

الصدر ، محمد صادق ، نظرات اسلامية في اعلان حقوق الانسان ، تقديم الشيخ محمد اليعقوبي ، (العراق ، جامعة الصدر الدينية

، 2004).

- الصدر ، محمد مهدي ، اخلاق اهل البيت ، ط2 ، (ايران ، دار الكتاب الاسلامي ، 2002) .
- الصدوق ، محمد بن علي بن بابويه القمي ، ثواب الاعمال ، (قم ، منشورات الرضى، د. ت) .
- الصدوق ، محمد بن علي بن بابويه القمي ، صفات الشيعة ، (طهران ، مطبعة عبادي ، د. ت) ..
- الصدوق ، محمد بن علي بن بابويه القمي ، علل الشرائع ، (النجف ، المكتبة الحيدرية ، 1966) .
- الصدوق ، محمد بن علي بن بابويه القمي ، عيون اخبار الرضا ، تصحيح الشيخ حسين الاعلمي ، (بيروت ، مؤسسة الاعلمي ، 1984) .
- الصدوق ، محمد بن علي بن بابويه القمي ، كمال الدين وتمام النعمة ، (قم، مؤسسة النشر الاسلامي ، 1405هـ) .
- الصدوق ، محمد بن علي بن بابويه القمي ، معاني الاخبار ، تصحيح علي اكبر الغفاري، (ايران ، دار النشر الاسلامي ، 1379هـ) .
- الصدوق ، محمد بن علي بن بابويه القمي ، من لا يحضره الفقيه ، تصحيح وتعليق علي اكبر الغفاري ، ط2 ، (قم ، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية ، 1404هـ) .
- الصغير ، د. محمد حسنين علي ، الامام علي (سيرته وقيادته في ضوء المنهج التحليلي) ، (بيروت ، مؤسسة المعارف ، 2002) .

- الصفار ، ابو جعفر محمد بن الحسن ، بصائر الدرجات الكبرى في فضائل ال محمد (عليهم السلام) ،تقديم وتعليق ميرزا محسن ، (طهران ، منشورات الاعلمي ، 1404هـ) .

الصلابي ، د. علي محمد محمد ، اسمى المطالب في سيرة امير المؤمنين علي بن ابي طالب (رضي الله عنه) (شخصيته وعصره) ، (القاهرة ، دار التوزيع والنشر الاسلامية ، 2004) .

الصنعاني ،ابو بكر عبد الرزاق ، المصنف ، تحقيق حبيب الرحمن الاعظمي ، (د. م ، د. ن ، د. ت) .

الطائي ، نجاح ، سيرة الامام علي بن ابي طالب (ع) ، ط1 ، (بيروت، دار الهدى لاحياء التراث ، 2003) .

الطباطبائي ، محمد حسين ، الميزان في تفسير القرآن ، (قم ، مؤسسة النشر الاسلامي ، د. ت) .

الطباطبائي ، محمد حسين ، علي والفلسفة الاسلامية ، (بيروت ، الدار الاسلامية ، د. ت) .

الطواني ، ابو القاسم سليمان بن محمد بن ايوب ، المعجم الاوسط ، تحقيق اواهيم الحسيني ، (د. م ، دار الحرمين ، د. ت) .

الطواني ، ابو القاسم سليمان بن محمد بن ايوب ، المعجم الصغير ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، د.ت) .

الطواني ، ابو القاسم سليمان بن محمد بن ايوب ، المعجم الكبير ، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي ، ط2 ، (القاهرة ، مكتبة ابن تيمية ، د. ت) .

الطوسي ، ابو علي الفضل بن الحسن ، مجمع البيان في تفسير القرآن ، ط1 ، (بيروت، مؤسسة الاعلمي ، 1995) .

- الطوسي ، ابو منصور احمد بن علي بن ابي طالب ، الاحتجاج ، اشواف الشيخ خضير السبحاني ، ط4 ، (طهران ، دار الاسوة ، 1424هـ) .
- الطوسي ، ابو منصور احمد بن علي بن ابي طالب ، تاج المواليد (في مواليد الائمة ووفياتهم) ، (د. م ، د. ن ، د. ت) .
- الطوسي ،رضي الدين ابي نصر الحسن بن فضل ، مكارم الاخلاق ، ط6 ، (د. م ، منشورات الشريف الرضي ، 1972) .
- الطوي ، ابو جعفر محمد بن جرير ، تاريخ الامم والملوك (تاريخ الطوي) ، مراجعة نخبة من العلماء ، (قوبلت هذه النسخة على نسخة ليدن ، بريل ، 1879) .
- الطوي ، ابو جعفر محمد بن جرير ، جامع البيان عن تأويل أي القرآن ، ضبط صدقي جميل العطار ، (بيروت ، دار الفكر ، 1995) .
- الطوي ، احمد بن عبد الله ، ذخائر العقبى في منابت ذوي القربى ، (القاهرة ، مكتبة القدسي ، 1356هـ) .
- الطوي ، الفضل بن الحسن ، اعلام الورى باعلام الهدى ، تحقيق مؤسسة ال البيت لاحياء التراث ، ط1 ، (قم مؤسسة ال البيت ، 1417هـ).
- الطوي ، محمد بن جرير الامامي ، المسترشد في امامة امير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) ، تحقيق الشيخ احمد المحمودي ، ط1 ، (قم ، مؤسسة الثقافة الاسلامية ، 1415هـ) .
- الطبسي ، نجم الدين ، النفي والتغريب في مصادر الشريعة الاسلامية ، ط1 ، (قم ، مجمع الفكر الاسلامي ، 1416هـ) .

- الطبسي ، نجم الدين ، موارد السجن في النصوص والفتاوى (دراسة تتناول موارد السجن وحقوق السجين) ، (ايران ، مكتب

الاعلام الاسلامي ، 1411هـ) .

طبلية ، د. القطب محمد القطب ، الاسلام وحقوق الانسان ، ط2 ، (القاهرة، دار الفكر العربي ، 1984) .

الطرابلسي ، عبد العزيز ابن البراج ، المهذب ، (قم ، مؤسسة النشر الاسلامي ، 1406هـ) .

الطريحي ، فخر الدين ، مجمع البحرين ،ترتيب محمد عادل،(د. م ، د. ن ، د. ت) .

الطوسي ، ابو جعفر محمد بن الحسن بن علي ، الاستبصار فيما اختلف من الاخبار ، تعليق حسن الموسوي ، (طهران ، دار الكتب الاسلامية ، 1390هـ) .

الطوسي ، ابو جعفر محمد بن الحسن بن علي ، الامالي ، ط1 ، (قم ، دار الثقافة ، 1414هـ) .

الطوسي ، ابو جعفر محمد بن الحسن بن علي ، الخلاف ، (قم ، مؤسسة النشر الاسلامي ، 1407هـ) .

الطوسي ، ابو جعفر محمد بن الحسن بن علي ، المبسوط في فقه الامامية، تصحيح محمد تقي الكشفي ، (طهران ، المكتبة الرضوية ، 1387هـ) .

الطوسي ، ابو جعفر محمد بن الحسن بن علي ، تهذيب الاحكام ، تحقيق حسن الموسوي ، (طهران ، دار الكتب الاسلامية ، 1390هـ) .

طي ، د. محمد ، الامام علي ومشكلة نظام الحكم ، (د. م ، مركز الغدير للدراسات الاسلامية ، 1997) .

ظاهر ، د. احمد جمال ، حقوق الانسان ، (عمان ، مركز النهضة للخدمات الفنية ، 1988) .

العاملي ، جعفر بن مرتضى ، الصحيح من سيرة النبي الاعظم (صلى الله عليه وآله) ، ط4 ، (بيروت ، دار الهادي ، 1995) .

العاملي ، علي الكوراني ، تدوين القرآن ، (قم ، دار القرآن الكريم ، د. ت) .

العاملي ، علي الكوراني ، معجم الاحاديث المهدي ، (قم ، مؤسسة المعارف الاسلامية ، 1411هـ) .

العاملي ، محمد بن الحسن الحر ، الفصول المهمة في معرفة الائمة ، تحقيق محمد القائيني ، ط1 ، (ايران ، مؤسسة المعارف الاسلامية ، 1418هـ) .

العاملي ، محمد بن الحسن الحر ، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة ، تحقيق عبد الرحيم رباني ، (بيروت ، دار احياء التراث ، د. ت) .

عباد ، محمد كامل ، تاريخ اليونان ، (دمشق ، مطبعة الف باء الاديب ، 1969) .

عبد الحميد ، صائب ، تاريخ الاسلام الثقافي والسياسي (مسار الاسلام بعد الرسول(صلى الله عليه وآله) ونشأة المذاهب) ، ط1 ، (د. م ، مركز الغدير للدراسات الاسلامية ، 1997) .

عبد الحميد ، د. محسن ، الاسلام والتنمية الاجتماعية ، ط1 ، (بغداد ، دار الانبار ، 1989) .

عبد الرزاق ، علي ، الاسلام واصول الحكم ، دراسة محمد عمارة ، (بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، 1972) .

العزوزي ، روكس بن زائد ، الامام علي اسد الاسلام وقديسه ، ط2 ، (بيروت ، دار الكتاب العربي ، 1979) .

العسقلاني ، احمد بن علي بن حجر ، الاصابة في تمييز الصحابة ، دراسة وتحقيق الشيخ عادل احمد عبد الموجود ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1995) .

العسقلاني ، احمد بن علي بن حجر ، تهذيب التهذيب ، ط1 ، (بيروت ، دار الفكر ، 1984) .

العسقلاني ، احمد بن علي بن حجر ، سبل السلام ، ط4 ، (مصر ، البابي الحلبي ، 1960) .

العسقلاني ، شهاب الدين بن حجر ، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ط2 ، (بيروت ، دار المعرفة ، د. ت) .

العسكري ، مرتضى ، معالم المدرستين ، (بيروت ، مؤسسة النعمان ، 1990) .

العسكري ، مرتضى ، عبد الله بن سبأ (واساطير اخرى) ،ط6 ، (د. م ، د. ن ، 1992) .

العسكري ، نجم الدين ، ابو طالب حامي الرسول وناصره ، (النجف ، مطبعة الاداب، 1380هـ) .

عطاردي ، عزيز الله ، مسند الامام الرضا ، (ايران ، المؤتمر العالمي ، للامام الرضا، 1406) .

عطوي ، محسن ، المرأة في التصور الاسلامي ، ط2 ، (لبنان ، الدار الاسلامية ، 1987) .

العظيم ابادي ، ابو الطيب محمد شمس الحق ، عون المعبود – شرح سنن ابي داود – ط2 ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1995) .

العقاد ، عباس محمود ، عبقرية الامام علي (القاهرة ، مؤسسة دار الشعب، د. ت) .

علوان ، د. عبد الكريم ، الوسيط في القانون الدولي العام (الكتاب الثالث – حقوق الانسان)، (عمان ، دار الثقافة ، 2004) .

العلوي ، علي بن محمد بن طاهر بن يحيى ، دفع الارتياب عن حديث الباب ، (د. م، دار القرآن الكريم ، د. ت) .

العلوي ، محمد بن عقيل ، النصائح الكافية لمن يتولى معاوية ، (قم ، دار الثقافة ، 1412هـ) .

عليان ، د.رشدي ، العقل عند الشيعة الامامية ، (بغداد ، مطبعة دار السلام، 1977).

عملة ، د. محمد ، الخلافة ونشأة الاحزاب الاسلامية ، (بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، 1984) .

عملة ، د. محمد ، الفكر الاجتماعي لعلي بن ابي طالب ، ط1 ، (القاهرة، دار الثقافة، 1977) .

عملة ، د. محمد واخرون ، علي بن ابي طالب (نظرة عصرية جديدة) ، (بيروت المؤسسة العربية ، 1974) .

عودة ، عبد القادر،التشريع الجنائي الاسلامي،(بيروت ،دار الكتاب العربي ، د. ت) .

الغروي ، محمد بن هادي اليوسفي ، موسوعة التاريخ الاسلامي ، ط1 ، (ايران ، مجمع الفكر الاسلامي ، 1420هـ) .

الغزالي ، ابو حامد محمد ، احياء علوم الدين ، (بيروت ، دار المعرفة للطباعة والنشر، د. ت) .

غليون ، د. برهان واخرون ، حقوق الانسان العربي ، (بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، 1999) .

فرج ، د. توفيق حسن ، المدخل للعلوم القانونية (النظرية العامة للقانون والنظريات العامة للحق) ، ط2 ، (مصر ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، 1981).

فضل الله ، محمد حسين ، تأملات اسلامية حول المرأة ، ط7 ، (بيروت ، دار الملاك، د. ت) .

فضل الله ، محمد حسين ، دنيا الطفل ، ط2 ، (بيروت ، دار الملاك ، 2002) .

فضل الله ، محمد حسين ، دنيا المرأة ، ط4 ، (بيروت ، دار الملاك ، 2...) .

فضل الله ، محمد حسين ، علي ميزان الحق ، تحرير صادق اليعقوبي ، (بيروت ، دار الملاك ، 2003) .

الفكيكي ، توفيق ، الراعي والرعية ، ط3 ،(بغداد ، المعرفة للنشر والتوزيع ، 1990) .

فياض ، د. عامر حسن ، مقدمة منهجية في الرأي العام وحقوق الانسان، (عمان ، دار زهران ، 2002) .

الفيروز ابادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط ، (بيروت، المؤسسة العربية للطباعة والنشر ، د. ت) .

الفيض الكاشاني ، المولى محمد محسن ، الصافي في تفسير القرآن ، تحقيق مركز الابحاث والدراسات الاسلامية ، (قم ، مكتبة الاعلام الاسلامي ، 1376هـ) .

القائمي ، د. علي ، الاسرة ومتطلبات الاطفال ، ترجمة البيان للترجمة ، (بيروت ، دار النبلاء ، 1996) .

القاسمي ، ظافر ، نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الاسلامي ، ط6 ، (بيروت ، دار النفائس ، 1990) .

القبانجي ، حسن ، مسند الامام علي (ع) ، تحقيق الشيخ طاهر السلامي ، ط1 ، (بيروت ، مؤسسة الاعلمي ، 2...) .

القبنجي ، صدر الدين ، تاريخ التشيع الفكري والسياسي ، ط1 ، (قم ، مكتب شؤون المبلغين ، 1422هـ) .

القرشي ، باقر شريف ، النظام السياسي في الاسلام ، ط4 ، (بيروت ، دار التعارف، 1987) .

القرشي ، باقر شريف ، حياة الامام الحسين بن علي (ع) ، ط1، (النجف، مطبعة الاداب ، 1974) .

القرشي ، باقر شريف ، موسوعة الامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب(ع) ، ط1 ، (د. م ، مؤسسة الكوثر للمعارف الاسلامية ، 2002) .

القرضاوي ، د. يوسف ، الزكاة (دراسة مقارنة لاحكامها وفلسفتها في ضوء القرآن والسنة) ، (بيروت ، دار الارشاد ، 1969) .

القرطبي ، ابو عبد الله بن احمد ، تفسير القرطبي (الجامع لاحكام القرآن) ، (بيروت ، دار احياء التراث العربي ، 1985) .

القزويني ، محمد حسن ، الامامة الكبرى والخلافة العظمى ، تعليق مرتضى القزويني ، (النجف ، مطبعة النعمان ، 1958) .

القزويني ، محمد كاظم ، موسوعة الامام الصادق ، (قم ، مكتبة بصيرتي، 1418هـ).

القندوزي ، سليمان بن ابراهيم الحنفي ، ينابيع المودة لذوي القربى ، تحقق علي الحسيني ، ط1 ، (د. م ، دار الاسوة ، 1416هـ) .

القمي ، اصغر ناظمزادة ، حياة امير المؤمنين علي (ع) (بحوث في سيرته وفضائله وحكومته من طرق اهل السنة) ، ط2 ، (ايران ، دار الكوثر ، 1424هـ) .

القيسي ، د.رياض ، علم اصول القانون ، (بغداد ، بيت الحكمة ، 2002).

الكاشاني ، علاء الدين ابو بكر بن مسعود ، بدائع الصنائع ، (باكستان ، مكتبة الحبيبية، د. ت) .

الكراجي ، ابو الفتح محمد بن علي ، كنز الفوائد ، (د. م ، د. ن ، د. ت).

الكركي ، علي بن الحسين ، جامع المقاصد في شرح القواعد ، (قم ، مؤسسة ال البيت (عليهم السلام) لاحياء التراث ، 1408هـ) .

الكلانتري ، علي اكبر ، الجزية واحكامها في الفقه الاسلامي ، (قم ، مؤسسة النشر الاسلامي ، 1416هـ) .

الكلبايكاني،محمدرضا الموسوي،تقريرات الحدود والتعزيرات،(د. م، د. ن ، د. ت).

الكلبايكاني ،محمدرضا الموسوي ، كتاب القضاء ، (قم ، مطبعة الخيام ، 1401هـ) .

الكليني ، ابو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق ، الكافي ، تصحيح وتعليق علي اكبر الغفاري ، ط3 ، (طهران ، دار الكتب الاسلامية ، 1388هـ) .

- الكيالي ، د. عبد الوهاب ، موسوعة السياسة ، (بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، 1990) .
- لجنة الحديث في معهد باقر العلوم (ع) ، سنن الإمام علي (ع) ، ط1 ، (قم ، نور السجاد ، 1420هـ) .
- لجنة الحديث في معهد باقر العلوم (ع) ، موسوعة كلمات الإمام الحسين(ع) ، ط3 ، (قم ، دار المعروف ، 1416هـ) .
- المالكي ، حسن بن فرحان ، نحو إنقاذ التاريخ الإسلامي ، (الرياض ، مؤسسة اليمامة، 1418هـ) .
- المالكي ، فاضل ، مبادئ الإسلام والدراية في القانون الدولي الإسلامي ، (إيران ، دائرة العلوم الإسلامية، 1414هـ) .
- المالكي ، محمد بن علوي ، البشرى في مناقب السيدة خديجة الكبرى (رضي الله عنها)، (المملكة السعودية ، د. ن ، د. ت) .
- الماوردي ، علاء الدين بن علي ، الجوهر النقي ، (بيروت ، دار الفكر ، د. ت)
- الماوردي ، علي بن محمد بن حبيب ، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، (بغداد ، المكتبة العالمية ، 1989) .
- المباركفوري ، أبو العلا محمد بن عبد الرحمن ، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1990) .
- المبرد ، محمد بن يزيد ، الكامل في اللغة والأدب ، (مصر ، الباب الحلبي، 1973) .
- مجذوب ، د. محمد سعيد ، حقوق الإنسان والحريات الأساسية ، (لبنان ، جروس برس، 1986) .

المجلسي ، محمد باقر ، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الاطهار ، ط2 ، (بيروت ، مؤسسة الوفاء ، 1983) .

مجموعة باحثين ، الجهاد فكراً وممارسة – أعمال الندوة العربية – (بغداد ، بيت الحكمة، 2002) .

محبوبة ، د. مهدي ، ملامح من عبقرية الإمام علي (ع) ، ط2 ، (بغداد ، مطبعة الإرشاد ، 1967) .

محمد ، عبد الزهراء عثمان (عز الدين سليم) ، المعارضة السياسية في تجربة امير المؤمنين (ع) ، ط1 ، (بيروت ، دار الهادي ، 2003) .

محمديان ، محمد ، حياة أمير المؤمنين (ع) على لسانه ، ط1 ، (قم ، مؤسسة النشر الإسلامي ، 1417) .

المحمودي ، محمد باقر ، نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة ، (بيروت، مؤسسة المحمودي ، د. ت) .

المدرسي ، محمد تقي ، التاريخ الإسلامي (دروس وعبر) ، (د. م ، د. ن، د. ت) .

المدرسي ، محمد تقي ، فقه الجهاد وأحكام القتال ، (طهران ، دار محبي الحسين ، 1999) .

المدرسي ، محمد تقي ، مبادئ الحكمة (بين هدى الوحي وتصورات الفلسفة) ، ط2 ، (د. م ، دار محبي الحسين ، 2003) .

المدرسي ، هادي ، اخلاقيات امير المؤمنين (ع) ، (بيروت ، مؤسسة الاعلمي ، 1991) .

مدير ، كاظم ، الحكم من كلام الامام امير المؤمنين علي (ع) ، ط1 ، (مشهد ، مؤسسة الطبع والنشر التابعة للاستانة الرضوية المقدسة ، 1417هـ).

المرتضى ، احمد ، شرح الازهار ، (د. م ، د. ن ، د. ت).

المسعودي ، علي بن الحسين ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، (مصر ، المكتبة التجارية ، 1964) .

المطهري ، مرتضى ، العدل الالهي ، ترجمة محمد عبد المنعم الخاقاني ، (ايران ، دار الفقه للطباعة والنشر ، 1424هـ) .

المطهري ، مرتضى ، الملحمة الحسينية ، ط3 ، (قم ، المركز العالمي للدراسات الاسلامية ، 1992) .

المطهري ، مرتضى ، في رحاب نهج اللبلاغة ، ط1 ، (بيروت ، الدار الاسلامية ، 1992) .

المظفر ، محمدرضا ، السقيفة ، ط4 ، (قم ، مؤسسة انصاريان ، 2004).

المظفر ، محمدرضا ، عقائد الامامية ، (بيروت ، دار المحجة البيضاء ، د. ت) .

المغربي ، احمد بن محمد بن الصديق الحسني ، فتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينة العلم علي ، تحقيق وتعليق محمد هادي الاميني ، (اصفهان، مكتبة امير المؤمنين (ع) ، 1388هـ) .

المغربي ، النعمان بن محمد بن منصور بن احمد التميمي ، دعائم الاسلام، تحقيق امين بن علي اصغر فيضي ، (مصر ، دار المعارف ، 1963) .

مغنية ، محمد جواد ، الشيعة والحاكمون ، ط5 ، (بيروت ، دار مكتبة الهلالي ، 1981) .

مغنية ، محمد جواد ، المجالس الحسينية ، (قم ، دار السجدة ، 1424هـ) .

مغنية ، محمد جواد ، امامة علي والعقل ، (ايران ، دار السجدة ، 2003).

مغنية ، محمد جواد ، فضائل الامام علي ، (بيروت ، مكتبة الحياة ، 1962) .

مغنية ، محمد جواد ، في ضلال نهج البلاغة (محاولة لفهم جديد) ، ط1 ، (بيروت ، دار العلم للملايين ، 1973) .

المفيد ، ابو عبد الله محمد بن النعمان العكوي البغدادي ، الاختصاص ، تصحيح وتعليق ، علي اكبر الغفاري ، (قم ، جماعة المدرسين ، د. ت).

المفيد ، ابو عبد الله محمد بن النعمان الكعوي البغدادي ، الارشاد في معرفة حجج الله على العباد ، تحقيق مؤسسة اهل البيت ، (اوان ، دار المفيد، د. ت) .

المفيد ، ابو عبد الله محمد بن النعمان العكوي البغدادي ، الجمل ، تحقيق السيد علي مير شريفي ، (قم ، مكتب الاعلام الاسلامي ، 1413هـ) .

المفيد ، ابو عبد الله محمد بن النعمان العكوي البغدادي ، المقنعة ، ط2 ، (قم ، مؤسسة النشر الاسلامي ، 1410هـ) .

المفيد ، ابو عبد الله محمد بن النعمان العكوي البغدادي ، ايمان ابي طالب، (قم ، مؤسسة البعثة ، 1413هـ) .

من قدماء المحدثين ، القاب الرسول وعترته ، (د. م ، د. ن ، د. ت).

المنقري ، نصر بن مزاحم ، وقعة صفين ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط2 ، (د. م ، المؤسسة العربية الحديثة ، 1382هـ) .

المهدلي ، د. محمد عقيل بن علي ، الامام علي بن ابي طالب (حياته الفكرية وتأثرها في فكر الامام الغزالي) ، (د. م ، دار الحديث ، 1997) .

المودودي ، ابو الاعلى ، حقوق اهل الذمة في الدولة الاسلامية ، (د. م ، دار الفكر ، د. ت) .

الموسوي ، صادق ، نهج الانتصار (بهدى القوآن وسنة محمد واله الاطهار) ، (د. م، د. ن ، د. ت).

الموسوي ، عبد الحسين شرف الدين ، ابو هريرة ،(قم ، مؤسسة انصاريان ، د. ت).

الموسوي ، عبد الحسين شرف الدين ، النص والاجتهاد ، تحقيق ابو مجتبى ، (قم ، مطبعة الشهداء ، د. ت) .

الموسوي ، فاضل الجاوي ، العدالة الاجتماعية في الاسلام ، (قم ، المركز العالمي للواسات الاسلامية ، د. ت) .

الموسوي ، د. محسن باقر ، الادارة والنظام الاداري عند الامام (ع) ، ط1 ، (بيروت ، مركز الغدير للواسات الاسلامية ، 1998) .

الموسوي ، د. محسن باقر ، المدخل إلى علوم نهج البلاغة ، (بيروت ، دار العلوم ، 2002) .

الميناجي ، علي بن حسين على الاحمدي ، مكاتيب الوسول (صلى الله عليه وآله) ، (د. م، دار الحديث، 1998) .

الميناجي ، علي بن حسين علي الاحمدي ، مواقف الشيعة ، (قم ، مؤسسة النشر الاسلامي ، 1416هـ) .

الناصوي ، محمد باقر ، من معالم الفكر السياسي في الاسلام ، ط1 ، (بيروت ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، 1988) .

النجفي ، محمد حسن ، جواهر الكلام في شوح شوائع الاسلام ، تحقيق وتعليق الشيخ عباس القوجاني ، ط3 ، (ايوان ، دار الكتب الاسلامية ، د. ت).

النجفي ، هادي ، الف حديث في المؤمن ، (قم ، مؤسسة النشر الاسلامية ، 1416هـ).

النجمي ، محمد صادق ، اضواء على الصحيحين ، ترجمة يحيى كمال البحراني ، (قم، مؤسسة المعارف الاسلامية ، 1419) .

النراقي ، احمد بن محمد مهدي ، مستند الشيعة في احكام الشريعة ، تحقيق مؤسسة اهل البيت ، (عليهم السلام) ، ط2 ، (مشهد ، مؤسسة ال البيت (عليهم السلام) ، 1415هـ) .

النسائي ، ابو عبد الرحمن بن شعيب الشافعي ، خصائص امير المؤمنين علي بن ابي طالب(كرم الله وجهه) ، تحقيق محمد هادي الاميني ، (د. م ، مطبعة نيوى الحديثة ، د. ت) .

النقدي ، جعفر ، الانوار العلوية في احوال امير المؤمنين وفضائله ومناقبه وغزواته(ع) ، ط2 ، (النجف ، المطبعة الحيدرية ، 1962) .

النملي ، علي ، مستدرك سفينة البحار ،(قم ، مؤسسة النشر الاسلامي ، 1419هـ) .

النموي ، ابو زيد عمر بن شبة ، تاريخ المدينة المنورة (اخبار المدينة النبوية)، تحقيق مهدي محمد شلتوت ، (قم ، دار الفكر ، 1410هـ) .

النوبختي ، الحسن بن موسى ، فرق الشيعة ، تعليق محمد صادق بحر العلوم ، ط4 ، (النجف ، المطبعة الحيدرية ، 1969) .

النوري ، ميرزا حسين ، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل ، تحقيق مؤسسة ال بيت، (بيروت ، مؤسسة ال البيت ، 1987) .

النووي ، ابو زكريا محيي الدين بن شرف ، المجموع ، (بيروت ، دار الفكر ، د. ت).

النووي ، ابو زكريا محيي الدين بن شرف ، شرح صحيح مسلم ، (بيروت ، دار الكتاب، 1987) .

النيسابوري ، ابو عبد الله الحاكم ، المستدرك على الصحيحين ، اشراف د. يوسف عبد الرحمن المرعشلي ، (بيروت ، دار المعرفة ، د. ت) .

النيسابوري ، ابو عبد الله محمد الحافظ ، معرفة علوم الحديث ، تحقيق السيد معظم حسين ، ط4 ، (بيروت ، دار الافاق الحديث ، 1980) .

النيسابوري ، مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ، (بيروت ، دار الفكر ، د. ت) .

النيسابوري ، محمد بن الفتال ، روضة الواعظين ، (قم ، منشورات الرضي ، د. ت).

الهلالي ، سليم بن قيس ، كتاب سليم بن قيس ، تحقيق محمد باقر الانصاري ، ط2 ، (قم ، دليل ما ، 1424هـ) .

الهمداني ، احمد الرحماني ، الامام علي بن ابي طالب (من حبه عنوان الصحيفة) ، (ايران ، المنير للطباعة والنشر ، 1375هـ) .

الهندي ، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين ، كنز العمال في سنن الاقوال والافعال، ضبط وتصحيح الشيخ البكري حياني ، (بيروت ، مؤسسة الرسالة ، 1989) .

الهيثمي ، نور الدين علي بن ابي بكر ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، (بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1988) .

الوائلي ، د. احمد ، من فقه الجنس في قنواته المذهبية ، (النجف ، المكتبة الحيدرية ، د. ت) .

الواسطي ، كافي الدين ابو الحسن علي بن محمد الليثي ، عيون الحكم والمواعظ ، تحقيق حسين الحسيني ، (قم ، دار الحديث ، 1376هـ) .

الورداني ، صالح ، السيف والسياسة (الصراع بين الاسلام النبوي والاسلام الاموي)، (القاهرة ، دار الحسام ، 1996) .

الوردي ، د. علي ، وعاظ السلاطين ، ط2 ، (لندن ، دار كوفان ، 1995).

يعقوب ، احمد حسين ، النظام السياسي في الاسلام (رأي الشيعة ،راي السنة ، حكم الشرع) ، ط3 ، (قم ، مؤسسة انصاريان ،

1424هـ) .

- اليعقوبي ، احمد بن يعقوب ، تاريخ اليعقوبي ، (بيروت ، دار صادر ، د. ت) .
- يونس ، صاحب معاوية بن ابي سفيان ، (في الكتاب والسنة والتاريخ) ، ط2 ، (بيروت ، دار العلوم ، 2002) .

ثانياً : الرسائل الجامعية

- الكبيسي ، خليل اواهيم ، "المرجئة نشأتها وعقائدها وفرقها وموقفها السياسي " ،رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، 1975 .
- لفتة ، خليل مخيف ، " قضية الامامة في الفكر السياسي للغزالي " ،رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية العلوم السياسية ، جامعة بغداد ، 1995 .
- مطرود ، صلاح حسن ، " السيادة وقضايا حقوق الانسلن وحرياته الاساسية " ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية العلوم السياسية ، جامعة بغداد ، 1995 .

ثالثاً : المجلات والدوريات

- احمد ، هشام ، "التصور الغربي لحقوق الانسان "، مجلة قضايا دولية ، العدد 324 ، 1996.
- البختياري ، صادق ، " العدالة والتنمية في منهج الامام علي (ع) ، مجلة المنهاج ، العدد 27 ، 2002 .
- الجواح ، حيدر ، " الحرية قلق الغياب ودعوى الحضور " ، مجلة النبأ ، العدد 27 ، 1419هـ .
- الحسني ، جهاد ، "واقع السلطة السياسية ومفهومها في مصر القديمة " ، مجلة العلوم القانونية والسياسية ، العدد 1-2 ، 1984 .
- حلمي ، د. نبيل احمد ، " حقوق الانسان في التنمية ، مجلة السياسية الدولية ، العدد 68، 1982 .

- شمس الدين ، محمد جعفر ، الاسلام والرق ، مجلة النجف ، العدد الاول، 1962 .
- عبد الدائم ، عبد الله ، الاحتفاء بالاعلان العالمي لحقوق الانسان وسط الظلام العالمي، مجلة المستقبل العربي ، العدد 214 ، 1999 .
- عبد السادة ، حيدر حسين ، " مفهوم الحريات في الشرائع السماوية والارضية " ، مجلة النبأ ، العدد 24 ، 1421هـ .
- العجلي ، شوان ، " المعارضة في ظل الدولة الاسلامية ، مجلة المنهاج الاسلامي ، العدد 25 ، 2002 .
- علوش ، ناجي ، " الغرب وحقوق الانسان ، مجلة قضايا دولية ، العدد 294 ، 1995 ، الشبكة الدولية للمعلومات .

رابعاً : المصادر في الانترنيت

- الزعبي ، د. خالد ، الملكية ووظيفتها الاجتماعية في الفقه الاسلامي ، 2004 .http : www yahoo. com
- مجموعة مؤلفين ، موسوعة الشباب السياسية ، 2005

http : www yahoo. com